الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

مديرية ما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

الشيخ طه جابر العلواني وجهوده في خدمة الدعوة الإسلامية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الإسلامية
تخصص: دعوة وثقافة إسلامية

إعداد الطالب:
نبيل صوالح محمد

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الرحمن تركي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
مصطفى حميداتو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	رئيسا
عبد الرحمن تركي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مشرفا ومقررا
الجباري عثماني	أستاذ محاضر–أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	عضوا مناقشا
علي خضرة	أستاذ محاضر–أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	عضوا مناقشا
محمد البشير بن طبة	أستاذ محاضر–أ–	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا مناقشا
عيسى بوعافية	أستاذ محاضر–أ–	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ / 2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــداء

إلى روح والدي الكريم– رحمه الله تعالى–وإلى أمي الكريمة الغالية، إلى من كانا سبباً في وجودي وأعطياني كلَّ ما عندهما حتى وصلت إلى هذا المقام بدعائهما المرافق لي بالليل والنَّهار، أسال الله أن يحفظ أمي ويرحم أبي ويعطيهما من فضله الواسع الكريم.

كما أهدي هذا العمل إلى عائلتي الصَّغيرة بداية من زوجتي التي سهرت وتحمَّلت وبذلت كلَّ ما في وسعها لأجل أن أصل إلى هذه المرحلة الطَّيبة من البحث، فلها مني جزيل الشَّكر والامتنان، وأسأل الله أن يثيبها ويجعلني وأولادنا قرة عين لها. ثم أهديه إلى أولادي كلٌّ باسمه رائد وروان ورتال ورحيم.

وأهديه إلى الوالدين الكريمين لزوجتي الحاج عبد القادر والحاجة رشيدة وجميع أفراد عائلتهما وكل أحبابهم وأقاربهم من بعيد أو قريب.

كما أهديه إلى جميع إخوتي وأخوتي وأزواجهم وأولادهم اسماً باسمٍ؛ إلى مسعودة وثوريا وعمار وصليحة ومحمَّد ورضا ومنى عامر والزهرة ومروة وزوجها وصهيب وعبد اللطيف ويحي. وأهديه كذلك إلى أحبابنا في مدينة سطيف وكل أقاربي من الأخوال والخالات والأعمام والعمات وكل قريب وكل صهر.

كما أهدي هذا العمل لجميع أصدقائي كلٌّ باسمه وأخصُّ بالذكر رفيقيَّ العزيزين الدكتور مصطفى حنانشة والأستاذ عبد اللطيف بقاص. وإلى الأستاذ قدور علاق والدكتور سليمان الطويل والأستاذ فؤاد ملوكة وكل أصدقاء الطفولة وكل الجيران والأحباب.

وإلى طلاب العلم عامة وطلاب معهد العلوم الإسلامية بجامعة الشَّهيد حمَّة لخضر خاصة.

وصلَّى الله وسلم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

نبيل بن ناجي صوالح محمد

شكر وتقدير

الحمد لله والشُّكر له وحده على منِّه وكرمه وعونه وآلاءه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى والتي خصَّني بها حتى أُنجز هذا العمل، من توفيق في تسخير قلوب النَّاس لتقديم العون ومن فتح لتحليل ومناقشة المسائل العلمية والآراء الفكرية وغيرها من المجهودات المبذولة في هذا البحث، فهو صاحب الفضل وحده فله الشُّكر والثناء الجميل على كريم فضله وجود عطاه.

وأتقدَّم بخالص الشُّكر والدُّعاء لفضيلة المشرف الأستاذ الدُّكتور عبد الرحمان تركي على قبوله الإشراف على عملي، ثمَّ العناية الكبيرة بأطروحتي مع التَّتبع الدَّقيق لتفاصيلها، والنَّصائح الثَّمينة التي رافقني بها في كلِّ كبيرة وصغيرة، فكانت كلماته مضيئة لطريقي العلمي، فجزاه الله –تعالى–خير الجزاء في الدَّارين ونفع به المسلمين وأعطاه من موفور الصَّحة والعافية ليبقى منارة علميَّة لكلِّ طلاب العلم.

وأتقدَّم بالشُّكر الجزيل كذلك لكل الأساتذة الأفاضل الذين وجهوني ونصحوني وأعطوني كلَّ ما طلبته، وبداية بالدُّكتور معمر قول الذي لم يبخل عليَّ في يوم من الأيام من مدِّ يد المساعدة لي،ثمَّ إلى الأستاذ الدُّكتور محمَّد رشيد بوغزالة الذي قدَّم لي كلَّ ما احتاجه خدمة للعلم وأهله، والأستاذ الدُّكتور يوسف عبد اللاوي الذي حرص على توجيهي وإرشادي، وكل الأساتذة الذين سهروا على تكويننا في مرحلة تكوين الدكتوراه وأخصُّ منهم الأستاذ الدكتور إبراهيم رحماني والدكتور خالد حباسي والدُّكتور عبد القادر مهاوات والدكتور نور الدين جوادي والدكتور شوقي ممادي والدكتور عبد الغني حوبة فجزاهم الله خير الجزاء.

واشكر كذلك مركز أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية في مصر الذي قدَّم لي كل المساعدة التي احتاجها، وأخصُّ هنا بالذكر الأستاذة الفاضلة؛ سارة الصغير على مساعدتها لي حفظها الله ورعاها.

والشكر كذلك للأستاذين الكريمين؛ الأستاذ الدكتور الأردني فتحي حسن الملكاوي والدكتور العراقي عبد الجبار الرفاعي، لتواصلهما معي ومساعدتي فبارك الله فيهما وجزاهما الله كل خير.

كما أشكر أساتذة وإدارة وعمال جامعة الشَّهيد حمَّة لخضر، وعلى رأسها مدير الجامعة الأستاذ الدُّكتور عمر فرحاتي، وأخصُّ بالشكر أساتذة وإدارة وعمال معهد العلوم الإسلامية على

توفيرهم لنا الجو المناسب للبحث العملي فلهم منِّي كلَّ الشُّكر، وأدعو الله أن يوفقهم جميعا لما يحبون في الدَّارين.

كما أشكر السَّادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين سيتولون قراءة الأطروحة وتصحيحها وتوجيه النَّصائح والتَّصويبات لي عما بدر منِّي من خطأ أو تقصير أو غفلة، سائلاً الله –تعالى–لهم العون في القراءة والتَّوفيق في نصحي وتوجيهي، وثبات الأجر بعد ذلك على الجهد والتعب.

كما أتوجَّه بالشُّكر لكلِّ من أعانني من قريب أو من بعيد وإن لم تُذكر أسماؤهم–في إنجاز هذه الأطروحة وأخصُّ بالذكر زميلي وصديقي الأستاذ عبد الله حمدة على الاعتناء بالأطروحة لغوياً.

وصلَّى الله وسلم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً.

نبيل بن ناجي صوالح محمد

الوادي :17صفر 1442هـ الموافق لـ 04أكتوبر2020م.

﴿ الملخص باللغة العربية ﴾

الملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

تحدثتُ في أُطروحتي هذه عن عَلَمٍ من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر؛ إنَّه العالم والمفكر والداعية والمصلح الشَّيخ طه جابر العلواني- رحمه الله تعالى- وعن أهم جهوده في خدمة الدعوة وكذا ملامح منهجه الدعوي، إذ قدمت له ترجمة وافية لجميع مراحل حياته وأهم المحطات فيها وأبرز الأعمال والأنشطة التي قام بها، وخاصة التي لها علاقة بالجانب الدعوي أو التي تُبرز معالم شخصيته المتعدِّدة الجوانب، ثم ذكرت آرائه وأفكاره التي أسهم بها في مجال النهوض ومحاولة بعث الأمة الشاهدة من جديد، انطلاقاً من إصلاح أوضاعنا، ثُمَّ من خلال علاقتنا بالآخر ومدِّ جسور التواصل معه، وخلُصت جهوده الدعوية في تبلور منهج دعوي تميَّز بالنهج الشمولي القائم على النظر المنهجي التجديدي الرافض لكل أشكال التقليد، والمنطلق من الماضي مع ضرورة مراجعته والتصديق عليه بالقرآن الكريم وفق مقاصده العليا وحاكميته ووحدته البنائية والجمع بين القراءتين، والأخذ والاستفادة من كل وافد جديد، يُعلي من شأن المعرفة في ظل أسلمتها وتكاملها، فتشهد الأمة المسلمة بذلك حالة من الإقلاع الحضاري الذي يصل بالإنسانية إلى برِّ الأمن والآمان. وأوصيت في الختام بضرورة إعادة القراءة المتخصِّصة لموروث العلواني الكثير والمتنوِّع، والملفت في الوقت ذاته لنفض الغبار عن إنتاج المعاصرين من أمثاله، الذين أثبتوا من خلال نموذج العلواني بأنَّ الأول قد تَرَكَ وتَرَكَ للآخر ما يقول، بل وأنَّ قوله هو المسموع أكثر ممن سبقه، إذ الزمان زمانه والمكان مكانه وكل المتغيِّرات بين يديه ونصب عينيه، وبهذا المنطق ومستوى التفكير نتغلَّب على عُقدة النَّقصِ تجاه الماضي والحاضر، ويُمكن لنا حينها الإجابة على كثير من التساؤلات وحلِّ جُلِّ الإشكالات في حياة الإنسان اليوم، كالأسئلة الكبرى المتعلِّقة بالذات والكون والحقيقة والعقل والمعرفة.

﴿ الملخص باللغة الإنجليزية ﴾

﴿ The abstract is in English ﴾

Abstract:

Praise be to God, Lord of the worlds, prayer and peace be upon the most honorable messenger.

In my thesis, I talked about one of the great figures in contemporary Islamic thought and about the most important features of his advocacy approach. He is the scholar, thinker, preacher and reformer Sheikh Taha Jaber Al-Alwani - may God Almighty have mercy on him. I have provided with an adequate biography of all stages of his life and the most important stations in it and highlighted the works and activities he has carried out, especially those that have to do with the advocacy aspect or that highlight the features of his multifaceted personality. Then I mentioned his opinions and ideas that he contributed to the field of advancement and the attempt to resurrect the witness nation again, starting from reforming our conditions, and then through our relationship with the other and building bridges of communication with him. I concluded that the Al-Alwani advocacy approach - may God have mercy on him – has been distinguished by the holistic approach based on the innovative, systematic consideration that rejects all forms of imitation from the past with the necessity of reviewing and ratifying it with the Holy Qur'an according to its high purposes, its governance and its structural unity, combining the two readings, taking and benefiting from every new arrival raises the status of knowledge under its Islamization and integration, thus the Muslim nation witnesses a state of civilized takeoff that takes humanity off to safety and security. In conclusion, I recommended the necessity of a specialized re-reading of Al-Alwani's many and varied legacy, which is remarkable at the same time to dust off the production of contemporaries like him who have proved through the model of Al-Alwani that the former left and left to the other what he says, and that his saying is more audible than those who preceded him because he is in his time and his place and all the variables are in front of his eyes. With this logic and level of thinking, we overcome the complex of inferiority towards the past and the present and we can then answer many questions and solve most of the problems in human life today, such as the major questions related to the self, the universe, truth, mind and knowledge.

﴿الرموز والإشارات﴾

الرمـز	معنـاه
ج	الجزء
ص	الصفحة
هـ	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
لا.ط	لا رقم للطبعة
لا.م	لا مكان للطبعة
لا.ن	لا ناشر للطبعة
د.ت	دون تاريخ للطبعة

مُقَدَّمَةٌ

أولاً: تمهيد.

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، ومن فضله تتنزَّل البركات، له الحمد على ما أعطى وما منع، وله الحمد على التَّوفيق والفتوحات، حمداً يليق بجلاله وكماله ومَنِّه وفضله، والصَّلاة والسَّلام الأتمَّان الأكملان على سيِّد المخلوقات، سيِّدنا محمَّد المبعوث بالرَّحمات، وعلى آله وأخصُّ منهنَّ زوجاته الطَّاهرات، وصحابته السَّادات، وعلى من اقتفى أثرهم واهتدى بهديهم واتَّبعهم للممات، أمَّا بعد:

لا يمكن الحديث عن العمل الدعوي، الذي يساهم في تحقيق الوعـي الحضـاري والتحصين الثقافي،واسترداد فاعلية الأمة،وإحياء وعي المسلم برسالته ودوره في إلحاق الرحمة بالعالمـين وقيادة الناس إلى الخير، كما يمكن أن يشكِّل إضافة جديدة، في مجال الإحاطة المنهجية والموضوعية لمسار الدعوة الإسلامية اليوم، وفي ظل تزايد خطورة موقف الطغيان الكمي والكيفي، الناجم عن إفرازات العولمة والانفجار الإعلامي وتكنولوجيات الاتصال، جعلت الأمة الإسلامية تعيش أوضاعاً متداخلة ومعقدة، لها آثار نفسية وفكرية وسلوكية على الفرد والأسرة والمجتمع، فقـد تغيرت مفاهيـم وقيـم وسيطرت نظم ومنازع، وطرأت نوازل نشَّطت من جديد حركة السجال، حول الإسلام وحضارته، دون أن يقودنا الكلام عن تجربة العمل الفكري والدعوي في مشاريع العمل الإصلاحي الجماعي والفردي، التي حاولت استيعاب كل هذه المتغيرات والتحولات، حتى تكون طرفاً مهما في حركة السِّجال لصالح المجتمع المسلم،وتجيب على كل تساؤلاته، وتواكب بكل جدٍّ العصر والإنسان في الثابت والمتغير.

والشيخ طه جابر فياض العلواني-رحمه الله تعالى-من رجالات الدعوة في العصر الحديث نموذج إسلامي مُتفرِّد، إذ نشأ نشأة دينية بحتة في العراق، تأصلاً بدراسة متعمِّقة للعلوم الإسلامية، في الأزهر الشريف الذي يمثل التجسيد الحي لتراث الحضارة الإسلامية في علومها الدينية.

له جهود متعدِّدة في مجال خدمة الدعوة والفكر الإسلامي، وقد خلَّف آثاراً علمية وكتباً ومقالات قيمة، قد يمثِّل كل واحد منها نبراساً، يبدِّد ظلاماً حالكاً، ومصباحاً يزيل ضباباً كثيفاً، خيَّم على أفهام الناس، خصوصاً في زمن الغيم والرؤية العسيرة.

وحريٌّ بطلبة العلم والباحثين، أن يكشفوا اللثام عن أمثال هؤلاء، بالدراسة وتقديم عصارة جهودهم العلمية والفكرية والدعوية، لتستنير بها الأجيال القادمة من الدعاة، وتنير طريقهم وتجلِّي أهدافهم وتجنبهم العثـــرات أو الانكسارات.

ثانياً: إشكاليـــة البحث وتساؤلاته.

دأب الفكر الإسلامي على الاستجابة والتفاعل مع التحديات، سعياً منه إلى أن يكون في مستوى التجاذبات الفكرية، مصحِّحاً ومنقذاً ومبشِّراً، وشاء الله أن يتَّصف المشروع الإسلامي بخصوصية التجربة، توافقاً بخصوصية المكان والزمان والظروف. من هنا تُعتبر التجربة الدعوية والفكرية لرجال الفكر والإصلاح الدعوي المعاصر، تجربة ذات خُصوصية مُتميَّزة، إذ نشأ أعلام ورجال الإصلاح اليوم في فترة تحمل من الخصوصية ما يميَّزها عن سابق الأزمنة، وقد تجلَّت هذه الخصوصية في أمرين هامين؛ فمن جهة تحوَّل العالم إلى قرية كونية واحدة، ذات اندماج وتداخل كلِّي في العلاقات والمصالح والخصوصيات،وذلك نتاج إفرازات ثورات متتادخلة ومُتلاحمة – الصناعية والتكنولوجيا والمعلوماتية– ومن جهة ثانية كون هذه المقاربات الإصلاحية لهولاء الأعلام، تأتي بعد كم معرفي تجريبي هائل، ناجم عن تعاقب وتدافع لمشاريع إصلاحية كثيرة من مشارب مُتباينة،وفق مجريات ووقائع حياتية تحمل من الخصوصية والذاتية ما تحمله كينونة الإنسان الواحد المتعدِّد.

من هذا المنطلق سأحاول تسليط الضوء في هذه الدراسة، على شخصية الشيخ طه جابر فياض العلواني–رحمة الله عليه– أحد رجالات العمل والفكر الإسلامي المعاصر، بتتبُّع جهوده وأعماله وكتبه ومقالاته ومختلف منتجاته عبر وسائل الإعلام المتنوعة، ورصد نِتاج فكره كمشاريع وأعمال المعهد العالمي للفكر الإسلامي، من أجل بيان قيمة هذا الجهد وأهميته، والكشف عن جوانب الإضافة فيه لدفع المشروع الدعوي خطوة نحو الأمام، وتحقيق النهوض الحضاري والتصدي للمفاهيم المغلوطة لمعاني التديُّن،من أجل تحقيق نهضة إصلاحية شاملة تُعلي من شأن الدين والدنيا معاً.

وعلى ضوء هذا تُطرح الإشكالية الآتية:

من هو طه جابر فياض العلواني؟ وما هي جهوده المبذولة في حقل الدعوة الإسلامية اليوم؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة تساؤلات فرعية جاءت صياغتها كالتالي:

1-من هو طه جابر فياض العلواني؟ وما هي معالم شخصيته الدعوية؟

2-ما هي جهوده المبذولة في الحقل الدعوي اليوم؟ وما هي مكانته في الحقل الدعوي اليوم؟

3-كيف ينظر العلواني للتَّحديات التي تواجه المشروع الإسلامي اليوم في الداخل والخارج؟ وكيف يمكن تذليلها في نظره؟

4-هل يمكن اعتبار الجهود الدعوية المبذولة للعلواني مقاربة إصلاحية؟ وما مكانتها اليوم بين المشاريع الإصلاحية؟ وذلك بُغيَّة النَّهوض والبناء في المقاربات الدعوية المستقبلية.

ثالثاً: أهميـــــة الموضوع.

تتجلَّى أهميـــة هذا البحث فيما يلي:

1-الحاجة ماسة اليوم لدراسة الشخصيات الدعوية المعاصرة، والعلواني شخصية دعوية معاصرة وأحد الدعاة العاملين في العصر الحديث، إذ تُوفي العلواني مؤخراً في مارس سنة 2016م، فالبحث في شخصيته ما يزال في بدايته وغير مكتمل الجوانب، ولعلَّ هذه الدراسة تكون بمثابة الرصاصة الأولى لاندلاع ثورة البحث والاهتمام بين الدارسين، لهذه الشخصية وغيرها وكشف مُنجزاتها العلمية بصورة متكاملة وشاملة.

لذا تبرز أهمية هذه الدراسة في أن تبنى صورة متكاملة عن مشروع دعوي رائد، من خلال قراءة موضوعية مُتأنية في تراث وموروث، رجل معاصر من مثل العلواني، علَّها تفتح آفاقاً جديدةً، في فهم منهج ومقومات المسار الدعوي الإصلاحي المعاصر.

2-ما أهمية الجهد المبذول للعلواني في كل تلك الأعمال والمؤلفات والمقالات، وهل لها أثرها في توجيه وتقويم الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، وبسطها أمام العلماء والدعاة وطلبة العلم والباحثين وكل المهتمين قصد الاستفادة منها في مجالات مختلفة.

3-حاجة الدعوة الإسلامية لمقاربة إصلاحية جديدة، في عصر تشعَّبت فيه المسالك واختلطت فيه السبل، بالاعتماد على مراجعة ذاتية داخلية، تتَّسم بالجدية والعلمية بعيداً عن العاطفة والمجاملة والتَّحيُّز.

4-التحدِّيات التي تواجه المشروع الإسلامي اليوم داخلياً وخارجياً، مختلفة وبيان سبل التصدي لها من خلال رؤية العلواني أحد دعاة هذا العصر.

5-أهمية المساهمات والجهود الدعوية المعاصرة لرجال المرحلة والعلواني واحد في بعث المشروع الإصلاحي اليوم.

رابعاً: أهـــداف البحـــــث.

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف الآتية:

1-التعريف بالداعية والمفكر الشيخ طه جابر فياض العلواني-رحمة الله عليه-ورصد أثره في توجيه الدعوة الإسلامية المعاصرة، بنقل تجاربه وأفكاره لأصحاب المشاريع الإصلاحية، لإحداث التراكمية ومن ثَمَّ الرفع بالمردود الدعوي ليكون في مستوى المواجهة والتحدي.

2-قراءة في التاريخ الإسلامي، من أجل معرفة ما وقع في التراث من أخطاء أدَّت إلى توقف حركة الاجتهاد والتجديد وفاعلية العقل المسلم عموماً.

3-تلمُّس الأخطاء والانحرافات، التي وقعت فيها فصائل الدعوة الإسلامية المعاصرة ومعرفة أسباب الهزائم المتعاقبة التي مُنِيَّ بها المشروع الإسلامي، وهل كُلُّها تعود إلى أسباب التحدي والهيمنة الخارجية، أما أنَّ للخلل الداخلي دور في هذا الإخفاق والقصور، ومن ثَمَّ تلمُّس طريق الخَلَاص ورسم كيفية التقويم والمعالجة وفق منهج إسلامي مُستمد من القرآن والسنَّة والمقاربات الإصلاحية الواقعية.

4-المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية بالدراسات العلمية الجادة، حول المواضيع الهامة التي تتعلق بالعمل الدعوي وأثره على الحركات الإسلامية المعاصرة، والدَّفع بعجلة البحث العلمي نحو الأمام.

خـامسـاً: منـهـــج الـــدراســـة.

يقتضي هذا البحث استخدام الوصفي الذي يقتضي الاستقراء والتحليل والنقد والاسترداد، التي تخدم بعضها البعض كما تُشكل في تكاملها رصدًا تامًا لكل تفاصيل الكشف عن إشكالية هذه الدراسة وهي:

1-المنهج الوصفي: وقد عرَّف **أحمد بن مرسلي** الوصف **بقوله**: "دراسة تصورية دقيقة، من حيث العناصر المكوِّنة لها...فالدراسة الوصفية تقوم على وصف الظاهرة وصفاً كاملاً دقيقا."[1] وعرَّفه **عبد الغني محمد إسماعيل العمراني** بقوله: "المنهج الوصفي هو أحد مناهج البحث العلمي الذي يدرس الظواهر الطبيعية والاجتماعية والسياسية الراهنة دراسة كيفية توضح خصائص هذه الظاهرة"[2]. وبه نُعطي صورة دقيقة ووصفاً واضحاً لشخصية العلواني وأهم القضايا التي تناولها بالبحث في حياته.

2-المنهج التحليلي: عرَّف **موريس أنجرس** المنهج التحليلي في كتابه منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية بأنَّه:"عملية ذهنية تتضمن تفكيك الواقع إلى عناصره بهدف معرفة طبيعته، كما يهدف إلى وضع عناصر الموضوع في علاقة ببعضها البعض"[3]. كما عرَّف محمد سرحان علي المحمودي أسلوب البحث الذي يهدف إلى تحليل المحتوى الظاهري أو المضمون الصريح للظاهرة المدروسة ووصفها وصفاً موضوعياً ومنهجياً وكمياً بالأرقام"[4] فتحليل مضمون المحتوى وتفكيكه إلى أجزاء يجعله أمراً واضحاً مفهوماً في ذهن القارئ.

3-المنهج الاستقرائي: عُرف بأنَّه:" استدلال مستمدٌّ من ملاحظة وقائع خاصة بهدف استخلاص افتراضات عامة[5]." وهو كذلك: "الانتقال من الحالات الجزئية المشاهدة إلى وضع قانون عام"[6]. كما أنَّه:" عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية"[7]. وذلك من خلال تتبُّع موروث العلواني ومن ثَمَّ استمداد

---

1 – أحمد بن مرسلي، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال. (ط:2؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2005 م)، ص51.

2- عبد الغني محمد إسماعيل العمراني، دليل الباحث إلى إعداد البحث العلمي. (ط:2؛ صنعاء-اليمن: دار الكتاب الجامعي،1433هـ/2012م)، ص 103.

3- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. (لا.ط؛ الجزائر: دار القصبة للنشر،2013م)، ص 422و 423.

4- محمد سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي. (ط:3؛ صنعاء-اليمن: دار الكتب،1441هـ/2019م)، ص 60.

5- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. (مرجع سابق)، ص 50.

6 – عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي. (ط:3؛ الكويت: وكالة المطبوعات،1977م)، ص170.

7 – محمد سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي. (مرجع سابق)، ص73.

أفكاره الجزئية منها وبيان ماهيتها، والتركيز على تأثيراتها المعرفية والواقعية في واقع الفكر والدعوة الإسلامية، لنرسم في الأخير المشهد العام الناظم لمنهجه العام في المجال الدعوي العام.

4-المنهج المقارن: الذي:"يعتمد على المقارنة في دراسة الظاهرة حيث يبرز أوجه التشابه والاختلاف فيما بين ظاهرتين أو أكثر"[1]. واستخدمته من أجل عقد بعض المقارنات بين كلام العلواني وكلام غيره، لتقوية ما جاء به العلواني أو لبيان ضعف الكلام المخالف له.

5- المنهج الاستردادي(التاريخي): عرَّفه **عبد الغني محمد إسماعيل العمراني** هو"الذي يعتمد على دراسة الظواهر القديمة أو الحديثة من خلال جمع الحقائق والمعلومات من السجلات والوثائق والآثار المتوفرة؛للتعرُّف على كيفية تطورها وتكوينها ونشأتها من أجل فهم الحاضر، والتنبؤ بالمستقبل"[2].وهنا لابد من أن نشير إلى أمر مهم وضروري لسلامة استخدام هذا المنهج؛ ألا وهو خضوع هذا الأخير إلى عملية النَّقد الذي يشمل نقد الاستعادة أو نقد التصحيح للتأكد من صحة الوثائق، وكذلك نقد المصدر وهو معرفة مصدر الوثيقة"[3].وقد استعملت هذا المنهج في جانب الحديث عن سيرة العلواني وأحداث حياته،وفي استنطاق الظواهر القديمة ما خلال ما طرحه العلواني ما من شأنه أن يرسم صورة للحاضر والمستقبل والتنبؤ بما فيه.

6-**المنهج النَّقدي**: وقد يكون جزءاً من المنهج التاريخي السابق الذكر، وقد نستعمله في غير الأحداث التاريخية، كأن ننقد رأياً للعلواني أو غيره، فالنَّقد صفة أساسية لتحقيق الصدق والموضوعية العلمية ويكاد يصاحب جميع مراحل البحث من أجل التقييم[4] والتقويم[5].

---

1 – محمد سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي. (مرجع سابق)، ص76.

2 – عبد الغني محمد إسماعيل العمراني، دليل الباحث إلى إعداد البحث العلمي. (مرجع سابق)، ص 99.

3 – عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي. (مرجع سابق)، ص188إلى205.

4 – التقييم: هو إعطاء قيمة للشيء فقط. نورا الشامخ، التقويم في التعليم. (لا.ط؛ المملكة العربية السعودية: شبكة الألوكة،1439هـ/2018م)، ص9.

5 – التقويم: لا يقف التقويم عند حد بيان قيمة الشيء ما، بل لابد كذلك محاولة إصلاحه وتعديله بعد الحكم عليه.وعليه فالتقويم أشمل من التقييم. انظر: نورا الشامخ، التقويم في التعليم. (المرجع نفسه)، ص9 بتصرف.

سادساً: الدراسات السابقة.

الدراسات حول العلواني في بدايتها وغير شاملة لجوانب شخصيته لوفاته مُؤخراً، لكن رغم ذلك فقد أُنجزت رسالتان جامعيتان حوله، مع وجود بعض الدراسات والمؤلفات الأكاديمية وغير الأكاديمية التي تناولته بالنقد أو بالعرض في سرد حياته وأعماله، ومنها:

الدراسة الأولي:

دراسة دكتوراه موسومة بعنوان: "**منهج التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر طه جابر العلواني أنموذجا**"للباحث اليمني صادق محمد أحمد وجيه الدين، جامعة أسيوط كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية تخصص: فكر إسلامي، سنة:1439هـ/2019م، وقد عالجت هذه الرسالة الإشكالية الآتية:"**ما منهج العلامة الدكتور طه جابر العلواني–رحمه الله–في تجديد الفكر الإسلامي؟**"

وقد استهدف الباحث من خلال هذا البحث، الكشف عن شخصية العلواني ولفت الأنظار لمنتوجه الغزير والمميز وبيان مكانته في الفكر الإسلامي المعاصر، وهنا وقع توافق بيني وبينه في التعريف بشخصية العلواني، واختلفنا في بيان مكانته حيث اقتصرها على مجال الفكر الإسلامي، في حين أنا توسَّعت فيها لتشمل الجانب الدعوي بما فيه الجانب الفكري والجوانب الدعوية الأخرى كالعمل الجمعوي والنشاط السياسي.واستهدف كذلك التعريف بمدرسة إسلامية المعرفة وبيان مدى إسهامها في عملية الإصلاح والتجديد،ورغم وجود التشابه الكبير بيني وبينه في هذه الزاوية إلا أنَّ التناول مختلف والتفصيل مغاير.ونفس الكلام يقال على ما استهدف الوصول إليه؛من بيان مساهمة العلواني في معالجة الأزمة الفكرية،وقد خلص الباحث في دراسته إلى جملة من النتائج من أهمها مايلي:

1–معالجة العلواني للأزمة الفكرية وتتبع قضاياها من جذورها وتحديد مشكلاتها، وقد كانت معالجتها من الجانب التنظيري والعملي؛ كمعالجة منهجية التفكير.

2–اهتمام العلواني بمناقشة الموقف من الحضارة الغربية، وقد ذهب الباحث لبيان سبب هذه الأهمية المندرج ضمن معالجة الأزمة الفكرية والتي من أسبابها التغريب والاستلاب، وإن كنت اتَّفق معه في هذا الأمر إلا أنَّي تجاوزت أمر الأسباب التي ذكرها كذلك إلى أمر آخر أكبر وأعمق؛ هو الدعوة إلى المواءمة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.

3-إنَّ خلاصة مفهوم إسلامية المعرفة تتمثَّل في إعادة صياغة العلوم والمعارف في ضوء الإسلام، وهي نفس النتيجة التي توصلت لها، وقد ركزَّ الباحث على ذكر المخالفين وأبرز اعتراضاتهم، في حين مررَّت على نقد أسلمة المعرفة مرور الكرام ولم أقف عندها كثيراً، لكون هذا النقد مجرَّد احترازات لا غير.

4-تأكيده على خصوصية لغة القرآن الكريم وتميزها، مما جعل منه حاكماً لا محكوماً، وهذا ما خلُصت إليه في نتائجي بحكم تركيز العلواني على إبراز هذه الفكرة في وآخر حياته عبر جميع جهوده الدعوية.

5-كما اتَّفقت معه في مسألة الحاكمية والوحدة البنائية والجمع بين القراءتين ورفض النسخ في القرآن الكريم، مع وجود بعض الاختلافات في طريقة العرض والتناول، كما تعرَّض لذكر مسألة رفض العلواني للتشابه في القرآن الكريم. في حين أغفلتها أنا على اعتبار أني ذكرت أمثلة في مسألة المراجعات، وقد ذكرت في مكانها حديث افتراق الأمة.

6-وجود تشابه في عرض مسألة إشكالية التعامل مع السنَّة، وقد اتَّفقنا على أنَّها عنده مفهوم لا مصطلح.

7-رفضه لعلم الكلام بالمعنى القديم، إلا أنَّه لم يُهمل مبررات الحاجة إليه، وقد أسهب في ذلك. وأنا لم أتطرق لذلك فهو مجال واختصاص أهل العقيدة اتركه لهم لإثارة البحث حوله ونفس الكلام حول قضايا عقدية أثارها الباحث مثل الإلهيات والسمعيات والنُّبوات.

8-وقد خالفته في تناول موضوع التكامل المعرفي، وهي مسألة معرفية جوهرية تدخل في كل الأفكار التي طرحها العلواني في مسألة أسلمة المعرفة وفي قضايا القرآن الكريم، وحتى في مجال التعايش السلمي بيننا وبين الغرب والمواءمة الحضارية.

وأوصى الباحث بمايلي:

1-ضرورة العناية بجهود الإصلاح والتجديد والجهود العلمية الكبيرة، وهذه موضع اتَّفاق بيننا بحتمية طبيعة الموضوع المدروس وهو دراسة لشخصية.

2-مناقشة أزمة الخطاب الإسلامي المعاصر، بما يساعد على نقد السلبيات، وتعزيز الإيجابيات.

3-الحرص على تحصين الشباب السلم بالثقافة الإسلامية الأصلية، وقد اتفقت معه على مسألة التحصين ولكن الأمر عندي غير خاص لفئة الشباب بل للعقل المسلم العام. وفي عموم هذه الدراسة فقد وجدت بعض المشابهة لدراستي وتقاطع معها في بعض من الأفكار والأطروحات وحتى المباحث والمطالب والعناوين وحتى النتائج والمقترحات ويعود السبب حسب رأييِّ إلى كونهما قد أنجزتا في وقت واحد ولم تكن هذه الرسالة قد نوقشت وقت إنجاز رسالتي، ولم أتحصَّل عليها إلا في رمضان الماضي1441هـ الموافق لماي2020م، وكنت حينها قد شارفت على إتمام رسالتي.

الدراسة الثانية:

دراسة ماجستير موسومة بعنوان: "**الدكتور طه جابر العلواني 1935م/2016م وآراؤه العقدية دراسة**" للباحثة المصرية؛ عزة سمير عبد الغفار عمرو، جامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة،لسنَّة: 2018م/1439هـ،ولكن للأسف لم أستطع الحصول منها إلا على فهرس الرسالة، فحاولت من خلاله معرفة مسار الباحثة في الرسالة بتناولها لبعض القضايا العقدية عند العلواني، وقد كان محتوى الرسالة كالآتي: **الباب الأول**:حياة العلواني وتكوينه(العلواني النشأة والتكوين- ظروف عصر العلواني- مسيرة العلواني الفكرية).**الباب الثاني**:الإلهيات(التوحيد جوهر الرسالات-الذات الإلهية). **الباب الثالث**: النبوات(الإيمان بجميع الأنبياء والرسل-الكتب السماوية-موقف العلواني من بعض القضايا الواردة في القرآن الكريم).**الباب الرابع**: السمعيات(عالم الغيب والشهادة-الإيمان باليوم الآخر-المهدي المنتظر ونزول المسيح عليه السلام)، وهنا يبدو منحى الرسالة عقدي صرف وهذا ما لم أركِّز عليه في رسالتي مع إمكانية التقاطع في بعض زوايا البحثين، كالجانب التعريفي بشخصية العلواني من **الباب الأول**،أو ما يخص التوحيد في **الباب الثاني**،أو مسألة حاكمية القرآن الكريم في **الباب الثالث** فصل الكتب السماوية أو بعض القضايا القرآنية مثل النسخ من نفس الباب. ومن هنا كانت دراستي أكثر شمولاً لملامستها جميع الجوانب العلمية التي تميَّز بها العلواني -رحمه الله تعالى-لأرسم بذلك الخطوط العامة في شخصيته وأهم الإضافات العلمية والفكرية والدعوية، والتي يمكن أن تضيف الجديد في مسار الدعوة الإسلامية اليوم.

الدراسة الثالثة:

وهي مُؤَلَّفٌ غير أكاديمي موسوم بعنوان: "**طه جابر العلواني؛ تجليات التجديد في مشروعه الفكري**" للمُؤَلِّفِ إبراهيم سليم أبو حليوة نشر مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.بيروت،2011،ط:1.وهي محاولة لإلقاء الضوء على أفكار "طه جابر العلواني"، وتقديم صورة عامة عنه بصفته، من أبرز من حمل مشروع إسلامية المعرفة، ويكاد يكون المنظِّر الأول لها بعد الراحل" إسماعيل الفاروقي" أحد الدعاة الأوائل للفكرة، وقد انتهى "العلواني " إلى أن أزمة الأمة هي أزمة فكرية، وسعى في هذا المشروع إلى تنظيم المبادئ الأولى الأساسية، التي تشكِّل جوهر الإسلام، وجعلها إطاراً منهجياً للفكر الإسلامي، كما وضع قواعد منهجية للتعامل مع القرآن الكريم والسنَّة النبوية والتراث، ودعا إلى علم المراجعات بهدف بناء منظومة معرفية إسلامية، قائمة على الاجتهاد بمداومة النظر في المصادر الأساسية، وليس في الجزئيات والفروع، كما يرى أنَّ إهمال فقه الأولويات والمقاصد؛ هي واحدة من مكامن الخلل، في بنية الفكر الإسلامي المعاصر.ومن هذه الأرضية العامة في فكر العلواني انطلقت، بقراءة هذه الدراسة ومقارنتها بما جاء في الأصل من مؤلفات العلواني وما قيل عنه،ومن ثَمَّ استطعت استجلاء المقارنة والتوثيق بصورة علمية لما جاء في هذه الدراسة.

الدراسة الرابعة:

دراسة في القراءة والمراجعة موسومة بعنوان: "**البواعث الفكرية والمنهجية: في سلسلة الدراسات القرآنية لطه جابر العلواني**" للدكتور سليمان محمد القدور، في مجلة إسلامية المعرفة العدد:72، الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالأردن بتاريخ:2013/04/30م، وقد عمل على الكشف عن الخارطة الفكرية لنتاج العلواني القرآني، ورسم معالمها الرئيسة عن طريق تعريف سلسلته القرآنية، وباعثه على تأليفها، وطبيعتها، وأهم ثوابتها، وفق الخطوات التالية:

أولاً: التعريف بسلسلة دراسات العلواني القرآنية، والباعث على تأليفها.

ثانياً: معالم دراساته المنهجية.

ثالثاً: معايير الدراسات القرآنية وثوابتها.

رابعاً: خلاصة الضوابط المنهجية لجهوده في الدراسات القرآنية.

من خلال الكتب التالية:(كتاب أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها،وكتاب الجمع بين القراءتين:قراءة الوحي وقراءة الكون،وكتاب نحو موقف قرآني من النسخ، وكتاب أفلا يتدبرون القرآن، وكتاب نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه،وكتاب الوحدة البنائية للقرآن المجيد وكتاب لسان القرآن ومستقبل الأمّة القطب)،وهنا يبدو تركيز الباحث مُنصبٌّ حول محور واحد في منهج العلواني؛ ألا وهو محور مركزية القرآن الكريم لا غير، وإن كان هذا جانب مهم في رؤية العلواني إلا أنَّه يُعتبر جزءاً من المنظومة الفكرية للعلواني يحتاج إلى بقية الأجزاء الأخرى حتى تتضح الرؤية وتكتمل.

الدراسة الخامسة:

دراسة نقدية موسومة بعنوان: "**الردة بين الحد والحرية: قراءة في كتاب لا إكراه في الدين**"لطه جابر فياض العلواني للمؤلف:صالح بن علي العميريني.(ط:1؛الرياض:دار التدمرية، 1434هـ/2013م).يبسط صاحب الدراسة هنا، أنَّ العلواني يطرح بجرأة غير معهودة في الأوساط الشرعية، نفي ثبوت حد شرعي للرِّدة، خلافاً للمقرَّر في مدونات الفقه المعتبرة، والتي حكمت بالإجماع على قتل المرتد عقوبة له في الدنيا، ولقد ارتكز في ذلك على ركيزتين أساسيتين هما:حرية الاعتقاد المطلقة في القرآن الكريم ومنع الإكراه أياً كان نوعه، مستدلاً بجملة من الآيات القرآنية الكريمة،كقوله تعالى:"**لا إكراه في الدين**"، والثانية عدم وجود أي ذكر أو إشارة لحد الرَّدة في القرآن الكريم، مع وجود عدة آيات تتحدَّث عن هذه الجريمة النكراء، ممَّا أثار جمهرة العلماء والفقهاء وطلاب العلم الشرعي.

ولقد اتَّسم هذا الكتاب بنقد وردِّ رأي العلواني ومناقشته علمياً وكشف الأفكار المطروحة فيه. ومن خلال هذه الدراسة وبالعودة لتفاصيل جوانب الموضوع أحاول تلمُّس المبررات لهذا الرأي ومناقشته، وعرض هذا النقد على ميزان الحق، ليصنَّف بعد ذلك في صنف الاجتهاد الصائب أو الخاطئ وخاصة أنَّ الرجل أصوليٌّ أزهريٌّ. وتعتبر هذه الدراسة جزئية ومتخصِّصة إذ تناقش مسألة واحدة ولكنَّها في الوقت ذاته تلفت الانتباه إلى أمر يتجاوز الخلاف حول المسألة الفقهية إلى إيحاءات ما وراء الخلاف التي يمكن أن أنطلق منها للبحث في الآليات المستعملة عند العلواني حتى يتجاوز مسألة مُجمع حولها، دون الحاجة للنظر في مسألة صوابه أو خطئه

المتروك لأهل الاختصاص من الفقهاء والأصوليين، فالآلية والأداة المستعملة هنا من طرف العلواني هي المقصودة بالبحث والكشف.

الدراسة السادسة:

دراسة نقدية موسومة بعنوان **"تعليق على كتاب: إشكالية: الردة والمرتدين للعلامة طه جابر العلواني"**للشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيَّه، المنشورة في الموقع الرسمي للشيخ بن بيَّه، جاء في هذه الدراسة مايلي:

1-أنَّ العلواني ليس علمانياً يبحث عن هدم الدين بمعاول التشكيك والتفكيك، بل هو رجل مدافع عن هذا الدين قولاً وعملاً منذ نعومة أظفاره، وقد ابتُليَ في هذه السبيل -ضاعف الله أجره-وما صدَّه ذلك عن الدعوة وإقامة الحجَّة.

2-أنَّ العلواني ليس من نوعية المفكرين أو المثقفين الذين يعالجون قضايا الإسلام والشريعة من خلال منظومات فكرية خارجةٍ عن المناهج المعتمدة عند علماء المسلمين، بل هو عالم أصوليٌّ ضليع يتعامل مع موضوعاته بواسطة الأدوات المتعارف عليها، تعضيداً وتفنيداً وجرحاً وتعديلاً وتفريعاً وتأصيلاً.

3- كون العلواني عالماً من علماء الشريعة، وكل عالم يقتضي حقَّ الحرمة ولا يقضى باستحقاق العصمة.وهذه شهادة حق في شخص العلواني من عالم رباني تُضفي عليه صفات الربانية والعلم والخلق الحسن،وهذا ما توصلت له من خلال دراستي هذه.كما أتَّفق بن بيَّه مع العلواني فيما يتعلق بالتراث اليهودي، بأنَّ هذا التراث حاول التَّسرب إلى الشريعة، ولكن علماء المسلمين انتبهوا لذلك منذ وقت ليس بالقصير.كما اتَّفق معه كذلك على مسألة هيمنة القرآن على السنَّة،على أنَّ القرآن والسنَّة قد خرجا من مشكاة واحدة هي مشكاة النبوة، وهذا الإشكال لم يُطرح في الصدر الأول إلا من زاوية الثبوت، فالقرآن متواتر محفوظ، والسنَّة قد تردُ آحاداً، وبالتالي تضعفُ الثقةُ في نسبتها إليه- صلى الله عليه وسلم- ومن هنا اختلفت أنظار العلماء في التعامل مع خبر الآحاد إذا خالف القواعد أوِ القياس أو عمل أهل المدينة.وتعرض بعد ذلك لمناقشة مسألة الرَّدة من جانب فقهي يترك لأهل الاختصاص مجال البحث فيه.

الدراسة السابعة:

دراسة نقدية موسومة بعنوان:" **دراسة تحديثية تحليلية نقدية لكتاب إشكالية التعامل مع السنة النبوية للدكتور طه جابر العلواني**" للدكتور أحمد جمال أبو يوسف.(ط:1؛ عمان-الأردن:مركز الإمام الألباني،1439هـ/2018م)، والكتاب حسب منهجيته يبدو في الأصل رسالة جامعية من خلال منهجية إخراجه وفيه عرَّف المؤلف بمشروع العلواني وعرَّف بالمؤلف، وظروف نشأته، ودراسته، والحركات التي انتسب إليها، والمهام التي أسندت إليه إداريًّا، وبيئة معيشته التي كان لها مشاركة قوية في تشكيل شخصيته الفكرية.

وقال الناقد أيضا: يظهر من تتبُّع مراجع الكتاب وملاحظة تنوعِّها -بل تباينها-أنَّ العلواني استفاد منها جميعاً بما يخدم فكرته دون أن ينقِّح ويتنَّبه لاختلاف المنطلقات بين أصحابها، وهذا يكشف أنَّ المؤلف لم يكن واعياً بخطورة ممارسته، أو له أهداف ومقاصد أخرى يسعى لها، فقد تنوَّعت المراجع، فكان من بينِها الشيعي والقرآني وغيرهما، وكلها كان المؤلِّف يحشد أقوالها في قالب واحدٍ.وفي تبيينه لمفهوم السنَّة عند العلواني وكشفه له فإنَّه قد أعطى فروقاً حقيقيَّة بين التعامل المزدوج الذي يقوم به العلواني وأهل مدرسته، وبين المنهج العلميِّ المنضبط عند الأقدمين، مع وحدة المصادر والمنطلقات وتنوِّعها عند المعاصرين، وقد كان تركيز الدكتور على تحديد مفهوم السنَّة وجميع المصطلحات ذات العلاقة بها. وتعقُّب الدكتور العلوانيِّ فيما يذهب إليه له دور كبير في كشف عملية تزييف الوعي التي مارسها على القراء في كتابه محل النقد، فهو قد حمل معول الهدم لعلم الجرح والتعديل وعلم الإسناد والرواية، ويبدي نوعاً من عدم الثقة بهما؛ لينتهي به المطاف إلى الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة!!وقد كشف صاحب الدراسة في كتابه عن الإشكالات التي أثارها العلواني، وأن منبعها من فكر العلواني، لا من ذات الشريعة، ولا من السنَّة النبوية، فتعدُّد المشارب لدى العلواني وغموضه في بعض المفاهيم وغموضها عنده كذلك هو الذي أدَّى به إلى النتائج المرتبِكة في التعامل مع السنَّة النبوية وجعلها إشكالية في حياة المسلمين. ومما لاحظته على هذه الدراسة مشابهتها لعدت دراسات تناولت كتاب العلواني هذا، فكتاب إشكالية التعامل مع السنَّة منذ صدوره قد أحدث ضجَّة جعلته يتعرَّض رفقة صاحبه للنقد والمراجعة المبالغة،وهذه الدراسة إحداها والتي اكتفيت بها عن سواها لكونها أكاديمية جامعة وشاملة في مقابل غيرها من الدراسات التي تعتبر ردود مُتمثِّلة في مداخلات وورقات مختصرة،وقد جاء في هذه الدراسة شَنُّ الحرب على كتاب العلواني بصورة

مجُحفة وصلت إلى حد التوصية بالتحذير منه ووصفه بهادم السنَّة والطاعن فيها وهو عصارة طعون الطوائف الأخرى في السنَّة.

الدراسة الثامنة:

دراسة نقدية موسومة بعنوان:" **المآخذ الأصولية على كتاب (إشكالية التعامل مع السنة النبوية) للدكتور طه جابر العلواني**" لعارف عز الدين حسونة، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات،علوم الشريعة والقانون المجلد 43 الملحق رقم2، سنة 2016م.ومما خلصت إليه هذه الدراسة؛أنَّ العلواني من أجل أن ينفي عن السنَّة كونها مصدراً للتشريع،نفى عنها كل وصف لو ثبت لها للزم عنه –حسب تقديره– أنَّها تشريع أو مصدر للتشريع؛لهذا قرَّر أنَّ السنَّة لا تزيد عن القرآن أحكاماً سكت عنها ولا تُخصِّص عامه ولا تقيِّد مطلقه ولا تنسخه،وأنَّها لذلك ليست أكثر من بيان ملزم فيما له أصل في القرآن الكريم، وهي حجة في هذا القدر فقط.وفي الحقيقة أنَّ العلواني لا يُنكر السنَّة لأنَّ شرط الرجوع للقرآن وعدم التعارض معه،هذا شرط يخدم السنَّة ويقويها إذ أنَّ السنَّة الصحيحة لا تُخالف ولا تُعارض صريح القرآن الكريم. كما ناقشه في قضايا أخرى أصولية أترك الفصل فيها لأهل الأصول.

ملاحظي العامة حول الذين تكلموا في العلواني:

اتَّفق مع جُلُّ من نَقَدَ العلواني وناقشه على عدم اتِّهام العلواني في دينه أو في سوء نيته، بل أحسنوا الظن به وحملوا أمره على خير.وهذا الأمر يُفضي بنا للوصول إلى نتيجة هامة جداً في النظر لأعمال العلواني واجتهاداته؛ إذ يمكن جعل آراء العلواني والمخالفة منها لغيره خاصة، تدخل ضمن **دائرة الاجتهاد الشرعي الموصوف بالخط** و**الصواب** لكل اجتهاد بشري، والذي يجازى عليه صاحبه بالأجر لا بالقذف والاتهام في الدين والذِّمة.

سابعاً: تحديد المصطلحات.

أ–تعريف الجُهدُ لغة واصطلاحا:

- **الجهد لغة**:الجَهدُ ما جَهَدَ الإنسان من مَرض أو أمر شاقٍّ. وهو مَجهُودٌ.

والجُهدُ؛جَهَدتُ نَفسي وأجهَدتُها، ويقولون: لأَبلُغَنَّ جَهدَايَ في الأمرِ وجُهَيدايَ. وجُهَاداكَ أن تَفعَلَ ذاكَ: أي قُصَارَاكَ.والجَهدُ: شَيءٌ قَليلٌ يَعِيشُ به

الرَّجُلُ المِقِلُّ. كُلُّ مَن بالَغَ في شَيءٍ فقد جَهَدَ واجتَهَدَ، وأجهَدتُه: حَمَلتَه على ذاك. وجاهَدتُ العَدُوَّ مُجَاهَدَةً وجِهَاداً: قاتَلتَهُم.والإجهَادُ: الإشْرَافُ والظُّهُورُ: أَجْهَدنا:أصحَرنا وبَرَزنا. والمِجهُودُ: المشتَهى من الطَّعام واللَّبَنِ، والجاهِدُ: الشَّهوَانُ،وجَمعُه أجهَاد.والمجهِدُ: الغَضبَان. وأجهَدَ الشَّيءُ: تَكَشَّفَ. والجَهَادُ: الأرضُ الصُّلبَةُ. وقيل: المستَوِيَةُ الملسَاءُ ليس بها أَكَمَةٌ. وأجهَدَ القَومُ: أَخَذوا في الأرضِ الجَهَادِ. وكَلأٌ جَهِيدٌ وأرضٌ جَهِيدَةٌ: إذا كانت تَجهَدُهما الماشِيَةُ بالرَّعيِ. وأتاني بجُهدٍ له: أي لَبَنٍ مَمزُوجٍ، وكلُّ شَيءٍ مَزَجتَه فقد جَهَدتَه. وانَّه لَمُجْهَدٌ بكَ: أي مُخْتَلِطٌ.[1]

الجهد اصطلاحا: من المعنى اللغوي الذي هو:" بذل الوسع في طلب أمر ليبلغ ويصل إلى نهايته"[2] ومنه جاء المعنى الاصطلاحي للجهد أو الاجتهاد بمعنى فعل الإنسان قصاره من أجل الوصول إلى تحقيق مطلبه ومبتغاه، وإذا كان في أمر علميا جاء بمعنى أي "بذل أو توجيه الجهود المبذولة لتأدية عمل علمي" [3] وإذا كان هذا الجهد المبذول من طرف علماء الشرع يعرَّف بأنَّه: "استفراغ الجهد في طلب شيء من الأحكام على وجه يحسن من النفس العجز عن المزيد فيه"[4]فإن الأمر نفسه ينطبق على من اجتهد في العمل الدعوي، فهو جهد دعوي .من بالغ في الدعوة فقد جهد واجتهد فقد بلغ قصارى جهده فيها

ب–تعريف الدعوة لغة واصطلاحا:

- **الدعوة لغة**:دعا بالشيء دعوا ودعوة ودعاء ودعوى طلب إحضاره، يقال دعا بالكتاب والشيء إلى كذا احتاج إليه، ويقال دعت ثيابه أخلقت واحتاج إلى أن يلبس غيرها والطيب أنفه وجد ريحه فطلبه وفلاناً صاح به وناداه، ويقال دعا الميت

1– إسماعيل بن عباد بن العباس، المحيط في اللغة. ج1(لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت)، ص 283.

2– دون مؤلف، الخلاصة في أحكام الاجتهاد والتقليد فقط. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت)، ص2

3––إيمان الحياري، تعريف الاجتهاد، مجلة موضوع الالكترونية. 2015/12/30 الساعة 13:1

4– إيمان الحياري، تعريف الاجتهاد، مجلة موضوع الالكترونية. 2015/12/30 الساعة 13:1

ندبه وفلانا استعان به ورغب إليه وابتهل، ويقال دعا الله رجا منه الخير ولفلان طلب الخير له، ودعا على فلان طلب له الشر وبزيد وزيدا سماه به ولفلان نسبه إليه وإلى الشيء حثه على قصده ويقال دعاه إلى القتال ودعاه إلى الصلاة ودعاه إلى الدين وإلى المذهب حثه على اعتقاده وساقه إليه يقال دعاه إلى الأمير، ويقال ما دعاه إلى أن يفعل كذا ما اضطره ودفعه والقوم دعاء ودعوة ومدعاة طلبهم ليأكلوا عنده(داعى)البناء هدمه وفلانا حاجاه وفاطنه،(دعى)في الضرع أبقى فيه داعية اللبن،(ادعى) في الحرب اعتزى وهو أن يقول أنا فلان بن فلان والشيء تمناه وطلبه لنفسه وزعمه له ويقال فلان يدعى بكرم فعاله يخبر عن نفسه بذلك وفلانا صيره يدعى إلى غير أبيه وعلى فلان كذا نسبه إليه وخاصمه فيه ومنه(البينة على من ادعى واليمين على من أنكر)،(اندعى)أجاب...[1]

- **الدعوة اصطلاحا:** تباينت وتعدَّدت تعاريف الدعوة في الاصطلاح، وقد اخترت منها أحدها رأيت فيه الشمول والإلمام ووضوح مؤشراته المقسمة إلى ثلاث جهود في مجال التبليغ وجهود في مجال التكوين وجهود في مجال التطبيق والتنفيذ لمعنى الدعوة في الاصطلاح؛ وهو تعريف **أحمد عيساوي** في كتابه دراسات وأبحاث في تاريخ
- الدعوة والدعاة هي: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"[2].

ت–تعريف الخدمة لغة واصطلاحا:

- **الخدمة لغة:**(خدمه) خدمة قام بحاجته فهو وهي خادم (ج) خدم وخدام وهي خادمة، (أخدمه) جعل له خادما، (خدمه) أخدمه والبعير شد في رسغه الخدمة، (تخدم) خادما اتخذه، (اختدم) خدم نفسه وفلانا سأله أن يخدمه، (استخدمه) اتخذه خادما وسأله أن يخدمه واستوهبه خادما (الخدام) مبالغة في الخادم، (الخدمة) الساعة

---

1 – إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار. المعجم الوسيط، تحقيق / مجمع اللغة العربية ج1(لا.ط؛ الإسكندرية–مصر: دار الدعوة، د.ت)، ص 287.

2 – محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة.(ط:3؛بيروت–لبنان: مؤسسة الرسالة.1415هـ/1995م) ص17.

من ليل أو نهار، (الخدمة) الحلقة المحكمة ويقال فض الله خدمتهم فرق جمعهم وفي حديث خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس:"الحمد لله الذي فض خدمتكم"[1]. وسير غليظ محكم مثل الحلقة يشد في رسغ البعير والقيد والخلخال وفي المثل (كالممهورة إحدى خدمتيها) يضرب في الحمق والساق ويقال أبدت الحرب عن خدام المخدرات اشتدت (ج) خدم وخدام، (الخدوم) مبالغة في الخادم، (المخدم) الثري الكثير الخدم وموضع الخدمة من البعير والمرأة، (المخدم) من عمله أن يقدم خادما لغيره (محدثة)[2]

- **الخدمة اصطلاحا:**

الخدمة في الاصطلاح:" قيام الإنسان بنشاطٍ ما، لصالح غيره من الأفراد أو الجمهور"[3]. وعليه من قام بخدمة الدعوة فهو خادم للدعوة وهو خدوم لها، ببذل نشاطه لصالحها.

ث-المفهوم الإجرائي لمصطلحات البحث:

أعني ب:(جهد العلواني في خدمة الدعوة الإسلامية)؛ أي رصد كل نشاط قام به العلواني في سبيل خدمة الدعوة الإسلامية، سواء أكان ذلك قولاً أو عملاً بصفة فردية أو جماعية.

ثامناً: الخطوات الإجرائية المتَّبعة.

اعتمدت في كتابة الآيات على مصحف المدينة المنورة بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم.

- عزو الآيات الكريمة إلى مظانِّها، بكتابة اسم ورقم السورة مباشرة بعد كتابة الآيات في المتن وليس في الهامش.
- عزو أحاديث الشيخين إلى مظانِّهما، والحكم على بقية الأحاديث الأخرى بالرجوع إلى كتب التَّخريج القديمة أو الحديثة.

---

1 – ابن أبي شيبة، كتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت. ج6(ط:1؛ الرياض: مكتبة الرشيد، 1409هـ)، ص548. وكذلك عبد الرزاق في مصنفه ج 6/ ص 548 حديث رقم: 33729

2 – إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار. ج1(مرجع سابق)، ص222

3 – فاطمة مشعلة،" مفهوم الخدمة ". (موقع موضوع) ،2016/10/10م، 07:24.

- عدم الترجمة لأي علم وارد في الدراسة باستثناء من تعلَّق بهم البحث كبعض أعضاء المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وهي ترجمة مختصرة لأنَّي اعتبر الترجمة هنا زيادة تُثقل وتنقص من قيمة البحث لأنَّها مادة موجودة ومتوفرة في الكتب فلا داعي لتكرارها.
- في إخراج وكتابة البحث التزمت بما جاء في كتاب **إبراهيم رحماني**" خطوط رئيسية في كتابة البحوث الجامعية-العلوم الإسلامية-"الطبعة الأولى،سنة 2013م، مطبعة سخري، الوادي الجزائر.

تاسعاً: خطة البحث.

مقدمة

الفصل الأول: السيرة والمسيرة (جهود وأنشطة لحياة حافلة بالعطاء).

❖المبحث الأول: البيئة والمولد والنشأة والتكوين العلمي.

- المطلب الأول: عصر العلواني ومولده.
- المطلب الثاني: مساره العلمي.
- المطلب الثالث: نشأته الدعوية.
- المطلب الرابع: نشأة الحسِّ السياسي عنده.

❖ المبحث الثاني: مرحلة نشاطه السياسي في العراق.

- المطلب الأول: من تجاربه مع الحزب العراقي الإسلامي.
- المطلب الثاني: من تجربته في العمل العسكري.
- المطلب الثالث: من أهم أعماله السياسية في هذه المرحلة.

❖المبحث الثالث: العودة إلى العلم والدعوة واعتزاله النشاط السياسي.

- المطلب الأول: الطريق إلى طهران.
- المطلب الثاني: التَّعاون مع طهران ضد حكومة البعث ببغداد.
- المطلب الثالث: التحول من العمل السياسي إلى العمل الدعوي والتدريس الجامعي.
- المطلب الرابع: تجربته في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(البحث عن الذات خارج النطاق الداخلي).

❖المبحث الرابع: صفات العلواني وأثرها في واقع الدعوة الإسلامية (العلواني نموذج مدرسة علماء الغرب الإسلامي).

- المطلب الأول: العلواني العالم الرباني حسن الخلق.
- المطلب الثاني: العلواني بين الفكر والعمل.
- المطلب الثالث: العلواني والآخر.
- المطلب الرابع: آخر أعماله ووفاته.

الفصل الثاني: جهود طه جابر العلواني في خدمة الدعوة الإسلامية داخلياً (البحث عن الذات).

❖المبحث الأول: مركزية القرآن الكريم في خطاب العلواني.

- المطلب الأول: الجمع بين القراءتين عند العلواني.
- المطلب الثاني: الوحدة البنائية للقرآن الكريم عند العلواني.
- المطلب الثالث: القرآن الكريم وحلول المشكلات الإنسانية.
- المطلب الرابع: القيم السياسية في القرآن الكريم وإشكالية الحاكمية.

❖المبحث الثاني: المقاصد العليا القرآنية الحاكمة في فكر العلواني.

- المطلب الأول: تعريف وأهمية المقاصد القرآنية العليا الحاكمة.
- المطلب الثاني: الخصائص التي ستقوم المنظومة المقاصدية بتشغيلها عند قيامها.
- المطلب الثالث: المقاصد القرآنية العليا والمحدِّدات المناهجية.

❖المبحث الثالث: التعامل مع السنَّة النبوية في فكر العلواني.

- المطلب الأول: مفاهيم ومصطلحات.
- المطلب الثاني: إشكاليات منهجية في التعاطي مع السنَّة النبوية.
- المطلب الثالث: خلاصة رأي العلواني في جمع وحجية السنَّة.

❖المبحث الرابع: التعامل مع التراث في فكر العلواني.

- المطلب الأول: منطلقات منهجية لمعالم مراجعة التراث.
- المطلب الثاني: المراجعة بين الواقع والمأمول.
- المطلب الثالث: أمثلة عن مراجعات العلواني للتراث.

الفصل الثالث: جهود العلواني في خدمة الدعوة الإسلامية خارجياً (الرؤية النقدية وتحديات العودة إلى الذات).

❖ المبحث الأول: إشكالية المواءمة بين الحضارة الإسلامية والغربية في فكر العلواني.

- المطلب الأول: الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش
- المطلب الثاني: المواطنة وفقه الأقليات وعلاقتهما في بناء التعايش السلمي.
- المطلب الثالث: موقع حوار الحضارات في المواءمة الحضارية بين الإسلام والغرب.

❖ المبحث الثاني: إسلامية المعرفة في فكر العلواني.

- المطلب الأول: الجذور التاريخية لأزمة الأمة الإسلامية.
- المطلب الثاني: الفكر ومكانته في المنظومة الإصلاحية عند العلواني.
- المطلب الثالث: التعريف بمشروع أسلمة المعرفة.
- المطلب الرابع: علاقة أسلمة المعرفة بالعلوم.

❖ المبحث الثالث: التكامل المعرفي في فكر العلواني.

- المطلب الأول: مفهوم التكامل المعرفي وتاريخه في الفكر الإسلامي.
- المطلب الثاني: الملمح العام للتكامل المعرفي عند العلواني وعلاقته بالمقاصد العليا للقرآن.
- المطلب الثالث: من خصائص التكامل المعرفي

❖ الخاتمة.

الفصل الأول: السيرة والمسيرة (جهود وأنشطة لحياة حافلة بالعطاء)

- المبحث الأول: البيئة والمولد والنشأة والتكوين العلمي .
- المبحث الثاني: مرحلة نشاطه السياسي في العراق .
- المبحث الثالث: العـــودة إلى العـــلم والدعوة واعتزاله النشاط السياسي .
- المبحث الرابع: صفات العلواني وأثرها في واقع الدعوة الإسلامية (العلواني نموذج مدرسة علماء الغرب الإسلامي) .

المبحث الأول: البيئة والمولد والنشأة والتكوين العلمي.

1- المطلب الأول: عصر العلواني ومولده.

2- المطلب الثاني: مساره العلمي.

3- المطلب الثالث: نشأته الدعوية.

4- المطلب الرابع: نشأة الحسِّ السياسي عنده.

المبحث الأول: البيئة والمولد والنشأة والتكوين.

المطلب الأول: عصر العلواني ومولده.

الفرع الأول: عصر العلواني.

لا يمكن الحديث عن شخص ما دون أن نتطرَّق للحديث عن ظروف زمانه ومكانه، إذ الإنسان ابن بيئته يتأثَّر بها ويؤثر فيها، كما لا يمكن قراءة الشخص جيداً وفهمه ما لم يتسنى لنا فهم البيئة المحيطة به وأهم مكوناتها. ومن هنا يُمكن إجمال وصف البيئة الممهِّدة لظهور وبروز شخصية العلواني، في التحديات والمشكلات التي تهدِّد كيان الأمة الإسلامية في الداخل والخارج إذ الأمة في فترة ضعف وهوان، وأهم هذه التحديات والمشكلات هي كما يلي:

أولاً: التحديات والمشكلات الخارجية.

شكَّل ظهور الإسلام على وجه الأرض، تحدياً كبيراً في وجه كل الديانات المنحرفة السماوية أو الأرضية التي عرفها الإنسان، لما لهو من تهديد لمصالح وأطماع أتباع تلك الديانات ومنتسبيهم، لذا كانت أهم أولوياتهم في بسط نفوذهم القضاء عليه وإبعاده عن ساحتهم بكل الطرق الممكنة، ولقد عرف التاريخ الإنساني ألواناً عديدة وأشكالا كثيرة من صفحات السجال الدامي بين الإسلام وخصومه في الخارج نذكر أهمها في تاريخنا المعاصر وهي:

- **نزعة الهيمنة الغربية:**

يصف **طيب تيزيني** الأوضاع العالمية الراهنة وصفاً دقيقاً بقوله: "والآن؛ وفي عمق الإشكالية التي تحاصر العالم الراهن من أقصاه إلى أقصاه، تدور المناقشات حول الحضارات وموقع الحرب والصراع والحوار، وذلك بتزامن ملفت حقاً مع بروز اتجاهات قوية لعسكرة العالم في سياق تحويله إلى سوق كونية سلبية، وبهذا تمتلك تلك المناقشات حيوية ورِاهنية عظمى تتحرَّك على تخوم الحرب والسلام وما بينهما، وتخلق رهانات شتى على مصائر العالم. وفي هذه الأثناء تتوعَّد الإدارة الأمريكية مجموعة من البلدان بإعلانها **الحرب ضد الإرهاب** وإذا كانت قد بدأت في أفغانستان فإنَّها لم تنته، ولن تنتهي ربما حتى خمسين

عاماً "[1]. وتقول **عبيدة صبطي**: "يعرف العالم الحديث صراعاً شديداً بين الأمم للوصول إلى قمة هرم التقدم الحضاري ومن ثم السيطرة على العالم، وتعدُّ الحضارة الغربية وخاصة الحضارة الأمريكية من بين الحضارات التي وصلت إلى أوج تقدمها، وسعت للحفاظ على المكانة التي تحتلها في العلم. وسعياً لتجسيد تلك الحضارة الأمريكية اتجهت القوى الفاعلة في المجتمع الأمريكي لنشر الثقافة الأمريكية التي تهدف إلى عولمة العالم تحت ثقافة واحدة واقتصاد واحد ولمالا بدين واحد[2]".

- **الخطر العولمي:**

هدف الحضارة الغربية بجميع مؤسساتها وأنظمتها وعلى رأسها النظام العالمي الجديد وتشريعاته المختلفة، وتقف على رأسها العولمة الخطر الداهم الذي يتربص بإنسانية الإنسان وكل عناصر هويته. وقد جاء في العولمة الكثير من التعريفات والتوصيفات تحذيراً من خطرها ونشر الوعي بمكايدها، ولعلَّ من أهم تعريفها قول أحمد عيساوي في ذلك[3]:

- إنَّ العولمة نظام جديد من اختراع وابتكار المدنية الغربية.
- تهدف من ورائه إلى السيطرة على العالم في القرن القادم، بعدما فشل أنموذجها في احتوائه في القرن الماضي.
- فهي محاولة الغرب إكساب مدنيته وثقافته وحضارته طابع العالمية، وتقديمها كبديل مرجعي وواقعي.

---

1 – مجموعة من المؤلفين، محمد سعيد رمضان البوطي، بحوث ومقالات مهداة إليه. (ط:1؛ دمشق: دار الفكر 1423هـ/2002م)، ص282.

2 – عبيدة صبطي، صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، مجلة دراسات إسلامية، الجزائر، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمة، العدد18،أفريل 2013م/جمادى الأولى 1434هـ، ص107 .

3 – أحمد محمود عيساوي، الدعوة الإسلامية في قرن التكنولوجيات العولمية. (ط:1؛القاهرة: دار الكتاب الحديث 1437هـ /2016م) ،ص88.

- لتنظيم سائر شؤون الإنسان والإنسانية، تصوُّراً نظرياً وممارسة عملية في القرن القادم ضمن المجالات الحيوية الاقتصادية والسياسية والأمنية والثقافية واللغوية والاجتماعية والإعلامية.
- مستخدماً الوسائل التكنولوجية والحداثية المختلفة.

وينظر أحمد عيساوي إلى أنَّ النظام العولمي يستهدف سائر المعمورة، وبخاصة العرب والمسلمين فهم المستهدفون بالدرجة الأولى لأنَّهم أصحاب رسالة سماوية خالدة، وقادرة على التصدي ومنح البدائل والإجابات المقنعة لسائر المعضلات البشرية، والوقوف في وجه تيار العولمة المظلمة، ويهدف إلى زعزعة ما تبقى لديهم من حصون الممانعة الروحية والثقافية المعادية للنموذج العولمي[1].

- **الغزو والحرب من خلال دعاية الإسلاموفوبيا:**

وهذه العولمة ما هي في الحقيقة إلا صورة من صور الهيمنة الغربية لتحقيق الاستلاب وتكريس الغزو الفكري، من خلال وسائل كثيرة من أهمها الإعلام بالدعاية المغرضة. وقد وقفت وراء هذه الحرب الشاملة جهات ثلاث، يصدر عنها خطر داهم موجهاً سهامه الفكرية الفتاكة وجيوشه العسكرية العاتية الجبارة نحو الإسلام، وقد عزم على ألاَّ يألو جهداً في مناصبة الإسلام وأهله العداء بكل السبل ومصادر الكيد هذه هي[2]:

- المصدر اليهودي.
- المصدر النصراني.
- المصدر الإلحادي.

وقد أُختير لتحقيق هذا المخطط أساليب في منتهى المكر والدهاء والخبث، إذ ظهر الجلاد في صورة الضحية ليجمع من حوله جميع صور الاستعطاف والتأييد والمناصرة، و"أحداث نيويورك وواشنطن يوم :11 أيلول 2011 م نموذجاً على ذلك، فقد تزايدت الدعوات للردِّ العسكري

1 – أحمد محمود عيساوي، الدعوة الإسلامية في قرن التكنولوجيات العولمية. (مرجع سابق)، ص 112.

2 – انظر: إسماعيل علي محمد، الغزو الفكري التحدي والمواجهة. (ط:2؛ القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع،1434هـ /2013م)، ص 41 بتصرف.

لضرب مواقع في العالم الإسلامي، وبعد أنَّ حلَّ الغضب محلَّ الصدمة، بدأ بعض المفكرين الأمريكيين بالتنفيس عن الغضب بمهاجمة مواطنيهم من المسلمين أياً كانوا ، ووُظّف لهذه الحملة كل الوسائل الإعلامية على اختلاف أنواعها، **فأوريا فلاسي** مثال صارخ عن ذلك، إذ أصدرت كتابا بعنوان (غضب وكبرياء)، تصف فيه المسلمين بالتَّطرف، وتسخر من صلاتهم وتنعت القرآن الكريم بأنَّه ؛ يبيح الكذب والافتراء من أجل الدفاع عن العقيدة الإسلامية وأنَّ المسلمين دمويون والأئمة جزارون، كما تصف **أسامة بن لادن** بأنَّه قمة جبل ثلج، وأنَّه يوجد من المسلمين عدد كبير من المتطرفين مثله[1]".

وحتى قبل هذه الأحداث بدأت الدعاية ضد الإسلام من جهات متعدِّدة فقد جاء على لسان بعض الغربيين: "إنَّ شيئاً من الخوف يجب أن يُسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسباب منها:" **إنَّ الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل دائما في ازدياد واتساع**، ثم إنَّ الإسلام ليس ديناً فحسب بل إنَّ من أركانه الجهاد، ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانيا[2]".

يقول **توماس** تحذير واضح وخوف شديد من انتشار الإسلام:" قد تغير الحال اليوم، وأصبح المسلمون في قبضة أيدينا، ولكن ما حدث مرة يمكن أن يحدث مرة أخرى، وإنَّ الشُّعلة التي أوقدها محمد في قلوب إتباعه لهي شعلة غير قابلة للانطفاء[3]".

وينقل **شوقي أبو خليل** على لسان **زيغريد هونكة**؛ بأنَّ الغرب يرى المسلمين يستحقون الذبح والدعس وهم يغرقون بدمائهم، الشعب الكافر الملعون من الله والمتعطش للقتل...إنَّه شعب الكلاب والخنازير الذي سيتحول إلى جيفة لأنَّ أصنامه عاجزة... إنَّهم ضالة الشيطان...[4]بهذه الدعاية استطاع الغرب زرع حالة من الخوف من الإسلام في نفوس أبنائه عُرفت بالإسلاموفوبيا

---

1 – انظر: عبيدة صبطي، مقال بعنوان صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي. (مرجع سابق)، ص107إلى 116 بتصرف.

2 – إسماعيل علي محمد، الغزو الفكري التحدي والمواجهة. (مرجع سابق)، ص 94.

3 – إسماعيل علي محمد، الغزو الفكري التحدي والمواجهة. (المرجع نفسه)، ص 94.

4 – شوقي أبو خليل وهاني المبارك، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب. (ط:1؛ دمشق–سوريا:دار الفكر،1417 هـ/1997م)، ص95 بتصرف.

وهي: "الخوف أو الكراهية أو التحامل ضد الدين الإسلامي أو المسلمين بشكل عام، ولاسيما إذا نظر إليه كقوة جيوسياسية أو مصدر للإرهاب[1]". وانطلاقاً من هذه الحالة النفسية سوَّق الغرب لمحاربة الإسلامي عسكرياً-حرب العراق والحرب في افغنستان-وفكرياً عبر المحافل والأندية المختلفة وسخَّر لذلك كل ما أفرزته التكنولوجيا والعلم.

ثانياً: التحديات والمشكلات الداخلية:

نظرة الغرب للإسلام وموقفه المعادي له أسهم بصورة مباشرة وغير مباشرة في تأزُّم الوضع الداخلي في البلاد المسلمة، أفضى في الأخير إلى حالة من التخلف على مختلف الأصعدة وخاصة على مستوى الدين والهوية حتى كادت تختفي الصفات والعلامات المميزة للمجتمع المسلم لنعاود النكوص على أعقابنا بالعودة للمجتمع الجاهلي الأول يصف **البوطي** حالتنا اليوم بقوله :"صحيح أنَّه ليس مجتمعاً جاهلياً، كالذي كان أيام بعثة سيدنا- محمد الله عليه وسلم - ولكن فيه من التشاكس وتراكم التناقضات الفكرية والنفسية، بالإضافة إلى سلطان التيارات الوافدة ...إنَّ الخليط الذي تتألَّف منه تركيبة مجتمعاتنا الإسلامية اليوم يعاني في مجموعه من فراغ (أيديولوجي) إن جاز التعبير ... ومن ثم فإنَّه يعاني من حالة استسلامية تجعله معرَّضاً لقبول كل ما يفد إليه، بل كل ما يمرُّ به ... هنالك ثوب ذو رقع متنافرة شتى من أحلام الأفكار والأيديولوجيات المختلفة، يرتديه خليطنا الاجتماعي هذا . ولكنه في الحقيقة ليس أكثر من مظهر أو ترجمة دقيقة للفراغ الذي يعاني منه[2] " ويمكن إجمال أهم هذه المشكلات في بيئتنا ومحيطنا الإسلامي كما يلي:

- **مشكلة المعرفة وأزمة عالمية الخطاب:**

لتحديد حجم مشكلة وأزمة الخطاب الإسلامي المعاصر لابد من ربطها بالمصدر النابعة منه، والأكيد أنَّها نتاج ثقافتنا الوعاء الحاضن لها والمشكل لكل تغيراتها، وإذا أُصيب المصدر أو مرض أو أختل أحد مكوناته سينعكس ذلك على منتجاته وفروعه. كما لا يمكن تحديد حجم الأزمة كذلك إلا بالعودة إلى المقارنة والكشف التاريخي لحالتها عند المنشأ والبداية، فثقافتنا في

1 - مؤلَّف جماعي، الإسلاموفوبيا في أوربا الخطاب والممارسة. (ط:1؛ برلين-ألمانيا: المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية،2019م)، ص5.

2- انظر: محمد سعيد رمضان البوطي وطيب تيزيني، الإسلام والعصر، إعداد وتحرير عبد الواحد علواني. (ط:2؛ دمشق: دار الفكر، 1998م)، ص 40و43و44 بتصرف.

الحقيقة قد "حقَّقت بعدها العالمي في الماضي لأنَّها أعطت ما كان غيرها يحتاج إليه ويتلهَّف عليه، لقد كانت ثقافة غنيَّة لأمة قوية ذات حضارة مزدهرة صادفت أُمماً كانت أدنى منها حضارة وثقافة فكان لا بدَّ أن تنساب إليها وتؤثر فيها وتملأ الفراغ عندها...أما الثقافة العربية الإسلامية الحديثة – بكل غناها وتنوع فنونها وسخاء عطائها – لم تستطع خلال هذا القرن الأخير أن تحقِّق لنفسها البعد العالمي الذي يصل بها خارج النطاق العربي[1]". فلم يستطع بذلك الخطاب الإسلامي أن يحقِّق هو كذلك بعده العالمي، بل ظل يراوح مكانه بين الاجترار والانحسار و**حالة الخطاب الإسلامي السياسي أوضح دليل لإثبات هذا الإخفاق** وتبيينه إذ لم ينشأ حراً مستقلاً وفق رؤية منهجية واضحة وإنَّما تكوَّن في غالبه من ردود أفعال ورجع صدى فكان مُنفعلاً وليس فاعلاً: ومؤشر سقوطه في دائرة ردود الأفعال وقصوره عن الفعل الموضوعي المبادر. إنَّ ما نراه في الكثير من الأحيان هو انتظار الأطراف الأخرى تتخذ موقفاً ليتخذ الإسلامي الموقف المناقض أو لينسجم على منواله أو الاستيقاظ على وقع الحدث فيسارع الخطاب الإسلامي لملاحقته، **وهكذا يأتي هذا الخطاب في أحايين كثيرة مطبوعاً بالآنية والظرفية لاهثاً وراء المواقف والأحداث الجزئية المتلاحقة، مما يُفقده في الغالب الحضور المستمر والمتوازن في قلب الأحداث السياسية**[2]". وقس عليه بقية جوانب الخطاب الإسلامي الأخرى، فقد مسها جميعا الخلل وأصابتها العلل وقصُرت على مواكبة عصرها واستيعاب إنسانها. وممَّا عمَّق الأزمة وزاد من حدتها متعلقات أساسية في بناء هذا الخطاب من أهمها مشكلة المعرفة وما ينجر عنها من تحديد لعلاقة الإسلام بالعلم التجريبي رمز الخطاب الغربي وأحد ركائز تكوينها وكذا تحديد مكانة العقل في منظومة المعرفة. "فمن الثابت والمعلوم لنا جميعاً، **أنَّ المعرفة هي أساس السلوك، ومصدر التعامل مع الحياة وتتمُّ المعرفة ببصيرة العقل ودلالته.** غير أنَّ من الثابت أيضاً، أنَّ النفس الإنسانية تتلقى التوجيه من مصادر متنوعة ومختلفة وهي العصبية بأشكالها وأنواعها، ودواعي الشهوات والأهواء، ووحي

---

1 – مجموعة من المؤلفين، محمد سعيد رمضان البوطي، بحوث ومقالات مهداة إليه. (مرجع سابق)، ص 229و230.

2 – طه أحمد الزيدي وآخرون، الخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية. (ط:1؛ بغدد–العراق: دار الفجر، عمان–الأردن: دار النفائس،1431/2010م)، ص78.

ردود الفعل، ومقتضيات المصالح المادية المختلفة، وليس صوت العقل المتحرِّر إلا واحداً من بينها، على أنَّ صوت العقل هذا، يضيع ويلتبس على صاحبه في غمار تلك الوساوس والإيحاءات الأخرى، فلا يستبين له في أكثر الأحيان هوية[1]"،فمكانة العقل في بناء المعارف الإنسانية أمر لا يحتاج إلى دليل على إقامته."إنَّ العقلانية في القرآن الكريم أمر واضح تمام الوضوح، لا يخطئه أي قارئ للقرآن الكريم بريء من العصبية والتقليد، بل يجدها مبثوثة في ثنايا سوره[2]".كما "أنَّ العلم المطلوب شرعاً بما يناسب الزمان والمكان والمستجدات لم يُحدِّد في الغالب، ولم يصل إلى كل مسلم ومسلمة[3]".

- **مشكلة المراجعة:**

لمحمد **سليم العوا** إجمال وتلخيص لمشكلة المراجعة وأهم القضايا المثارة فيها فيقول:" وُجهت الصحوة الإسلامية بوجه عام وتيار مشروعها الحضاري بوجه خاص، **بأسئلة متكرِّرة عن الاجتهاد والتقليد**، وعن مكان النظم السياسية العصرية من هذا المشروع، وعن المرأة والأسرة ومشكلة خروجها من البيت وبيان الموقف مما صنعته بهما الحضارة المتحلِّلة من قيم الدين والخلق، وكيف نصل إلى الطريق الوسط في أمر المرأة، تجنباً لرذيلتي الإفراط والتفريط، وعن النظم التي عرفها المسلمون في تاريخهم القديم، هل هي ملزمة لكل المسلمين في الدنيا كلها، أم أنَّها اجتهادات بشرية لتحقيق مصالح الزمان والمكان يجوز لنا – أو يجب علينا – أن نجتهد مثلها لتحقيق مصالح زماننا وأمكنة وجودنا؟ وعن غير المسلمين في علاقاتنا بهم سواء منهم الذين يعيشون في بلدان أغلبية أهلها مسلمون أو الذين يعيشون خارج هذه البلدان في أقطار هم غالبة أهلها؟ وعن النظم المحدثة لحماية حقوق الناس وحرماتهم وحرياتهم هل نقبلها لأنَّها

---

1 – انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، وهذه مشكلاتنا. (ط:1؛ دمشق: دار الفكر،1429هـ/2008م)، ص113 و114 بتصرف.

2 –يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم. (ط:1؛ بيروت–لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/2001م)، ص62.

3 – سعيد حوى، كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر. (ط:5؛ القاهرة–مصر: دار السلام،1430هـ/2009م)، ص 280.

نافعة للناس محقَّقة لمقاصد الشرع، أم نرفضها ونعاديها لأنَّها من مكتشفات الحضارة الغربية أو مبتكراتها[1]. وعليه يجب أن نجيب على أسئلة أحميدة النيفر:" فكيف نفهم علاقة الفقيه والمتصدر للفتيا بمستجدات عصره؟ ثم إلى ماذا تفضي جهوده العديدة؟ وما علاقة ما يستنبطه من أحكام بقدرة المسلمين على مواجهة العصر[2]".

وبناءً على ذلك نكون جميعاً والحركات الدعوية بوجه الخصوص، أمام تحديات المراجعة المستمرة، للمسار الدعوي قصد القيام بالتحولات الكبيرة، التي من شأنها أن تُنهي المرحلة الحالية العقيمة، أسيرة الهموم الذاتية وتحيل مسار سباق التصدر الدعوي، إلى سباق نهوضي إصلاحي رائد[3]. **كما يجب عليها أن تعتذر عن تعذُّرها وتذرعها بما ردَّدوه للجماهير مراراً وتكراراً:** "نحن في شغل شاغل عن هذا الذي تدعونا إليه وتستنجدون بنا من أجله، أنَّنا مشغولون عنكم باتخاذ أسباب الوصول إلى الحكم ولسوف ننعطف إليكم من فوق كراسي الحكم، لنقودكم إلى الحق عندئذ كرهاً، بدلاً من أن نحاوركم وندعوكم إليه عن طواعية ورضاً![4]"

- **مشكلة العصبيات والتكفير:**

تنخر الجسد الإسلامي ضعف الوحدة والشعور بالفرقة، لأنَّه من حيث المبدأ ينبغي أن يكون المسلمون جسداً واحداً، وهذا يقتضي أن يكون كل مسلم مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بجسد الأمة الإسلامية، ولكن الواقع خلاف ذلك، إذ فشلت كثير من المحاولات التي سعت إلى جمع كلمة المسلمين.

وهذا ما **أفزع الغزالي** فقال:" فَزعت لما سمعت قائلاً يقول: إنَّ ألف مليون صيني قدرت الشيوعية على توحيدهم في دولة كبرى على تنائي الديار واتساع الأقطار،

1- انظر: مجموعة من المؤلفين، محمد سعيد رمضان البوطي بحوث ومقالات مهداة إليه. (مرجع سابق)، ص 236 و237 بتصرف.

2 – مجموعة من المؤلفين، محمد سعيد رمضان البوطي بحوث ومقالات مهداة إليه. (المرجع نفسه)، ص 260.

3 –انظر: محمد أبو رمان، الخطاب الإسلامي والتحولات الحضارية والاجتماعية. مجلة دراسات إسلامية، العدد:4. (مرجع سابق)، ص 85 و86 بتصرف.

4 – انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، وهذه مشكلاتنا. (مرجع سابق)، ص61 بتصرف.

أما الألف مليون مسلم فيبدوا أنَّ الإسلام عاجز عن جمع كلمتهم وحشدهم تحت راية واحدة ... وعدت إلى نفسي أفكر وأراجع وأتدبَّر متعجباً أنَّ الأمة الإسلامية تعاني صدوعاً هائلة، وهي الآن موزَّعة على أكثر من سبعين قومية، أو سبعين جنسية سياسية بلغة هيئة الأمم ولغة جوازات السفر[1]". "فإنَّ الإخاء العام والإخاء الخاص ضعيفان، فكثيراً ما ينسى المسلم إخاءه لكل المسلمين، وكثيراً ما يغلبه الإخاء الفئوي أو الحزبي على إخائه لكل المسلمين، وكثيرا ما تجد الخصومات الفردية أو العائلية أو الفئوية أو الحزبية قائمة[2]".

وقد صرَّح **البوطي** بخطر تلك العصبيات على وحدة الأمة فقال:" اسمحوا لي، أيها الأخوة أن أقول بصراحة، إنَّ الذي كان ولا يزال يفرِّق بين المسلمين إنَّما هو العصبيات والأهواء! عندما ينسى الإنسان أنَّ المذهب خادم للمبدأ، يُضحي بالمبدأ في سبيل المذهب، وهذه محصلة العصبية الخطيرة في حياة المسلمين، بل في حياة الجماعات الإسلامية كافة ولو أنَّ المسلمين تنبهوا إلى أنَّ المذهب لا مبرر في وجوده، إلا إن كان خادماً للمبدأ المتفق عليه، لحركوا المذهب كما يقتضي المبدأ، وليسيروا الفروع كما تقتضي الجذور.. ولتحررنا عندئذ من عصبيتنا، ولَتحررنا من أهوائنا[3].

كما نتج عن هذا التعصب المقيت ظاهرة التكفير التي وصفها محمد عمارة بقوله: "فتنة التكفير، بين الفرق والطوائف الإسلامية بالنزعة التدميرية، التي تبيح الدم والحكم بالخلود في النار، فخلَّف في واقع الأمة تمزقاً وغيَّب التضامن والاتحاد عن شعوبها مما أمكن للأعداء وشذَّاذ الأفاق من نهب ثرواتها واحتلال أراضيها؟[4]

---

1 – انظر: محمد الغزالي، سرُّ تأخر العرب والمسلمين. (ط :1؛ بيروت –لبنان: دار السراج، 1431هـ / 2010م)، ص 6 بتصرف.

2 – انظر: سعيد حوى، كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر. (مرجع سابق)، ص 294 و295 و296 بتصرف.

3 – محمد سعيد رمضان البوطي، وهذه مشكلاتنا. (مرجع سابق)، ص 242 و243.

4 – بدر محمد بدر، "تعريف بكتاب فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية للدكتور محمد عمارة"، مجلة دراسات إسلامية، الجزائر: مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلُّمية، العدد: 2، مارس2007م ص 69 و70 و71 بتصرف.

كما خلَّف التعصب كذلك معضلة التقليد والجمود يصرِّح **مالك بن نبي**: "بأنَّ الهوة أصبحت تتَّسع بين الواقع الطبيعي الإنساني الذي ورثه وورث مبرراته التقليدية، وواقعه الثقافي اليوم، فالهوة بدأت تتسع والإنسان أصبح يتمزَّق -خصوصا الشباب – بين فكرة لا يستطيع التخلص منها تماماً، لأنَّها مسجلة في طبيعته البشرية، تلك الطينة التي كرمها الله وبين واقع ثقافي لا يقدم له مبررات ولا يعطيه بديلاً عن مبرراته التقليدية المفقودة[1].

- **مشكلة ضعف البعد الروحي:**

ذكر **سعيد حوى** بأنَّ العلم وحده قد يُوجِدُ فلاسفة ومفكرين، والاختصاص وحده قد يُوجِدُ من يفيد، ولكن بلا قلب ولا روح ولذلك فلا بد من إعطاء الجانب التربوي والروحي أهمية خاصة من خلال الأعمال الروحية المختلفة مثل؛ الالتزام بالمسجد وحلقات العلم، ومجالس الذكر والأوراد اليومية والاعتكافات السنوية والخلوات الهادفة، وأكد على أنَّ الربانيين هم وحدهم المؤهلون، لحل المشكلة الثقافية والتربوية والروحية للمسلمين. ولابد من معالجة ضعف إقبال المسلم على الذكر إهماله لمبدأ النصيحة الذي يدخل فيه التواصي بالصبر، والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس الخير[2].

الفرع الثاني: مولده.

ولد **طه جابر العلواني** بمدينة **الفلوجة**[3] شمال غرب العراق بمنطقة الحصوة **محافظة الأنبار** "عام 1354هـ/ 1935م[4]"،وقد زارها العلواني في أخريات حياته وظل يحنُّ إليها إبَّان

---

1 -انظر:مالك بن نبي.دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين.(ط:2؛بيروت، لبنان مؤسسة الرسالة،1397هـ /1977م)، ص11 إلى24 بتصرف.

2 - انظر: سعيد حوى، كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر. (مرجع سابق)، ص 290 بتصرف.

3-يقول: حَملت لي صور الدمار الحاصل في الفلوجة صورة عرفت بها صورة منزل والدي الملاصق لمنزل عمي الحاج خلف والذين تتصل بهما قطعة أرض صغيرة كنت حاولت استملاكها وادعت إدارة الأوقاف آنذاك أنها ملكها؛ لأن أصلها مقبرة قديمة قد درست وذابت الأجساد التي فيها فحاولت وعرضت على الأوقاف ما تشاء من بدائل فقط لأجعل لي منزلا بجوار منزل أبي وعمي ورفضت. طه جابر العلواني،" منزل والدي آخر أثر أو ذكرى لي في الفلوجة".(موقع أكادمية العلواني للدراسات القرآنية).

4-بدون مؤلف،" السيرة الذاتية للعلواني". (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

حكم النظام الملكي الهاشمي، يقول عن ذلك:" فقد أدركت بعض السنوات من حياة **الملك غازي الأول** الذي توفي عام1939م وشهدت شيئاً من **مواكب العزاء** التي نُظمت بعد اغتياله، واستمعت إلى بعض الأهازيج والقصائد في **رثائه**، ومازالت ذاكرتي تحتفظ ببعضها، ثم **عاصرت** وأنا يافع فترة الوصي على العرش **عبد الإله**، وابن أخته **الملك فيصل الثاني**"[1].وقد نشأ وترعرع في أحضان أسرة متدينة تسعى جاهدة لتربية أبنائها على حب الدين والخلق الحسن وفي ذلك يؤكد بقوله: "لقد ولدت في تلك البيئة العربية المؤمنة المسلمة في أسرة ملتزمة بدينها"[2].كما كانت لنشأة العلواني جزء من بيئة عصره المضطرب بالفتن، فيقول عن تلك البيئة: "وجدت نفسي أعيش في فترة تاريخية **مضطربة** شاعت فيها التخبطات السياسية، والانقلابات العسكرية، ففي **مصر** وقع انقلاب عسكري عام 1952م جاء بعبد الناصر للحكم، وفي **العراق** و**سوريا** وقعت انقلابات عديدة، وفي **الأردن** جرت محاولات لم يُكتب لها النجاح، كما أنَّ **إيران** لم تكن أحسن حالاً من غيرها، ولا **بلدان الخليج**، فالمنطقة بأسرها كانت تموج بالفتن التي ازدادت وتيرتها وحدَّتها بعد تأسيس دولة **إسرائيل** وما أعقبها من عمليات تشريد وتهجير للشعب **الفلسطيني**[3]". ويؤكد هذا الكلام العلواني على لسان **عادل مداحش** يقول **العلواني** :" نشأتي الفكريَّة بدأت في مدينتي الصغيرة- الفلوجة- على الشاطئ الشرقي للفرات مما جعل **المدينة نقطة لابد من المرور بها** للقادمين من بلاد الشام والذاهبين إليها شهدت في طفولتي **الجيوش العربيَّة** من قوات عراقيَّة ومتطوعين عرب وهي تعبر **لتحرير فلسطين**، وشهدت آلاف **اللاجئين الفلسطينيين** وهم يأتون محمَّلين بكل قصص الخوف والرعب؛ ليلجَأوا إلى مدينتنا أولاً ليوم أو يومين، ريثما تقوم الحكومة بتوزيعهم على **معسكرات اللاجئين**"[4]، وفي وصف لمحن زمانه وفتنه يقول **العلواني** :"ليدخل عصر شتات تاركاً الاستقرار في بلاده لأولئك الذين كانوا في الشتات، **وجيء بهم لفيفاً** إلى هذه **الأرض المباركة** تنفيذاً

1- انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. تحقيق: دعثمان علي.ج1(ط:1؛ بيروت: منتدى المعارف،2015 م)، ص 32و33بتصرف.

2 - طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد. (ط:1؛ مصر: مكتبة دار السلام،2009م)، ص10.

3-انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص 25بتصرف.

4-انظر: عادل مداحش،" حوار مع طه"، (موقع أكادمية العلواني للدراسات القرآنية)، بتصرف.

لوعد **بلفور**، حين وعد من لا **يملك** من لا **يستحق**، لتتتالى النكبات والمصائب تترى، وعمَّ القلق المنطقة بأسرها وأخذ منه **العراق** نصيباً وافراً منه " [1]. فدخول **اليهود** للمنطقة العربية، واستقرارهم بها وخاصة في **فلسطين**، أُعتبر الحادث الأكبر في المنطقة العربية بل العالم بأسره، وترك **تداعياته السلبية** إلى اليوم.

ويؤكد **صباح العجاج** اضطراب **بيئة العلواني** وعدم استقرارها، فمن الاحتلال الإسرائيلي إلى الزحف الأحمر، حيث يقول: "نشأ **العلواني** في حقبة زمنية تميزت **بنفوذ المد الشيوعي** وانتشار الإلحاد في العالم العربي والإسلامي، فكان الشغل الشاغل والهمُّ المسيطر على **الحركات الإسلامية** مقاومتهما والوقوف في وجههما بالإضافة للتخلص من كابوس **الاستعمار** ومخلفاته لأجل تحقيق **عودة الإسلام** لسدة الحياة بعد أن تعرَّض لهجمة شرسة من قبل التيارات **اليسارية** و**القومية** و**الوطنية**، ونبذ التيارات الملتزمة بالرجعية لتجعل **الدين** تاريخاً وهمّاً ثانوياً في حياة هذه الشعوب. فكانت هذه **الهموم** المسيطرة تصرف تفكير **التوجهات الإسلامية** عن **المخاطر الأخرى الداخلية** والتي كانت أحد أهم الأسباب **لتقويض الخلافة العثمانية**، وهو **خطر الفرق** الإسلامية **المنحرفة** في تاريخنا"[2].

المطلب الثاني: مساره العلمي:

الفرع الأول: من الفلوجة إلى بغداد.

تلقى العلواني **تعليمه الأول** في الفلوجة في الكتاتيب الملحقة بالمساجد "كان أول تعليم تلقيه هو أن أخذت **للكُتاب** أو **الملا**"[3] كأيِّ طفل آنذاك وفي المدارس الملحقة بالمساجد، يقول في ذلك :"**نشأتُ في المسجد** على يدي شيخ حفظنا مجموعة كبيرة من **المتون**، وشرحها لنا، وتفاعلنا معها، وتأثرنا بها"[4] كما أخذنا منها الانضباط والعناية بالوقت "يسجل للتعليم بالمدرسة المرفقة بالمسجد شدة الالتزام بالوقت وباليوم الإسلامي الذي يبدأ من الفجر

1-طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص 25.

2-صباح العجاج،" إشكالية د. طه جابر العلواني"، الراصد، شبكة الراصد الإسلامية، العدد: 145 – رجب 1436هـ الأحد 19 أبريل 2015م، ص26 بتصرف.

3 – طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد. (مرجع سابق)، ص10.

4-عادل مداحش،"حوار مع طه"، (مرجع سابق).

حتى العشاء، مما مكن الدارسين من دراسة برامج حدَّدت له الأوقاف اثني عشرة عاماً خلال ثلاث سنوات فقط[1]".وقد برز منذ **حداثة سِنِّه**، ونال إعجاب المدرسين بنباهته وفطنته، ونقاء ذهنه. **قال له مدير المدرسة** الذي أجرى له امتحان القبول وقبله في صفها الثاني: "لو كان يوجد قانون يسمح لي **بوضعك في الصف الثالث** لفعلت لأنَّ ما سوف تدرسه خلال السنتين القادمتين قد حصلت عليه، وقد لا يكون ما ستتلقاه إلا تكراراً وتقوية"[2] و"حصل بذلك على **شهادة الابتدائية** من مدرسة الفلوجة الابتدائية عام 1949م[3]"، ليدخل بعدها إلى المدرسة **الآصفيَّة الدينيَّة** يقول عنها :"كنت قد دخلت في مدينتي الفلوجة إلى «المدرسة الآصفيَّة الدينيَّة»[4]، حينما كنت في **الثالثة عشر من عمري**، وتخرَّجتُ منها بشهادة سنة 1952م[5]"،"بما **يُعادل الثانويَّة الأزهريَّة**"[6].ويقول كذلك عن **هذه المرحلة**: "وقد **علَّمني شيخي** –حين بدأت دراستي الدينيَّة في مدرسة الفلوجة– جملة من المفاهيم والأحكام الصارمة ومنها:

- أنَّ **أيَّ تصوير لذي روح –إنساناً أو حيواناً–حرام**، وكان يعلِّمنا أن نحمل «مِقصَّات» في جيوبنا لنقطع بها الصور –التي يُزيِّن الناس بها وسائدهم وأغطية فروشهم–إذا كانت صوراً لطيور أو نحوها مما له روح.
- كما كان "يعتبر **مستبيحَ حلق اللحية كافراً**، وحالقها –مع الإيمان بالتحريم–فاسقاً فقط، لا غير.

---

1 – السيد عمر، جامع فقه الأمة رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني. (ط:1؛ القاهرة–مصر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1438هـ/2017م)، ص 48.

2 – طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد. (مرجع سابق)، ص10.

3–إبراهيم سليم أبو حليوة، طه جابر العلواني: تجليات التجديد في مشروعه الفكري. (ط:1؛ بيروت:مكتبة مؤمن قريش، 2011م)، ص17.

4–مدرسة الآصفيّة: هي المعهد الديني بالفلوجة. إبراهيم سليم أبو حليوة، طه جابر العلواني: تجليات التجديد في مشروعه الفكري. (المرجع نفسه)، ص18.

5–بدون مؤلف،" السيرة الذاتية للعلواني"، (مرجع سابق).

6–طه جابر العلواني،" الأزهر علمني الاعتدال"، (موقع اكادمية العلواني للدراسات القرآنية).

- وكان يعتبر **وضع تغطية الرأس بعمامة أو طاقيَّة أو «غترة» واجبًا**، والحاسر لذلك الغطاء فاقد للمروءة، لا تُقبل شهادته
- وكان يعتبر **لابس البرنيطة أو البيريَّة كافرًا**، فإذا سُئل عن رجال الشرطة والعساكر حوقل وسكت، ويرى لبس البناطيل والبدل الإفرنجيَّة تشبُّهاً بالكفار ويعتبره محرَّماً.
- وكان يرى **وجوب ختن البنات**.
- وكان **يؤكد علينا** –في مجالس الدرس–ضرورة الالتزام بذلك كلِّه، وضرورة أن نمنع **أخواتنا ونساء أسرنا من الخروج من البيوت**؛ إذ ليس للمرأة إلا «ثلاث خرجات»: **الأولى** عندما تخرج من بطن أمها إلى حياتها النَّكدة، و**الثانية** عند خروجها من بيت أبيها إلى بيت زوجها، و**الثالثة** عند خروجها من بيت زوجها إلى قبرها، وقد سكتوا عن الخروج **الرابع**، عندما تخرج من القبر إلى المحشر! فهي في موقف لا سلطان لهم عليه...!
- وكان **يؤكد علينا كذلك على عدم السماح لأهلنا باقتناء الراديو**، فهو مصدر إفساد للأسرة، وعلينا إخراجه من البيوت، حتى لو بتكسيره"[1]. وهذه كلها مفاهيم يرسخِّها الفهم التقليدي للإسلام بناء على موقف متصلِّب لها أسبابها ومسبباتها، إلا أنها تحتاج إلى شيء من المرونة والتعديل وبما شكل تساؤلات عند العلواني وأقرانه.

ثم انتقل إلى بغداد ودرس على علمائها، من أمثال **الشيخ أمجد الزهاوي** ،قال **صباح العجاج**:"ويعدُّ طه جابر العلواني من تلاميذ علامة العراق **الشيخ أمجد الزهاوي**[2]"ومفتي العراق حينذاك **الشيخ قاسم القيسي** و**الشيخ الألوسي** وغيرهم،حيث يقول العلواني عنهم :"ثم انتقلتُ بعدها إلى بغداد لكي أدرس على علمائها؛ من أمثال:«المفتي الأكبر» **قاسم القيسي**، و«إمام العراقيين» بحق **أمجد الزهاوي**، والذي تشرَّفتُ بصحبته في مجيئي الأول إلى القاهرة، ولم أكن قد تجاوزتُ الثامنة عشر من العمر بعد[3]"**يقول فتحي حسن ملكاوي**:

1 – إبراهيم سليم أبو حليوة، طه جابر العلواني: تجليات التجديد في مشروعه الفكري. (مرجع سابق)، ص17و18.

2 – صباح العجاج،" إشكالية د. طه جابر العلواني". (مرجع سابق)، ص26 بتصرف.

3 – طه جابر العلواني،" الأزهر علمني الاعتدال". (مرجع سابق).

"تتلَّمذ الشيخ طه على **كبار علماء العراق** في أربعينيات القرن الماضي حتى الثانوية الشرعية ثم واصل دراسته في الأزهر الشريف حتى الدكتوراه في أصول الفقه[1]".

وقد أدى به هذا الانتقال إلى مخالطة علماء أوسع علماً وانفتاحاً لتبدأ مرحلة هامة في حياته، يصف ذلك الجو الجديد بقوله: "ولما انتقلت إلى بغداد استنكر شيوخي البغداديُّون كثيرًا من فتاوى شيخي الفلُّوجيِّ، وبدأت أتساءل: **مَنْ هو المصيب؟** وأحدث ذلك **قلقاً شديداً داخلي**، فقد أحببت شيوخي البغداديِّين، وأُعجبت بهم وباتِّساع آفاقهم، وتنوع اهتماماتهم، لكنَّني بقيت -إلى أن انتميت إلى الأزهر-ينتابني بين الحين والآخر قلق و**حيرة** و**تساؤلات**[2]". وأخذ ما اعتبره قريباً للثوابت عند شيخه في الفلوجة **ينهار ويتهاوى شيئاً فشيئاً**، وبدا له منذ البداية أن ليس هناك مقدَّس أمام العلم **إلا الكتاب** و**السنَّة**، مما منحه **رؤية جديدة** تقوم على أنَّ الأشخاص متبدلون فلا ثوابت منهم ولا قدسية لهم.

وهنا تنتهي مرحلة تعلمه في العراق بعد أن تتلَّمذ على أهم من فيها من العلماء، لتبدأ مرحلة جديدة في بلاد جديدة، وما أدراك ما البلاد الجديدة أنَّها **أم الدنيا مصر** وقاهرتها المحروسة، وأزهرها الشريف.

الفرع الثاني: إلى الأزهر الشريف:

بعد مدة من إقامة العلواني في بغداد وجد في نفسه **رغبة في الالتحاق بالأزهر** الشريف، فاستأذن شيوخه ووالده في السفر[3]، فسافر وحضر إلى القاهرة من بغداد -للمرة الأولى- بعد توقف يسير في مطار دمشق مغربَ شمس يوم 1953/11/15م[4]، وقُبِلَ في

1- فتحي حسن ملكاوي،" الشيخ طه جابر العلواني في ذمة الله". استشارية المعهد العلمي للفكر الإسلامي -بالمغرب يوم الاثنين 14 آذار /مارس2016 على الساعة 15:01

2- انظر: إبراهيم سليم أبو حليوة، طه جابر العلواني:تجليات التجديد في مشروعه الفكري.(مرجع سابق)،ص18 بتصرف.

3 - انظر:طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد.(مرجع سابق)،ص14بتصرف.

4- طه جابر العلواني،" الأزهر علمني الاعتدال"،(مرجع سابق).

الأزهر بعد اجتيازه عقبات، ونجح من بين ستمائة وثلاثين متقدماً من طلاب البعوث الإسلامية، حيث انتسب إلى كلية الشريعة[1].وتحصَّل فيها على الشهادات التالية[2]:

- شهادة الثانوية الأزهرية سنة 1953م.
- ثُمَّ تحصَّل على شهادة الليسانس من كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر سنة 1959م.
- ثُمَّ تحصَّل على شهادة الماجستير من كلية الشريعة والقانون من جامعة الأزهر سنة 1968م.
- وتحصَّل على شهادة الدكتوراه، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر سنة 1972م بمرتبة الشرف الأولى في تخصُّص (أصول الفقه) وقد أوصت اللجنة المناقشة بالأزهر بطباعة رسالته بنفقة الأزهر وتبادلها مع الجامعات الإسلاميَّة.

وتؤكد خديجة جعفر ذلك في مقال لها بعنوان المراحل الفكرية للدكتور طه العلواني تقول: "نشأ طه العلواني في بلاد الرافدين، وانتظمَّ إلى سلك التعليم الديني منذ صغره في العراق، وسافر إلى مصر ليلتحق بأزهرها الشريف، ويُكمل تعليمه فيه حتى مرحلة الشهادة العالمية، درس وتعمَّق في مختلف العلوم الدينية، وتضلَّع في علمي أصول الفقه والفقه"[3].

ويرجع **العلواني** رجع الصدى الصادر عن نفسية كل من قُدِّر له الانتماء للأزهر الشريف في تلك الفترة بقوله: " ولم يكن عالم أو طالب علم يفد إلى الأزهر إلا **ويشعر بأنَّه قد طال عُنقُه شرفاً** بالانتساب إلى **قلعة المرجعيَّة السنِّيَّة العالميَّة**"[4].

ولنترك الحديث العلواني يصول ويجول بنا في الإشادة بأهمية المرحلة الأزهرية في حياته ومساره العلمي وبناء جهاز النقد والتجديد عنده فيقول:

- "وهنا بدأت أتعلم –من أساتذة الأزهر وشيوخه –تفسير كل ما كان يُقلقني مما تعلمته في العراق.

---

1 – انظر:طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد.(مرجع سابق)، ص15بتصرف.

2 – بدون مؤلف، "السيرة الذاتية للعلواني".(مرجع سابق).

3 – خديجة جعفر، "المراحل الفكرية للدكتور طه العلواني".(موقع اكادمية العلواني للدراسات القرآنية).

4 – طه جابر العلواني،" الأزهر علمني الاعتدال".(مرجع سابق).

- فتعلَّمت كيف تنشأ المذاهب؟
- والمقولات الفقهيَّة باعتبارها فهمًا بشريّاً للشريعة، وليست الشريعة نفسها، وأثر البيئة والثقافة فيها، وأثر شخصيّة الفقيه وتكوينه العقليِّ والنفسيِّ في فتواه وآرائه، والفرق بين القديم البغداديِّ لدى الشافعيِّ والجديد المصريِّ.
- فأفادني ذلك إلى يومي هذا، أفادني اعتدالاً ورؤية وبصيرة أحمد الله عليها.
- وفي تلك المرحلة–التي كان الأزهر فيها قطباً مركزياً للأمَّة، وآخر تجسيد تعليميٍّ مؤسَّسيٍّ لها–فتعلَّمت الانتماء إلى الأمَّة الإسلاميَّة كلِّها دون تمييز"[1].

ويمكن أن نُجمل الصفات التي تخرَّج بها العلواني من خلال دراسته في الأزهر الشريف في مايلي:

- بتكوين العلواني في الأزهر الشريف يكون قد نشأ وترعرع في المدرسة التراثية كما **صرَّح بذلك عبد الحميد سليمان:** "فالأستاذ الدكتور طه نشأ في **المدرسة الشرعية التراثية** وتمكَّن منها، من مرحلة الابتدائية حتى أعلى درجاتها العلمية الدكتوراه والأستاذية"[2].

ويختم **العلواني** كلامه حول تجربة الأزهر الشريف بحكم يصدره لصالح الأزهر، رافعاً من شأنه ومتمنياً له بقاء التألق الحضاري، ليتربع على عرش الإشعاع الدعوي في العالم الإسلامي، تهوي إليه كل الأفئدة الُمتطلِّعة للعلم والتحرر: **"إنَّ الأزهر هو المؤسَّسة الكبرى** التي تستطيع أن تُحبط أيَّة محاولات لعزل مصر عن محيطها العربيِّ ومجالها الحيويِّ الإسلاميِّ، إنَّ الأزهر قد أخذ من مصر وأعطاها، أخذ من شعب مصر مرونته واعتداله وطيبته وانفتاحه، وأعطى مصر مكانتها اللائقة بها في عقول ونفوس المسلمين كافَّة، وفي سائر أنحاء العالم، ... إنَّك سميع مجيب"[3].وبملاحظة وتتبُّع المرحلة الأزهرية للعلواني نقف على نمو ظاهرة الحس النقدي، إذ أصبح يفرِّق بين الشريعة والأقوال الفقهية إذ الشريعة عنده دين والأقوال الفقهية اجتهاد بشري يخطئ ويصيب. كما "بدأ يشعر بمفهوم الأمة القطب، إذ كان الأزهر لايزال يجسد عالمية الأمة

1 – طه جابر العلواني،" الأزهر علمني الاعتدال".(المرجع نفسه).

2 – عبد الحميد سليمان،" بدون عنوان". (موقع اكادمية العلواني للدراسات القرآنية).

3 – طه جابر العلواني،" الأزهر علمني الاعتدال".(مرجع سابق).

ووحدتها، فلو قُدِّر للأزهر الاحتفاظ باستقلاليته وعالميته لتبوأت مصر مكانة مؤثرة في السياسات الدولية المعاصرة[1]"

المطلب الثالث: نشأته الدعوية.

الفرع الأول: علاقته بجماعة الإخوان المسلمين.

بعد نشأة العلواني الأولى الاعتيادية والتقليدية التي يمرُّ بها من في سنِّه عادة؛ من **رَتعٍ بالمحاضن التربوية بالكتاتيب** وتلقي القرآن وعلومه على يدي شيخ، يُشكِّل النظرة الصحيحة والوحيدة والمهيمنة لكل مرديه، فيُسيطر على أروحهم قبل عقولهم ويمتلك بذلك حريتهم وشخصيتهم، إلا من حباه الله –عز وجل– بنور البصيرة، لينفتح ذهنه متجاوزاً و**مستوعباً إلى مصادر معرفية أخرى**، فيكتب الله له كمال الفكر ونصوح الفكرة وحسن الفهم وسلامة النظر نحو مسائل الدين والدنيا، ولعلَّ العلواني ممن **خصَّه الله بفضله** لينفتح على مختلف ثقافات عصره وزمانه، لذا فقد **جذب الإخوان انتباهه** مبكراً قبيل مغادرته للفلوجة نحو بغداد وقد صرح بذلك قائلاً : "خرجتُ إلى سوق المدينة ذات مرة فوجدتُ دكاناً وضعت عليه لافتة تحمل اسم (**جمعية الأخوة الإسلامية**)،وقد تعرَّفت على الجماعة عن طريق أخي الأكبر المنْظَمِّ لها والذي يدرس طالبا بالثانوية العامة في حي بالأعظمية ببغداد، وكان يأتي إلينا يومي الخميس و الجمعة، وقد لاحظت أنَّه صار حريصاً على أن يضع في جيبه مصحفاً، وبات يداوم على الصلاة وهي ظواهر لم يعتد عليها من قبل، وقد أخذ يحدثني عن جماعة **الإخوان المسلمين** ويأتي ببعض الرسائل لمرشدها **الشيخ حسن البنا** وكتب أخرى لرموز الحركة، كما عرَّفني ببعض الأشخاص[2] ".

وقد اتَّسمت هذه المرحلة من حياة العلواني بصفتين:

الصفة الأولى: أنَّ العلواني من جماعة الإخوان المسلمين في الفكر والمنهج، فقد انجذب لفكرهم وفرح بهم وتقرَّب منهم، كان **يقول عن ذلك**: "فعندما كنت أرى شباباً من **الإخوان**

1 – انظر:السيد عمر، جامع فقه الأمة رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة جابر العلواني.(مرجع سابق)، ص 49 بتصرف.

2 – طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص49و50.

المسلمين يأتون إلى المسجد كنت أُسرُّ بوجودهم؛ فوجودهم يحميني ويجعل لعملي معنى[1]".

الصفة الثانية: وأنَّه في ذات الوقت لا ينتمي إلى تنظيم جماعة الإخوان المسلمين، فهو لم ينتم إليهم كما **صرَّح هو بذلك** ولكن لا ينكر علاقته بالإخوان غير أنَّه يصفها بالعلاقة المحدودة وقد: "تجنَّب الانخراط في الأحزاب والتنظيمات، بل وجَّه لها الانتقادات، وكان يأخذ بوصية شيخه بعدم الانحياز أو الانضمام إلى جماعات أو جمعيات؛ فالعالِم حسب شيخه، يفترض أن يكون محايداً ولا يتحيَّز لفئة من الناس، لأنَّه يصلي بالناس جميعاً، والجامع للمسلمين جميعاً، ولا ينبغي أن ينحاز العالِم إلا للأمة كلها[2]".

فهو منهم وليس معهم وهو الذي يُقدِّس الحرية والاستقلالية ويعي في ذات الوقت حساسية منصبه؛ إذ كان يشغل إمام مسجد في تلك الفترة-كما سيأتي معنا في هذا البحث-يقول **عن ذلك موضحاً ومعللاً:** "وعلى الرغم من علاقتي المحدودة تلك بالإخوان فإنَّني في تلك المرحلة كنتُ **أرى أنَّه لا ينبغي لثلاثة فرق من الناس أنَّ ينتموا لأيٍّ من الفئات الحزبية وهم: أئمة المساجد، والعسكريون، والقضاة، فهؤلاء جميعاً يجب أن يقفوا على مسافة واحدة بين الجميع[3]**".

وهذا التصريح يُثبتُ أمرين اثنين في حياة العلواني هما:

الأمر الأول: قربه واحتكاكه بجماعة الإخوان المسلمين واستلطافه لهم ولفكرهم، فقد قرأ كتب الإخوان ورسائلهم ومجلاتهم وخاصة مجلة الأخوة الإسلامية، فوجد فكراً جديداً غير الذي كان يعرفه سابقاً، وهذا دليل آخر على **مدى تأثير جماعة الإخوان المسلمين عليه،** ولنسمع لما **يقوله حول ذلك:** "وبالإضافة لهذه الكتب والرسائل- التي كان يأتي بها أخي- كانت هناك مجلة تصدر في بغداد بعنوان الأخوة الإسلامية وكانت تقف وراءها جماعة الإخوان المسلمين دون أن تعلن ذلك لمنع الحكومة فتح فرع للإخوان المسلمين في العراق، وكنا نقرأ هذه المجلة ونجد فيها فكرا وروحا جديدين غير الفكر الذي ألفناه من شيخنا عبد العزيز السامرائي في

---

1 – طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص56.

2 – إبراهيم سليم أبو حليوة، طه جابر العلواني: تجليات التجديد في مشروعه الفكري.(مرجع سابق)، ص20.

3 – انظر:طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص57و58 بتصرف.

خطب الجمعة"[1]. وهذا الأمر أكيد أنَّه ترك تأثيره النفسي والعلمي على شخصيته-رحمه الله تعالى-فهم أثروا فيه وتقاسم معهم كثيراً من الأفكار، مما يدل دلالة واضحة على **ترك الإخوان المسلمين لبصمتهم في شخصيته وتكوينه** وربما صُنِّفَ كواحد منهم عند كثير من الناس لقربه منهم واحتكاكه بهم أيام النشأة خاصة، وأمر التَّلقي أيام النشأة والصغر والبدايات أمر لا يخفى تأثير قوته في حياة الإنسان.

الأمر الثاني: يظهر هذا الكلام ومستوى التفكير **بأنَّ لديِّه حاسة التمييز والتَّعقل** وحصافة الفكر ورجاحته وقدرة التّحكم في لهب العاطفة وتأججها، فرغم حداثة سنِّه وبهرج مظاهر الالتزام الجديد الذي عُرِفَ به شباب الإخوان وأخوه واحد منهم، إلا أنَّه كان يدرك بأنَّ هناك فئات من المجتمع يجب أن تحافظ على عموميتها واستقلالها وإمام المسجد أحدهم، وهذا التفكير سابق في الحقيقة لزمانه ودليل على كمال العقل ورجحانه.

ويمكن أن نُجمل أهم استفادة للعلواني من خلال احتكاكه بجماعة الإخوان المسلمين في النقاط الآتية[2]:

- سماعه في هذه الفترة من علماء كانوا يأتون للعراق من مختلف البلاد العربية، **ومن بعض قيادات الإخوان في مصر** مثل سعيد رمضان وعبد الحكيم عابدين وكلهم **يتحدثون عن ضياع فلسطين.**
- كما كان لحديث علماء شمال أفريقيا عن **المواجهات الدامية مع فرنسا**، دافعاً لوجود جذور ما في النفس جعلته يشعر بأنَّه من المفيد أكثر أن يقرأ الرسائل التي يأتي بها أخوه لجماعة الإخوان المسلمين إذ كان الجهاد والتضحية القاسم المشترك بين المجموعتين.
- **فزاد وعيه بقضية فلسطين**، وبالقضايا **الوطنية والقومية**.

فقد كان لكلام هؤلاء الدعاة والعلماء والمفكرين بعث لمنحى جديد في المسار الفكري له في توسيع نطاق تفكيره ومجال بحثه، لما تحمله **القضية الفلسطينية** من خصائص ومميزات حينذاك وإلى يومنا هذا.

1-انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص50بتصرف.

2-انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص50 بتصرف.

وقد حفزَّه هذا على الاطلاع على الكتابات الجديدة في تلك الفترة.مما زاد في سعة اطلاعه على ثقافة عصره والانفتاح عليه.

كما زاد كلام هؤلاء العلماء والمفكرين **من توسيع دائرة هُمُومه وهمِّته لتتجاوز حدود العراق وتتخطاه مستوعبة بذلك حدود أمته العربية والإسلامية**، ليقفز بهذا الفكر المستنير، مخلِّفاً وراءه حظوظ النفس الدنيئة، وكل العاهات الناجمة عن نزغات العشيرة والقبيلة والحزب والجماعة وغيرها. لهذا كله فقد كان لعلاقته بجماعة الإخوان المسلمين تأثِّير كبير فيه، وأبقى علاقته بجماعة الإخوان المسلمين قوية، رغم تحذير شيخه عبد العزيز منهم-الذي دأب على تحذير تلاميذه باستمرار من الوهابيين ومن الحداثيين ومن التبعية للغرب -[1]والذي لاحظ احتكاكه بجماعة الإخوان المسلمين؛ "**فحذره منهم ونعتهم بالوهابيين**، إلا أنَّ العلواني لم يراه محقاً، فشيخه الصوفي الذي يعارض الصواف وأتباعه لم ير منهم طه سُوءاً، فبقيت علاقته معهم قوية **دون انتماء**[2]".وحاور العلواني الإخوان الذين حاولوا استدراجه للدخول للجماعة بكل ثقة وثبات، **ومما جاء في حواره مع الصواف** الذي طلب منه البيعة حيث يصف العلواني هذا الحوار قائلاً:" كان التزامي وأنا أعمل إماما لمسجد، عدم الانضمام إلى أي حزب أو فئة، وعندما **جاءني الشيخ الصواف** طالباً مني البيعة تساءلت: البيعة على ماذا؟ **والحقيقة أن البيعة التي يؤديها الإخوان للمراقب العام على السمع والطاعة**، هي مزيج من بيعة مريد في الطرق الصوفية لشيخه، والبيعة السياسية. وكنت أعلم أنَّ البيعة تكون لشخص يرشح نفسه للخلافة، أو الإمامة العظمى بحفظ بيضة المسلمين، ويقودهم في مقاتلة أعدائهم، ويقيم القرآن فيهم. ومن ثَمَّ **دار بيننا حوار طويل** ذكرتُ فيه **أنَّني أريد أن أكون إماماً لجامع من جوامع المسلمين، أحفظ لهم حريتهم في الاستفادة منه وأؤمهم في صلاتهم، وأخطب الجمعة،** أما أنت يا أستاذي فتسمي نفسك مراقباً أو مرشداً لإخوان العراق أياً كان الأمر **فأنا أُحبك**

1 – انظر:طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد.(مرجع سابق)، ص11بتصرف.

2 – انظر:طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص50بتصرف.

لشخصك، وأقدر ما تفعل ولا أنكر شيئا من فضلك عليَّ، وأضفتُ: **أنتم أناس طيبون وبرنامجكم إسلامي أحترمه وأقدِّره**، ولكنِّي إمام مسجد لا ينبغي أن أنحاز إلى فئة[1]".

ومن هنا **عاش العلواني بينهم وبين جموع المسلمين يستفيد من الجميع لأجل الجميع**، فاكتسب الصبغة الجامعة والعامة؛ وهي الأمر المطلوب لكل داعية ناجح مخلص، بعد أن أثبتت الأيام والتجارب حجم الإخفاق والفشل لكل من يتخندق ويأسر نفسه ضمن هذه الدوائر الضيقة، وينأى بنفسه عن فضاء الله الواسع والمتحرِّر والمستوعب للجميع أشكالاً وألواناً.

الفرع الثاني: عمله في الخطابة:

كان لحديث شيخه عن الإخوان حافزاً لشروعه في البحث عن شيوخ آخرين، فعزم على الرحيل إلى بغداد أملاً في رحاب أوسع والحصول على تجربة جديدة، **فغادر الفلوجة** من دون علم والده وشيخه مندفعاً بتأييد كثير من الأساتذة وعلى رأسهم الأستاذ الصواف؛ المراقب العام للإخوان المسلمين في العراق، فكان تشجيعهم وتأييدهم له حافزا ليتقدم بطلب إلى مديرية الأوقاف ببغداد للحصول على **منصب خطيب** فاجتاز مسابقة على إمامة مسجد الحاجة (حسيبة البايجة جي) بمنطقة الكرادة الشرقية، ففاز بالمنصب وتسلَّم عمله في 15 من يناير كانون الثاني عام 1953م، بعد أن تجاوز عقبة السِّن إذ كان سنُّه حينها سبع عشرة سنة وبعد رفعه دعوى للمحكمة للنظر في إعادة التسنين، إذ كان مسجلاً في سنة 1939م وعن طريق التَّسنين عاد إلى سنة 1935م، حيث أكدت المسنَّات في أسرته على أنَّه ولد في ذات الشهر الذي ولد فيه فيصل الثاني ملك العراق أي في مايو 1935م.**فالتحق بمنصبه** بعد أن استرضى والده وشيخه فرضي كلاهما على مضض، فالأب أحس بألم الفراق أمَّا الشيخ فقد أحس بإخفاق منهجه وخاصة بعد الصدامات الأخيرة التي وقعت بينهما بسبب جماعة الإخوان المسلمين[2]. جاء **في موقع موسوعة الجزيرة الالكتروني** صفحة شخصيات وهي تبث وتعلن عن وفاته: "مارس العلواني التعليم الشرعي والوعظ والخطابة والكتابة منذ مطلع خمسينيات القرن العشرين، وتولى الخطابة والإمامة والتدريس في جامع "الحاجة حسيبة" الكائن

1-طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص59.

2 - انظر:طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص51و52بتصرف.

في الكرادة الشرقية ببغداد[1]".ويقول **فتحي حسن ملكاوي** في مقال بعنوان الشيخ طه جابر العلواني في ذمة الله: "ومارس التعليم الشرعي والوعظ والخطابة والكتابة منذ مطلع الخمسينات من القرن الماضي[2]"**وهنا تبدأ مرحلة جديدة** في حياة العلواني، بل قد تكون هي أساس التغيير الفكري له وبروز تمايزه وسماته العلمية كما **يصرح هو بذلك فيقول**: "وبدأت مرحلة جديدة في حياتي مغايرة تماماً للمرحلة السابقة، ومن خلال عملي في المسجد اكتسبتُ خبرات كثيرة[3]"

ويمكن حصر ما اكتسبه العلواني في شغله لمنصب الإمامة في أمرين اثنين هما :

الأمر الأول: فهو القادم من الفلوجة المدينة الصغيرة، وفرق بين القرية والمدينة آنذاك إلى بغداد، وتحديدا بمنطقة الكرادة الشرقية حيث التنوع السكاني الكبير–الشيعة **والسنَّة والنصارى وبعض اليهود** –وكان ذلك أول احتكاك مباشر له مع غير السنَّة العرب، فكان لتجربته في أن يكون إمام مسجد سنِّي في وسط يغلب عليه الشيعة تجربة جديدة لم يعهدها[4]. فهذا التنوع في الأفكار والتوجهات يذكي لديّه حاسة المقارنة والتمييز وكذا البحث والتنقيب عن كشف الحقيقة فيزداد بذلك علماً وعملاً.

الأمر الثاني: تعرُّضه لتجربة تعددية جديدة خلال عامي1953م/1954م في بغداد، بعد أن ابتعد عن المشهد البسيط في الفلوجة **يقول عن ذلك**[5]:

- "إذ هيَّمن الإخوان من خلال جمعية الأخوة الإسلامية على المشهد في الفلوجة بالإضافة إلى نفر قليل من الشيوعيين لم يتجاوزوا فرداً أو اثنين على الأكثر يأتون ببعض الجرائد التي تثير النقاش.

---

1 – بدون مؤلف،" العلواني. مفكر إسلامي وافته المنية في السماء".(موقع موسوعة الجزيرة الالكتروني)، تاريخ النشر 06 /2016/03م.

2 – فتحي حسن ملكاوي،" الشيخ طه جابر العلواني في ذمة الله".(مرجع سابق).

3 – طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص52.

4 – انظر:طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص52و53بتصرف.

5 – انظر:طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص33بتصرف.

كما زاول مهمَّة التدريس الثانوي بالتوازي مع عمله بالخطابة بعد عودته من الأزهر الشريف **حيث يقول**: "وقد خطر ببالي أنَّني أستطيع أن أكون مدرساً في إحدى الثانويات، فقدمت إلى التعليم الثانويِّ، ليكون التدريس عملاً إضافيّاً لي"[1].

وهكذا تنوَّع عمله ونشاطه بين الخطابة والتَّدريس ولكل مجال استعداداته وتحدياته وأكيد فوائده وإيجابياته على المستوى الشخصي والتكوين وكذا على تغيير مجريات النسق الاجتماعي وتكوين العلاقات. كما يؤكد **مولود عويمر** تنوَّع نشاطه وتوسع أعماله في مقال له بعنوان هل يموت من ترك وراءه كل هذا التراث؟ يرحل الرجال، وتبقى أعمالهم "وبعد تخرُّجه، عمل أستاذاً في كليِّة الدراسات الإسلاميِّة في بغداد، واشتغل أيضاً بالخطابة والإمامة والتدريس في بعض مساجد بغداد"[2]. ومن هذا التنوع والتعدُّد في الأنشطة التي تصبُّ في واد واحد يتدفَّق ماؤه عذباً زُلالاً، تبنى شخصية العلواني الشغوفة لنشر العلم والدعوة وتوجيه الناس لخيري الدنيا والآخرة، في زمن السقوط والخذلان والضعف والهوان.

وقد قضى ببغداد حوالي عشرة أشهر بين علمائها وأجوائها الجديدة[3]".لتبدأ بعدها رحلته العلمية نحو التكوين في العلوم الشرعية.

المطلب الرابع: نشأة الحسِّ السياسي عنده.

هذه البيئة التي عاش فيها العلواني وإن كانت لها **سلبياتها** على عموم المجتمع وكيان الأمة، إلا أنَّه من الأكيد أنَّ لها بعض **المحاسن** و**الإيجابيات** ففي ظلها ووفق **التركيبات** المشكلة لها، **نشأ** لدى **العلواني الحسُّ السياسي** المبكر منذ نعومة أظافره فيقول في ذلك :" لقد بدأ **الحسُّ السياسي** يتحرك لديَّ وأنا **لم أزل** بعد في الصف الخامس **الابتدائي**، وكان عمري آنذاك **اثنتي عشرة سنة**، حيث نشأت في **مدينة الفلوجة** التي قُدِّر لها أن تستقبل **المشردين** و**المهجرين**، من **أبناء فلسطين**... وبدأت عوامل الخوف من المستقبل تغزو القلب

2-طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص63.

3-مولود عويمر،" هل يموت من ترك وراءه كل هذا التراث؟ يرحل الرجال، وتبقى أعمالهم!". (موقع اكادمية العلواني للدراسات القرآنية).

3 - انظر:طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد.(مرجع سابق)، ص14بتصرف.

الغضَّ اليافع ، وتُحدث فيه مختلف الآثار والمشاعر[1]". ونُشوء الحسِّ السياسي وليد الهم الدعوي والغيرة عن الإسلام وأوضاع أهله، إذ يُرجع أكثر الناس أسباب غياب الإسلام عن واقع الحياة، وتدهور الأوضاع في جميع جوانبها، إلى حالة إقصاء الإسلام من طرف حكام البلاد والنَّافذين من المسؤولين. من باب دعوة الإسلام للمصلحين بضرورة الاهتمام بهموم المدعوين والحرص على مصالحهم-وإصلاح الشأن السياسي أحدها-ولد هذا الحس السياسي لدى العلواني الذي يرقبه بعين الدعوة وهمومها.

فهذه البيئة الجديدة المتمايزة وضعته في منحى تفكيري جديد؛ يختلف عن النمط التقليدي الذي بدأ به نشأته وهو في الفلوجة. غير أنَّه **لم يمارس في هذه الفترة أي نوع من الأعمال السياسية** وقد صرَّح العلواني بذلك في قوله[2]:

- ولا أذكر أنَّني مارست عملاً سياسياً يذكر آنذاك، اللهم إلا إذا اعتبرت خطبتي أيام الجمعة وانتقادي الأوضاع العامة، وعلاقة الدولة بالإسلام في المسجد نوعاً من الممارسة السياسية.
- أو إرسالي برسالة إلى إذاعة صوت العرب من بغداد اقترح فيها عليهم بعض المقترحات، وحيث التقطت الأجهزة الرقابية هذه الرسالة وحقَّقت معه حولها.
- وأجابتهم بأنَّه لا يوجد ما يمنعني أو يخالف مهمتي في تقديم النصح، إن تقدَّمت لصوت العرب، أو أية وسيلة عربية أخرى بمقترحات تستهدف الإصلاح.

وظل العلواني بعيداً في هذه المرحلة عن الخطوط الأولى للسياسة، مدَّخراً كامل جهده وطاقته في حسن أداء دوره الدعوي من خلال الخطابة والتدريس، إلا أنَّه لم يُغلق الباب ويُصده أمام أيِّ فرصة وفي أيِّ اتجاه تكون إذا كان من ورائها خدمة الإسلام والمسلمين.

1 – طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص25.

2 – طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق (المرجع نفسه)، ص33.

المبحث الثاني: مرحلة نشاطه السياسي في العراق.

1- المطلب الأول: من تجاربه مع الحزب العراقي الإسلامي.

2- المطلب الثاني: من تجربته في العمل العسكري.

3- المطلب الثالث: من أهم أعماله السياسية في هذه المرحلة.

المبحث الثاني: مرحلة نشاطه السياسي في العراق.

المطلب الأول: من تجاربه مع الحزب العراقي الإسلامي.

الفرع الأول: حماسة الشباب والاعتقال المبكر:(محاولة اغتيال قاسم).

بعد أن عاد العلواني من القاهرة إلى بغداد وقد أنهى دراسته الجامعية في كلية الشريعة والقانون، باشر عمله في مسجده." كرجل أمة لا رجل ذاته أو أسرته أو عشيرته أو مدينته أو إقليمه. ولأنَّ الوظائف الدينية آنذاك تُعتبر توجيه جهة، بمعنى تستمرُّ مدى الحياة"[1]. وهذا كان من ضمن قوانين التشريعات في العراق حينها، وانطلاقاً كذلك من رفضه الواضح للتحزب أو التَّخندق مع فئة واحدة، وتطلُّعه لأن يكون **إمام وحدة**.

ولكنَّ الأجواء السياسية في العراق حينها قد أصبحت شديدة التوتر حيث[2]:

- كان الصراع بين الشيوعيين وخصومهم السياسيين قد بلغ مداه ولم يعد من الممكن أن يلتزم الإنسان الحياد.
- وكان العراق وقتها تحت **حكم عبد الكريم قاسم** ومجلس السيادة الذي تشكلَّ بعد انقلاب تموز.
- وقد **نجح عبد الكريم** بأن يُحدث توازناً بين الفئات المتناحرة.
- وانقسمت الساحة السياسية في العراق إلى خيارات حتمية وجهات هي:
  - الاتجاه القاسمي.
  - الاتجاه الشيوعي.
  - أنصار السلام.
  - الشبيبة الديمقرطية.
  - الإسلاميون.
  - القوميون.

1- انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص58و63بتصرف.

2 - راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص63إلى66.

فاختار **العلواني الاتجاه الإسلامي** بطبيعة الحال وقد كَثُرَ استفزاز الشيوعيين للمشاعر الإسلامية في تلك الفترة، مثل مهاجمة المقرات أو تمزيق المصاحف والمجلات[1]. وقد ازدادت سيطرة الشيوعيين بعد فشل محاولة الانقلاب التي قام بها الشواف في مارس عام1959م، ليكون الحاكم الفعلي للبلاد الحزب الشيوعي بتنظيماته:أنصار السلام والشبيبة والديمقراطية والمقاومة الشعبية وغيرها من الواجهات العسكرية والمدنية[2].

وقد جرت كرونولوجيا الأحداث هذه الفترة كما يلي[3]:

- كان للعلواني دوره بحكم منصبه كخطيب إمام مسجد أن يركِّز في الخطبة على مقاومة الشيوعية ومهاجمتها، ممَّا أدى به إلى مهاجمة الحكومة برئاسة عبد الكريم قاسم، التي فتحت مجال النشاط للشيوعيين بحرية حسب رأيه.
- وهذا الأمر أفضى به إلى مطاردات ومساءلات واستدعاءات من السلطة، دون أن تبلغ حدّ المحاكمة أو السجن، في حين لم تتوقف تهديدات التصفية الجسدية من طرف أنصار السلام والشَّبيبة الديمقراطية إليه.
- لقد استطاع اليساريون والسلطة، أن يحشدوا ما يزيد على مليون من العراقيين من أصل ثمانية ملايين، وذلك في عيد العمال عام 1959م، وقد استعرضهم عبد الكريم لعدة ساعات، مُردّدين شعارات شيوعية (**عبد الكريم زعيمي،حزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي**).
- فظن الكثيرون أن العراق قد سقط في أحضان الشيوعية، وقد عزَّز ذلك الظن بتعيين ثلاثة وزراء من التَّيار الشيوعي.
- وعلى خلفية هذا المدِّ الشيوعي ونشاطه كانت هناك بالموازاة مقاومة إسلامية وقومية، أنتجت في مجموعها صدامات واعتقالات كادت تمسُّ العلواني لولا اختفاؤه ستة أشهر عن بغداد.

---

1 – راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص64إلى67.

2 – راجع: علاء اللامي،"أحداث الموصل "ثورة الشواف" سنة 1959/ مقاربة جديدة (1)" العراق: صحيفة العالم الجديد صحيفة يومية الكترونية مستقلة، تأسيس فراس سعدون وغيره، الثلاثاء تاريخ النشر:الثلاثاء 2015/9/29–

3 – انظر:طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص46بتصرف.

وفي ظل هذا **الشحن العاطفي القوي** ومع اصطحاب ظروف بيئة **النشأة المُضطربة** وجو العنف السائد في فترة شبابه كل تلك العوامل أثرت فيه وهو الشاب الصغير عديم الخبرة. **يصف العلواني ذلك الشعور** في مقال له بعنوان الإسلاميُّون بين الدعوة والدولة:" في مرحلة الشباب الأولى من (**الثامنة عشر**-و**الخامسة والثلاثين**) من العمر كنت مثل كثيرين من أترابي، شديد الحماس لرؤية (**دولة إسلاميّة**)، أي دولة يرأسها خليفة، تطبّق الأحكام الفقهيّة وتقيم الحدود (**العقوبات**)، التي يطلق عليها (**الحدود الشرعيّة**)، لقد صوَّرت لنا ثقافة المسلمين في تلك المرحلة أنَّ العيش في ظل نظام يحمل هذه الصفة يمثل طريقاً يبساً إلى الجنَّة لا يخاف سالكه دركاً[1]".**فقد سوَّلت له نفسه من أجل القضاء على العنف الكبير، لا بأس من عنف صغير، فوقع في مكيدة العنف والاغتيال حيث**[2]:

- أثر عليه شاب يُدعى-عُبيد **لافي العاني** – إذ كان يرتاد مسجده ويمضي المساء معه يومياً، يحدِّثه بقتل عبد الكريم القاسم للتخلص من الخطر الشيوعي والمحافظة على عروبة العراق وإسلامه. وأدخل في ذهنه فكرة الاغتيال السياسي لفرد أو مجموعة صغيرة للحدِّ من جرائمهم.
- ومن هنا قرَّر العلواني **تشكيل مجموعة سرية للقيام بعملية الاغتيال** بمعاونة **عبيد لافي**، الذي اتصل بشخص يدعى (**سلمان العبيدي**) الذي كانت له علاقة بجهاز الاستخبارات العراقية، وقد قام هذا الأخير بالإبلاغ عنهم لجهاز المخابرات بعد أن اخترق مجموعتهم بواسطة المقدم **محمد علي عبد اللطيف**.
- ولكن قبل تنفيذ العملية اكتشف العلواني حقيقته عن طريق أحد أصدقائه من ضباط الفلوجة وهو المرحوم **رشيد محمد محسن ونصحه بالهروب والاختفاء لمدة ستة أشهر** أو أكثر ريثما تتضح الأمور.ونجا العلواني من الاعتقال والموت المحتَّم بفضل الله وبالأخذ بهذه النصيحة ليُكتب له عمر جديد.

---

1 – طه جابر العلواني، "الإسلاميُّون بين الدعوة والدولة".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

2 – طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق) ،82إلى86.

- وبعد فترة **قام عبد الكريم بإعدام عدد كبير من الضباط القوميين** وغيرهم من أعضاء تنظيم الضباط الوطنيين بحجة التآمر لقلب نظام الحكم، وبأنَّ لهم صلة بالشوَّاف، وكان يمكن أن يعدم معهم لو استمرت علاقته بالمقدم عبد اللطيف واقتنع عبد الكريم بجديّة ما يُدبر له.
- ولم تكد تمضي أيام قلائل على إعدام أولئك الضباط في العشرين من سبتمبر أيلول 1959م، حتى قام حزب البعث في مطلع أكتوبر تشرين الثاني **بمحاولة اغتيال فاشلة لعبد الكريم**، وفي اليوم الذي يليه **أُلقِي القبض على العلواني**، قبل أن يُكتشف أن حزب البعث هو الذي قام بهذه المحاولة، **ومن ثمَّ أُطلق سراحه بعد حوالي ثمانية عشر ساعة** نظير كفالة قدرها ألف دينار، وضمان جاره الحاج عبد الحميد العبوسي—رحمه الله تعالى–وقد أثبتت التحقيقات خاصة مع المقدم عبد اللطيف براءته، بفضل تشديد عبد الكريم على عدم ظلم الأبرياء

الفرع الثاني: انخراطه في الحزب الإسلامي العراقي.

بعد قناعته بعدم جدوى العنف ومخاطره غير المأمونة، كما أنَّ إيمانه بأنَّ التحوُّلات الانقلابية جعلت العمل الفردي لا قيمة ولا وزن له، وأنَّ العمل الجماعي السّلمي هو الحل الأمثل. وخاصة **في ظل المؤشرات الداخلية والخارجية التي أعطاها عبد الكريم قاسم** بأنَّ حكمه قد أخذ طريقه نحو الاستقرار والديمقراطية، **وعلى رأس هذه المؤشرات:**

تأسيس الأحزاب السياسية، والأخذ بالتعددية الحزبية[1].

وهذه المناورات السياسية هي جزء من محاولة تثبيت النظام القائم، من خلال إيهام واسترضاء الرأي العام الشعبي، وأخذ الوقت التَّام والكافي من أجل إعادة ترتيب البيت الدَّاخلي، وما هي في حقيقة الأمر إلا حِيَّل درجت عليها الحكومات والنُّظم العربية الحديثة للضحك على شعوبها وتمرير مشاريعها ومخططاتها، أو صورة من صور مواكبة الغرب الذي ينحى وفق المسار الديمقراطي التَّعدُّدي.

1–انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص86 بتصرف.

ففي يناير كانون الثاني 1960م منحت الحكومة ما يلي[1]:

- تراخيص لبعض الأحزاب ومنها الحزب الشيوعي بجناحيه المعتدل بقيادة داوود الصائغ
- وبعض المجموعات الديمقراطية.
- وأحزاب أخري كردية وتركمانية.

كما **أُعتُمِدَ الحزب الإسلامي العراقي**، بعد محاولة إقصائه من طرف الحكومة ورفعه دعوة قضائية ضدَّها وربحه الدعوى في 26 أبريل/نيسان 1960م[2].

وأُعتُمِدَ كذلك **حزب الدعوة الشيعي** بقيادة السيد محمد باقر الصدر، وقد جرت محاولة فاشلة من طرف بعض قيادات الحزب الإسلامي للدّمج بيَّنه وبيَّن حزب الدعوة، **وقد انضمَّ العلواني للحزب الإسلامي** بعد قبوله لعرض الدكتور **عبد الكريم زيدان** والدكتور **كمال القيسي**، بعد أن أكَّدا له مدى استقلاليته، وقد كانت مشاركته في الحزب عملية وفي الخطوط المتقدِّمة إذ شارك مع مجموعة المؤسسين في وضع وصياغة برنامج الحزب، واحتلَّ موقعاً متقدما في الحزب إذ كان عضواً في اللّجنة المركزية له[3].

وهنا تبرز شخصية العلواني في ثلاثة أمور هي:

الأمر الأول: هناك دلالة واضحة على مكانته وشخصيته التي جعلته يتصدَّر الحزب كأحد أبرز قادته آنذاك.

الأمر الثاني: العمليَّة والجديَّة إذ بدأ من أول العمل في المشاركة الفعَّالة في بناء نظام عمل الحزب وبرنامجه وكل لوائحه التنظيمية تحقيقاً لمباشرة العمل وسلامته وصيانته.

الأمر الثالث: الاستقلالية من خلال التطمينات التي أخذها من قادة الإخوان بأنَّ هذا الحزب مستقلٌّ في قراراته وبعيد عن إملاءات الجماعة وتدخلاتها، وهذا ما لم يكن مما جعل العلواني بعد ذلك "يستقيل منه ويغادره"[4]وهو في ذلك محق؛ فقد أثبتت الأيام والتجارب بأنَّ من الحصافة الفكرية والنّجاعة الدعوية أنْ لا نضع كامل البيض في سلَّة واحدة.

---

1 – طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص86.

2 – بدون مؤلف،" الحزب الإسلامي العراقي"، موقع الجزيرة نت. تاريخ النشر:2014/02/09م.

3 – طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص86إلى91.

4 – طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص91و95.

كما أنَّ هناك دوافع في الحقيقة جعلته يقبل بهذا بالانضمام وهي كما يبيِّنها هو[1]:

- كوْن هذا الحزب حزباً سياسياً قدَّم برنامجاً قُبِلَ من أكبر هيئة قضائية في العراق، وبرنامجه برنامج عصري مستمد من الشريعة الإسلامية.
- بالإضافة إلى أنَّ إيمانه قد ترسَّخ بأنَّ التحوّلات الانقلابية جعلت العمل الفردي غير مجد.
- وهناك دافع قوي دفعه في تلك المرحلة للعمل السياسي ألا وهو عدم فصله بين العمل الدّعوي والعمل السياسي، فهما وجهان لعملة واحدة هو خدمة الإسلام.

وهذا الدافع الأخير لدخول العلواني معترك السياسية من باب الحزب الإسلامي العراقي، **نلتمس منه بكل وضوح وجلاء الرُّوح الدينية التي كان يمتلكها**، والحب والدَّافعية والغيرة لخدمة الإسلام والدّفاع عن قضاياه وهذا عنصر هام ومهم في نجاح العمل الدَّعوي بصفته الفردية أو الجماعية؛ وهو صميم ما ربَّى عليه الرسول- صلى الله عليه وسلم أصحابه-حيث ربَّاهم على حبّ الدِّين وغَرَسَ فيهم تقوية الإيمان والكشف المستمر عن قرائنه وأدلَّته، فعن **الحارث بن مالك الأنصاري** أنَّه مرَّ برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال له:«كيف أصبحت يا حارث؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً فقال: انظر ما تقول؟ فإنَّ لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ فقال: قد عزفت نفسي عن الدّنيا وأسهرت لذلك ليلي وأظمأت نهاري وكأنِّي أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأنِّي أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنِّي أنظر إلى أهل النّار يَتَضَاغَونَ فيها فقال: يا حارث **عرفت فالزم** ثلاثا».[2] فالإسلام والإيمان قول واعتقاد وعمل وبحث دائم على ما يثبت الإيمان ويرسخه في جميع مظاهره.

كما نُلاحظ أنَّ نظرة العلواني المبنيَّة على شمول العملية الدّعوية للجانب السياسي، نظرة صائبة فالسياسة دعوة والدعوة سياسة، وسيرة الرسول-صلى الله عليه وسلم – وحياة أصحابه حافلة بالأدلّة والإثباتات على شمول الإسلام لجميع مناحي الحياة والجانب السياسي

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص89 بتصرف.

2 – الحديث أورده ابن حجر في الإصابة (174 / 175) قال البيهقي:هذا منكر وقد خبط فيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف جدا. وهكذا ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (1 /57) وقال رواه البزار وفيه يوسف بن عطية لا يحتج به. علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.ج13(لا.ط؛لا.م:لا.ن،د.ت)،ص 352.

أحدها، وفي **وثيقة المدينة المنورة**[1] **ووثيقة صلح الحديبية**[2]ما يُغنينا لشرح وإثبات هذا الأمر، إلا أنَّه **ممّا تجدر الإشارة إليه** أنَّ هذا التأصيل للعمل السياسي في الإسلام يختص **بإثبات وجوده** أما الكيفيات والوسائل فالحديث فيها يحتاج للتفصيل والتَّبيين، لذا نجد رأي العلواني قد تغيَّر في أخريات حياته **وتبدَّلت نظرته تجاه العمل السياسي الإسلامي**، إذ يقول في ذلك: "أمَّا **الدولة** أو الحكومة أيًّا كان نوعها فإنَّها **أخص** في حقيقتها ومقاصدها وأهدافها واهتماماتها من **الدعوة**، ويُمكن **للدولة أن تتبنَّى قيم دعوةٍ وأهدافاً** منبثقة عنها دون أن تمزج بين الاثنين أو ترفع الفروق بين الجانبين، فذلك أمر يضرُّ بالدعوة ويضيِّق ميادينها ولا يقدم للدولة الكثير، وحينما يُمزَج بين الأمرين فلن يمضي زمن طويل حتى يجد **رجال الدعوة** أنفسهم في **حالة حرب** أو عداء أو مواجهة مع **رجال الدولة**[3]".وقد أشاد العلواني بالبرنامج الذي شارك في صياغته في الحزب الإسلامي، وبصلاحيته والاستفادة منه في العمل السياسي الإسلامي اليوم، **حيث يقول**: "ومما ينبغي الالتفات إليه أنَّه بعد مضي ما يزيد على نصف قرن على **صياغة البرنامج**، فلا يزال المطلِّع عليه يجد فيه **الكثير من النقاط الإيجابية والمنضبطة** التي تصلح أن تكون **أساساً وقاعدة لبناء حزب معاصر** ذي مرجعية إسلامية، من دون تعارض كبير مع الأُطر والنظم السياسية القائمة"[4].

ومن الفوائد التي عادت على العلواني من جراء هذا الانخراط الحزبي[5]:

- فتحت له باباً واسعاً للتعبير عن ذاته.
- وللمشاركة الفعَّالة في صنع الوجود الإسلامي في العراق.

وهنا نؤكِّد على ضرورة **تنوُّع العمل الدعوي وتعدُّده**، حتى يستطيع استيعاب جميع العاملين بمختلف مشاربهم وجميع ميولاتهم وملكاتهم، ليُفرز الإنتاج المطلوب كماً وكيفاً.

1-على الصلابي، السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث).ج1(ط:2؛ مصر:دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع،1424 هـ/2001م)، ص من 395إلى431.

2- على الصلابي، السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث)، ج1. (المرجع نفسه)، ص من355إلى381.

3 - طه جابر العلواني، "الإسلاميُّون بين الدعوة والدولة". (مرجع سابق).

4- طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص91.

5 - انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص91بتصرف.

الفرع الثالث: تجميد نشاط الحزب الإسلامي وأسبابه.

لم يسر أمر الحزب وتسييره على المنوال الذي يراه العلواني-كما سبق الإشارة إلى ذلك في قول العلواني-فقد طفت على السطح ازدواجية التَّحكم في الحزب؛ من خلال تدخل الجماعة بجهازها السِّري في شؤون الحزب وتسيير دفته. قال العلواني[1]:"**فسرعان ما اكتشفتُ أنَّني وقعت ضحية عملية خداع-على قساوة التعبير-حيث يقول:**

- وانكشف لي أنَّ الحزب مجرد واجهة لجماعة الإخوان المسلمين.
- كما لاحظت تلكؤاً في تنفيذ القرارات وغيرها من التصرفات التي لم نتفق عليها من قبل، ولعلَّ أشدَّها الكذب والمراوغة.

فهل يُعقل لعمل إسلامي أن ينجح باتخاذ الكذب سبيلاً، وإن نجح في ظاهره، فهل هو نجاح في الآخرة وعند الله -عزَّ وجلَّ- قال أبو الدرداء:«يا رسول الله، هل يسرق المؤمن؟ قال:قد يكون ذلك. قال: فهل يزني المؤمن؟ قال: بلى، وإن كره أبو الدرداء قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: إنَّما يفتري الكذب من لا يؤمن، إن العبد يزل الزلة ثم يرجع إلى ربه فيتوب، فيتوب الله عليه»[2].وهنا **قرَّر العلواني الاستقالة** والتَّنحي عن الحزب، لكنَّه أمسك عنها على مضض حتى لا يُوظَّف موقفه ضدَّ الإسلاميين من طرف خصومهم من البعثيين والشيوعيين، وكان المخرج الأنسب في ذلك هو أن يُسجن بمحض إرادته، ملتمساً بذلك طريق سيدنا يوسف -عليه السلام – وإن كان ذلك في موضع آخر[3].وتظهر هنا تضحية العلواني بنفسه حفاظا على بقاء اللحمة الإسلامية والنَّبض الإسلامي؛ إنَّه التجرد للفكرة والتضحية في سبيلها والإخلاص لها، الذي يحتاج إليه العمل الإسلامي في أي زمان وأي مكان وهو صمام الأمان وسبيل

1- طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص91إلى 95.

2- أخرجه ابن جرير الطبري في " تهذيب الآثار " (1 / 113 / 235). وعند إيراد الإمام الطبري بهذا الحديث ساكتا عنه. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة.ج12(ط:1؛ الرياض-المملكة العربية السعودية: دار المعارف، 1412 هـ / 1992م)، ص29.

3 - انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص95بتصرف.

النجاح للفرد والمجتمع. **وقد كانت الخطة التي أعدَّها العلواني للخروج من الحزب دون شوشرة أو إضرار بالعمل الإسلامي في العراق كما يلي**[1]:

- اختلق لسجنه مبرراً في مهاجمة عبد الكريم قاسم في إحدى خطبه فسُجِنَ.
- بعد دخوله إلى السجن لم يتوقف عن التفكير بالحزب وبالخدعة التي وقع فيها إذ صدَّق استقلالية الحزب عن التنظيم.
- وقد صادف أن كان أحد رفقائه في غرفة السجن أحد وجهاء الموصل رجل من أنبل من عرف وهو الحاج يونس ابن الحاج يحي آغا من أغوات باب البيض فتكونت بينهما صداقة عميقة.
- كما كان للحاج يونس قريب نبيل الخلق كذلك وهو الدكتور محمد حامد الطائي الذي توثَّقت بينه وبين العلواني الصلة كذلك، حيث كان العلواني يسأله عن أحوال الحزب كلّما جاء لزيارتهم في السجن، فكان يخبره بما لا يُسِرُّه؛ إذ دخل في حالة ركود بعد الانطلاقة المثيرة.
- لهذا فكَّر العلواني في كيفية توَّصله إلى إنقاذ الحزب.

وهنا تبرز قوة الذكاء التي كان يتمَّع بها العلواني، مع توفيق وإلهام الله له، إذ قدح في بصيرته بفكرة يُنقِذ بها الحزب من الموت المحتَّم، فاهتدى إلى فكرة سمّاها "**استشهاد الحزب**" فالاستشهاد أفضل من الموت، حتى يحفظ الموقع التاريخي له ويمكن من الاستفادة منه في المستقبل. **فكانت الخطة تقتضي**[2]:

- إصدار مذكرة شديدة اللهجة تَنتقِدُ النظام القاسمي.
- وكان ذلك بالاتفاق بين العلواني وعبد الكريم زيدان وبعض القيادات.
- مما أغضب قاسم وأصدر أمراً بتجميد الحزب وإلقاء القبض على أعضاء اللجنة المركزية ومن بينهم العلواني المحبوس عندهم من شهر ونصف.

ومن هنا أخذ الحزب منحى جديداً[3]:

1- طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص95و96.

2- طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص96إلى 99.

3- انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص100بتصرف.

- إذ قُوبلت المذكرة بتأييِّد من جانب علماء العراق من كل الطوائف.
- كما كان لها تأثير بالغ على جميع خطباء المساجد إذ هاجموا حكومة عبد الكريم قاسم والشيوعيين وذكَّروا بجرائمهم ضد الشعب العراقي.

ويعتبر العلواني هذه المذكرة نموذجاً عصرياً أمثل للنصيحة وهي تنطوي على مداخل إيجابية متعدِّدة يُمكن أن نذكر منها[1]:

- أنَّه نموذج من نماذج" أدب النصيحة" المعاصر الذي لم يعد لغة متداولة بين الحكام والمحكومين.
- إنَّها قراءة سياسية من منظور حضاري إسلامي لواقع بلد في مثل التعقيد الذي عُرِفَ العراق به قديما وحديثا.
- برهنت على أنَّ شعوبنا العربية ما تزال تُقَدِّرُ قيمة الكلمة، ولا تلجأ للعنف.
- إنَّها تأكيد على أنْ الشعوب تُقَدِّرُ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "وتساند من يقوم به لوجه الله ولخدمة وطنهم.

وفي قراءة هذه الوثيقة وردود أفعالها معان وجب استثمارها في العمل الدعوي اليوم:

- من خلال المراجعات الدعوية المعاصرة، بدراسة طبيعة الشعوب وخصائص المجتمعات.
- كما هو الشأن كذلك في دراسة طبائع الحكام والمسؤولين.
- ومن ثَمَّ الدفع بالخطاب المناسب بعيدا عن الارتجال والعفوية ورشق الاتهامات غير المدروسة،التي جنت على المشروع الإسلامي بالوبال وحكمت عليه بالفشل والإخفاق.
- هذه الوثيقة نقطة إيجابية في سجلِّ الحزب الإسلامي خاصة، وفي سجل العمل السياسي الإسلامي عامة،إذا قُورنت بالمحاولات الانقلابية للبعثيين."ففي محاولة البعثيين جرأة وفي مذكرة الحزب الإسلامي شجاعة"[2]

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص101بتصرف.

2– طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص103.

فكان لهذه الخطوة فائدة كبرى للحزب الإسلامي[1]:

- منها تهافت العراقيين ليلتفوا حول الحزب وينخرطوا في صفوفه.
- وكاد البساط يُسحب من تحت البعثيين.

كما جاء وفي قراءة متأخِّرة للعلواني لهذه المذكرة[2]:

- يصفها بخارطة الطريق في الإصلاح ويطرح من خلالها جملة نقاط في مجال السياسية الشرعية وبناء الدولة الحديثة.
- ويصفها بتصور عمليٍّ لملامح العملية الإصلاحية بأسرها.

ويبدو أنَّ رُدود الأفعال حول هذه المذكرة قد أتت أُكلها، فبعد أمر التَّجميد للحزب واعتقال أعضائه، **طلب عبد الكريم لقاء الأعضاء لمحاورتهم** وكان العلواني أحدهم، ودارت بينهم حوارات عديدة في عديد من القضايا الداخلية والخارجية [3]، وحينها **أُعجب عبد الكريم بشخصية العلواني ومن ثَمَّ محاولة استدراجه لصفه إذ**[4]:

- أخبره أنَّ شجاعته نالت إعجابه.
- وعلى هذا قدَّم إليه عرضاً للتعاون من شقين:

الشِّق الأول: الابتعاد عن أي عمل سياسي وبخاصة في إطار الحزب الإسلامي العراقي.

الشِّق الثاني: أن ينهض بمهمة تأسيس جمعية خيرية إسلامية، تُعنى بنشر الأخلاق وتقويم السلوكات والدعوة إلى الفضائل، ليس لها أيُّ صفة سياسية.

- **وسوف تحظى هذه الجمعية بِـما يلي:**
  - دعم شخصي من قاسم.
  - وتمنح لها التسهيلات الإدارية والمالية اللازمة الكافية، بحيث يمكن الإعلان عنها في أقرب وقت ويرى عبد الكريم أن العمل الخيري أنسب لإمام مسجد مثلي.

2- طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص103.

2- طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص103إلى105.

3- طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص من105إلى114.

4- طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص112إلى114.

- لكن العلواني رفض العرض وأحسَّه رشوة وأخبره بلهجة قاطعة قائلا: لست للبيع وأنَّ عمامته ثمنها غال وهذا الثمن هو أن يُقيم شرع الله – تعالى–فينا ويحكم بالعدل.

وهذه الحادثة تُظْهِرُ جانبا آخر في شخصية العلواني؛ وهو **نفسه الأبية** التي لا تسقط أمام بريق الإغراء، بل يرفضه بكل ثبات ويمضي طالباً رضى الله –عز وجل–في الدّنيا والآخرة.

المطلب الثاني: من تجربته في العمل العسكري.

الفرع الأول: إلى التَّجنيد الإجباري.

بعد **موقف العلواني القاسي** مع عبد الكريم قاسم **ورفضه لعرض** تأسيس الجمعية الخيرية. **فقد ترتَّب على هذا الموقف الشجاع للعلواني تجاه الرجل الأول في البلاد بعض النتائج التي يجب على العلواني تحمل ثقلها**[1]:

- فقد أوعز عبد الكريم باستدعائه لأداء الخدمة الوطنية واعتباره متخلِّفاً عنها، مما عرَّضه للمحاكمة العسكرية التي أُخبر عنها من **طرف العقيد يوسف رزوقي**؛ وهو **ضابط مسيحي** من شمال العراق.
- تعاطف **العقيد يوسف رزوقي** مع العلواني[2] يوم أن استقبله، كما أخبره بأنَّ قاسم شخصياً طلب بأن تُمارس عليه ضغوط حتى يطلب العفو منه.
- ردَّ العلواني وبكل ثبات بأنَّه يُفضلِّ الالتحاق بالخدمة العسكرية على أن يلتمس العفو.
- وقد ساعده العقيد يوسف في توفير محاكمة نزيهة بفضل مساعدة بعض أصدقائه، إذ حُوكِمَ بغرامة مالية قدرها ربع دينار، مع ضرورة أدائه للخدمة الوطنية في الدورة القادمة.

وهنا **تظهر مرَّة أخرى ملامح شخصيته القوية** والأبية؛ التي **ترفض المساومة** وتقف أمام التهديد والوعيد كالطود الأشم، فالثبات والصبر ورباطة الجأش هي الصفات التي انغرست في

1– راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص115و116.

2– ربَّما يعود هذا التعاطف ويُثبت كترجمة ورجع صدى لشخصية العلواني العمومية، وما عُرِفَ عنه من تسامح وانفتاح على الجميع.

نفسه، فلا التهديد ولا الوعيد ولا حتى الترغيب يُجدي فيه نفعاً أمام حفظ كرامته وسلامة دينه.

بهذه الصفات دخل الخدمة العسكرية[1]:

- وتخرَّج ضابطاً احتياطياً.
- كما كُرِمَ لكونه الأول في القُدرات الثقافية في دفعته، وقُدِّمَ لراعي الاحتفال الزعيم عبد الكريم القاسم.
- وكانت صفوف الجيش المختلفة تختار من بين الضباط الاحتياطيين، وكان مرشحًا للالتحاق بمدرسة الآلية الكهربائية مدرسا للغة العربية بناءً على طلبها، وبعد صعوبات جمة التحق بها. غير أنَّه لم يُتِمْ فيها إلا أسبوعاً واحدًا، حتى أُخْبِرَ بنقله إلى وحدات الفرقة المقاتلة العاملة بشمال العراق، والتي كانت في حالة قتال مع الأكراد.
- فكتب استقالته من الخدمة العسكرية، وكتب العنوان إلى الزعيم عبد الكريم قاسم القائد العام، غير أنَّ قائد المدرسة سَخِرَ منه رافضًا طلبه، إذ هو عسكري وليس مدنيًا فالاستقالة ليست من حقِّه، وهذا التصرف يسمى عصياناً للأوامر العسكرية الذي يكون جزاؤه إطلاق النار على صاحبه.
- لكن العلواني أصرَّ على تقديم الاستقالة وعلى تحمُّله نتيجة ذلك، وبعد حوالي أسبوع من إرساله الاستقالة حضر إلى بيته رجال البوليس الحربي، وطلبوا منه الحضور إلى مقر وزارة الدفاع.
- وعند حضوره أُبْلِغَ بأنَّه عُيِنَ في مكتب مستشار قاسم؛ الصحفي النقيب سعيد الدوري على أنْ يعمل في التدقيق اللغوي لخطابات الزعيم وبعض الأعمال اللغوية الأخرى.

ويمكن اختصار وصف هذه الفترة بما يلي[2]:

- أمضى العلواني في هذا العمل ثمانية أشهر.

---

1 – راجع:طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص117و118.

2 – راجع:طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص 118إلى133.

- وقد شهدت البلاد في هذه الأثناء اضطرابات شديدات، ومحاولات لاغتيال عبد الكريم، أسفرت في الأخير عن تنحيته والإطاحة به.
- وأثناء هذه الخدمة كانت للعلواني موافق وأحداث، كما كانت له منها استفادات في معرفة طبائع الشعوب وسجايا الحكام.
- وقد شغل العلواني خلالها عدة وظائف فقد عمل مدرساً للدراسات الإسلامية في الكلية العسكرية من عام 1964م حتى 1969م، كما عمل مديراً لتحرير مجلة "الجندي" في التدريب العسكري عام 1963م.[1]

ومن أهم الدروس التي استلهما العلواني في هذه الفترة؛ ما عبَّر عليه العلواني بنفسه إذ يقول: "إنَّني الآن وبعد هذه السنوات الطوال أستطيع أن أُحدِّد **دور المحكومين في نفخ الكبرياء والغطرسة وروح الاستعلاء في الحكام،** حين يُحيط بهم المتملقون من كل جانب يثنون عليهم ويمدحونهم بالباطل ويرفعونهم إلى مرتبة فوق مرتبة البشر، فينخدع الطاغية **ويتوَّهم أنَّه فوق البشر فعلاً**[2]".

الفرع الثاني: رفض العلواني للعنف.

يذكر العلواني ذكريات مُؤلمة راسخة في ذهنه، منذ أيام الإطاحة بالنظام المالك من طرف الضباط الأحرار، وما شهدته الساحة من سَحل لأجساد بعض القادة في الشوارع، ومظاهر التنكيل بالجثث، ويربط هذه المظاهر الدموية بما وقع، عبر التاريخ البابلي والفرعوني ووصولاً، إلى التاريخ العباسي وانتهاء إلى مظاهر الاحتفال الشيعي. فسَحل الأجساد وعمليات التنكيل لها امتداد تاريخي في الحياة الإنسانية، إذ يسلك الإنسان هذا الطريق كلَّما حاد وابتعد عن وحي السماء. و**هنا يقول في بيان الآثار النفسية الناجمة عن رؤية الدماء**[3]:

1- بدون مؤلف، "العلواني. مفكر إسلامي وافته المنية في السماء"، (مرجع سابق).

2- طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراقية. (مرجع سابق)، ص125و126.

3- انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراقية. (المرجع نفسه)، ص81بتصرف.

- ولسنا بحاجة للتأكيد على أنَّ رؤية الدماء البشرية، تترك آثاراً نفسية عميقة على النفس الإنسانية، وتَمتَهِنُ حقاً أساسياً أقرَّه الإسلام والأديان جميعا للإنسان، وهو حقه أن يقضي نحبه بكرامة، وحسابه بعد ذلك على الله.
- وليس معنى هذا الكلام، إفلات الإنسان الجاني من العقاب، وإنَّما المقصود أن تَتِمَّ محاكمته وفق قواعد الإنسانية والشريعة والقانون.

ويجلي العلواني مسألة رفض الإسلام القاطع، وموقفه من إراقة الدماء البشرية[1]:

- يُمكن أن نتوقف أمام تعاليم الإسلام التي ترشدنا إلى أنَّ كلب الصيد المعلَّم إذا ولغ في دم الصيد أو أكل لحمه يصبح كلباً غير معلَّم لا يجوز الاصطياد به، لأنَّ صيده- آنذاك-يصبح لنفسه، لا لصاحبه الذي أطلقه ليصيد له.
- ويُمكن أن نمضي فنقيس على ذلك الإنسان، الذي يُحَرَّضَ ويُطلَقَ للفتك بإنسان مثله، بتلك الطرق البشعة والذي يجرِّمها الإسلام تحريماً مطلقاً. أنَّى لمثل هذا أن يستعيد إنسانيته؟!

وفي موقف العلواني هذا ومن خلال هذه المقارنة التي عقدها:

- يظهر عنصر الإنسانية في أبهى صورة منها، في شخصه باعتباره نموذجاً يمثل النهج الإسلامي.
- فالإسلام الذي تعتبر خاصية الإنسانية إحدى أهم خصائصه اليوم، وهو بذلك يضاهي كل المدنيات الحديثة اليوم ويُفنِّد كل مظاهرها الزائفة والمتهاوية أمام أضعف الأزمات الإنسانية التي تضيق بها حياة الإنسان في أنحاء المعمورة المستغيثة.
- ولن تسترجع الإنسانية إنسانيتها إلا من خلال الإسلام ونظمه الشاملة للدين والدنيا.

كما تسوقنا هذه المقدمة لبيان موقف العلواني الرافض للعنف أيام حكم عبد الكريم قاسم[2]:

---

1 – طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص81.

2– راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص70إلى73.

- فعندما تمت الإطاحة بحكومة عبد الكريم قاسم في الثامن من شباط سنة 1963م، وبعد إعدامه في العاشر منه، وجد الإسلاميون أنفسهم وجهاً لوجه مع البعثيين.
- وحزب البعث حسب رأي العلواني له باع طويل في عمليات الاستغلال والتوظيف السياسي للقضايا الكبرى كالوحدة والحرية والدين، فأراد البعثيون أن يُوظفوا الدين في القضاء على منافسيهم وهم على الترتيب:
  - الشيوعيون.
  - ثُمَّ القوميون الناصريون.
  - ثُمَّ الإسلاميون.
  - وقد توصلوا إلى أنَّهم يمكن أن يتخلصوا من الشيوعيين بالإسلاميين.
  - ثم يتخلصوا من الإسلاميين بزعم أنَّهم رجعيِّون وظلاميِّون.
- وقد صادف قرار تصفية الشيوعيين فشل بعض الشيوعيين في محاولة الانقلاب[1].
- فاتخذ مجلس قيادة الثورة ذي الأغلبية البعثية – وإن كان عبد السلام عارف رئيس الجمهورية مستقلاً – قرارًا بإعدام جميع أعضاء الحزب الشيوعي.
- وقد عضدوا قرارهم بثلاث فتاوى من كبار العلماء.
- وقد خالفهم العلواني مع أنَّه لم يكن مفتياً ولا من كبار العلماء، لكنَّه شيخ أزهري حديث التخرج، وإماماً خطيباً في جامع الحاجة حسيبة الباجه جي.

ويروي العلواني مخالفته لفتوى كبار علماء العراق في عملية الإعدام[2]:

- تصادف أنَّ كان العميد الركن عبد الغني الرَّاوي الذي يحرص على أداء صلاة الجمعة معي.
- وقد كلَّفه مجلس الثورة بأنَّ يكون رئيس مجموعة النار، التي ستقوم بعملية إعدام الشيوعيين.

1- انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص70و71بتصرف.

2 – انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص73إلى76بتصرف.

- وقد سألني في أمر قتلهم، فأقنعته برأيِّي المخالف لكبار لعلماء الثلاثة.
- لكنَّه يؤكد في مذكراته أنَّه لم يلتزم بنصيحة العلواني ويقول أنَّه أعدمهم لأنَّه يملك فتوى من علماء الشيعة والسنة.

وفكرة عدم تكفير الناس والشيوعيين عند العلواني ليست وليدة الظروف المتأخرة، إذ هو دَرَجَ من بداياته بأن يتأنَّ في مسألة التكفير التي يستخف بها كثيرون اليوم ممن يدَّعون إتباع المنهج النبوي، ففي حديثه عن استقلالية بعض الوظائف ومنها، وظيفة الإمام ما يُشير إلى تلكم الروح المتسامية والمتسامحة وروح الأبوة والمحبة الشاملة للجميع وهذا توضيح ثان منه: "فعلى العالم أن يتبنَّى وجهة نظر الشريعة في الدفاع عن العامة وحلِّ مشاكلهم... وهذه مهام مُقتبسة من وظائف نبوية لأنَّ العُنف الداخليَّ لا يأتي بخير أبداً فلابد أن تقوم العلاقات بين الحكام والمحكومين على الفهم والتناصح، والحوار وتقريب وجهات النظر"[1].كما أنَّ المبادئ الأولى التي **تعلَّمها العلواني مع بقية أبناء جيله من خلال الكتاتيب ومدراس المساجد**، "على أنَّ من درج منهم وكَبُرَ على تلقِّي المعارف النقلية أو الشرعية التي تجعلهم قادرين على أن يكونوا أئمة ناجحين في المساجد ويمكنهم أن يقدموا خطبة جمعة صحيحة، ويؤمون الناس في الصلاة، ويغلب على هؤلاء ألا يدخلوا في مسائل الفتوى فهم يعرفون حدودهم"[2] **وحتى يزداد الأمر وضوحاً وقوة يسوق العلواني بعض الآثار النبوية** التي تنفِّر من الفتن؛ عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أتاه رجلان في فتنة ابن الزُّبير فقالا: «إنَّ النَّاس قد ضيَّعوا، وأنت ابن عمر وصاحب النبي –صلى الله عليه وسلم– فما يمنعك أَنْ تَخْرُجَ؟ فقال: يمنعني أنَّ اللَّه حَرَّمَ دم أخي. فقالا: ألم يَقُلِ اللَّه:﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ فقال: قاتلنا حتَّى لم تكن فتنة ، وكان الدِّين للَّه ، وأنتم تريدون أنْ تقاتلوا حتَّى تكون فتنة ، ويكون الدِّين لغير اللَّه»[3].

عن أبي ذر قال: لي رسول–الله صلى الله عليه وسلم –: «يا أبا ذر قلت: لبيك وسعديك يا

1– طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص60و61.

2 – طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد. (مرجع سابق)، ص6.

3– أخرجه البخاري، في صحيحه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.ج14(ط:1؛ لا.م: دار طوق النجاة،1422هـ)، ص496.رقم الحديث4513، باب قَولِهِ تعالى (وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتنَةٌ).

رسول الله قال: كيف أنت إذا أصاب الناسَ موت يكون البيت فيه بالوَصيف؟ قلت: الله ورسوله أعلم أو قال ما خار الله لي ورسوله قال: عليك بالصبر أو قال تصبّر-ثم قال: يا أبا ذر قلت: لبيك وسعديك، قال: كيف أنت إذا رأيت أحجار البيت قد غرقت بالدَّم؟ قلت: ما خار اللَّه لي ورسوله، قال: عليك بمن أنت منه، قلت:يا رسول اللَّه! أفلا آخذ سيفي فأضعه على عاتقي؟ قال: شاركتَ القوم إذن، قلت: فما تأمرني؟ قال: تلزم بيتك، قلت: فإن دُخِلَ عليَّ بيتي؟ قال: فإن خشيت أنْ يَبْهَرَكَ شعاع السيف، فألق ثوبك على وجهك يبُوءُ بإثمكَ وإثمه»[1].

المطلب الثالث: من أهم أعماله السياسية في هذه المرحلة.

الفرع الأول: انقلاب 8 شباط وبداية علاقته بعبد السلام عارف.

هذه المرَّة صادف انقلاب الثامن من فبراير شباط عام 1963م نجاحاً بخلاف المحاولات التي سبقته، **بسبب**[2]:

- القائمين عليه من القوى السياسية المناهضة لقاسم، وقد استطاع البعثيون استدراج هذه القوى قوة وطواعية.
- كما استطاعوا أن يتصدروا المشهد السياسي، إذ لم يضم المشهد من غيرهم سوى عبد السلام عارف، الذي أصبح رئيساً للجمهورية.
- كما كان في سرعة التَّخلص من قاسم وإعدامه، سبباً آخر من أسباب نجاح هذا الانقلاب.

وهذا مشهد آخر يُظهِرُ حالة الاضطراب والعنف التي يتخبط فيها العراق في تلك الفترة. **ومما استرعى انتباه العلواني في مجريات تلك الحوادث -آنذاك-أحداث مشابهة ومتكرِّرة**[3]:

1- صحَّحه الألباني في كتاب إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.أشراف: زهير الشاوش ج8(ط:2؛ بيروت: المكتب الإسلامي، 1405 هـ /1985م)، ص102، رقم الحديث2451، فصل في دفع الأذى، (روى عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنَّه قال في الفتنة).

2- انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص137و138بتصرف.

3- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص141و142.

- أنَّ البعثيين الذين ثاروا ضدَّ الشيوعيين، وضدَّ قاسم لم يختلفوا عنهم في ممارسة العنف والقتل، ويبدو أن ما حدث هو مجرد استبدال فقط:
  - إذ حلَّ محلّ الشيوعيين البعثيون.
  - وأُستُبدِلَ قاسم بعبد السلام.
  - كما حلَّ الحرس القومي محلَّ المقاومة الشعبية.
- فساد القتل والسجن وأُدخلت البلاد في حالة فوضى جديدة، حتى وصل الأمر إلى مالا يطاق.
- مما اضطرَّ عارف لإجراء حركة تصحيحية بقيادته، لاحتواء ملشيات الحرس القومي. ليُثبِتَ مرة أخرى فشل المشاريع القائمة على العنف؛ بأنَّ العنف لا يزول بعنف وإن زال خلَّف عنفاً مثله أو أشد، وأنَّ على الشعوب والمجتمعات المتقدمة محاربة ومجابهة العنف على مستوى جميع الجهات الفردية والجماعية، إن أرادت العيش بأمن وسلام ورقي وتطور.

وهنا تبدأ مرحلة جديدة لعلاقة العلواني بنظام الحكم، وبشخص عبد السلام الذي[1]:

- كان يعرفه قبل توليه رئاسة الجمهورية، فقد كانت للعلواني بعبد السلام علاقة ذات جذور.
- فقد لقيَّه عدة مرات إبَّان حكم قاسم:
  - كان اللقاء الأول قبيل إقالة عبد السلام من منصبه كوزير للداخلية ونائب للقائد العام، فقد ذهب إليه العلواني برفقة شيخي الآلوسي يشكوانه انتشار كتب الشيوعيين، لكنَّه حينها لم يحسن استقبالهما بسبب وصول الصراعات بينه وبين خصومه إلى أشُّدها، فقد أقيل بعد أربعة أيام من هذا اللقاء وكان ذلك بتاريخ 1958/09/12م.
  - أما اللقاء الثاني فقد كان أثناء تشيِّع جنازة الشيخ الآلوسي-رحمه الله تعالى-وقد حضرها عارف وهو في مرحلة الإعداد للإطاحة بقاسم، ثُمَّ

1- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص142إلى144.

حضر بعدها لأداء صلاة الجمعة في مسجد الحاجة حسيبة-مسجد العلواني الذي يعمل فيه خطيبا-وما إن شاهد العلواني عارف بين المصلين حتى أدرك أنَّ ذلك جزء من مخطَّطه للإطاحة بقاسم، فقرَّر أن يُلقي هو الخطبة مخالفاً القانون العسكري-لأنَّ العلواني ملتحق بالخدمة العسكرية وهو ممنوع من القيام بنشاطه كخطيب-وقد أُعجب عبد السلام بمحتوى الخطبة، الذي ينتقد الوضع العام. وقد جاء عبد السلام بعد انتهاء الصلاة وصافح العلواني بحرارة، وهمس في أذنه قائلاً: بأنَّ الله كريم وسيتغير كل شيء نحو الأفضل، فتأكَّد حينها بأنَّه يُعِدُّ فعلا للانقلاب على قاسم.

وفي هذا الموقف من العلواني فائدتان في مجال الفكر والدعوة، وخاصة في مجال التعامل مع المعطيات الواقعية:

- الأول هو أنَّه مطلوب القراءة الدقيقة للواقع بكل تفاصيلها، قبل اتخاذ المواقف وخاصة في المجال الدعوي في جانبه السياسي، لحساسية المواقف ودقتها وتشابكها وتعقدها وارتباطها بكل مركبات المجتمع الداخلية والخارجية، فيأتي بذلك الموقف منسجماً ومتناغماً مع متطلبات الواقع، **وهذا مَثْلَمٌ كبير وخطير أربك الحركات الإسلامية** ذات النهج الإصلاحي السياسي، والعمل الإسلامي في عمومه.
- والثاني هو المبادرة للفعل والإيجابية، إذ اِسْتَغَلَّ العلواني وجود عبد السلام ليعتليَ المنبر ويلقي تلك الخطبة بتلك المواصفات، **ولعلَّه يكون من تأثيراتها مُضيِّ عبد السلام فيما عزم عليه**، وإن كان انقلابه لم يقدم للعراق والعراقيين ما يتطلعون له، أو **لعلَّها تفتح لصاحبها فرصاً أفضل في المستقبل كما تُثَب ذلك الأيام مع العلواني**؛ إذ رُبَّمَا جعلتَ هذه الخطبة عارف يكرِّر حضوره لمسجد العلواني بعد أن يصبح رئيساً للجمهورية. "وقد ثبت ذلك **فتكرَّرت زيارات عارف لمسجد العلواني**، بعد أن صار رئيساً للجمهورية، وقد حضر ذات جمعة لأداء الصلاة، فألقى العلواني الخطبة ولن يُعَاقَبَ هذه المرة لأنَّه بحضرة الرئيس، وإلا أُعتُبِر ذلك إهانة للرئيس، وقد كان محتوى الخطبة **استعراض تاريخ معاناة العراق وصولاً إلى عهد عارف**، حيث أدان

العلواني بشدة عقائد البعثيين، وهم شركاء عبد السلام في السلطة، ثم ركَّز في الجزء الثاني من الخطبة **على عبد السلام شخصياً وقد كان يناديه باسمه مجرداً**، كما كان يذكِّره بنعمة الله عليه، بأن أخرجه من السجن ووضعه فوق الكرسي، فبكى الرجل وبكى من معه من جموع المصلين، **وقد أُلهم فيها العلواني كلاماً لم يخطر له على بال**، وبعد انتهاء الخطبة أقبل عليه الرجل وأثر البكاء ظاهر على عينيه فقبَّله وعانقه، **وقال له: اطمئن فإن التغيير قادم واصبر**، وقد بلغت العلواني فيما بعد أنَّ البعثيين استأذنوه في اعتقاله فرفض بشدة."[1]عقيدة الولاء والبراء التي يتمسك ويعتصم بها المسلم هي طوق النجاة له، ومبدأ المناصحة وواجب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنَّكر، كلَّها معالم أساسية يجب أن تظهر على الداعي إلى الله –تعالى– وأن تكون دائماً نصب عينيه يتذكرها ولا يغفل عنها حتى يلقى بها وجه الله.

ومما يأسف له العلواني في هذه الفترة عدم تقرُّبه من عبد السلام إذ صرَّح:" أنَّه أخطأ في تلك الفترة **إذ لم يقترب من الرجل، ولم يوَّثق علاقته به**، ويُشَبِّه موقفه معه بموقفه مع عبد الكريم قاسم، حين عَرَضَ عليه تأسيس جمعية خيرية، وهو رفض"[2]. وكأنَّه يقول لا يجب ألا يسود **مبدأ المُمانعة غير المدروسة** لكل ما يعرضه الحاكم على الدعاة، وأن **تُستَبعَدَ فكرة الخوف** من التَّقرب من السلطة على لا يقع في اتهام المداهنة والتَّزلف، أو أن يُوصَف بعلماء البلاط. بشرط أن يكون هذا العرض فيه مصلحة عامة، لذا **وجب على القائمين على المشروع الإسلامي مراجعة طبيعة هذه العلاقة** وجدليتها، وَفْقَ موازنات ودراسات تُحدِّد موقع الدعوة من السلطة.

وأما **لعلاقة عارف بالعلواني** ففي الحقيقة بدا مُطمئناً إلى العلواني قُبيل قيامه بانقلابه على البعثيين وأزاحتهم من السلطة، وفي يوم الانقلاب ففي الثامن عشر من تشرين الثاني 1963م، أمر حينها أن تُبَثَّ الجمعة الأولى بعد الانقلاب من جامع الحاجة حسيبة، على أن يلقي الخطبة العلواني، وبعد أخذ ورَدٍّ بين العلواني ومسؤول الإذاعة، الذي طلب محتوى الخطبة من

1– راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص145و146.

2– انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص146 بتصرف.

العلواني مكتوباً، في حين أرادها العلواني أن تكون مرتجلة، وبتدخل من عبد السلام حُسِمَ الصراع لصالح العلواني الذي له تقدير الأمر، **فكانت خطبة مرتجلة نالت إعجاب عبد السلام**، وأمر بإعادتها في ذلك اليوم ثلاث مرات.[1]

الفرع الثاني: تأسيس المنظمة العسكرية الإسلامية.

في غضون فترة وجود العلواني في الحياة العسكرية. كان يعمل بمجلة الجندي العسكرية-سبق ذكر ذلك في عنصر عمله العسكري-التي كانت تصدر بإشراف (مديرية التدريس العسكرية التي يعمل فيها العلواني مدرساً) بمشاركة **العقيد عبد القهار الكبيسي**، وقد **اشترك مع العلواني في الانتماء إلى التيار الإسلامي الواسع**، مما فتح المجال بينهما للنقاش وتبادل وجهات النظر، حول دور الإسلاميين داخل الجيش، وقد تبلَّورت لديهما فكرة حول ضرورة **تشكيل تنظيم إسلامي داخل الجيش** يكون إطارًا للعناصر الإسلامية، بدلاً من أن يكونوا تابعين لغيرهم. وقد بدا لهما الأمر سهلاً ويسيرًا، على حسب رأي العلواني إذ ساد اعتقاد حينذاك بأنَّه إذا أردت بأن يكون لك تنظيماً، فلست بحاجة إلى ما يزيد عن خمسة أفراد وجهاز (رونيو)لطباعة المنشورات، وما تحتاجه للوصول للسلطة سوى إحكام السيطرة على هدفين هما: وزارة الدفاع مقر القوات المسلحة، ومبنى الإذاعة والتلفزة[2].

وهكذا شرع العلواني في التنفيذ بكل قوة في[3]:

- إعداد ما يُشْبِه اللائحة أو الدستور لذلك التنظيم وصياغة أهدافه.
- وأخذ بالاتصال بمن يثق بهم من الضباط، ولم يمض شهر إلا وقد انضم لها مالا يقل عن عشرين ضابطاً من خيرة الضباط الموثوق بهم، وكلُّهم من الإسلاميين الملتزمين.

وفي فترة وجيزة أصبحت المنظمة من أقوى التنظيمات داخل الجيش، وأصبح لها فروع ومنتسبون في كل الوحدات، وأضحت بذلك الأقدر والأنسب للاستلاء على السلطة في تلك

1- انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص149و150بتصرف.

2- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص151.

3 - راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص152و154

الفترة. ولكنَّهم أرادوا القيام بالانقلاب دون أن تُرَاقَ الدماء على حسب رأي العلواني، لِيَكُون انقلاباً أبيضاً، في حين كان الواقع يفرض استحالة وقوع ذلك دون عنف أو دماء.

النَّفس الإنسانية غالية مهما كانت ديانتها أو معتقدها؛ هذا هو منهج الإسلام في حماية النّفس البشرية أيًّا كانت قال تعالى:﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾﴾[المائدة:32].

لذا تسقط كل التُّهم والافتراءات التي أُلصِقت بالإسلاميين ونعتهم بالإرهابيين؛من خلال الحملات الإعلامية الشرسة بقيادة أقطاب النظام العالمي الجديد، وحتى وإن مارس بعض الإسلاميين العنف في بعض البلاد الإسلامية خاصة، فهم في ذلك ضحية مخطاط دفعهم للعنف وممارسة الإرهاب وليس رغبة منهم في ممارسة العنف، وإلاَّ فإنَّ الجماعات الإسلامية في عمومها تَنَّهَجُ الحلول السلمية.

وقد مرَّت المنظمة بتغيرات وانسحابات إلى أن وصلت[1]:

- إلى تحالف مع تنظيم مدني يقوده عبد الرحمان الرحيم، الذي عُرف باسم **حركة الأنصار**.
- وتعبيرًا عن هذا التحالف أصبح لهما ميثاق موحد، شارك العلواني في صياغته مع الإخوان عبد الرحمن الرحيم وخليل كنَّة وعبد الكريم كنَّة.
- كما تشكَّلت قيادة موحدة من التنظيمين.

وقد حاولت المنظمة عدة محاولات للسيطرة على الحكم ولكنَّها باءت بالفشل[2]:

- ففي الثالث عشر من نيسان أبريل عام1966م، **تمَّ اغتيال عبد السلام عارف** وكان مقتله بواسطة حادث وقوع طائرته، حين كان يتفقَّد محافظة البصرة، وقد ترجَّح تدبير الحادث بعد ذلك. **وقد حاولت المنظمة استغلال الفرصة للسيطرة على القصر**، لكنها لم توفَّق، لاعتذار بعض الأطراف معهم للقيام بها في مثل هذا الوقت واعتبروه

1- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص 154و155.

2- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص155إلى167.

أمرًا خطيرًا، **ثم تمَّ تنصيب عبد الرحمن عارف أخو عبد السلام رئيسًا للجمهورية** في 16 نيسان أبريل عام 1966م، وفي عهده أُعيد البعثيون المنفيون خارج العراق إلى العراق، وبدأت الأزمة بين مصر وإسرائيل تتفاقم، فشارك العراق في حرب الستة أيام بفوج واحد في نهاية مايو عام1967م، وظل في مصر لعدة شهور حتى تَمَّ سحبه بعد هزيمة حزيران التي كشفت عورات النظم العسكرية.

- وضلَّت محاولات التغيير داخل المؤسسة العسكرية مستمرة، ووجد البعثيون في ذلك فرصة لمضاعفة نشاطهم، في حين كان دور المنظمة انتظار الفرصة المواتية لتُحدث التغيير، ولكن جميع محاولاتها باءت بالفشل.

وقد راجع العلواني محاولاته مع المنظمة العسكرية في حياته كما أصدر حكمه عليها فيقول عن ذلك[1]:

- ولو أنَّني استقبلت من أمري ما استدبرت وعدت لمقاييس تلك المرحلة، لوجدت أن تأيِّيد الرئيس عبد السلام، كان أولى وأنفع للبلاد.
- احمد الله على فشل تلك المحاولات، وأن سلَّم الله يدي من أن تتلوث بدماء الأبرياء وإلا أصبحت قاتلاً تحت ضغط الظروف.

وهذه المراجعة عائدة إلى سلامة طويته وصدق تدينه وإخلاصه العمل لله وحسن الاستقامة ورجاحة التفكير والله يعلم الخفايا.

1- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص170و171.

المبحث الثالث: العودة إلى العلم والدعوة واعتزاله النشاط السياسي.

1- المطلب الأول: الطريق إلى طهران.

2- المطلب الثاني: التَّعاون مع طهران ضد حكومة البعث ببغداد.

3- المطلب الثالث: التحول من العمل السياسي إلى العمل الدعوي والتدريس الجامعي.

4- المطلب الرابع: تجربته في المعهد العالمي للفكر الإسلامي (البحث عن الذات خارج النطاق الداخلي)

المبحث الثالث: العودة إلى العلم والدعوة واعتزاله النشاط السياسي.

المطلب الأول: الطريق إلى طهران.

الفرع الأول: العلاقة بين العراق وإيران بين السلم والمسالمة.

ينطلق العلواني في تحديد العلاقة في منطقته بوصف واقعي جميل إذ يقول[1]:"**العلاقة بين إيران والعراق ودول الخليج** علاقة لا انفصام لها، يفرضها التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والأمن والدين والتقاليد...وبالتالي تنعكس كل عملية احتراب أو فُرقة بضرر عام يُصيب الجميع ويوتِّر العلاقات". **ولو انطلقت علاقات المنطقة وُضبطت من خلال هذا الوصف** لما كانت عليه علاقاتها وأوضاعها بالصورة التي عليها اليوم ففي هذا الوصف درس وعبرة. لذا فالأحداث الداخلية التي تقع في إحدى هذه البلدان قد تنعكس عن علاقاتها بدول الجوار، أو من المحتمل أن تكون هي في حدِّ ذاتها مِن صنَّعة وفبركة هذه الدول في حدِّ ذاتها، فالمسألة هنا معقَّدة ومتداخلة ومتشابكة.

فقد جاء في وصف العلواني طبيعة العلاقات العربية والإيرانية وعلى وجه التحديد العلاقة مع العراق ب[2]:

- الحديث عن طبيعة العلاقات العربية والإيرانية وتاريخها، والأسس الحاكمة، فهي في الحقيقة لها تاريخ طويل، منذ أيام الأمويين والعباسيين.
- وقد أدرك رجال العهد الملكي هذه الحقيقة، ولذلك لم يسمحوا بتأزُّم المواقف ووصولها إلى مرحلة الانفجار، صحيح أن هناك مشكلات حول قضايا في الحدود وعلى مستوى

1 – انظر:طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص173 بتصرف.

2 – راجع:طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص173إلى179.

شط العرب، وعلى مستوى المياه وضم عربستان [1]، الغنية بالبترول إلى إيران.

- وهكذا سارت الأمور إلى حين انتصرت حركة مصدق[2].
- وقد كان الإيرانيون ينظرون إلى العراق نظرة المسلمين إلى للحرمين.
- وقد قام الشاه في مرحلة صدامه مع الخميني ومؤيديه من الأئمة الشيعة بنقل المرجعية الدينية من إيران إلى العراق ممثلا في شخص السيد محسن الحكيم (ت1970م).
- وبعد مدحه للعهد الملكي في نجاحه في وجود سياسة حكيمة متوازنة، مستلهمة دروساً وعبراً من التاريخ.
- غير أنَّه يُرجع سبب التأزُّم في العلاقات الإيرانية العراقية للسياسات الاستعلائية لشاه إيران محمد رضا بهلوي، الذي أدت سياسته لتأليب كل من حوله عليه الصديق قبل العدو، وقد تسلَّم قيادة إيران في أعقاب هروب الإمام الراحل الخميني، حيث افتتح هذا الأخير صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين، يقودها علماء الدين وبعض التكنوقراطيين، بقيادة (الولي الفقيه)، محاولاً الانفتاح على العالم العربي والإسلامي بطريقة الداعية
- كما حاولت قيادة الثورة الإسلامية التَّقرب من العرب، لكن الخوف من هاجس تصدير الثورة وقف حاجزاً مانعاً، ومن ثمَّ فتح صفحة لا يمكن وصفها بالود بين العرب وإيران.

1- عرنستان: هي إمارة عربية تسكنها قبائل ظلّت حتى العشرينات من القرن الماضي تخضع لشيخ العرب. وتقع في السهول الرسوبية التي كوّنها نهرا مارون والكرخة وروافدهما وتعرف أيضا بولاية الأهواز، وتبلغ من المساحة تسعة وثلاثين ألف ميل مربع، يحدُّها من الشمال سلسلة جبال لرستان ومن الجنوب الخليج العربي ومن الشرق سلسلة جبال كردستان ومن الغرب جمهورية العراق، أغلب سكانها قبائل البدو الرحل والأغلبية الساحقة عرب؛ لهذا سميت عربستان أي بلاد العرب. انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراقية. (مرجع سابق)، ص 174وحيسن خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي.ج3 (لا.ط؛ لا.م: لا.ن،1962م)، ص86.

2 – محمد مصدق هو أحد رجالات إيران البارزين خلال العصر الحديث. واجه الأطماع الإمبريالية في إيران، فأمَّم ثروتها النفطية. إنَّه رئيس وزراء إيران الدكتور محمد مصدق. دانيا يوسف، "محمد مصدق...الرجل الذي فتح الطريق أمام استيراد الشعوب لثروتها الوطنية "بحث منشور في مجلة أخبار الدنيا (https://www.aldonyanews.com)، أوت/ 22/ 2019م.

فالعالم بأسره والغربي خاصة مُصاب بفوبيا الإسلام، وشديد الحساسية من كل مسمى إسلامي، لذا تراه ينفر منه لمجرد الاسم. **يقول الرئيس الأمريكي جيمي كارتر في مذكراته:** "عقدنا العزم على القضاء على الثورة من خلال انقلاب عسكري إذا أمكن، أو احتوائها وحصرها ضمن الحدود الإيرانية وجاءت الحرب العراقية الإيرانية لخدمة هذه السياسة".[1] ويبدو أنَّ صدام حسين قد تطوَّع لتنفيذ هذا المخطط الغربي، غير أنَّه في الحقيقة لا يتحمل وحده تبعيَّة تلك الحرب الضروس، فالأوضاع الإيرانية الداخلية تتحمَّل جزاءً من المسؤولية في ذلك[2].

الفرع الثاني: العلاقات الإيرانية في العهدين الملكي والجمهوري.

لم تكن إيران **راضية طيلة العهد الملكي عن علاقاتها بالعراق،** لكنَّها كانت تقبل بها على مضض، **فإن نوري السعيد**[3]استطاع بحنكته وسياسته أن يأخذ من إيران أكثر مما يُعطيها في الحدود وفي شط العرب وفي غيرها[4].

وعندما جاءت الثورة وحكم العسكريون، تغيَّرت البرامج العسكرية إذ بُنِيَت على أساس أنَّ **الاعتداء على العراق المتوقع لابد أن يمُرَّ بإيران،** سواء كان منها أو من السوفيات، كما أنَّ موقف الشاه تغيَّر في العراق بعد أنَّ فقد من يُتقِنُ التَّفاهم معهم، فبدأت مشاكل الحدود تتعاظم

1 – طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، هامش ص180و181.

2 – راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص181.

3 – نوري السعيد: رئيس الوزراء في العراق لأربعة عشرة مرة في الفترة مابين1930م و1958م، عرف الذكاء والمكر، لعب أدوار مهمة في العراق وخارجها، خاصة أيام حلف بغداد. راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (المرجع نفسه)، ص183إلى185.وعبد النبي الشعلة، "نوري السعيد وخطيئة حلف بغداد" صحيفة البلاد الإلكترونية، البحرين: الأحد 17 فبراير 2019.

4 – راجع: جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص186.

كما برز الدَّور الإيراني الشاهنشاهي[1]في دعم ثورة الملَّا مصطفى البارزاني[2]عندما اختلف مع عبد الكريم قاسم. **وعلى عهد عبد الرحمان عارف عقد هذا الأخير اتِّفاقاً مع المُلَّا مصطفى** كما قام بزيارة للشاه الذي احتفى بزيارته حفاوة بالغة، بفضل هذه التحركات تحسَّنت **وانتعشت العلاقات للبلدين**[3].كما تجدر الإشارة في هذه الفترة بأنَّه وبفضل الدعم الخارجي (الإيراني السعودي) والتَّشاور مع الفئات العراقية في الداخل، **قد أصبحت الظروف مهيَّأة لأن يستلم حزب البعث السلطة في العراق**، ففي السابع من عشر من تموز/ يوليو 1968م انقلب حزب البعث بقيادة عبد الرزاق النَّايف وإبراهيم الداوود[4]، **وأدخلا البكر ومجموعته**

---

1 – الشاهنشاهي:نسبة لرضا خان أو رضا ميرينجه في اسمه الأول قبل أن يتوج شاها، وقد نجح بفضل مساعدة قوى داخلية وخارجية، في قيادة انقلاب عسكري ناجح ضد العرش القارجي في1921/02/21م. آمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين الثورتين(1906م–1979م). (لا.ط؛ الكويت: عالم المعرفة، أكتوبر1999م)، ص46.

2 – ثورة الملا مصطفى البارزاني في العام 1931 بدأ الملا مصطفى قيادة البيشمركة، وطالب بالحقوق الكردية في الإدارة والحكم الذاتي، ولكن البريطانيين كانوا يرفضون التجاوب مع مطالبه، واندلعت حرب طويلة تزامنت مع الحرب العالمية الثانية، حتى أعلن رئيس الوزراء نوري السعيد موافقته على عقد اتفاقية مع البارزاني، وقدم البارزاني إلى بغداد في العام 1943 ليحقق شروطه مع حكومة نوري السعيد، وبعد توقيع المعاهدة، استقال السعيد بأوامر بريطانية لإجهاض التفاهم مع الكرد، وتم إلغاء ما تم الاتفاق عليه مع البارزاني. إبراهيم الجبين،" الملا مصطفى البارزاني السياسي المحارب.. الأيقونة والإرث واللحظة الكردية"، موقع العرب، (https://alarab.co.uk) الأحد 2013/12/01م.

3 – راجع: جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق. (مرجع سابق)، ص 186إلى 188.

4 – النايف: عبد الرزاق النايف.. قائد انقلاب 17 تموز 1968م ولد عبد الرزاق سعيد النايف في مدينة الفلوجة العام 1934.. وتخرج ضابطاً في الكلية العسكرية ببغداد العام 1953.. ثم عمل مدرساً في الكلية نفسها.. ونقل الى قوات المشاة.. ونقله عبد السلام عارف إلى الاستخبارات العسكرية.. درس أساليب الاستخبارات في بريطانيا وعاد إلى العراق العام 1964... اغتيل النايف في لندن1978م. هادي حسن عليوي،"عبد الرزاق النايف.. قائد انقلاب 17 تموز 1968"موقع كتابات، (https://kitabat.com)، الثلاثاء 03 آذار/مارس 2020م.إبراهيم الداوود: إبراهيم الداوود..... الرجل الثاني في انقلاب 17 تموز 1968، لد إبراهيم عبد الرحمن الداوود العام 1932 في قضاء هيت في محافظة الأنبار.. وهناك مصادر تشير إن تاريخ ولادته العام 1929.. أكمل دراسته في مدينة الرمادي.. دخل الكلية العسكرية العام 1949. هادي حسن عليوي،" إبراهيم الداوود..... الرجل الثاني في انقلاب 17 تموز 1968"موقع كتابات.(https://kitabat.com)،الخميس 05 آذار/مارس 2020م.

القصر الجمهوري، وتَمَّ اعتقال عبد الرحمان عارف وترحيله لتركيا، وأُعلن عن تعيِّين **أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية**[1].

المطلب الثاني: التَّعاون مع طهران ضد حكومة البعث ببغداد.

الفرع الأول: الأحداث التي وقعت بعد استلام حزب البعث السلطة[2]:

أولاً: رواية العلواني للأحداث التي وقت بعد استلام حزب البعث السلطة.

يروي العلواني الأحداث التي وقت بعد استلام حزب البعث السلطة ودور إيران حينها:

- أُبلِغتُ بأنَّ السفير الإيراني في سويسرا ويدعى علي بيرستا قد وصل بغداد، وأنَّه يريد أن يلتقيني رفقة السّيد الرَّاوي[3]في منزل هذا الأخير.
- فالتقيناه فقال لنا بأنَّ إيران قد أخذت على عاتقها بالتَّفاهم مع دول غربية وعربية مهمة الإطاحة بنظام البعث، لأنَّه لم يعد قادرًا على تنفيذ ما تمّ الاتفاق حوله، وأشار بأنَّ التَّحرك المطلوب يتخذ شكل ثورة شاملة لا صورة انقلاب عسكري.
- فطلبنا منه مُدَّة ووقتاً للإجابة ولم نكن ندري حينها شيئاً عن مشكلات إيران مع العراق، خاصة مشكلة شط العرب والمشكلات الحدودية الأخرى.
- كما كنَّا لا نعلم باتِّفاق عام 1967م ما بين المرجعية الشيعية بقيادة السَّيد الحكيم، وقيادة الثورة الكردية والقاضي بأنَّ يتعاون الفريقان لتحرير العراق من النظام القائم.
- لكن بعد حين أُدرِكت النزعة الطائفية المتحكمة في السياسية الإيرانية.

---

1 – راجع:جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص194إلى

2 – راجع:جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص194إلى 196.

3 – عبد الغني الراوي هو اللواء الركن السيد عبد الغني بن محمد سعيد بن عبد الغني بن محمد(الشافعي الثاني) الراوي ولد ببغداد السلام في كانون الأول(ديسمبر)من عام 1919م،ينتمي لبيت بغدادي مشهور في العلم والدين،يرجع نسبه للإمام الحسين، ووالده العلامة الجليل السيد محمد سعيد المدرسة الشرعية وصاحب المؤلفات في الفقه والقضاء والعقيدة السلفية كان له دور رئيس في مقاومة الأنجليز وتم سجنه ونفيه إلى الهند،وفاته يوم الاثنين غرة صفر 1433 للهجرة 2011/12/26 في الرياض ودفن ببقيع المدينة.محمد بن قاسم الرماح،" عبد الغني الراوي "موقع معرفة(aref.org https://www.m)،27 يونيو 2013،13:01.

- لهذا سارع الملَّا إلى شمال العراق واتَّصل بالقيادة البعثية وانقلب على الإيرانيين، فغضب الإيرانيون وانتقموا منه في اتِّفاق الجزائر بين صدام والشاه في آذار عام 1975م.
- فانهارت الحركة الكردية ولجأ البارزاني وبعض من قيادته إلى أمريكا، وبقي فيها حتى تُوفي ودُفن في المنطقة الكردية عام 1979م.

ثانياً: موقع العلواني من هذه الأحداث[1]:

- وفي تلك الفترة **تشاور العلواني مع الإخوة في المنظمة العسكرية الإسلامية** في كيفية المغادرة إلى طهران، ففضلوا السَّفر عن طريق شمال العراق والبقاء في كردستان مع الإخوة الأكراد ريثَما يَتِمُّ التَّوصل إلى اتِّفاق تفصيلي مع إيران.
- فسافر إلى شمال العراق-عبد الغني الرَّاوي وعبد الغني شندالة-وقد اضطرا لأخذ العلواني معهما خوفاً من أن يُفشي بإخبارهم في حال تَمَّ القبض عليه.
- لكنَّ العلواني عاد بعد ذلك إذ لم تتهيَّأ لهم فرصة للخروج، وخوفاً من أن يُكتشف غيابه-في الكلية العسكرية-بالإضافة إلى تشكُّك البعثيين فيه وعدم ثقتهم به.
- فعاد إلى العراق في حين غادر الرَّاوي ومن معه الحدود العراقية، وقد بدأ الضغط يشتَّد على العلواني لأجل المغادرة حتى يتسنَّى لهم الإعلان عن الثورة.

ثالثاً: العلواني يمرُّ بفترات حرجة خلال هذه الأحداث.

بعد أن اشتَّد الضغط على العلواني، شعر بحرج ومشقة مما اضطرَّه للقيام بخطوات سريعة ومُنضبطة تجنَّباً للوقوع في أيدي البعثيين وفق الخطوات التالية[2]:

- تقدَّم بطلب إجازة من قيادته بحجَّة أنَّه ينبغي التَّوجه إلى مصر، لأنَّ حصوله على شهادة الماجستير يتوقف على سفره لعدة أيام، فتمَّ له ذلك رغم محاولة تأخيره بحجَّة أنَّه سيُرقَّى في احتفالات الرابع عشر من تموز.

1 - راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص198و 199.

2 - راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص 199و200و202.

- فغادر العلواني العراق بأقصى سرعة، بعد أن أتَمَّ أعماله التدريسية في الكلية وقد وجَّه ألذع انتقاداته لحزب البعث في آخر تلك المحاضرات، كما حذَّر تلاميذه من أن ينتموا له أو لأيِّ جهة انتهازية.
- وقد كانت مغادرته مساء السادس والعشرين من يونيوا/ حزيران عام 1969م.وأقلعت الطائرة به بعد بعض من الإجراءات التَّعسفية، ومن حينها ولم تكتحل عينَّاه برؤية العراق إلى يوم2015/02/15م.
- ولم يكد يمرُّ سوى يومين فقط حتى أرسلوا من يبحث عنه في الكلية الحربية لاعتقاله، ولما علموا بسفره إلى مصر أرسلوا كذلك من يبحث عنه في كلية الشريعة، لكنَّ الله سلَّمه فلم يعثروا له على عنوان بمصر، وأخبروهم بأنَّه مقيم في العراق.

يصف العلواني حالته عندما حلَّقت به الطائرة نحو مصر[1]؛ وما إن أقلعت الطائرة حتى تنفَّستُ الصُعداء، ونطقتُ بالشهادتين وأيقنتُ أنَّ من يكتب الله له النَّجاة فلن يستطيع أحد أن يضرَّه بشيء وتساءلت في نفسي كيف سهلَّ الله لي السَّفر بهذا اللطف الخفي، فلم ألجأ للتخفي كما فعل الرَّاوي ومن معه، والحقيقة أنَّني كنت أتوقَّع أن تعاد الطائرة إلى بغداد وهي محلقة في الجو لأجل القبض عليَّ. وهذه من عناية الله ـ تعالى ـ التي ترقبه وترعاه فتأخذ عنه الأبصار، ويكلؤه برحمات اللطف وجنبات الستر.

ويُبرِّر العلواني سبب تعجيله السَّفر:

- بأنَّه يعود إلى خوفه على أعضاء المنظمة العسكرية، لأنَّه لا أحد يعرفهم سواه، ولعلَّه يفضحهم لو قُبِضَ عليه وعُذِبَ[2]بالإضافة إلى أنَّ أحد طلابه وأقاربه أخبره بأنَّه قد نُوقِشَت أسماء معينة في اجتماع اللجنة العسكرية لحزب البعث برئاسة طه ياسين رمضان ، وأنَّه تقرَّر تصفية أشخاص هو واحد منهم، وذلك في غضون أيام قليلة.
- وحينها عرض عليه تهريبه إلى سوريا، لكنَّ العلواني شكره وقال له سأتدبر أمري.

---

1 – راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص202.

2 – راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص 1999إلى 2003.

رابعاً: عودة العلواني إلى إيران[1]:

- في الرابع عشر من تموز1969م سافر العلواني من مصر إلى إيران، بعد أن حلَّ بلبنان حيث التقى بالأخ عبد الرحيم الإرحيم صديقه، الذي شجَّعه على لقاء السَّيد خليل كنّة[2] في فيينَّا.
- ففعل حيث كان يتمتع السَّيد خليل كنّة برؤية وفهم كبيرين لما يجري؛ لعمله السياسي الطويل أيام العهد الملكي، وهو الذي أشار عليه بالذهاب لطهران، كما طلب منه دعوته لالتحاق بهم حال سير الأمور في الاتجاه الصحيح.
- وعند وصول العلواني إلى طهران التَّقى بالرَّاوي والنَّايف، فحاول رَأَّبَ الصدع الذي بينهما، وقد أبدى النَّايف استعداده للتعاون بصدق.
- ولكن حين بدأت اللقاءات بين الإيرانيين والعراقيين أُستُبعِد منها العلواني.
- وقد أخبره النَّايف أنَّ السَّبب في ذلك يعود لمعرفة الإيرانيين بضعف شخصية الرَّاوي لذا فضلوا الانفراد به، وأنَّ لهم مطامع في العراق لكنَّ الحاجة تدعو لمسايرتهم حتى يتخلصوا من البعثيين وبعد ذلك لكل حادث حديث.

الفرع الثاني: أخذٌ وردٌّ في إيران وجذور المحاصصة الطائفية.

بعد أن تكشَّفت نوايا الإيرانيين للنَّايف وجماعته وقع شرخ في المفاوضات أدى إلى[3]:

- مغادرة النَّايف إلى لندن وانقطاع العلاقة بينه وبين الإيرانيين.

1- راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراقية.(مرجع سابق)، ص203إلى206.

2 - السيد خليل كنة :1910م/1995 م هو الذي تبوأ مناصب وزارية مهمة منها تسلمه منصب وزير المعارف (التربية) ومنصب وزير المالية. كما تولى رئاسة مجلس النواب في 15 كانون الأول سنة 1957 فأصدر عن أعماله التي قام بها في المجلس كراسا بعنوان:(خطاب في الجلسة التي عقدها مجلس النواب 29 أيار 1958).

ابتدأ حياته السياسية بعد أن أكمل دراسته الجامعية في الجامعة الأميركية ببيروت، مؤيداً لجماعة الأهالي اليسارية ومعارضاً لمعاهدة 1930م الجائرة بين العراق وبريطانيا وألقي عليه القبض مع عدد من زملائه وكان آنذاك طالباً في كلية الحقوق.

بدون مؤلف،" خليل كنة ... قصة حياة سياسي عراقي من العهد الملكي" الكاردينيا(www. algardenia.com/

https://)، تاريخ الاثنين، 16 كانون2 /يناير 2017 21:03.

1- راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص206إلى 212.

- في حين واصل الرَّاوي لقاءاته معهم بعد أن أوهموه بأنَّه رجل المرحلة القادمة.
- في حين عجز العلواني على إقناعه بكذبهم، كما لم يفلح في إقناعه بضرورة مغادرة إيران إلى شمال العراق حتى يكون لهم فيه مقرٌّ خاص بهم، وبذلك تخف عليهم ضغوط طهران.
- ومضت أشهر والإخوة يتمتعون في طهران، في حين اتَّخذ العلواني قراراً بعدم أخذ أي شيء من الحكومة الإيرانية.
- واستمرَّ الحال على ما هو عليه إلى أن جاء يناير/ كانون الثاني 1970م حيث أذاعت بغداد انكشاف مؤامرة تدبرها طهران بالتعاون، مع بعض الأطراف العراقية لأجل قلب نظام الحكم، وأنَّ مجلس قيادة الثورة قد شكل محكمة لحوالي مائتي شخص تمَّ إعدامهم على يومين أو ثلاثة.
- وفي الحقيقة قد تسرَّب أمر الانقلاب إلى بغداد منذ فترة، لذا أرسل عبد الرحيم الإرحيم في حينها رسالة تحذير للعلواني والتي لم تصله لوقوعها في أيدي الإيرانيين، إذ لو وصلت له لكانت قد خفَّفت من حجم الكارثة.

يعلِّق العلواني على أنَّه لو كُتب النَّجاح للمحاولة الانقلابية، فهي عنده أشبه بالطريقة التي جرت فيها الملابسات التي اشتملت عليها العملية التي مهدَّت لكل ما جرى سنة 2003م، فقد جرى التَّفكير حول محاصصة العراق، وضرورة أن يحكم الشيعة العراق، وتقسيم أجهزة الدولة ومؤسساتها بين الطوائف الثلاث الشيعة والأكراد والسُّنة، بما في ذلك محاصصة الجيش[1]

ثانياً: مغادرة العلواني طهران وعودته المؤقتة لها:

1- مغادرة العلواني طهران إلى السعودية كمايلي[2]:

- لأداء مناسك الحج، بعد حصوله على موافقة الإيرانيين، واعتذارهم له، لعدم أخذهم بآرائه، وطلبوا منه العودة إلى إيران قصد مناقشة المحاولة السابقة وتصحيح الأخطاء التي وقعوا فيها، وحتى لغرض الاستفادة منه عند الحاجة.

---

1 - راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص217.

2 - راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص218إلى222.

- لكنَّه تأسَّف منهم لعزمه على اعتزال العمل السياسي وتفرُّغه لمناقشة الدكتوراه، وأن يعمل بعدها أستاذاً بإحدى الجامعات.
- كما صرَّحوا له بأنَّ الرَّاوي لم يكن الرجل المناسب لتلك المسؤولية.
- فأخبر العلواني الرَّاوي بكل ما قاله الإيرانيون وحذَّره من أن يخضع لهم.
- وصل العلواني من طهران إلى المملكة، فأحسن السعوديون استقباله وأخبروه بأنَّ الإيرانيين قد استوصوا به، كما عقدوا معه لقاء حول أحداثه في طهران ليُرفع تقرير بذلك لجلالة الملك.
- كما التَّقى في موسم الحج ببعض أعضاء المنظمة العسكرية الإسلامية ومنه عبد الرحيم الإرحيم، وشرح لهم العلواني كل ما صادفه في طهران.
- واتَّفقوا على عودته إلى طهران للتَّفاوض معهم مجددًا، حول إمكانية إعادة الكَرَّة بطريقة جديدة.
- على أن يتم التَّفاهم مجددًا مع الملَّا مصطفى البارزاني، إذ كانت وجهة نظرهم بأنَّه لا أمل في تغيير العراق، إلاَّ بتعاون إيراني كردي مع الفئات العراقية الأخرى.
- لذا خوَّلوه مهمة التَّفاوض مع الإيرانيين بأنَّ يتكلم باسم الحركة الإسلامية العراقية وحركة الأنصار، كما حدَّدوا نقاطاً واتَّفقوا حولها تُقَّدَمُ كمطالب للإيرانيين، فإن قبلوا بها حضر البقية إلى طهران وإن رفضوها، فيجب مغادرة العلواني والتَّفكير في حل آخر.
- وبكى العلواني بكاء مرًّا عند الكعبة قُبيل مغادرته إلى طهران، لأنَّه أحسَّ وكأنَّه يساق إلى الموت، كما بلغه نبأ إصدار حكم الإعدام عليه وعلى النَّايف من طرف حكومة البعث، وأنَّ صوَّره قد وُزِّعت للبحث عنه، وبلغه كذلك اتَّفاق الملَّا البارزاني مع نظام البعث.

2- عودة العلواني إلى طهران من السعودية كمايلي[1]:

1- راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص222 إلى 225.

- عندما وصول العلواني إلى طهران التَّقى مندوب الملَّا البارزاني في طهران، الذي أبدى قناعته بأنَّ الصلح الذي بينهم وبين البعثيين لن يستمرَّ طويلاً.
- كما توقَّع بأنَّ الملَّا قد ينقضه إذا اطمأن بأنَّ الإيرانيين لن يكرِّروا أخطاءهم مرَّةً ثانيةً.
- كما أخبره العلواني بالجديد الذي عنده، ثم التَّقى العلواني بعده بالقيادة الإيرانية وأخبرهم بما عنده من جديد لحركة الأنصار[1].
- فأجابوه بقبول الفكرة ولكنَّهم في حاجة لبعض الوقت حتى يُمكِنَهُم رصد الأخطاء السابقة، كم أكَّدوا له بأنَّ إقامته هذه المرَّة ستختلف عن السابقة، التي كانت أشبه ما تكون بإقامة جبرية، إذ أنَّهم سيوفرون له فرصة التَّعامل مع العلماء والطلبة.
- وفعلاً بعد أسبوع واحد وُجِهَت له دعوة-اعتبروها تكريماً له-للقاء الفريق نصيري، فذهب له العلواني وأخبره بما جاء من أجله.
- وانتهى اللقاء على أنَّهم لا يرغبون في الوقت الحالي بأن يقوموا بأيِّ نشاط ضد العراق قبل أن يراجعوا الأخطاء الماضية.
- فغادر العلواني بعد أن قضى في طهران خمسة أسابيع، وقد رَفَضَ عرضهم المغري بالبقاء في طهران وأن يعمل أستاذاً جامعياً براتب جيد.
- ووصل المملكة وأخبر أصحابه بنتيجة اللقاء.
- وقد عزم العلواني بعدها ألا يعاود إيران مرَّةً أخرى في عهد الشَّاه.
- وقد اتَّفق مع جماعته بعد نقاش حول ردِّ إيران، على أن اعتذارها على التَّعاون معهم مردُّه إلى كون هذه العناصر تنتمي للسُّنة، وقد قَدَّم العلواني رسالةً تفصيلية للملك بنتائج رحلته.

1- حركة الأنصار:هي تنظيم أُسِّس على اندماج المنظمة العسكرية الإسلامية بقيادة الشهيد محمد فرج وعبد الغني الرَّاوي وطه بمجموعة الموصل والتي كان محورها عبد الرزاق السَّيد محمد والأخ عبد الرحيم الإرحيم وقد صدر عنها ميثاق راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، هامش ص 222و223.

- إذ وافقت تحليلاته تحليلات الملك فيصل، بأنَّ الإيرانيين يضغطون على النظام العراقي من أجل مصالحهم فقط ولا يهمهم مصلحة العراق والعراقيين.
- وقد كان الملك فيصل ودوداً معه وعرض عليه العمل في إحدى جامعات المملكة، لكنَّ العلواني رفض عرضه كذلك حتى لا يعتقد أحد أنَّ الوساطة، هي التي وظَّفته.
- واعتذر بأنَّه يريد أن يُكمِل دكتوراه في مصر، وبعدها يفكر في العمل.

3- **من السعودية إلى مصر.**

دأب العلواني على الحركة والتنقل من أجل الاستزادة في العلم والتجربة، فقد أخذه الشوق والحنين لدروس العلم في ميدان الأزهر الشريف[1]:

- فتوجَّه إلى مصر ومكث فيها حتى حصوله على الدكتوراه سنة 1973م، وقد قضى قبلها مدة تسعة أشهر بين لبنان وتركيا والرياض، وقد قُدمت له عدت وساطات وخدمات.
- من أهمِّها استعماله لجوازي سفر أحدهما بجنسية فلسطينية والثاني بجنسية يمنية.

في مسألة **رفض العلواني لعروض الإيرانيين** وكذا رفض عرض الملك فيصل؛ دلالة واضحة على **مدى التَّجرد للفكرة والإخلاص لها**، والنَّظر نحو تحقيق غايات السماء والتَّعالي والزهد في سفاسف الدنيا؛ وهذه إحدى مميزات شخصيته المكتملة والتي ينبغي لكل داعي الاقتداء بها، والاستفادة منها لتكوين النموذج المطلوب.

المطلب الثالث: التحول من العمل السياسي إلى العمل الدعوي والتدريس الجامعي.

الفرع الأول: إقامته في السعودية وعلاقته بالشيخ ابن باز.

أولاً: العودة إلى السعودية والإقامة المطولة بها.

دفعت الضرورة بالعلواني للعودة مرَّة ثانية للمملكة السعودية، والاستقرار بها لمدة تتراوح عشر سنوات، **يقول مولود عويمر**:"لقد اضطر الدكتور العلواني لمغادرة العراق بعد

1- راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص226 إلى 229.

اختلافه مع النظام السياسي الجديد، والتحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، فدرَّس فيها الفقه وأصوله لمدة عشر سنوات (1975م-1985م)[1] ".وقد تحصلَّ حينها على الدكتوراه بعد أن أبلغ الإخوة السعوديين برغبته في اعتزال السياسة، غير أنَّه كان من حين إلى آخر يوجه النَّقد أو الرأي إذا لزم الأمر، إلى بعض المسؤولين في السلطة وخاصة سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية — آنذاك- الذي اعتبره صديقاً.

ثانياً: توطد العلاقة مع الشيخ ابن باز[2]:

الحقيقة تقال بأنَّه يتعذَّر على أحد يوجد في المملكة في تلك الفترة، لا يسعى إلى لقاء عالمها الأكبر الشيخ الراحل عبد العزير بن باز.فلقي العلواني ابن باز وتوثَّقت صلته به وقد شعر العلواني بمودته له، وصار يوجه نصيحته أحيانا عن طريقه، في حين كان ابن باز لا يتردد ويحمل النصيحة إلى الملك أو غيره ويستشيره من حين إلى آخر، ومنها استشارته حول ضرورة رأب الصدع بين قيادات الجهاد في افغانستان، وأنَّه قد رشحه ليكون أحد أعضاء البعثة المكلفة بذلك، فخالفه العلواني في الرأي بأنَّ الجهاد في افغانستان ليس اختياراً إسلامياً، بل أُستُدرج إليه الإسلاميون، وفي الحقيقة هو مجرد صراع بين الدول الكبرى، فصُدِم بن باز بما قال العلواني وناقشه طويلاً، وقدم له ذلك حتى وإن كان يرفضه.

ورَّأي العلواني حول حقيقة الجهاد في افغانستان تكشَّف صوابه مع مرور الأيام، وثبتت سذاجة العقل المسلم وانسياقه التَّام للعاطفة، وعجزه عن استيعاب المخططات الغربية، ناهيك عن قدرته على المواجهة والتصدي.

وللعلواني موقف آخر مع ابن باز وكان ذلك يوم أن نجحت الثورة الإسلامية في إيران سنة1979م، ثُم بدأ صدام الحرب ضدَّ إيران. وهنا يستعرض العلواني موقفه من الثورة الإيرانية ومن الحرب العراقية الإيرانية حيث يرى أنَّ الكثيرين من الخليجيين ساندوا صدام علناً بالمال والسلاح لأسباب أهمها[3]:

---

1 – مولود عويمر،" هل يموت من ترك وراءه كل هذا التراث؟ يرحل الرجال، وتبقى أعمالهم!".(مرجع سابق).

2 – راجع جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص229إلى232.

3 – راجع: جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص232 و233.

1-إضعاف القوتين الإقليميتين-العراق وإيران-بضربهما مع بعضهما البعض، الأمر الذي يدعم البلدان الخليجية الصغيرة والتي قد تكون مطمعا للقوى الإقليمية.

2-دور الأطراف الخارجية.

3-صدام كان يريد أن يلعب دوراً أساسياً في المنطقة كمدافع عن العروبة، وناصراً للتَّقدم والحضارة وخصماً للرجعية، خاطباً بذلك ودَّ الغرب في الرضى على حكم البعث في العراق، ليُتَّخذ منه بذلك شرطياً للمنطقة بدلاً من شاه إيران.

4-التَّركيز على أنَّ إيران تعمل على تصدير الثورة إلى العالم الإسلامي، بهدف تدمير المصالح الغربية أو تهديدها، وهذا يتمَّ عن طريق تكريس فارسية إيران وأنَّ إسلامها هش وقشري وصفوي، ينال من أصحاب الرسول-صلى الله عليه وسلم-وزوجاته، ومن ثَمَّ عزلها قومياً ومذهبياً وتحريك الأقليات والعرقيات داخلها من عرب وكرد وتركمان للدخول في حرب أهلية تسقطها في نهاية المطاف.

والسّنوات التي **قضاها العلواني في المطبخ السياسي العراقي**، أَتَت أُوكلها في قراءة المشهد السياسي والوقوف على حقيقة الصراع الدائر حينذاك في المنطقة. وبدافع من غيرته الإسلامية وبعد إدراكه لخطورة الموقف رأي من الضرورة التَّحرك، **فسافر إلى جدة حيث السِّفارة الإيرانية**، لكنَّه لم يستطع الدخول إليها إذ أُحيِطت بحرس شديد وشهباً، فعاد إلى الرياض غير أنَّه استطاع تدبير لقاء السفير الإيراني لكنَّه في الكويت، **وقد بلَّغه العلواني بخطورة الموقف الذي تُستَدرَجُ له إيران بواسطة صدام حسين**[1]، "حيث بدا صدام حسين كمن يحلم بتفكيك إيران وشطب هذا الخطر مرَّة واحدة" [2].

وبالرغم من **فشل محاولة العلواني لإيقاف فتيل المعركة** إلا أنَّه لم يفقد الأمل وبذل قُصارى ما يملك حتى يُجنِّب المنطقة حراباً الرابح فيها خاسر[3]:

1- راجع:جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراقية.(مرجع سابق)، ص234 و235.

2 -غسان شربل، العراق من حرب إلى حرب (صدام مرَّ من هنا).(لا.ط؛ لا.م: نسخة مجمعة من جريدة الحياة،2010م)، ص7.

3 - راجع: جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص234 و235.

- فبعد أنَّ استبعد السَّفير الإيراني تحذير العلواني بشكل لا يخلو من الغرور والاستعلاء، مما أصاب العلواني بخيبة أمل من ردِّه.
- ولكنَّه ترك له رسالة طلب منه أنَّ يوصلها كأمانة للإيرانيين. ولم يدر العلواني بعدها هل وصلت الرسالة للخميني أم لم تصل.

وعلى أيَّة حال لم تمض إلا أشهر قليلة، **حتى أعلن صدام الحرب على إيران**. فلمَّا طال أمد الحرب **رَغِبَ الملك فهد أن يدعم صدام** بما هو أكثر من السلاح والمال، **فعقد مؤتمراً إسلامياً كبيراً برعاية رابطة العالم الإسلامي**، وطلب منهم إصدار بيان يتضمَّن أنَّ **صدام قد جنح للسلم وطلب الصلح وأنَّ الخميني رفض الصلح**، كي يُظهر الخميني في موقف الفئة الباغية، وقد اسبق ذلك برسالة من ابن باز إلى الخميني يطالبه بقبول الصلح[1].

وقد برز للعلواني دور هام في هذه الأثناء[2]:

- فعند إعداد الرسالة **طلب ابن باز من العلواني مساعدته في ذلك**.
- إلاَّ أنَّ **العلواني اقترح عليه كتابة رسالتين لتُرسَل للطرفين المُتنازعين**، لعلم العلواني بأنَّ الذين كلَّفوا ابن باز بهذا الأمر، يعلمون مسبقا **بأنَّ الخميني لن يستجيب**، وبذلك يمكن وصفه بالباغي فينطبق عليه قوله تعالى:﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات:09] ، فاقتنع ابن باز بوجهة نطره:
- وهكذا عكف العلواني على كتابة الرسالتين وقدَّمهما للشيخ ابن باز، ولم يصحح فيهما إلاَّ شيئاً يسيرًا.

---

1 – راجع: جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص235و236.

2 – راجع: جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(المرجع نفسه)، ص236و237.

- كما طلب منه العلواني بأن يكلِّف أمين رابطة العالم الإسلامي-عبد الله النصيف-بحمل الرسالتين، لخوفه من عدم وصولهما.
- فأوصل ابن باز الرسالتين، ورُفض مقترح العلواني حينها.
- وقد أُعجب ابن باز برأي العلواني ورجاحة عقله وتجربته.

وهكذا **صدق حدس العلواني**، فلم تمض فترة حتى أُنعُقِد مؤتمر ثانٍ لرابطة العالم الإسلامي وأصدر بياناً، **أُعتبر فيه الخميني من الفئة الباغية**، وتعدى بعضهم ذلك إلى حدِّ تكفيره، مما أدى إلى **زيادة وتفاقم المشكلة لا حلها**.[1]

وبعد كل هذه **الأحداث الجِسام التي مرَّ بها العلواني في حياته**، وقد زاد اقتناعه بعدم جدوى وصول الأحزاب الإسلامية إلى سُدَّة الحكم **إذ يقول في ذلك**: "لا يمكن أن يكون **الوثوب إلى السلطة-وحده-حلًّا لمشكلات هذه الأمة**، ولا يمكن أن يكون هو المنهج المطلوب لإصلاحها، إذ يكون **المطلوب وقتها هو الوصول إلى السلطة فقط** لتطبيق ما لدينا من تراث فقهي على الناس **كان مطبقاً قبل سقوط الخلافة العثمانية** ولم يحمها مما صارت إليه، **ولم تحل سائر المشكلات**"[2]. فقد جعلته يُغيِّر منطق تفكيره وينأى به إلى فتح آفاق جديدة في ظل بيئة أخرى مغايرة تماماً حيث[3]:

- وجَّه العلواني نظره إلى خارج نطاق البلاد الإسلامية، وبالضبط نحو الولايات الأمريكية، بعد أن تشبَّع من الهموم والإحباطات النفسية من جراء المناخ السياسي السائد في المنطقة، والذي بلغ درجة لا تطاق من التَّعفن والفساد، علَّه يجد سلوى ومُتَنَفَّساً يستوعبه ويحقِّق له طموحاته.

1- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص.237.

2 - طه جابر العلواني، أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة.(ط:1؛ مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،1425هـ/2004م)، ص76و77.

3 - انظر:مولود عويمر،" هل يموت من ترك وراءه كل هذا التراث؟ يرحل الرجال، وتبقى أعمالهم!".(مرجع سابق) بتصرف.

- وقد فتح الله-تعالى-عليه بمعية إخوانه الذين شاركوه في تأسيس وإنشاء المؤسسة الفكرية الرائدة المعروفة باسم"**المعهد العالمي للفكر الإسلامي**"[1].وقد ترأَّسه العلواني من عام 1988م إلى سنة 1996م.
- كما شاركوه نفس الهموم وقاسموه الطموحات والآمال.
- ومن بين هؤلاء العلماء والمفكرين؛ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان والدكتور إسماعيل الفاروقي وغيرهما.
- وكذلك أشرف على إصدار مجلة المعهد **"إسلامية المعرفة"** التي أصبحت اليوم من أحسن الدوريات العلمية في العالم.

ويلخص فتحي حسن ملكاوي أهم محطات حياة العلواني بعد خروجه من العراق فاراً من حزب البعث[2]:

- **المحطة الأولى**: عند معارضته الجريئة لنظام حزب البعث فقد أُضطر لمغادرة العراق عام 1969م. يستقرَّ بالسعودية حيث عُين بعد حصوله على الدكتوراه مدرساً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وبقي فيها عشر سنوات.
- **المحطة الثانية**: ثم قرَّر الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتَّفرغ مع مجموعة من زملائه للعمل الفكري ضمن برامج المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وكان عضواً مؤسساً لمجلس أمناء المعهد منذ نشأته.

---

1 – المعهد العالمي للفكر الإسلامي:هو مؤسسة غير ربحية متميزة في البحث التربوي وينصب اهتمامها الرئيسي على إجراء البحوث القائمة على الارتقاء بالتعليم في المجتمعات المسلمة ونشر هذه البحوث من خلال النشر والترجمة والتدريس والتوصيات السياسية العامة والمشاركة الاستراتيجية.تأسس المعهد في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1981 ويقع المقر الرئيسي في هيرندن، فيرجينيا، في ضواحي واشنطن. وهو مستقل عن السياسة المحلية والتوجهات الحزبية والتحيز الأيديولوجي.وقد أقام المعهد روابط تعاون مع بعض المؤسسات والمنظمات في عدد من العواصم في جميع أنحاء العالم من أجل تنفيذ أنشطته وبرامجه.محمد أسامة،"المعهد العالمي للفكر الإسلامي..المشروع والفكرة" موقع إضاءات (https://www.ida2at.com/international-institute-of-islamic-thought-project) 16/05/2015وموقع" المعهد العالمي للفكر الإسلامي"(https://iiit.org/ar).

2 – فتحي حسن ملكاوي في، "رحيل المفكر الإسلامي طه جابر العلواني" منتدى العلماء: السبت جمادى الأولى1437 هـ/5-3-2016م.

الفرع الثاني: مغادرته المملكة السعودية إلى الولايات الأمريكية المتحدة.

كما سبق القول بأنَّ العلواني غادر المملكة السعودية واستقرَّ بالولايات الأمريكية المتحدة، وبدأ في منحى دعوي جديد مُختلف، كان له تأثير على العلواني وعلى زملائه، بل تعدَّاهم للتأثير في الساحة الدعوية.

يتحدَّث فتحي حسن ملكاوي عن مساهمة العلواني في المعهد رفقة زملائه فيقول[1]:

- وربَّما كان التحاقه بمجموعة المعهد حدثاً مهماً ليس له فحسب وإنَّما للمجموعة نفسها.
- فعندما يروي **الدكتور عبد الحميد أبو سليمان** تاريخ تكوين هذه المجموعة ونشأة المعهد. يصف انضمام الدكتور طه العلواني إليها، بأنَّه استكمال للبعد الشرعي في المجموعة.
- وتصف **الدكتورة نادية مصطفى** دور الدكتور العلواني في توجيه فرق البحث في مكتب المعهد بالقاهرة، منذ عام 1986م، بأنَّه نقل فريق مشروع العلاقات الدولية من ميدان العلم الأكاديمي الغربي، إلى عالم الفكر السياسي الإسلامي، ورؤية إسلامية للعالم، قادت خطى الفريق ولا تزال حتى اليوم.
- وقد يكون من الإنصاف أن نُؤكد أنَّه ليس من السهل فصل إسهامات أي عضو من فريق المعهد عن مجمل إسهامات الفريق، **نظراً لأن النَّظام المؤسسي كان يحكم إدارة العمل في المعهد**، ولأنَّ الحوار المتواصل بين أعضاء الفريق وتبادل الخبرات فيما بينهم، من جهة؛ وحواراتهم مع الكثير من رجال العلم والفكر والحركة، من جهة أخرى، **قد شكَّل رؤية مشتركة تتَّصف بالتَّكامل والنضج والغنى**، من جهة أخرى. ومع ذلك فليس من السهل إغفال النَّظر في البصمة الشخصية لكل عضو في الفريق.
- وربَّما يبدأ **حضور العلواني وخبرته في نشاطات مجموعة المعهد**، بصورة واضحة، منذ مشاركته في مؤتمر لوجانو عام 1977م، بحضور ثلاثين من العلماء والمفكرين من

1 –فتحي حسن ملكاوي "الشيخ طه جابر العلواني: عالم ومفكر فقدناه". مجلة إسلامية المعرفة، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد83، السنة الحادية والعشرون شتاء1437هـ/2016م، ص7و8.

أنحاء العالم الإسلامي، وقرار المؤتمر المذكور القاضي بإنشاء المعهد في الولايات المتحدة الأمريكية، والاستعداد للتَّفرغ للعمل الإسلامي الفكري في المعهد.

- ولا شك في أن اجتماع المجموعة في مكان واحد في مقر المعهد بولاية فيرجينيا الأمريكية، اعتباراً من عام 1984، بحضور الكفاءات والخبرات والشخصيات المتنوعة كانت مصدراً غنياً لوضع **كل ما امتلكه الشيخ طه من علم وخبرة في سياق جديد** يتَّصف بأفق إسلامي عالمي ومواجهة مباشرة مع تحديات الفكر الغربي، ومهمة تجديدية في إصلاح الفكر والعلم.
- ففي هذا الاجتماع سوف نجد **الشهيد الدكتور إسماعيل الفاروقي** يقدِّم خبرة غنية في التعليم الجامعي في أمريكا في مجالات الفلسفة والأديان المقارنة.
- وسوف نجد **الدكتور عبد الحميد أبو سليمان** يقدم خبرة أكاديمية متميزة في العلاقات الدولية، ورؤية نقدية للفكر الإسلامي ومسيرته في التاريخ.
- وسوف نجد مجموعة المهندسين الثلاثة، **المرحوم الدكتور جمال برزنجي، والدكتور هشام الطالب، والدكتور أحمد توتونجي**، بما اكتسبوه من العقلية العلمية والعملية، والتفكير الاستراتيجي، والتجارب الإدارية والتنظيمية، والخبرة الطويلة في بناء المؤسسات وضمان استمرارها واستقلالها...
- فمن الممكن أن نقول إنَّ **العقلية الفقهية والأصولية عند الشيخ طه** قد تفاعلت مع هذه البيئة فأخذت الكثير، وأعطت الكثير.
- وتبدأ **مرحلة مميزة في إسهامات العلواني** عندما تقرَّر أن يتفرَّغ **الدكتور عبد الحميد أبو سليمان لإدارة الجامعة الإسلامية العالمية** في ماليزيا، ويتفرَّغ **الدكتور طه العلواني لرئاسة المعهد العالمي للفكر الإسلامي** في فيرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، اعتباراً من عام 1988.

وهنا يصف الملكاوي علاقته بالعلواني[1]:

1- فتحي حسن ملكاوي ،"الشيخ طه جابر العلواني:عالم ومفكر فقدناه".مجلة إسلامية المعرفة،(مرجع سابق)،ص8و9.

- وفي هذه الفترة التي توثَّقت علاقتي الشخصية والإدارية به، فرافقته في السفر والحضر، وأشركني في الأعمال العلمية والإدارية، فرأيت فيه بحق مدرسة في الأدب والخلق والتواضع.
- وعندما انتهت رئاسته للمعهد تفرَّغ لإنشاء جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية وإدارتها، عام 1996م.
- وقدَّر الله أن تكون إقامتي في الولايات المتحدة قريباً من إقامته، فأشركني في التخطيط لبرامج الجامعة، وكان عملي في المعهد يتم بمشورته وينهل من حكمته، فكان أكثر ما رأيت منه هو (**فقه الواقع**) والاجتهاد في تكييف الموقف الشرعي الذي يُحقِّق مقاصد الإسلام في ذلك الواقع.
- وكان من إدراكه لهذا الفقه تأسيسه للمجلس الفقهي الإسلامي لأمريكا الشمالية ورئاسته له، وتطوير رؤية **متقدمة لفقه الأقليات**، وهو فقه يصعب أن يُتقنه من لم **يعايش الأقليات ويعاني معانتها**.
- وكان مما رأيته كذلك حرصه على استشارة أهل العلم ممن قد يكون لهم صلة بالقضية التي تُعرض للفتوى. دون أن ينسى كذلك استشارة علماء الأمة في مواطنهم المختلفة في المجتمعات الإسلامية ومجتمعات الأقليات المسلمة. فكانت فتواه أقرب ما تكون إلى الاجتهاد الجماعي.
- هذا الحرص على استكمال معطيات العلم اللازمة لبيان الحكم الشرعي، كان يوازيه كذلك صفة قد لا تتوفر في العلماء إلا نادراً، وهي **الجُرأة في الجهر بالرأي النقدي والاجتهاد** في إعادة تكييف بعض ما استقرَّ عليه علم العلماء في التخصصات الشرعية، سواءً في تفسير النصوص وربطها بسياقاتها الزمانية والمكانية، أو في إعادة فهم الحكم الفقهي المدون في ضوء حاكمية القرآن وهيمنته.

- كثيراً ما كان الشيخ طه يروي مواقف حوارية مع بعض العلماء من أساتذته وزملائه حول آرائهم النقدية لبعض الأحكام والفتاوى المستقرة، واعترافهم بعدم توفُّر الجُرأة لديهم على البوح بآرائهم خوفاً من تبعات الخروج على المألوف.
- ومن هذه المواقف ما كان يتناوله هؤلاء العلماء من روايات يعود بعضها إلى عهد الصحابة –رضي الله عنهم–ثُمَّ مَنْ بَعدهم من العلماء عبر القرون.
- لقد كان تحفُّظ هؤلاء العلماء في عدم الجهر بآرائهم **إيثاراً للسلامة وخشية التورط في سِجالات مع المحافظين** من أهل العلم، وتحسباً مما قد يثيره التصريح بآرائهم من فتنة.
- والشيخ العلواني حين يروي مواقف هؤلاء العلماء، يتمثل عبارة ابن تيمية في (**رفع الملام على الأئمة الأعلام**). فهو مع أنَّه يعذرهم فيما ارتضوه لأنفسهم، فإنَّه يملك الجرأة أن يصرِّح هو برأيه المخالف، **وينشره محتفياً بالشواهد والأدلة**.
- وكثيراً ما كنت أحاوره في مسألة الجرأة هذه، فيستفيض في إجابته ألماً وحسرة على واقع الأمة، فيرى أنَّ المسألة هي باختصار بيان ما يراه حقاً وعدم الخشية من الناس، ويتذكر قوله سبحانه:﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾[الأحزاب:39] فخشية الناس هي التي أفقدت الفكر والفقه الحيوية، والحركة مع القرآن والحياة، وولَّدت حالة الجمود والتقليد وتقديس التراث، وما نتج عن ذلك من تخلُّف المجتمعات الإسلامية عن مكانة الخيرة والوسطية وموقع القيادة والريادة.

ثمَّ تفرَّغ الدكتور العلواني بعد عام 1996م لإدارة جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بواشنطن(جامعة قرطبة لاحقا) التي تستقطب الطلبة من كل أنحاء العالم الإسلامي[1].

1 – مولود عويمر،" هل يموت من ترك وراءه كل هذا التراث؟ يرحل الرجال، وتبقى أعمالهم!".(مرجع سابق).

المطلب الرابع: تجربته في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(البحث عن الذات خارج النطاق الداخلي).

الفرع الأول: الوجود الإسلامي في أمريكا والغرب.

ينطلق العلواني من أسبقية وجود المسلمين في بلاد الغرب عن غيرهم كسبب لنشأة المعهد، إذ يصرّح بأسبقيتهم واكتشافهم لأمريكا قبل كولومبس، وقد أورد لذلك إحدى عشر دليلاً.

مع أنِّي أرى أن هذا السبب مكمِّلاً وليس سبباً رئيسياً، إذ في حالة وجود الأسبقية أو عدمها فإنَّ المسلم مطالب شرعاً بالسفر لأجل تبليغ رسالة الإسلام والصدع بدين الحق. وليس العلواني وحده الذي يرى أسبقية الوجود الإسلامي في بلاد الغرب، فهناك مثلا **لطف الله قاري** له نفس النظرة إذ **يقول**: "وقد **اشتهر بين النَّاس اليوم أنَّ كولومبس** هو الذي اكتشف العالم الجديد سنة1492م...لكنَّ التراث العربي الإسلامي في الجغرافية والتاريخ يشير إشارات مقتضبة إلى **رحلات قام بها رواد مسلمون إلى جزر المحيط الأطلسي والكاريبي،** ومحاولات للتَّوغل في بحر الظلمات انقطعت أخبار أهلها، حيث لم يعودوا إلى أرض الوطن، وتشير الدراسات الحديثة عن آثار وتقاليد **وثقافة الهنود الحمر بالأمريكيتين** إلى وجود **صلة لبعضهم باللغة العربية والإسلام**"[1].

ويعرض العلواني نظرة المؤرخين لمراحل الوجود الإسلامي في أمريكا والتي قسموها إلى أربع مراحل[2]:

- **المرحلة الأولى**: من سنة (1150م إلى 1717م) (545هـ إلى1130هـ)، وهي الهجرات الأولى لمسلمي الأندلس وغرب أفريقيا والهنود قبل كولومبس وبعده.
- **المرحلة الثانية**: (1718م إلى 1862م) (1131هـ إلى1279هـ)، وهي المرحلة التي عرفت بتجارة العبيد.

1- لطف الله قاري، العرب قبل كولومبس.(ط:1؛ دمشق وبيروت: دار القلم والدار الشامية،1420هـ/1999م)، ص5 و6.

2- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت)،ص6إلى8.

- **المرحلة الثالثة:** (1862م إلى 1945م)(1279هـ إلى1365هـ)، وهي مرحلة هجرات جماعية للمسلمين من أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية وغرب أوروبا للبعد عن أماكن الاضطرابات السياسية والهزات الاقتصادية التي حفلت بها المنطقة
- **المرحلة الرابعة:** (1945م)(1365هـ)، وهي مرحلة ما تزال مفتوحة حتى الآن.

ثمَّ يعرِّج على ذكر أهم مشكلات الوجود الإسلامي في الغرب:

- **المشكلة الأولى**[1]: وهي في الحقيقة مشكلة تكاد تكون صورية وشكلية، أو قد تكون قديمة قد تجاوزناها بفضل التكنولوجيا؛ ألا وهي الاختلاف الحاصل في تحديد عدد المسلمين في الغرب، إذ اختلفت الآراء في تقرير عدد المسلمين في أمريكا وأروبا، فكانت للعلواني ورفاقه محاولة لحل هذه المشكلة، إذ عملوا على إحصاء عدد المسلمين من العلماء والمتخصصين في (الو م أ) فأعدوا قائمة بلغت تسعة آلاف أستاذاً مسلماً في مختلف جامعات أمريكا في مختلف التخصصات، وتوقفوا عند ذلك الحد ولم يتابعوا ولم يقوموا بتجديد القائمة.
- **المشكلة الثانية**[2]: وهي الأهم والأخطر والمتمثلة في ضُعف الفاعلية والنشاط فرأيه فيهم يتراوح بين الحسرة والنقد:
  - عجزهم في التَّموقع داخل المجتمع الغربي، ورغم كونهم من الطبقة المثقفة إلاَّ أنَّهم لم يتمكنوا من أن يصنعوا لأنفسهم مؤسسات مدنية تُعنَى بمتابعة شؤونهم كما هو الحال عند اليهود والمسيحيين الكاثوليك وبعض الكنائس الأخرى.
  - أنَّه يتحسَّر على تضييع المسلين لفرصة وجودهم في الغرب، من أجل النَّهوض بالإسلام وتكوين نواة له خارج أرضه تكون فتحاً مبيناً له، فكانت أمريكا وما تزال وكذلك أوربا فرصة مميزة لإعادة بناء مفهوم الأمة، والتَّخلُّص من سائر سلبيات البيئات الإسلامية لو أنَّ قومي يعلمون.

---

1 – اجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (مرجع سابق)، ص10إلى12.

2– راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (المرجع نفسه)، ص10و11.

- كما يصف فكر المسلمين المهاجرين على أنَّه فكر متخلِّف لغياب مفهوم الأمة لديه، وسيطرة النزعة المذهبية والعرقية وغيرها من النزعات والنزغات.

وقد رصد واقع التَّواجد الإسلامي في أمريكا وحدَّد مواضع ضعفه التي حصرها في:

1-**حاجز اللغة** والتي تشمل لغتين؛ **لغة القرآن الكريم** لدينهم وانتمائهم، واللغة **الإنجليزية** لنشاطهم الدنيوي وللتَّفاهم مع جيرانهم[1].وفي الحقيقة يشكل الضعف في اللغات عموما وفي اللغة الإنجليزية على وجه الخصوص، من أهم العوائق التي تقف حاجزا بيَّننا وبين التَّقدم العلمي والدعوي، وعجزنا على مدِّ جسور التَّواصل مع غيرنا ممَّا فوَّت فوائد لا تعد ولا تحصى أمام المشروع الحضاري الإسلامي اليوم.

2-**النَّزعة المذهبية** التي حطَّمت مفهوم الأمة وفرَّقت المسلمين في بلدانهم، ويفترض أن تختفي أيضاً الصراعات الحزبية في بعض الأماكن في أوروبا وأمريكا[2]؛ فهذا السرطان الخبيث والمرض الخسيس الذي نخر الجسد الإسلامي عبر جميع مراحله الزمانية ولا تكاد تخلو فترة من فترات التاريخ الإسلامي إلاَّ وتعثر على ملامح هذا الخلل والتي تتفاوت درجاته وشدَّته بين الخطيرة والأكثر خطراً، وقد دفع المدَّ الإسلامي جراء ذلك فاتورة باهظة الثمن.

3-**استثمار بعض الحكومات لبعض عناصر التَّواجد الإسلامي في أهداف سياسية**[3]؛ وهذه وليدة النَّزعة المذهبية ومتفرِّعة عنها، وتصبُّ في مصبها، ألا وهو التَّعصب والانتصار للذات سواء أكانت مذهباً أو طائفةً أو حزباً أو أي فكرة أخرى سوى الانتصار للإسلام وحده، وإن كان التَّعصب السياسي اليوم أوضح تلك الصور البائسة في مشروعاتنا الإصلاحية الفاشلة.

4-**الحاجة إلى الدعم المالي جعلهم يجاملون الجهات المتبرعة**[4]؛ المال عصب الحياة قيل هذا الكلام قديماً لما لم يكن له قيمة وشأن، أمام المعنويات والاعتباريات، فكيف

---

1 -راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص11.

2- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص11.

3 - انظر: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص15بتصرف.

4 - انظر: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص15بتصرف.

الحال اليوم في زمن محرِّكه الأساسي ووتره الحساس المال لا غيره، في نظام عالمي يعتمد على نظرية المصلحة المجرَّدة والمبنيَّة على حب الذات والأنانية القاتلة، بدافع واحد ووحيد يُعرف **بالغاية التي تبرر الوسيلة**، وَضَعْ من الخطوط ماشئت تحت هذه العبارة، كي تسبر أغوارها وتكشف أستارها، فمآسي الإنسان اليوم من حروب وويلات لا مبرِّر لها سِوى الطمع والأنانية المفرطة وهي أكبر دليل على فضاعة تجنِّيها على مقومات الحياة الإنسانية، فأفقدتها كل معاني الإنسان والعيش الكريم ولم تُبقِ إلا اسم الإنسان في جسد حيوان، فعدُّنا للغابة وقوانينها من جديد للأسف الشديد.

كل هذه الصعوبات والعراقيل سابقة الذكر لم تسمح بأنَّ يكون للوجود الإسلامي قائمة أهداف مُتَّفق عليها، **لكنَّ العلواني يأمل** بأن يلتفت المسلمون كافة في أمريكا وفي الغرب عامة إلى توحيد كلمتهم **ورصِّ صفوفهم وتجاوز سائر شعارات التَّفرقة** الموجودة في العالم الإسلامي[1]

الفرع الثاني: نشأة المعهد.

ويُحدِّد العلواني فكرة نشأة المعهد وتكوينه بقوله[2]:

- إنَّ المعهد لم ينشأ من فراغ بل كانت هناك ظروف تاريخية ومعاصرة، ودراسات تحليلية لحالة الأمة المسلمة وواقعها، وأمام عجز كثير من حركات الإصلاح عن بناء مشروع نهوضي تجديدي فاعل قادر على النهوض بالأمة.
- كما يرى أنَّ مجتمعنا المسلم ينظر للغرب نظرة الانبهار والتقليد. وفي ظل هذا التَّدافع النَّفسي الذي كان يُهيِّمن على عقول وهموم جموع علماء ودعاة الإسلام.

كانت بذرة النشأة[3]:

- في عام 1977م حيث شارك العلواني في أول مؤتمر اعتبره نقلة نوعية في حياته الفكرية، إذ تم في هذا المؤتمر اتخاذ فكرة تأسيس (المعهد العالمي للفكر الإسلامي).

1- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص16.

2 – راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص3إلى5.

3 – طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد.(مرجع سابق)، ص25و26.

- وقد ضمَّ حوالي ثلاثين مفكراً وعالماً من مختلف أنحاء العالم من بينهم يوسف القرضاوي ومحمود أبو السعود وإسماعيل الفاروقي ومحمد المبارك وعبد الحليم أبو شقة وجمال عطية وخرّم جاه مراد خورشيد أحمد ورشيد بن عيسى ومجموعة المعهد الحالية[1] وآخرون في مقدمتهم العالم المغربي الشهير المهدي بن عبوُّد.
- وقد عقد هذا اللقاء الذي دام حوالي أسبوع في منطقة لوجانو بين إيطاليا وسويسرا.
- وقد كثُرت بعد ذلك لقاءاتهم في الرياض وشملت كلا من عبد الحميد أبو سلميان وهشام الطالب وأحمد توتونجي وجمال البرزنجي وأنور إبراهيم.
- وأمضوا أربع سنوات بعد اتخاذ القرار بتأسيس المعهد وكانت قيادة اتحاد الطلبة في أمريكا قد أخذت على عاتقها مهمة التأسيس فلم تفعل.
- فتُقرِّر مجموعة الرياض القيام بذلك.
- وأُنتدب عبد الحميد ليذهب إلى أمريكا لمقابلة المجموعة الأولى التي تعهَّدت أن تقيم المعهد ولم تفعل.
- فاتَّصل بالفاروقي في فيلادلفيا وبالتنسيق بيننا اتَّخذ القرار الحازم بالتأسيس.
- **فوُلِد المعهد العالمي للفكر الإسلامي** أو "ما أُطلِق عليه في بادئ الأمر الأكاديمية الإسلامية لخدمة القضايا الفكرية ومتابعتها"[2]. **وكغيِّره من الأفكار والمشاريع** من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من بقايا الإنسانية **الآفلة**.

وكانت ولادة المعهد في ظلِّ معطيات معينة أفرزتها مُناقشات وأفكار عدد كبير من العلماء والدعاة والمفكرين وقيادات اتحاد الطلبة والأساتذة المشاركين في جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين[3] والجمعيات المتخصِّصة.

---

1 – سنأتي على ذكر أسمائهم في هذا المطلب.

2 – راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص16.

3– اتحاد الطلبة وجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين مؤسستين للمسلمين كانتا أسبق في وجودها في أمريكا قبل المعهد. راجع: طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد.(مرجع سابق)، ص26.

- لكنَّ التَّنفيذ وإيجاد المؤسسة تمَّ على يدي صفوة من هؤلاء تأثَّرت أكثر من غيرها بما تقدَّم [1].

ويصف العلواني هذه النشأة وهدف تأسيس المعهد وغايته:

- وجاءت فكرة إنشاء مؤسسة للبحوث والدراسات تُعنَى بدراسة أزمات الأمة المسلمة، وملامح هذه الأزمة ومناهج معالجاتها، ولعلَّ من بين أهم حلولها؛ إخراج الاجتهاد الفقهي والأصولي الضيق إلى أن نجعل منه من جديد حالة فكرية وعقلية ونفسية للأمة، وأن ندمج بينه وبين الإبداع بحيث يُصبح لدى الأمة وعي يجعلها قادرة أن تمارس دورها العقلي والفكري في معالجة أزمتها[2].

الفرع الثالث: رجال المعهد.

1- **إسماعيل راجي الفاروقي الفلسطيني**، الذي جاء من فلسطين بعد قيام إسرائيل إلى كندا ثمَّ إلى أمريكا ليتخصَّص في تاريخ في الأديان، وقاده ذلك إلى اللغات، وأُختِير رئيساً لجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين، وقد تشكَّلت بيَّنه وبين المهندسين من مؤسسي المعهد علاقة ودٍّ وتعاون، وقد سبقه إلى هذه العلاقة **الأستاذ الدكتور عبد الحميد سليمان** الذي كان يُعِدّ رسالته للدكتوراه، ومن خلال التَّعاون بين المهندسين في اتحاد الطلبة[3] ورجال الجمعيات المتخصِّصة من أطباء ومهندسين وعلماء كانت **تُطرح ضرورة إيجاد مؤسسة فكرية تقوم بالبحث والعمل الفكري**[4]. **ومما ساعد على استمرار هذه النقاشات ونجاحها مايلي**[5]:

1- انظر: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (مرجع سابق)، ص16 بتصرف.

2 - راجع: طه جابر العلواني، التعليم الديني بين التجديد والتجميد. (مرجع سابق)، ص25.

3 - اتحاد الطلبة: رابطة الطلبة المسلمين MSA في سنة 1963م، تنسب لجماعة الإخوان المسلمين. انظر: محمد سمير العبد،" مسارات السياسة الأمريكية تجاه الإخوان المسلمين. "موقع دراسات الشرق الأوسط، (https://orsam.org.tr/ar/--36)، 2019/07/19م.

4- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (مرجع سابق)، ص20إلى22.

5 - راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (المرجع نفسه)، ص21إلى22.

- نُؤكد على نقطة مهمة لنجاح العمل الإسلامي اليوم؛ ألا وهي قيامه على مبدأ الروح الجماعية التي تشمل جميع فئات المسلمين، وأنَّه لا مكان اليوم للمحاولات الفردية المعزولة.
- هذا من جهة ومن جهة ثانية لا مكان اليوم للعمل العشوائي الارتجالي المنساق وراء العاطفة، بل هناك حتميات وضروريات تقف على رأسها التَّفكير الجاد المعتمد على الدراسات العلمية الرَّصينة.
- وبالإضافة لهؤلاء النَّخبة المتواجدة في أمريكا، فقد ازدادت في تلك الفترة زيارات العلماء والدعاة والمفكرين إلى أمريكا، وخاصة من مصر بعد إطلاق السادات للمسجونين من قيادات الإخوان، وقد كان لهم ولغيرهم-مثل الدكتور حسن الترابي والأستاذ مالك بن نبي-فرصة لتبادل الخبرات مع العاملين في الحقل الإسلامي.
- وكذلك بدأ توافد الطلبة العرب على أمريكا، فتوسَّع النَّشاط أمام طلبة وأساتذة اتحاد الطلبة المسلمين، الذي كان له دوراً كبيراً وفعالاً في حماية المهاجرين من ضياع هويتهم الإسلامية.

وفي ذلكم الوقت كانت للراجي سُمعة مميزة في العالم العربي وباكستان وماليزيا، حيث كوَّن علاقات طيبة مع قياداتها- **مثل ضياء الحق والدكتور محاضر محمد رئيس وزراء ماليزيا** – وقد أقنع هذا الأخير **بالإفراج عن أنور إبراهيم**[1].قد يكون رجلاً بوزن أمة، لأنَّ المسألة ليست بالكمِّ بقدر ما هي بالكيف، ومن هنا ندعو الأمة أن تُفتش جيداً في كشف طاقاتها الفردية وفتح المجال أمامها من أجل تفجيرها واستخراج قدراتها وامكانتها، وكم هي طاقاتنا المعطلة في بلادنا العربية والإسلامية على **حد تعبير الغزالي**-رحمه الله تعالى- وهو يصف هدرنا لطاقتنا ومعاملتها بالسخرية والإهمال:" **إنَّ الطاقة البشرية** في هذه النفوس –نفوس المسلمين- لا تزال مادة غفلاً، **كأنَّها معادن مرمية في مناجمها** لم تستخرجها يد"[2].**فقام الفاروقي ومن معه**

1- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (مرجع سابق)، ص22إلى24.

2-محمد الغزالي الإسلام والطاقات المعطّلة. (لا.ط؛ مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتويع،2005م)، ص7بتصرف.

بتأسيس الأكاديمية بعد أن تأخَّرت المجموعة المكلَّفة بتأسيسها للحضور لأمريكا، وقد أتَّخذ من غرفة في بيته مقراً لها، **وأصدر آنذاك بعض الأوراق** التي أُختيرت في **المؤتمر الأول في إسلام آباد**، وطبع خمسة كتب هي باكورة إنتاج المعهد ومنها "إسلامية المعرفة" بتحريره هو.

كما كان **للفاروقي دورًا كبيرًا في متابعة قضايا المعهد**، وإصدار باكورة إنتاجه والتَّعاون مع غيره مثل جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين، كما **أسهم بشكل بارز** في نجاح **المؤتمر الأول** الذي عُقِدَ بإسلام آباد، **ثُمَّ الثاني** الذي عُقِدَ بكوالالمبور في 1984م[1].

وقبل استشهاد الفاروقي[2] وزوجته التحق به الأخوَان **جمال البرزنجي** و**هشام الطالب**، **ليتحملا معه العبء** وليلتحق بهم بعد ذلك كلاً من **الدكتورين عبد الحميد سليمان وطه جابر العلواني**، وهكذا لم تمض سنة 1984م **حتى أكتمل الجمع** ولم يبق خارج أمريكا **سوى الدكتور أحمد توتونجي في السعودية**، و**أنور إبراهيم في ماليزيا**، وحين تكامل الجمع أخذ المعهد شكله الإداري والفكري، وفي السنة الأولى قلَّ أن يمضي شهر واحد دون أن يستضيف المعهد ندوة أو أكثر[3]. **وفي نهاية 1985م إذ بالفاروقي يصل إلى قناعة خاصة وهي ضرورة تأسيس معهد نُدَرِّس فيه نحن جميعاً**، من أجل **معالجة الأزمة الفكرية وبلورة قضية أسلمة المعرفة والإصلاح الفكري والمعرفي**، غير أنَّه وجد معارضة من طرف **العلواني وعبد الحميد سليمان** بمبررات منطقية، منها عدم وجود مقرَّرات لإسلامية المعرفة، ومشكلة توظيف المتخرجين من هذا المعهد[4].وفي هذا الموقف إشارة واضحة **لرجاحة عقل وتفكير العلواني**؛ الذي لم ينساق وراء هذا القرار بل تعامل معه تعامل الواعي المتبصر والمتتبع

1- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (مرجع سابق)، ص24.

2- تشرَّب الفاروقي قضية فلسطين وحبَّ فلسطين ومناهضة اليهود وتخصَّص في دراسة الأديان ليتعرَّف على حقيقة الأديان والديانة اليهودية خاصة، والمرجَّح في سبب اغتياله يعود لهذه القضية وشعور اليهود بخطورته، عدته الأوساط الأكاديمية حينذاك من بين أهم ثلاثة من القيادات الفكرية والأكاديمية المسلمة في أمريكا وكندا وهم: فضل الرحمان (ت1988م) وسيد حسين نصر ثم الفاروقي (ت1986م).راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص25إلى29.

3- انظر: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (المرجع نفسه)، ص25بتصرف.

4- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (المرجع نفسه)، ص26.

لمجريات الواقع من حوله؛ فأمرٌ كهذا **يحتاج لقدرات مادية هائلة** بالإضافة إلى ضرورة حصوله على **الاعتماد الأكاديمي** من طرف بعض الدول على أقل تقدير، حتى يُمكن استيعاب الطلبة المتخرجين منه في مجالات التوظيف، وغيرها من الظروف والملابسات كمقررات التدريس حتى يتسنى لهذا المعهد أن يُؤتي ثماره المرجوة **وخاصة وهم ينشُدون الجودة والإتقان وينتقدون الفوضى والعشوائية والارتجال** وكَسر القاعدة السائدة في الوسط المسلم؛ **النَّشاط من أجل النَّشاط**، بل **النَّشاط المدروس** والمخطط لتحقيق الأهداف والغايات.

1-الدكتور عبد الحميد سليمان: من مواليد مكة المكرمة اتَّصف بنفسية قوية تعرف معاني الرَّفض مع قدرتها النَّقدية، **وفي مصر** استكمل دراسته **للماجستير في مجال النظريات الاقتصادية، وفي أمريكا** اختار موضوعه في **الدكتوراه العلاقات الدولية مع انفتاحه على العالم الغربي**؛ كل ذلك جعل منه شخصية **قادرة على التَّفكيك والتَّركيب وإعادة البناء**، لذا كان وراء تأسيس كثير من المؤسسات منها "الندوة العالمية للشباب الإسلامي[1]".

وقبلها "جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين"[2].

وبعد استشهاد الفاروقي **ألحَّ أنور** أن يكون المعهد بكل ما يمثل وفي مقدمته **الدكتور عبد الحميد** الجهة القادرة على تطوير (الجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا)، لذا **تولى إدارتها** لمدة

---

1 – الندوة العالمية للشباب الإسلامي: في عام 1392هـ (1972م) أقيم في أرض المملكة العربية السعودية أول لقاء ضم عدداً كبيراً من مندوبي منظمات الشباب الإسلامي في العالم تحت عنوان) المنظمات الطلابية الإسلامية ودورها ومشكلاتها)، والذي كان نواة ما عرف فيما بعد بالندوة العالمية للشباب الإسلامي،حيث كان من أهم توصيات هذا اللقاء: إنشاء أمانة للمؤتمر مقرها الرياض مهمتها متابعة تنفيذ التوصيات الصادرة عن المؤتمر فكانت هذه الفكرة محل اهتمام جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله .الذي أصدر توجيهاً ملكياً بإنشاء الأمانة العامة للندوة العالمية كأول هيئة إسلامية عالمية متخصصة في شؤون الشباب المسلم، تُقّوِم عقيدته وفكره وسلوكه، وتتبنى قضاياه، فهي هيئة إسلامية عالمية مستقلة يشترك في عضويتها (359)جمعية منتشرة حول العالم وتنقسم إلى جمعيات عاملة عددها (73) وجمعيات مؤازرة عددها (286)، وفي عام (1997م) كان انضمامها لعضوية هيئة الأمم المتحدة.بدون مؤلف، "الهوية والتأسيس "موقع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (https://wamy.org)، السبت2020/10/24م.

2- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص30و31.

قاربت **أحد عشر عاماً**، حيث تحولت فيها الجامعة العالمية الإسلامية إلى جامعة أولى في ماليزيا، ولما انتهت خدمته فيها **عاد إلى المعهد** ليُمارس فيه **دوره رئيساً ومفكراً ومخططاً**[1].

2–المهندسون الثلاثة: أحمد توتونجي مهندس بترول ناجح وهو طالب دراسات عليا في بريطانيا، و**الدكتور جمال البرزنجي** مهندس كيمياء و**الدكتور هشام الطالب** وهو مهندس كهرباء من الموصل المنتمي رفقة جمال إلى جماعة الإخوان المسلمين[2].

3–أنور **إبراهيم**: فهو سياسي ورجل دولة وداعية ومفكر، كان يطمع أن يرتقي بالمعهد **ليقُود حركة التجديد الإسلامي على المستوى العالمي**، لكنَّ الفريق لم يكن مهيَّئاً لذلك.[3]

4–بالإضافة إلى شخصية أخرى لا تُذكرُ كثيرًا وهو **الدكتور يعقوب مرزا** عالم فيزياء ذكيٌّ جدًا، عمل في فريق إدارة المعهد وعند **التقائه ببعض رجال المال والأعمال عرض عليهم فكرة تكوين مؤسسة استثمارية**، تستطيع أن **تُقدِّم الدَّعم للعمل الإسلامي**، وقد استمدَّ الفكرة من الوقف الإسلامي الذي تخصَّص فيه، فحقَّق بذلك للمعهد استقلالية مالية، **مستغنياً عن التبرعات** إلى حد أصبح فيه ذا قدرة على إنماء بعض المشاريع[4].

5–منى **فضل**: انضمَّ للمعهد بعد ذلك رجال ونساء كثيرون منهم **أم الفضل زوجة العلواني** – رحمهما الله – **قال عنها العلواني**: "التي كانت مُفكرة مُسلمة على أعلى مستوى بل لا أتردَّد بأن أقول على خبرة تامة **بأنَّها فيلسوفة كبيرة** بدأت **بطرح مشروعها الفكري** في نفس الوقت الذي **طرح المعهد فيه مشروعه الفكري**، ففِكرُ المعهد معضِّد لفكرها وليس مُنشأ له"[5]. وقد أسَّست مشروعاً كاملاً قبل زواجها من العلواني **وقبل انضمامها للمعهد** وقد كانت حينها تُدرِّس في طلابها في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية منذ سنة1973م.[6]

1– راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص32.

2– راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص32إلى35.

3– راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص35و36.

4– راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص36إلى37.

5– راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص37.

6– راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص38إلى39.

6-العلواني: وهنا نذكر **شهادة عبد الجبار الرفاعي** في بعض خدماته في المعهد بقوله[1]:

- ومنذ أن تولى الدكتور طه رئاسة المعهد العالمي للفكر الإسلامي مطلع 1981م حرص على **احتضان الأبحاث المقاصدية** وكرَّس لها عدة حلقات دراسية وندوات ومؤتمرات، واقترحها في مساقات ومتطلبات التعليم الشرعي في المعاهد والجامعات.
- كما خصَّص **نصيباً وافراً من مطبوعات المعهد لمعالجة التفكير المقاصدي** وما يتصل به.
- وأخيراً تفرَّغ لتدوين **مجموعة أبحاث مُشَّبعة بالرؤى الاجتهادية الجديدة** لإعادة بناء التفكير المقاصدي، وبلورة رؤية نظرية لمنظومة المقاصد العليا الحاكمة، المتمثلة **بالتوحيد والتزكية والعمران** وما تُفضي إليه من شريعة القيم والتخفيف والرحمة، بديلاً عن شرائع الإصر والأغلال والحرج واللامعقولية المقنَّعة بالتَّعبد.

الفرع الرابع: خصائص ومميزات المعهد.

أولاً: مجموعة المعهد شكلَّت فريقاً واحداً:

أدركت المجموعة من البداية بكامل الإدراك ويقينه "بأنَّ الله –عزَّ وجلَّ- خلق الإنسان بعقول ومدارك مُتباينة إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصورات والأفكار، وكل تلك الأمور تُفضي إلى تعدد الآراء والأحكام وتختلف باختلاف قائلها[2]".يقول عن ذلك العلواني :"إنَّ هذه المجموعة المباركة **لم تأخذ سائر مقومات المدارس الفكرية**، بل كان هناك **اتِّفاقاً في الأسس والأصول العامة المشتركة**، وعلى سبيل المثال هناك **اتِّفاق على أنَّ الأزمة الأساسية لدى الأمة هي أزمة فكرية**، وأنَّ **الإصلاح الفكري** والمنهجي هما الأساس والمنطلق لمشروع النهوض بالأمة وأنَّ **إسلامية المعرفة** هي الإطار الفكري والمنهجي لتصحيح مسار الأمة وإصلاح أحوالها وبناء مشروعها للنهوض و**الشهود الحضاري**"[3]، هذه قاعدة المنطلق التي اعتمد عليها هؤلاء من أجل التأسيس السليم، فلا يكون بذلك قيمة للظروف الواقعية

1- عبد الجبار الرفاعي،" بدون عنوان".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

2 - طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف.(ط:1؛ الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1438هـ/2017م)، ص32.

3- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص39.

والتحديات العملية في التأثير على مسار العمل أو إفشاله، **وهو الذي حصل معهم إذ فرضت الظروف**[1]:

- أن يشتغل المهندسون الثلاثة بالاستثمار.
- في حين استشهد الفاروقي.
- وتفرَّغ عبد الحميد لجمعية علماء الاجتماعيات والنَّدوات والمجلة، ثمَّ الجامعة الإسلامية بماليزيا.
- أما العلواني فقد استغرق في مُتطلبات المعهد مقراً ومكاتب إداريَّة وفي العمل الفكري وفي كسب الأنصار وتأسيس الفروع.
- **وقد ساد بينهم جميعا قدر من التَّفاهم كان أقرب للتنسيق والتَّوفيق الأخوي بين أجندات متعدِّدة**، خاصة ومشتركة.
- **وحين تغيب الأجندة المشتركة** ينكفئ كل واحد على **الأجندة الخاصة**، لأنَّهم لم يألفوا التَّبطُّل والقعود.
- فكانت النتيجة ثماراً يانعة إذ **أُحصي للمجموعة مرَّةً اثنين وثلاثين مؤسسة**، وجلُّها من **المؤسسات الضخمة** منها بحجم المعهد أو تزيد.

وهنا **يجب أن نفتح قوساً مهماً**، حول مسألة هامة وحساسة، بل وخطيرة لاعتبارها إحدى أهم معوِّقات نجاح العمل الإسلامي اليوم، وتكاد تكون سبباً مباشراً في إخفاقه وفشله؛ ألا وهي **إمكانية قيام عمل جماعي بين أطراف متخلفة أو حتى متباعدة**، إذا **أُعمتد الحوار** الصادق في **صياغة أجندة عامة ومشتركة**، يتمُّ السهر على **تنفيذها بشكل جماعي** مع توفُّر **العلم والصدق والإخلاص**، فيختفي الاختلاف ويتحقق الائتلاف ويُمكن حينها للجماعات الإسلامية أن تتحرَّك في وقت واحد وفي اتجاه واحد، **مراوحة بين الأجندة العامة والأجندة الخاصة في تناسق** وتناغم تام فيزول الخلاف وتتحقَّق المقاصد والغايات ونكسب الوقت وندخر الجهد. وينقل طه عبد الرحمن كلاماً جميلاً في فهم معنى الخُصوصية والتوفيق بينها وبين والكونية أو بين الخاص والعام فيقول: "لا تُفيد الخُصوصية معنى(انكفاء الأمة على

1- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (مرجع سابق)، ص39و40.

ذاتها)بالضرورة؛ فقد **تتعلَّق الأمة بذاتها في أمور وتنفتح على غيرها في ما عداها**؛ وقد **تتمسَّك ببعض الثوابت التي تراها محدِّدة لهويتها** في مقابل الهويات الأخرى من **دون أن تجمد عليها جموداً مطلقاً**، بل **قد تتحوَّل الأمة عن هذا الثابت** أو ذاك تدريجاً وبمرور الزمن **أو تُعدِّله بما يضمن استمراره على نسق آخر**، وقد **تلقِّح الأمة مالها** من ذاتها بما ورد عليها من غيرها، فتزداد قدرتها على مواصلة الاستمداد من الأمم الأخرى"[1].فالإسلام "يتَّسع لكل الاختلافات التي لا تهدِّد وحدة الأمة، فيكفي أن تتَّفق الآراء والتصورات في القضايا الكبرى والقواعد الأساسية، أما الأمور الفرعية التي يساعد اختلاف الرأي فيها على الجنوح نحو الأفضل والأمثل فلا ضير فيه، على أن يكون لهذا الاختلاف ضوابطه وقواعده وآدابه[2]".

ثانياً: المعهد والجماعات الإسلامية:

نجاح المعهد في تحمُّل أعباء تلك المؤسسات الضخمة جعلها موضع حسد من كثيرين، وخاصة من طرف بعض الحركات الإسلامية، التي ترى في فكره تهديداً لفكرها ونذكر منها:

1-**الجماعة الإسلامية في القارة الهندية:** كان رجال المعهد على علاقة طيبة جداً، بقيادات هذه الجماعة قبل تأسيس المعهد، ولكن حين شعر الإخوة من الجماعة في باكستان **بأنَّ ضياء الحق** قد اقتنع بفكر المعهد، **واستضاف المؤتمر الأول لإسلامية المعرفة**، وصرَّح لمقربيه بأنَّ **فكر المعهد هو ما يُمكن أن يُعزِّز وحدة باكستان** لو ساد، وبدأ يُفكر **بإسناد الجامعة الإسلامية العالمية للفاروقي**، من هنا **بدأت مواقف الجماعة في باكستان اتجاه المعهد ورجاله تتغير**،حيث انحازت **للجماعات التقليدية**،فجعلت بعض **جماعة الإخوان المسلمين** و**بعض خريجي الأزهر** في **مناصب الجامعة** لملء الفراغات فيها، وعدم ترك أي فرصة **أمام ضياء الحق لإسناد أيِّ دور لرجال المعهد في الجامعة**، أو غيرها، كما بدأ الهمس **بانتقاد المعهد** و**فكرة إسلامية المعرفة**، ممَّا جعل فكر المعهد

---

1 – طه عبد الرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري.(ط:1؛ الدار البيضاء–المغرب: المركز الثقافي العربي،2005م)، ص26و27.

2 – انظر:عقيل بن محمد المقطري، أدب الاختلاف.(ط:1؛ بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،1414هـ/1993م)، ص7 بتصرف.

ضعيفاً في باكستان خلافاً للهند وبنقلاداش[1]."إنَّه داء الحسد الكامن في النفس، حيث يرى الحاسد محسوده قد فُضل عليه وأوتي ما لم يوت نظيره، فلا يدعه الحسد ينقاد له ويكون من أتباعه"[2]

2-جماعة **الإخوان المسلمين**:

كانت جماعة الإخوان المسلمين تُراقب نشاط المعهد مراقبة الأب لأبنائها حتى لا يخرجوا عن طاعته ويظلوا يدورن حول فلكه ومحوره لذا أخذت العلاقة منحى ليس بعيداً عن شكل العلاقة مع الجماعة الإسلامية في باكستان **فكان شكلها كما يلي**[3]:

- فقد كانت تصل قيادات جماعة الإخوان تقارير شفوية ومكتوبة عن المعهد ونشاطاته، وكانت هذه التَّقارير مليئة بالمبالغات، ولكن ممَّا يُؤسف له أن هؤلاء القيادات لم يكلِّفوا أنفسهم بالتَّحقق منها.
- ومن هنا بدأت الجماعة تنظر للمعهد نظرة فيها عدم ثقة، ممَّا جعلهم يستبعدونه من نشاطاتهم في أمريكا.
- في حين لم يعاملهم المعهد بالمثل، فقد كان النَّصيب الأوفى من القروض الدراسية التي يُقدِّمها المعهد للمُبتَعثِين لأعضاء جماعة الإخوان في مصر والسودان.
- لكن مسؤول جماعة الإخوان في أمريكا أرسل للمعهد رسالة مفادها أنَّ الجماعة تقترح إن كان المعهد حريصاً على اعترافها به فعلى أعضائه مبايعة مرشد الجماعة، أو يقبلوا رقابة اثني عشر عضواً مُقترَحين من الجماعة على اصداراتهم.
- فرفض المعهد ذلك بشدَّة وغضب، إذ وجدوا اسمين فقط من بين العشرة، يمكن قبول آرائهم واحترامها.

1- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص41و42.

2 - انظر: ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.(لا.ط؛ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ت)، ص16 بتصرف.

3- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص43و44.

- وهنا احتدمت المعركة بين المعهد والجماعة، وبدأ المعهد يسمع النَّقد بمناسبة وبغير مناسبة إلى حد بلغ فيه درجة الإسفاف والاتهام في الدين والذم.

وبناء على ذلك فقد دخلت العلاقة بينهما في نفق ضيق[1]:

- وقد تكرَّرت محاولة الجماعة للمعهد بأخذ البيعة.
- مع بقاء المعهد على موقفه، كما أرسل لهم المعهد مجموعة كتبه حتى يبحثوها بالأدلة فإن وجدوا فيها مخالفة عدلوه[2]
- ولقد زار العلواني مصر بعد ذلك وزار **المرشد أبا نصر ونائبه مصطفى مشهور**، وحاول إقناعهما بأنَّ **المعهد لا ينافس الجماعة على موقعها**...لأنَّ ميدان اهتمامه آخر ومع ذلك **فلم يتغير الموقف**.

وإن كان هناك **مقولات تجعل المعهد من مُخرجات الجماعة وأحد أجنحتها الفاعلة في الغرب** فقد جاء في موقع معرفة في مقال بعنوان المعهد العالمي للفكر الإسلامي:"...وقد تأسس المعهد بتمويل من تنظيم الإخوان المسلمين"[3].

وربما تعود هذه المقولة إلى ثلاثة أسباب هي:

- قُرب أفكار المعهد لأفكار جماعة الإخوان المسلمين إذ يقاطعها في بعض الأفكار والقضايا.
- ولكون بعض أعضائه المؤسسين من الإخوان كجمال البرزنجي و هشام الطالب.
- ومن جهة ثالثة كون أغلب المستفيدين من صندوق المنح الدراسية في أمريكا من جماعة الإخوان في مصر والسودان.

ثالثاً: المعهد وصندوق القروض الدراسية:

في بدايات التأسيس للمعهد وفي سنة 1985م **رصد المعهد بالتَّعاون مع بعض الجهات الخيرية مبلغاً وقدره مليون دولار**،على أن يُعمل على زيادته حتى يبلغ خمسة ملايين

1- انظر: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص44إلى47بتصرف.

2- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص44.

3 - بدون مؤلف، "المعهد العالمي للفكر الإسلامي "موقع معرفة(https://www.marefa.org).

ليُصبح **وقفاً قادراً على إنتاج مشاريع بحثية طموحة**، وكان أحد **الوزراء في دولة قطر إخوانياً**، قدَّم **منحاً دراسية** في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها **لطلبة عرب**، ولكن ما إن تغيَّر هذا الوزير حتى **توقَّفت هذه المنح**، فوقع الطلبة المهاجرون من أصحاب هذه المنحة في حرج وضيق، **ممَّا جعل رجال المعهد يتحركوا بكل شجاعة ونخوة** وقالوا: لم لا نؤسِّس صندوقاً للقروض الدراسية لهؤلاء بأموال البحوث والدراسات، **ونعمل على توجيه بحوثهم للدكتوراه إلى أولويات المعهد البحثية**، فكان الأمر كذلك وطُلِبَ من كل مستفيد تقديم ضمانات وتزكيات من قيادات الجماعة، وتَمَّ الأمر على مستوى الأوراق وأُتخذِت الاحتياطات اللازمة، وبعد مدة تخرَّج هؤلاء الطلبة ولكن للأسف الشديد لم يوفِّ من بين المائة والثمانين بما التزموا به إلا اثنين؛ عراقي تخرَّج مهندساً وفلسطني تخرَّج طبيباً، كما لم يفعل قادتهم شيئاً في الأمر، **بل تعرَّض المعهد لبعض الهجمات من بعض من قُدِمَت لهم المساعدة واتَّهم المعهد بالتَّجسس لصالح السعودية** لمجرد التَّعاون مع مكتب الملحق الثقافي السعودي وسفارة الإمارات في مسألة تحمل بقية نفقات الطلبة لعلَّ المعهد يسترجع ويعيد بناء ميزانية البحوث والدراسات.[1]

وفي هذه المبادرة التي قام بها المعهد درس وفائدة وهي:

- مسألة تأسيس صندوق للمنح الدراسية لتمويل البحوث والدراسات الجادة فكرة خلاقة ومبدعة،ولو أنَّ كل بلد مسلم حذا حذوهم بصورة جادة وحازمة، لرفعنا من مردود البحث العلمي عندنا،ولتجاوزنا حالة التخلف والتردي العلمي.
- في تمويل الطلبة الذين توقَّفت منحهم من طرف الوزير القطري، صورةفي منتهى الروعة والجمال في مجال التضامن والتآزر ولهفة المحتاج وإغاثة الملهوف.
- كما تُعبِّر عن حسن النية إذ لم تنظر لهولاء وانتمائهم للإخوان بقدر ما نظرت لكونهم مسلمين يعودن في آخر المطاف بالنفع والفائدة على العالم الإسلامي بأسره.

رابعاً: المعهد وإيران.

1- راجع:طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص47إلى49.

شهدت إيران زيارة رجلين من رجال المعهد من أجل نشر فكر المعهد فيها[1]:

- **الفاروقي**: وعند **زيارته لها** قال مفكرو إيران **بإسلامية العلماء** لا **إسلامية المعرفة** لأنَّ **المعرفة في حدِّ ذاتها مُحايدة** حسب رأيهم، وقد كان كثير من علمائهم ومشايخهم يرى مجموعة **المعهد أنَّها مجموعة حالمةٌ.**
- **العلواني**: يوم أن **زار العلواني طهران** وحاضر فيها لعدة مرَّات وأنشأ فيها مكتب اتِّصال وترجمة **وقام بترجمة كتب المعهد إلى الفارسية**، هناك فقط بدأت أفكار المعهد تجد لها بعض القبول ومن ثمَّ صارت **قضية أسلمة المعرفة** ضمن **أجندة الفكر الإسلامي المعاصر في إيران**، غير أنَّها لم تتحول إلى علاقة وثيقة ولم تشق طريقها كما حدث لأفكار **شريعتي ومطهر وبهشتي** ـ رحمة الله عليهم جميعاـ و"الأكيد أنَّه كان لهولاء الثلاثة من مفكري إيران دور بارز في جعل الثقافة الإيرانية والفارسية ذات لون ونفس خاص بها"[2].

خامساً: السودان والمعهد.

كان السودان أكبر البلدان تجاوباً على مستوى مثقفيه، ومن أهمهم **الدكتور حسن الترابي** الذي كان حريصاً على أن يكون صديقاً للمعهد ورجاله غير بعيد عنهم، **وإن كان يعتبر طريقهم مغايرة لطريقته. وبعد نجاح ثورة الإنقاذ في السودان** وأصبح **الترابي** بمثابة **مرشدٍ لها، أُقتُرح على العلواني وأصحابه نقل المعهد إلى السودان**، فالسودان حينها هي الدولة الإسلامية الوحيدة في العالم،**لكنَّ رجال المعهد اعتذروا بحجة أنَّ المعهد واهتماماته تفرض وجوده في بيئته الحالية.**[3] ونعود مرَّة ثانية لإثبات **صحَّة نظرية عدم وضع البيض كاملا في سلَّة واحدة**، حتى يسلم من الكسر وهذا ما كان يتمتع به **العلواني وأصحابه من بُعد نظر وسلامة في التفكير**، في حين نُثبت أنَّ دعوة السودان لاستقبال المعهد على التراب السوداني في إطار إتمام أسلمة دولة السودان، تندرج ضمن المحاولات المبنية على

---

1 – راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (مرجع سابق)، ص50.

2 – مجيد محمدي، اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران، ترجمة: ص. حسين. (ط:1؛ بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي والشبكة العربية للأبحاث والنشر،2010م)، ص18.

3– راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (مرجع سابق)، ص50و51.

تغليب الجانب العاطفي الانفعالي، وغياب التَّفكير الاستراتيجي المحيط بالتَّحولات الدولية العالمية، وكأنَّهم يعيشون وحدهم **بمعزل عن القوى الدولية، التي تَرقُب بكل تربص أي حركة من هنا أومن هناك لأنصار الإسلام ومشروعه**. وللأسف الشديد **تغفل الحركات الإسلامية عن هذه العوامل الرئيسية** في كل مرَّة تحاول فيها النهوض مُنكبَّة فقط على تحقيق الخطوات التي بين قدميها، ولاهثة وراء النَّجاحات الموهومة **وضاربة بعرض الحائط القراءات الجادة للتَّاريخ والتَّجارب السابقة** وحسن الاستفادة منها، **وقد تكرَّرت هذه الأخطاء القاتلة مرَّات ومرَّات في تاريخنا المعاصر** في **الجزائر** وفي **مصر** وفي **عموم الثورات الشعبية المتأخرة** في البلاد العربية.

سادساً: محاولة الانفتاح على القوى القومية.

من بين أهم مرتكزات المعهد محاولته الانفتاح على الجميع فقد كان في اعتقادهم[1]:

- إنَّ أي **مشروع إصلاحي** يُرادُ له أن يأخذ **سِمة مشروع تجديدي على مستوى الأمة** لابدَّ من **أن يُلاحظ جميع أبنائها وخاصة أولئك الذين لديّهم مشاريع تستهدف الهدف ذاته ولو بطرق أخرى** للعمل على التنسيق بينهم.
- من خلال هذا المنطلق يحكي العلواني محاولة من أجل رَأْبِ الصدع بين عناصر النَّخبة في أمتنا، لكنَّ المشروع وُئِد في مهده ولم يُكتب له النَّجاح. وهي القيام بندوة تحت رعاية مؤسسات أربع؛هي: **الإيسيسكو** [2]

1- راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص52إلى54.

2- الإيسيسكو:(المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة)الإيسيسكو بالإنكليزية (ISESCO :منظمة تابعة للمؤتمر الإسلامي تعنى بميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصال في البلدان الإسلامية، مقرها الرباط .المدير العام للمنضمة هو عبد العزيز بن عثمان التويجري.تأسست سنة1981م. بدون مؤلف،" المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة" موقع معرفة(https://www.marefa.org).

و**الألسكو**[1] **والمعهد** و**مركز دراسات الوحدة العربية**[2]، هذه هي النَّظرة الشمولية الجامعة التي كان يتحلى بها المعهد ورجاله وخاصة في **فترة ترأس العلواني لها**؛ إنَّها نظرة تَجمَعُ وتُأَلِّف وتُسدِّد وتُقاربُ، وهو ما يجب أن تكون عليه مشاريعنا الإصلاحية الفردية والجماعية، وليكن شعارنا القاعدة الذهبية **للعلامة محمد رشيد رضا**: "نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه"[3].

سابعاً: المعهد ونظرته للمستقبل.

كانت آفاق العلواني طامحة وجامحة طموحاً يناطح الجبال الشُمَّ ومحلِّقة تحليق الطيور المعانقة عنان السماء، تتجاوز بذلك كل التُّرهات وتتغاضى عن كل العثرات تستغرق الزمان والمكان والإنسان في حركة توافقية تنهض بالحاضر وترنو بعين العاشق نحو مستقبل أفضل. لهذا طرح العلواني **نموذجاً لمؤسسة نصرانية أمريكية تُدعى كريشنزم**،يُريد من خلاله **أن يكون عمل المعهد على غراره ووفق منهجيته**، كما اقترح مؤسسة وجامعة ترثها الأجيال وذلك بعد تجاوز العائق المادي واكتمال مفردات ومواد إسلامية المعرفة[4].

1- الألكسو:(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) (الألكسو) هي منظمة متخصصة، مقرها تونس، تعمل في نطاق جامعة الدول العربية وتعنى أساسا بالنهوض بالثقافة العربية بتطوير مجالات التربية والثقافة والعلوم على مستويين الاقليمي والقومي والتنسيق فيما بينهما المشترك فيما بين الدول العربية الأعضاء. وقد أنشئت المنظمة بموجب المادة الثالثة من ميثاق الوحدة الثقافية العربية وتم الإعلان رسميا عن قيامها بالقاهرة يوم 25 جويلية/ يوليو 1970.بدون مؤلف، "من نحن". موقع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (http://www.alecso.org/nsite/ar/news)، 07 آذار/مارس 2019.

2- مركز دراسات الوحدة العربية: تأسس مركز للدراسات من جانب نخبة واسعة من المثقفين العرب في سبعينيات القرن الماضي كمشروع فكري وبحثي متخصص في قضايا الوحدة العربية يساهم في تعميق الوعي وتراكم المعرفة في قضايا الأمة العربية والتحديات التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، الداخلية والخارجية، التي تواجهها وتحول دون نهضتها. فجاء الإعلان عن ولادة مركز دراسات الوحدة العربية لهذا الهدف من بيروت عام 1975م.بدون مؤلف، "الرؤية والأهداف" موقع مركز دراسات الوحدة العربية، (https://caus.org.lb/ar)

3 – محمد رشيد رضا،"نتعاون فيما اتفقنا عليه"بحث منشور في موقع الشيخ القرضاوي، تاريخ النشر:2003/02/22م.

4 – راجع: طه جابر العلواني، تجربتي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص56إلى58.

المبحث الرابع: صفات العلواني وأثرها في واقع الدعوة الإسلامية

(العلواني نموذج مدرسة علماء الغرب الإسلامي).

1- المطلب الأول: العلواني العالم الرباني حسن الخلق .

2- المطلب الثاني: العلواني بين الفكر والعمل .

3- المطلب الثالث: العلواني والآخر .

4- المطلب الرابع: آخر أعماله ووفاته .

المبحث الرابع: صفات العلواني وأثرها في واقع الدعوة الإسلامية (العلواني نموذج مدرسة علماء الغرب الإسلامي)

المطلب الأول: العلواني العالم الرباني حسن الخلق.

الفرع الأول: العلواني العالم الرباني المخلص:

مصدر الربانية والإخلاص تعلُّق العلواني بالقرآن الكريم وتنشئته لأبنائه على حب القرآن الكريم وهذه شهادة ابنه **أحمد العلواني** تُؤكد ذلك في مقالة له **بعنوان علَّمني أبي**[1]:

- ما شكرت الله على نعمة شكري له على نعمة نشأتي في كنف والد مثل أبي –حفظه الله–وبيت علم كبيت أبي.
- تعلمت منه ولا أزال تعهُّده لكتاب الله حيث جعله أنيس وحشته، وجليس خلوته، ورفيق دربه، وضياء فكره، ومحور عمله. وقد شجَّعني والدي –حفظه الله–على حفظ القرآن الكريم منذ صغري.
- ولم أجده يتحسَّر على شيء تحسُّره على أن شيخه الأول في الفلوجة كان ينهاه على حفظ كتاب الله حتى لا ينشغل به عن طلب العلم الشرعي.
- كانت حكمة والدي قرآنية يأخذ من كتاب الله العبرة، ومن جرسه النبرة، ومن علل القرآن علَّته ودليله، ومن أدب القرآن أدبه، ومن رقَّة القرآن رقَّته، ومن عفو القرآن صفحه، ومن حبِّ القرآن حبَّه، ومن هديِّ القرآن هديَّه.
- ومن ذلك الموقف مع شيخه الأول وغيره تعلَّمت أنَّ كلَّ إنسان يُأخذ منه ويُدع وأن لا ضيَّر إن اختلفت في الرأي مع من هم أكبر منِّي سنًّا، وأكثر منِّي علماً ومعرفة، ولكن بأدب العالم والمتعلِّم. **يقول جاسر عودة** في مقاله **بعنوان: بيننا وبينكم يوم الجنائز .. في فضل العلامتين العلواني والترابي:** وقد أخذ عنوان مقالته من مقولة الأمام أحمد–رحمه الله–رداً على من اتَّهمه في دينه ورماه بالشِّذوذ والضلال، "قولوا لأهل البدع بيننا

1– أحمد العلواني،" علمني أبي".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

وبينكم الجنائز[1]" وهو ردٌّ يشير فيه الإمام بفقهه وثاقب نظره، إلى أنَّ الأمة هي التي تحكم على علمائها. **وحقيقة فقد شهدت الجنائز على صدق الرجلين حيث**[2]:

- فقد خرجت الأمة المحمدية لوداع العالمين الفقيدين الأستاذين الشيخ **الدكتور حسن الترابي والشيخ الدكتور طه جابر العلواني**، وبكاهما كثير من الفضلاء والعلماء وطلبة العلم، وصدق فيهما قول الإمام أحمد-رحمه الله-بيننا وبينهم الجنائز[3].
- ويشهد في حقهما شهادته الحيَّة تظل شهادة تسجل في سجلِّهما، تُروى عبر صفحات التَّاريخ حيث يقول: على أنَّني من خلال تتلَّمذي وشغفي وتعلُّمي من الشَّيخين الجَّليلين أشهد أنَّهما **كانا ينصحان لهذه الأمة ما استطاعا**، ويخافان من كتم العلم وعواقبه، ولا يخشيان إلا الله في آرائهما، كانا يعلمان جيداً أنَّهما لن يحصُدا منها إلا المتاعب، **وشهدتُ أنَّهما ما طلبا بأقوالهما منصباً**، ولا مالاً ولا جاهاً، ولم يبيعا الدِّين بثمن بخس كما يبيعه كثير من مدعي العلم، **بل كانت الأقوال والآراء وبالاً عليهما** من الطغاة شرقاً وغرباً.
- ويضيف قائلا: حكى لي **الشيخ العلواني**-رحمه الله-عن قصَّته مع السُّلطات الأمريكية، وكيف **اقتحموا عليه بيَّته بعد الحادي عشر من سبتمبر/أيلول**، بشكل مسلح وعنيِّف لدرجة أنَّ **زوجته الدكتورة منى أبو الفضل** -رحمها الله-مرضت **منذ ذلك اليوم إلى أنَّ ماتت** فيما بعد، وأنَّهم ضغطوا عليه في بعض فتاويه خاصة الفتوى التي **تعلَّقت بحضِّ الجنود المسلمين في الجيش الأمريكي** على عدم خوض حروب الخليج الظالمة، فلم يتراجع عن فتواه.
- ثمَّ قالوا له بالحرف الواحد **إنَّه خطر على الأمن القومي**، لأنَّ اعتداله ووسطيته هما مصدرا الخطر، واشترطوا عليِّه **أن يغادر من غير رجعة رغم الجنَّسية الأمريكية التي يحملها**.

---

1 - ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق محمد رياض الأحمد.(ط:1؛بيروت: المكتبة العربية،1425هـ)،ص18.

2-جاسر عودة،"بيننا وبينكم يوم الجنائز..في فضل العلامتين العلواني والترابي".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

3-جاسر عودة،"بيننا وبينكم يوم الجنائز ..في فضل العلامتين العلواني والترابي".(المرجع نفسه).

فأين هي الحضارة والتَّقدُّم والحرية والعدالة والمساواة، التي صدَّع بها لنا رؤوسنا المتشدِّقون برقي الحضارة الغربية وسموِّها، من أبناء جلدتنا المنسلخين عن هويتهم لصالح منافعهم الشخصية أو لضعف شخصياتهم التي انصهرت أمام أضواء المادية الغربية وزخرفها، فباعوا الباقي وتعجَّلوا الثَّمن، فاستحقوا أن يكونوا مسخاً لا بشراً، فلا الجنسيِّة ولا المواطنة ولا السنوات الطِّوال من الإقامة في حدود السِّلم والمسالمة بما فيها من تقديم للخدمات لصالح البلد أمريكا، كلُّها لم تشفع للعلواني وتكون عذراً لبقائه في أمريكا وعدم طرده دون عودة، هذا هو الغرب مظهره يخفي مخبره فيغري التَّافه ويَستَحمِرَهُ.

كما نقل عنه بثَّ شكواه من مرض أمَّته من خطر التَّطرف ومجافاة الاعتدال فقال[1]:

- وكان يشتكي –رحمه الله–من بُعد الأمة عن الاعتدال والتَّوازن والمراجعة المنِّصفة في كثير من القضايا وأنَّ أسلوب (الصدمة) – على حد تعبيره – أولى لأنَّه قد يُفِيقُ الجهلاء ويُحقِقُ نتائج أفضل من الأسلوب الذي يراعي الجو العام.
- وأنَّ هذا الأسلوب وإن جلب له المتاعب إلَّا أنه في رأيِّه الأسلوب الأنجع في التَّغيير بالإعلان عن الحق أينما وصلت إليه قناعة العالم. ويؤكد في آخر مقاله ومن خلال نظرة معدلة، بأنَّ هذا الكلام في حقَّ الشَّيخ طه والمدح والإطراء، لا يرفعه عن دائرة البشر الموسومة بالأخطاء والنَّقائص، إلى دائرة الملائكة المنزَّهين عن الخطأ فالبشر يُصيب ويُخطئ.

لكن كما يقول ابن القيم–رحمه الله–:"من قواعد الشَّرع والحكمة أنَّ من كثُرت حسناته وعظُمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنَّه يُحتَملُ له ما لا يُحتَملُ من غيره، ويُعفَى عنه ما لا يُعفَى عن غيره، فإن المعصيَّة خبث والماء إذا بلغ القلَّتين لم يحمل الخبث[2]"

1– جاسر عودة، "بيننا وبينكم يوم الجنائز .. في فضل العلامتين العلواني والترابي".(مرجع سابق).

2 – ابن القيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، ج1(ط:1؛ مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1432هـ)، ص504بتصرف.

الفرع الثاني: العلواني صاحب الخلق العظيم.

ولا يوجد أفضل من وصف المرأة لزوجها فهي التي عاشرته في الشدة والرخاء وحال اليسر والعسر وعند الراحة وحال التعب، تقول **زوجته منى أبو الفضل**:

- الشَّيخ، العالِم والعَلَم، حفظه الله وأمدَّه بالصِّحة والعافية والسؤدد والرُّشد، وأنعم عليه من فضله وكرمه، بقدر ما أنعَمَ به ونفع العباد بعلمه وخلقه.
- شهادة حق لوجه الله ... فهو محبٌّ لله ورسوله وآل البيت، وهب حياته لخدمة القرآن الكريم وجمع كلمة الأمة، لا أتردَّد في وصفه بأنَّه من مجددي الدِّين في عصره، مربي أجيال من موقع القدوة والعطاء والعلم الغزير والمتجدِّد دائمًا، واسع الأفق ولديِّه قابلية عالية للتَّعلم ولنفع الآخرين بما تعلَّم.
- فيه تواضع العلماء على أفضل ما يكونوا لا يستنكف عن إعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه، ولا أن يعترف بفضل من تعلَّم منه ولو حرفًا، حتى ولو كانت امرأة؛ زوجة أو ابنة أو أم فاضلة، بعيداً عن الغرور والغطرسة والاعتداد بالنِّفس، والأنانية، دائم التَّركيز عن العفو والعافية، صبوراً على أذى النَّاس له، على قدر كبير من الزُّهد في حياته الخاصة، كريم في بيته ومحيَّاه.
- زوج وفيٌّ محبٌّ، وأب وجدٌّ ودود ومعطاء للأهل وغير الأهل، له حضور وهيبة أينما حلَّ، حلوُّ المجلس، فيه دماثة خلق مع روح من الفكاهة والدُّعابة اللَّطيفة ما يخفف بها عن ألم كل ذي وحشة أو مكربة.
- لبق في التَّعامل مع أطياف البشر، وصنوف المواقف، حمول صبور على الأذى، استطاع أن يقهر المرض واليَّأس بيقين ورجاء لا ينقطع، إلى جانب ما أفاض الله به عليِّه من العلم، فهو على درجة عالية من الحكمة والرَّشاد والسُّؤدد في الرَّأي والمشورة، والتي لا يَضِنُّ بها على من يسعى لها.

وهذه في الحقيقة مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات التي جملَّته من خلال وصف زوجته، في تعامله مع عموم الناس، **تنتقل للوصف الخاص في تعامله معها كزوجة فتقول**[1]:

1- منى أبو الفضل،" بدون عنوان". (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

- أما كزوجة ورفيقة درب فأعترف له بفضل لا يَضِنُّ به أبداً في الدعم والمؤازرة في كافة مشروعاتي العلَّمية والفكرية، مع تفهم وسماحة فيما يختص بحقوقه الزوجية والمنزلية.
- يفتِّش دائما عن محاسن الأداء والعطاء، يحترم ذاتيَّة وشخصيَّة وإنسانية من حوله، وفي مقدمتهم المرأة، يخشى الله –تعالى–ويتقيَّه في أماناته، ولا يخشى النَّاس وألسنتهم وسهامهم العاتبة والجارحة، وإنَّما يتوخى مرضاة الله في المسلك والمخبر.
- ولا يزعجني منه في عشرة ممتدة عبر سنوات عسر ويسر سوى موقف متكرِّر منه، لا ينقصه الطرافة، أفدي به هنا .. وهو **اعتياده الغفلة حين تتساقط الجفنتان** وتتراخى **ويسترسل في مملكة النيام**، كلما **همَّمت على الحديث إليه في جانب من أفكاري أو ما يدور في خلجات نفسي من تأملات**، وحين أعاتبه ضجراً على سهومه وعدم الانتباه، يردِّد عليَّ آيات كريمات من سورة الفتح على ما أظن، في موضع وصف للمؤمنين في لحظة التيسير عند الشدائد، فيما معناه .. وإذ تغشاهم النعاس .. فأنزل الله –تعالى–عليهم السكينة رحمة منه (ويا ليتني استحضر الآيات بأحرفها الوضاءة المشعة..) ثم يقول لي مداعباً: ألا تحبين أن تكوني ممن أجاد الله عليهم بفضل المقدرة على إفشاء هذه النعمة من سكينة وأمان في النفوس المتعبة، وماذا أفعل عزيزتي إذ تتملكني تلك المشاعر حين استمع إلى نبرات صوتك الهادئة التي تبعث على الاطمئنان، والسكينة؟!
- ولاستكمال الصورة، فلابد من استذكار تلك المواقف التي أغرقته في متاهات فكرية فأيقظت فيه وخزات ما يُعرف بالقلق الفكري، فيزجرني الزجر اللطيف مستغيثاً .. لعدم تقديري لضرورة حسن اختيار الوقت والزمان.. ناعيا في دعابة المحب مصير من وقع في أسر(فيلسوفه) عوضاً عن زوجة..
- وللأمانة أقرُّه على مقاله، فأنا أجيد السبح في جوف الليل، وتتفتق لدي الأفكار لتغمرني في بحر من الفلسفة والتأملات، بما لا يستطيعه هو إلا مع مطلع الفجر،

وفي وضح النهار .. حقاً، إن الصحبة الروحية لأعلى مقاما، وأوثق وأدوم وأشد نفاذاً، مما دونها أو ما سواها، والله أعلم.

- وهذا قليل من كثير في حق من أعجز عن أن أوفيَّه حقَّه بقدر ما يعجز قلمي عن الوفاء.. وكلماتي عن الأداء. فهل بعد هذا الوصف وصف، أم بعد هذا الكلام كلام فرحمة الله عليه على هذا الذِّكر الطيِّب وعلى حسن المعشر، النَّابع من حسن تديُّنه وإتباعه لصاحب الخلق العظيم-صلى الله عليه وسلم-القائل: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[1] ويبدو أن كلام منى رجع صدى لمعاملة العلواني لها حسب وصفه لإحساسه بها ومسؤوليته تجاهها:" أنا إنسان **أنظر إلى زوجتي** وأبنائي على أنَّهم هبة من الله لي، أشكره عليهم، لأنَّه جعلهم قرَّة عين لي، أفرح لفرحهم، وأقوم بواجباتهم، وأشاركهم الحياة ذلك أنا في نفسي"[2].

وتقول **رقية العلواني ابنته** في مقال لها بعنوان: **تعلَّمت من والدي**[3]:

- من الصعوبة حقاً أن أكتب عن والدي في كلمات معدودة، ولكنِّي لن أذكر هنا إلا بعض ما **نُقِش في ذهني منذ الطفولة** من خلال مواقف معينة مرَّت بي حينها.
- والدي **تميَّز بحنان فياض**، طغت على بعض ملامح ذاك الحنان الغامر، شخصيته القوية التي بدت عليها وطأة الأحداث التي مرَّت به في مختلف مراحل حياته المديدة بإذن الله.
- اذكر أنِّي **مرضت وأنا في السابعة من عمري**، مرضاً شديداً، ألزمني البقاء في الفراش فترة طويلة، **فكان ظهر والدي لي مقعداً** كلما ذهب بي إلى الطبيب دونما كلل أو ملل.

1- أخرجه أبو داود في سننه، باب في النهي عن سب الموتى-حديث رقم4316، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته. حديث رقم 3314.

2 -طه جابر العلواني،" من أنا". (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

3-رقية العلواني،" تعلَّمت من والدي". (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

- كم كان **يحاورني في صغري**، يستمع لي، ولهمومي الطفولية بل ويُشعرني بأنَّها ذات قيمة ومعنى عظيم مهما كانت بساطتها.
- ولم يزل إلى اليوم –رغم كل همومه الفكرية ومشاغله–يحاور **أولادي** بنفس طويل وصبر وأناة يندر وجودها.
- لطالما كان **يأخذ بيديَّ أمام شيخه** وأستاذه فضيلة العلامة الشيخ عبد الغني عبد الخالق –رحمه الله–ولم أكن قد تجاوزت السابعة من العمر آنذاك، لتلاوة ما حفظته من سورة البقرة على يد أحد قراء مصر... ولأنشد أبياتاً من الشعر أمامه...
- كل تلك المواقف وغيرها، تمرُّ صوَّرها أمام مخيلتي الآن ولم أكن أُدرك حينها أنَّ والدي –رعاه الله–قد **تبنى نهجاً تربوياً في غاية الأهمية في غرس الثقة في نفوس الأبناء** وتدريبهم على فنون التحاور والإصغاء والإلقاء بأسلوب ربما يصعب على المرء تعلُّمه إن لم يُعضَّد في مرحلة الطفولة والصبا.
- كما تعلمت منه ولا أزال، ولكني تعلمت بصمت دون صخب الكلمات وضوضاءها، **تعلَّمت من خلال سلوكه وعَمَله ومواقف كثيرة حدثت أمام ناظري**. مواقف خلت من ثرثرة الكلام، إلا أنَّها حفرت في ذاكرتي وحياتي خطوطاً يصعب أن أمرَّ عليها اليوم دون أن أرفع أكف الضراعة إلى الله بأن يحفظ والدي الذي تعلَّمت منه ما لم أتعلمه في المدارس والجامعات.

ويبدو هذا الوصف والتوصيف في حياته وقبل مماته، وهو **كلام مفعم بروح الأبوة والحنو والعطف الدَّال** على نفس عطوفة مليئة بالمشاعر الإنسانية الفياضة تجاه البراءة، كما **تدل على القدر الكبير من تحمل المسؤولية في تربية الأبناء والسهر على راحتهم**، وعدم **التعذُّر بالأشغال وأعباء الدعوة** كما يفعل الكثير من المنشغلين بأمور الدعوة حتى يبلغ بهم الإهمال والغفلة حدا **يصل بأبنائهم إلى الانحراف والضياع**، وهم مسؤولون عنهم قبل مسؤولية الدعوة، من باب تقديم القدوة للناس قبل دعوتهم، **ودافع العلواني في تلك المعاملة المميزة لأولاده تديُّنه كذلك وحسن فهمه للدين** والمحافظة على أولويات الشرع؛ إذ تربية **الأبناء والعناية بهم في أعلى مراتب التديُّن**، فعن أبي هريرة قال: **قال رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه**

وسلم–: «ما من مولود إلا **يولد على الفطرة**، فأبواه يُهَوِّدانه أو ينصرانه أو يُمجِّسَانه»[1]، **وعن أنس بن مالك– رضي الله عنه–قال**: «ما رأيت أحداً كان **أرحم بالعيال** من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–»[2].

وتقول في مقال آخر بعنوان: برُّ الأمان[3]:

- ما زلت استيقظ في منتصف الليل وصوته يشدو في أذني، يناديني بأحبِّ الأسماء إليَّ.. ذاك الاسم الذي كان يناديني به وأنا طفلة صغيرة، فأجري إلى أحضانه فيضُمني وأختبئ في عباءته، فأرى الدنيا وقد حيزت لي من أطرافها.
- هل اليتيم من فقد والده ولم يبلغ الحُلم حقا! فلماذا أشعر باليُتم وقد شارفت على الخمسين عاماً! لماذا باتت الدنيا وكأنَّها أشدُّ ضِيقاً من سمِّ الخياط....
- كانت بالأمس رحبة، تتسع لكل الأمنيات والآمال العريضة التي لا ترضى دون صلاح الأمة ورفعتها مطلباً.
- أين الانتظار والترقب لإجازة قصيرة، أحزم فيها أمتعتي وأحظى فيها بقربه والأنس بحديثه...أين لهفة الجديد...القادم المرتقب...أين...أين... هل رحل كل هذا عن حياتي حقا! هل رحل والدي!
- عاش والدي ومات غريباً ولم تكن غربته في أرض ولا أوطان.
- عاش والدي متواضعاً في غير حاجة ولا نقصان.
- عاش مجاهداً دونما جِياد ولا فرسان.
- عاش أسيراً من غير سجن ولا قضبان.
- وعاش دوما ملكاً من غير عرش ولا سلطان...

1–أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار، حديث رقم4933.

2– أخرجه أحمد في مسنده، اب مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم12123 صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث رقم2493.

3– رقية العلواني،" تعلَّمت من والدي".(مرجع سابق).

- **لست بشاعرة** ولا أكتب الشعر **ولكن لكل كلمة مما كتبت**، معنى أفصحَ عنها البيان وفاض بها الوجدان، فما هي إلا فصل من فصول حياة والدي.
- لم **أدرك يوماً** أنَّ والدي **ناهز الثمانين عاماً** إلا حين نعته الصحف والمنظمات والهيئات في مشارق الأرض ومغاربها، قائلة؛ رحل العلواني عن عمر ناهز الثمانين عامًا.
- ليس لأنِّي لم اعرف **ولكني لم اشعر بها يوماً**، فما جالسته إلا وشعرت أنِّي أمام شاب لم يبلغ الثلاثين عاماً. نعم في قمة الشباب والحيوية والنشاط، ولم يكن شباب والدي شباب صحة ولا أيام ولا شهور ولا أعوام، بل كان شباب آمال وأحلام.. أفكار وأقلام... كتب وتصانيف ودورات .. لم يطل بها المقام.
- فإنَّا لله وإنا إليه راجعون رحل والدي عن دنيا لم يعش لها، غادرها إلى دارٍ لم تتق روحه إلا لها... **قلة من الناس يعرف عن والدي روحانيته العطرة وشفافيته النَّيرة**، لكنِّي عرفتها منذ الصغر ..لمستها..عشتها ...عاينتها.لطالما تذاكرنا حياة النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم–وسيرته المشرَّفة، فيحلو السمر وتشدو الطيور وقت السحر.
- ثم رأيتها في اللحظات الأخيرة من حياته، وهو يُردِّد..**اشتقت إلى جوار ربي**، اشتقت إلى جوار ربي. اشتقت إلى السجود..بين يديه. وكان والدي **قد حُرم من السجود أعواماً طويلة**، أقعده المرض والألم ولكن حرَّكه الشوق والأُنس حتى سجد واقترب. والدي الحبيب ...تعلَّمت منك في حياتك كما تعلَّمت منك في وفاتك....
- تعلَّمت أنَّ الحياة **سباق إلى رضا** الرحمن، رحلة إلى أعلى الجنان، لا يحظى بها إلا من كان له حسٌّ ووجدان، بصيرة وعقل في غير غفلة ولا نسيان، يستلهم النور من القرآن، وبهدي المصطفى يرنو إلى برِّ الأمان.

وتؤكد ابنته زينب هذه الصفات التي تحلَّى بها والدها وقد تجاوزت نطاق أولاده وأسرته **ليشمل بكنفه وعنايته طلابه والناس أجمعين فتقول**[1]:

1- زينب العلواني،" أبي وشيخي".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

- لقد تفانى أبي في حب الناس والتواضع لهم، ولم يقتصر حبه وجَنَانُه وإخلاصه على أولاده فحسب، بل وسع طلابه وأصحابه وأقاربه وكل من عمل معه وله.
- فكم رأيته **يسامح ويعفو عمن ظلمه**، وكم رأيته يبكي بحرقة صديق أو صاحب اشتدَّ بلاؤه، وكم رأيته ينصح ويوجِّه بحكمته شباباً ضلوا الطريق.
- ويُخفِّف عن آباء فقدوا الأمل وقصدوه **ناشدين حكمته الأبوية**، ومساعدته في محادثة أبنائهم لما له من قُدرة على مخاطبة مختلف أنواع الناس، كبيرهم وصغيرهم، عالمهم وجاهلهم، فقيرهم وغنيهم، فكل يشعر معه أنَّه الأقرب إليه.

إنَّها التربية بالحب والتقدير والاحترام والمصاحبة والمشاورة، التي تعامل بها العلواني مع أولاده حتى ينشؤوا في حالة نفسية مستوية وقوية، فهو بهذا السلوك يعطينا دروساً في علم النفس، ويعلم علم اليقين بأنَّ الدعوة إلى الله تعالى حب على حدِّ تعبير عباس السيسي في كتابه **الدعوة إلى الله حب** إذ يقول:" أي أخي: هذا العالم يحتاج إلى قلب وعاطفة ومشاعر، **فَكُن القلبَ لهذا العالم**، وأحيِّيه بعاطفتك ومشاعرك، إنَّ الإنسان الذي يعيش بلا قلب ولا عاطفة ولا مشاعر قد تكون له فلسفةُ أو نظرة أو تجربة لكن الإنسان لا يكون إنساناً إلا بمثل هذه المقومات النفسية والروحية، وإلا لكان الإنسان الآلي وجهاز الكومبيوتر يغطيان مهمة الإنسان[1]".وينادي المسلم بأعلى صوته **قائلا: "أيها المسلم العظيم**: عَمِّرْ هذا العالَمَ بفيض حنانك، وأشعر كل القلوب بمزيد رحمتك وخُصَّ إخوانك المسلمين بأعلى درجة من حرارة المحبة وأشعرهم بأنَّك تحبهم فذلك هو الإكسير لعلاج ألف مشكلة ومشكلة إنَّ كثيراً من مشكلات العالم سببها خمود العاطفة أو انحرافها"[2].

وهذا ما أثبته ابنه أحمد العلواني حيث قال[3]:

- فقد جسَّد –حفظه الله–هذه الخصال بممارسته لطلابه ولي على صغر سِني، وكان ولا يزال –حفظه الله–لا يدع فرصة تمرُّ إلا ويسألني عن رأي فيها ويشجعني على مناقشته

1 – عباس السيسي، الدعوة إلى الله حب.ج1(لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت)، ص3.

2 – عباس السيسي، الدعوة إلى الله حب.ج1(المرجع نفسه)، ص3.

3– أحمد العلواني،" علمني أبي".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

حتى **في أدق تخصصاته التي أعلم أنَّه يعرف فيها ما لا أستطيع معرفته** لو قضيت بقية عمري في دراستها.

- وكان يقول لي عند بلوغي سن المراهقة (إذا كَبر ابنك خاويه) فكان نِعم الأخ ونِعم الصديق ونعم الأب والوالد.
- كان –حفظه الله–يصطحبني معه في كثير من مجالس العلم، بل وحتى في مناقشة رسائل الدكتوراه لطلابه على صغر سني، بل ومشاركته لقاءاته مع طلاب الدكتوراه عندنا في البيت.

وهذي دماثة الخلق وسعة الصدر وحسن الضيافة وأدب الاستقبال في شهادة فتحي **حسن ملكاوي** إذ يصفه قائلاً[1]:

- وأشهد أنَّني لا أعرف أحداً تعلَّمت منه أكثر مما تعلَّمت من الشيخ طه، ولا أعرف أحداً تحمَّل مني نقدا وجدلاً واعتراضاً، مثلما تحمَّل.
- ولا اعرف أحداً يشعرني بأنَّه (يهشُّ ويبشُّ) لزيارتي له، أو حديثي الهاتفي معه، مثلما يفعل.

المطلب الثاني: العلواني بين الفكر والعمل:

الفرع الأول: العلواني الخطيب المفوه والمفكر والمجدِّد.

أولاً: العلواني الخطيب المفوه.

بدأ **العلواني حياته الدعوية منذ شبابه**، من أعظم المقامات وأجلِّها، اعتلاء منبر رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ومخاطبة الناس بتعاليم الإسلام، فكان حقاً صوتاً مدوياً في العالمين، بأنَّ سبيل الخلاص والنجاة هو حبل الدين المتين، وأقد أدى العلواني هذا البلاغ بجرأة وشجاعة في المواقف وبصراحة وبيان في الملافظ. **يصفه هشام الطالب فيقول عنه:" معرفتي بأستاذنا الدكتور طه جابر العلواني** تُقارب نصف قرن، **حيث كان خطيباً مفوَّهاً** في جوامع

1– فتحي حسن ملكاوي،" بدون عنوان ".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

بغداد يقصده الشباب المتفتِّح والمتطلِّع إلى فهم عصري وأصيل للإسلام، راغباً في إزالة الظلم والتسلط"[1].

كما يرسخ في ذاكرة زينب ابنته صوت والدها مدوياً في خطبه فتسر ذكراها في وصف شيق[2]:

- وعيت في هذه الدنيا على **صوت أبي يخطب كل جمعة بصوته الجهوي** في جامع الحاجة حسيبة –رحمها الله–في بغداد.
- سمعته يُذكِّر بكتاب الله وسنة رسوله–صلى الله عليه وسلم –مخاطباً العقول والقلوب بأسلوب واضح وبليغ، قاصداً تحريك الهِمَمِ وتشجيع الناس على إقامة العدل ونشر الرحمة، ورفع الظلم والطغيان.
- سمعته يتحدى الحكام والمسؤولين، بل كان أحياناً يحضر خطبته كبار رجال الدولة فيشدِّد عليهم القول، ويذكِّرهم بحدة موقفهم أمام الله – تعالى–يوم لا حاكم إلا هو.

وخُطبه المشهورة **قبل وبعد استلام عبد السلام عارف للحكم** شاهدة على فصاحته؛ فمنها **التي أبكته** ومنها التي **طلب تكرارها وإعادتها**، وقد مرَّ ذلك في طيَّات هذا البحث. وقد لا يكون السبب الفطري هو الذي جعله يكون خطيباً مفوهاً **بقدر حرصه وإتقانه في أداءه لخطبته، وقد** صرَّح بذلك أثناء حديثه عن **أيام دراسته في الأزهر الشريف**:" ...وكان لي مسجد أخطب الجمعة فيه حينما أعود في إجازتي، وخطبة الجمعة مهمة جداً لبناء شخصية الخطيب، **ولكي يثبت شاب مثلي نفسه بين الخطباء والجمهور كان لابد من الإلمام بموضوعات اجتماعية مختلفة**، أحياناً تكون موضوعات سياسية؛ لأنَّ الناس قد **ملَّت الاستماع إلى الخطباء التقليديِّين** الذين يقدمون الخطب من كتب محفوظة، ويكرِّرون على الناس منها خطباً موزَّعة بحسب السنين والأشهر **لا علاقة لها بواقع الناس ولا مشكلاتهم**[3]".

1– هشام الطالب،" بدون عنوان".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

2 – زينب العلواني،" أبي وشيخي".(مرجع سابق).

3 – طه جابر العلواني، التعلم الديني بين التجديد والتجميد.(مرجع سابق)، ص17و18.

وهذا النقد لتلك الخطب الرتيبة ولَّد عنده حاسة البحث الدقيق في صناعة التأثير من خلال ما يقوله وخطبة الجمعة أهمها.

ثانياً: العلواني المُفكر والمُجدِّد:

يصف الكثيرون العلواني على أنَّه مفكر من الطراز الأول، يصل به الحد إلى درجة التجديد والإبداع بين أمرين هامين:

- لجمعه بين الموروث القديم القائم على أعظم أبوابه من أصول الفقه والمقاصد.
- والوافد الجديد من علوم ومعارف في مجال علم النفس وعلم الاجتماع الوافد من الحضارة الجديدة.

وصل الحد **بزكي الميلاد** وغيره بأن يُطلق عليه لقب العلامة فقوله[1]:

- يُعدُّ **العلامة طه جابر العلواني** بشهادة الكثيرين **من أهل العلم والخبرة**، وواحدًا من ألمع علماء المسلمين المعاصرين **ويصنف في الطبقة الأولى من المفكرين الإسلاميين في هذا العصر**.
- تشهد له **تحقيقاته ودراساته ومحاضراته** التي تتَّصف بالضبط العلمي، والتماسك المنهجي، والتجديد الفكري.
- **والعلامة الدكتور طه** هو من الذين ساهموا في إحداث نهضة معرفية ومنهجية في ساحة الفكر الإسلامي المعاصر، **وأحد مساراته ومسلكياته الفكرية والثقافية، بتأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي** الذي جاء فتحاً على الفكر الإسلامي، ومنبِّهاً الأمة إلى عمق الأزمة الفكرية فيها ومذكِّراً بها وداعيا لإصلاح الفكر الإسلامي طريقاً وسبيلاً لإصلاح الأمة، ومُجدِّداً في مجال إسلامية المعرفة، القضية التي فتحت أفقاً معرفياً مهماً أمام تطور المعرفة الإسلامية، وأمام تقدم الفكر الإسلامي، **وبلورت مساراً جديداً في مسلكياته عُرف بنهج إسلامية المعرفة.**

وتتبلور وتتجسَّد مسلكيات مسار التجديد الفكري للعلواني حسب رأي زكي ميلاد في

1- زكي الميلاد،" بدون عنوان. (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

مايلي[1]:

- إنَّ العلواني من **المجددين لفكرة إسلامية المعرفة**، وعطاؤه في هذا الجانب يمثل طوراً مهماً في أطوار تجدُّد وتطور **هذه الفكرة الخلاقة في المجال الإسلامي**.
- يضاف إلى ذلك أن العلواني، **يُعدُّ من القلة الذين حاولوا بناء جسور العلاقة بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية** وهذه واحدة من أكبر المهام الفكرية وأصعبها وأعقدها في ساحة الفكر الإسلامي المعاصر وليس من السهولة على الإطلاق إنجازها، أو الادعاء بإنجازها، أو كسب ثقة الآخرين بهذا الإنجاز.
- وعلامة اهتمام العلواني على هذا التوفيق وسعيا منه لبناء هذه العلاقة، **فقد أسَّس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية**.
- وكأنَّه بهذا العمل الحضاري أراد أن يبحث عن **نموذج ثالث** يكون **مفارقاً** لجامعات **العلوم الإسلامية التقليدية** في العالم العربي والإسلامي و**لجامعات العلوم الاجتماعية** في الغرب، ولافتاً من جهة أخرى إلى صورة الانفتاح و**التواصل بين هذين الحقلين**، ولهذه المهمة جاءت فكرة إسلامية المعرفة.

وفي حقيقة الأمر هذا جهد جبار لمشروع علمي واعد يقضي على **هيمنة العلوم الإنسانية والاجتماعية على مجريات البحث العلمي** اليوم والتي **أقصت العلوم الإسلامية** وحشرتها في زاوية ضيِّقة بعيدة كل البعد عن متطلبات الإنسان اليوم.

ويؤكد **عبد الجبار الرفاعي** شهادة زكي الميلاد في العلواني فيقوله[2]:

- وكان طه العلواني أحد الفقهاء المستنيرين الذين اقتحموا الحدود المهملة في التفكير الديني في الإسلام المعاصر عبر الانتقال إلى آفاق ومساحات لم يُفكر فيها الإسلاميون الحركيون من قبل.

1- زكي الميلاد،" بدون عنوان ".(مرجع سابق).

2 – عبد الجبار الرفاعي،" بدون عنوان".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

- بسبب عدم توفرهم على تكوين علمي تُراثي رصين وجهلهم بالمكاسب الراهنة للعلوم الإنسانية، **بالإضافة** لاستغراقهم بهموم الحكم، **و**أحلامهم وشهوتهم الأبدية في الوصول إلى السلطة، **و**أوهامهم في اختزال التغيير الاجتماعي في التغلب على الحكم.

هذه الأسباب لم تغب على تفكير العلواني منذ النشأة، بل كانت هاجسه النفسي التي عملت على إيقاظ ملكة النقد والمراجعة والتجديد من أجل مشروع حضاري يرفع من شأن الأمة ويقضي على الممارسات المتخلفة في تاريخ الأمة الإسلامية.

ففي مسائل الفقه على سبيل المثال ينقل **عبد الوهاب المسيري** نظرة العلواني التجديدية إذ يرى[1]:

- أنَّ أغلب مباحث الفقه الإسلامي الُمتشعِّب المتنوِّع الثري يجب أن يُدرس دراسة تاريخية، غير منفصلة عن إطاره الزماني والمكاني وإشكالاته الفكرية الخاصة به، **فلا يمكن بحال قبول أحكام الفقه الموروث كأحكام مُسلَّم بصحتها**، دون نقد وتحليل.
- **ولابد لفقه العصر أن يُبنى على أصول جديدة**، كما أنَّ فقه الماضي لابد أن يُراجع عبر عمليات تحليل وتفكيك وتركيب، يُمكن تطويرها وتأسيسها لإرساء قواعد للمراجعة ومن ثَمَّ تأسيس علم للمراجعات.
- وكمثال على هذا الفقه الجديد قدَّم العلواني دراسة جادة بعنوان (لا إكراه في الدين) في مسألة الردة عن الإسلام وحد الردة.

ثم يُحدِّد عبد الوهاب المسيري أهم الأصول التي أصلها العلواني لفقه عصري جديد[2]:

- هي تأكيده على أنَّ القرآن الكريم هو المصدر المنشئ للأحكام والكاشف عنها.
- والسنة النبوية هي المصدر المبيِّن للقرآن الكريم، وضرورة الاعتراف بحاكمية الكتاب وأسبقيته، وأنَّه قاض على ما سواه بما في ذلك الأحاديث والآثار.

1- انظر: عبد الوهاب المسيري،" بدون عنوان ". (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية)، بتصرف.

2 - عبد الوهاب المسيري،" بدون عنوان ". (المرجع نفسه).

- وأنَّه لا يجوز النظر لآيات القرآن كجزيئات، وكذا السنة الصحيحة، فمن الضروري رد الجزئي للكلي.
- وقد أكَّد العلواني على أن الخطاب الموجه إلى عالم اليوم لابد أن يقوم على قواعد وقيم مشتركة.**ولذا لابد من التدقيق في الواقع الحياتي بمركباته المُختلفة باعتباره مصدراً لصياغة السؤال والإشكال الفقهي**. وهذه من أهم مميزات علماء الغرب الإسلامي؛ البحث عن القيم المشتركة وتأسيس الفقه بناء على المقاصد، حتى نستطيع القفز فوق التفريعات الجزئية للفقه التي أثقلت وما استوعبت ففرقت وما جمعت.

ثالثاً: العلواني بين العلم والعمل:

منذ وعيِّه في بدايات شبابه أدرك العلواني بكل ثقة وثبات أنَّ إسلام المرء لا يتمُّ ولا يكتمل إلا **بالجمع بين أفضل العلم وصالح العمل**، وعلى هذا الاعتبار توصَّل إلى تقسم الناس إلى أصناف محدِّداً موقعه بينهم[1]:

- رجل لذاته ونفسه.
- ورجل لأسرته.
- ورجل لعشيرته أو مدينته.
- ورجل لإقليمه.
- وفوق هؤلاء رجل الدولة.
- ولا يتقدم عليه إلا رجل الأمة.
- وكان يتطلَّع إلى أن يكون رجل أمة لا شيئاً آخر.
- وسبيل ذلك عنده العلم والفكر وتبني قضايا الأمة على جمع كلمتها، وإعادة بناء ما رثَّ وما تَقَادم من عُراها ومُقوماتها.
- وقد توصَّل إلى هذا التقسيم وهولا يزال في مقتبل شبابه، كما أنَّه حافظ على هذا التقسيم إلى أخريات حياته ومما يعتزُّ به ويفخر. لذا انخرط أيام شبابه في معترك الحياة السياسية في العراق، ضمن نشاطات الحزب الإسلامي العراقي، لينطلق بعد ذلك

1 – انظر: طه جابر العلواني، تجربتي مع الحياة السياسية في العراق.(مرجع سابق)، ص 58بتصرف.

مقتحماً مجالات متباعدة، من النادر اليسير الجمع بينها والتوفيق بين مناقضاتها، وها هي **خديجة جعفر** تسبح بنا قليلاً عند ساحل هذا البحر المتلاطم الأمواج[1]:

- يمثِّل طه جابر العلواني نموذجاً إسلامياً عصرياً مُتفرِّداً، فقد نشأ نشأة دينية بحتة في العراق، **تأصَّلت بدراسته المتعمقة للعلوم الدينية في الأزهر الشريف** الذي يمثل التجسيد الحي لتراث الحضارة الإسلامية في علومها الدينية ومشكلاتها وثقافتها السالفة كما يمثِّل هجران العصر الحاضر بعلومه وثقافته ومشكلاته وهمومه.
- وبعد أن انتهت تجربته السياسية في العراق وغادره انتقل **للتدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود قلعة السلفية** في ذلك الحين.
- بهذا التكوين الديني الأزهري، وهذا العقل الأصولي الفقيه، وهذه التجربة السياسية المرة، غادر العلواني **للولايات المتحدة الأمريكية، ليقيم فيها ويعايش ثقافتها وحضارتها عن كثب وهناك انفتح على علوم وثقافة العصر الحديث**، وعايش مشكلات الحضارة الغربية خلال خمسة وعشرين عاماً.
- هذا **التفاعل الخلاق بين الماضي والحاضر**، بين حضارة زالت بفلسفتها وعلومها وثقافتها، وحضارة ما زالت تعيش بوجودها وفلسفتها وعلومها ومشكلاتها في عقل الأزهري الأصول الفقيه.
- مما جعل العلواني يُراجع تُراثه الديني الذي تعمَّق فيه كطالب علم أزهري، هذه المرة **بعقل ناقد مُحلِّل يُسائل تراثه وثقافته في جرأة وشجاعة**، جعلت خطابه يتَّسم في **عمومه بالنقد الجريء الشجاع لكثير من المسلمات** والنظريات المستقلة في الفقه وأصول الفقه، كرأيِّه مثلا في مسألة حد الردة، ومنهج التعامل مع السنَّة النبوية. مثَّلت مرحلة التوتر الفكري الذي عايشه العلواني بعد هجرته، مخاض ولادة أطروحاته المتسقة في مجالات الدراسات القرآنية وأصول الفقه ومقاصد الشريعة والفقه الإسلامي.

وجاء في وصف جمال البزنجي للعلواني بالجمع بين القول من فوق المنابر وبين العمل

1-خديجة جعفر، "المراحل الفكرية للدكتور طه العلواني". (مرجع سابق).

في قاعات الحزب وممرات وسراديب السياسة[1]:

- أول ما عرفت الأستاذ الدكتور طه جابر العلواني في بداية الستينات، عرفته خطيباً مفوَّهاً وزعيماً سياسياً مُسلماً، وقد سحرتني بلاغته في الخطابة وفصاحته في اللغة.
- وامتلأتُ إعجاباً بوعيٍ سياسيٍ لم نألفه يومها بين المشايخ وخطباء المساجد. لقد كان يومها في قيادة الحزب الإسلامي في العراق، أول تجربة رسمية للعمل الإسلامي السياسي في العراق.

ويُؤكد سعة علم العلواني وبراعته صديقه عبد الحميد سليمان[2]:

- لم يكن الأستاذ الدكتور طه **مُجرَّد عالم مُختصٍّ مُحقِّق في علم من أهم علوم الشريعة**، وهو علم أصول الفقه، ولم تكن تلك الصفة وحدها لتسترعي انتباهي، فعلماء الشريعة وأصول الفقه من حولي كانوا –مع احترامي لهم–كثيراً، ولكن من عرفت منهم حينئذ كانوا مُدرِّسين أصحاب اختصاص فقط.
- ما استرعى انتباهي إلى الأستاذ الدكتور طه – إلى جانب اختصاصه العلمي–هو **أبعاد شخصيته وخبراته المتعددة الأخرى** التي تجعله على وعي بحال الأمة والأزمة الحضارية التي تمرُّ بها، **وتجعله متيقظاً ناقداً مدركاً للأزمة الفكرية التي تمرُّ بها الأمة**، ويمرُّ بها الفكر التراثي، وكيف كان يتطلع إلى مخرج منها.
- هذا **الإعداد الأكاديمي التراثي**، ومعرفة **أسراره قوة وضعفاً**، إلى جانب **خبراته الحياتية الواقعية** التي تعرَّف بها على حقيقة ما هي عليه الأمة،وما تُواجهه من تحديات، مع ثقافة اجتماعية عامة واسعة، وتطلُّع لا ينقطع إلى مزيد من العلم والمعرفة والدرس والبحث.
- كل هذا ما جعل الأستاذ طه **ينطلق للنشاطات السياسية الحركية** من موضعه وإمكاناته العلمية والفكرية ليكون أحد أعمدة مدرسة إسلامية المعرفة المعاصرة وأحد

---

1 – جمال البرزنجي،" بدون عنوان ".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

2– عبد الحميد سليمان،" بدون عنوان".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

أبرز رجالاتها، والمدركين لأبعادها، والعاملين من أجلها، **وهو ما أعطى النُّكهة والتميز العلمي والشرعي لكتاباته واجتهاداته.**

فالتوفيق بين العلم الشرعي الأكاديمي وسَبرِ أغواه وكشف خفاياه، وتكيِّيف كل ذلك في الوضع الواقعي وصقله من خلال خَبَرات الحياة وتجاربها، جعل من العلواني رجل عصره وزمانه بامتياز.

ما امتاز به العلواني من انفتاح علمي رصين كان سبباً في تمسك من حوله بمبادئ الهوية وتحريك دوافع البحث الجاد لديهم **يشرح صبحي الغندور ذلك**[1]:

- لقد كان للدكتور طه دورا هام في بدء مسيرة (مركز الحوار العربي) في واشنطن.
- وفي إثراء ندوات المركز بالموضوعات الفكرية الهامة التي حاضر فيها وعزَّزت لدى رواد المركز قناعتهم بأهمية التمسك بالهوية العربية ومضمونها الحضاري الإسلامي.
- إنَّ الأمة العربية بحاجة الآن أكثر من أي وقت مضى إلى مفكرين من أمثال الدكتور طه الذي يعمل جاداً من خلال فكره وأبحاثه ومواقفه على مواجهة ما يخطط لهذه الأمة من فتن ترمي إلى تمزيق أوطانها وإشعال نار الحروب الأهلية بين أبنائها.

المطلب الثالث: العلواني والآخر:

الفرع الأول: العلواني ودعوة التعايش السلمي بين الملل والنحل:

يسعى العلواني ويبذل قصارى جهد لِلَمِّ شمل الأمة الإسلامية التي أرَّقها التقسيم والتفتت والشتات يذكر **عبد الجبار الرفاعي** سعيه الدؤوب للتوفيق بين السنَّة والشيعة رغم تنكرهما له وإدارة ظهرهما له ومعاناته من ظلمهما وعدم إنصافهما له فيقول[2]:

- الجريء الجسور المستنير، ضيَّعه سُنَّة العراق، كنبيٍّ ضيَّعه قومه.
- كما نساه شيعة السلطة في العراق، رغم أنَّه كان على صلة عضوية بهم، وبمرجعية آية الله السيد محسن الحكيم.

---

1 – انظر: صبحي غندور، بدون عنوان– قالوا عنه– موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية) بتصرف.

2 – عبد الجبار الرفاعي،" الشيخ طه العلواني فقيه ضيَّعه سنة العراق ونساه شيعتها" موقع صحيفة المثقف العدد، مؤسسة المثقف العربي، العدد3470،(http://www.almothaqaf.com/b5/903654)06-03-2016 .

- وهو المنسِّق بين هذه المرجعية وسُنَّة العراق، قبل أكثر من نصف قرن، من خلال صديقه ابن المرجع العلامة الشهيد المرحوم السيد مهدي الحكيم..
- لا أعرف فقيهاً معاصراً تجرَّأ كما هو، فكتب كتاباً هاماً نفى فيه حد الردة، وشدَّد على أن عقوبة المرتد أخروية لا دنيوية، كذلك نفى الحدود والعقوبات البدنية، بأدلة فقيه خبير، يتوكَّأ على القرآن الكريم كمرجعية في استدلاله، بوصفه قيِّماً ومُهيَّمناً وشارحاً للحديث الشريف..

وهذه شهادة ياسر كمال الغرباوي شهادة أخرى تُؤكد حرص العلواني على جمع الكلمة وتألمُّه من حالة الفُرقة[1]:

- رحم الله الدكتور طه العلواني فقد كان أول لقائي به في بيته بالزمالك في إحدى ليالي رمضان العامرة؛ فأفاض علي من واسع علمه وجميل مقترحاته وكرم ضيافته.
- وقدَّم لي مشروعاً دراسياً واعداً لمعالجة الفُرقة والانقسام بين الشيعة والسنة قلَّ أن أجد له مثيلاً في المجامع الفقهية التقليدية.

كما يؤُكد السيد عمر هذه الرؤية المتسامحة للعلواني:"وفي الفلوجة انفتح العلواني على غير السنَّة، واحتكَّ بهم بشكل مباشر،حيث عمل إمام مسجد سُني في وسط يغلب عليه الشيعة[2]". كما سبق ذكره في المبحث الأول من هذا الفصل.

الفرع الثاني: العلواني بين المفاهيم التراثية والتفتُّق الحداثي:

يقول الدكتور مازن هاشم في موقف العلواني المزاوج بين نقد التراث والحداثة[3]:

- يرفض الدكتور طه جابر العلواني الانحصار في إعادة تأويل المفاهيم التراثية مؤكداً بأنَّ متروك التراث ومرفوضه أكثر من مقبوله، مقرِّراً بذلك نسبية التراث مقابل إطلاقية المصدرين الكتاب والسنَّة.

---

1 – ياسر كمال الغرباوي، "بدون عنوان".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

2 – السيد عمر، جامع فقه الأمة رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني.(مرجع سابق)، ص 40

3– انظر:مازن هاشم،" بدون عنوان".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية)، بتصرف.

- كما إنَّه إذ يرفض الانحصار في تجربة الماضي ويرفض في نفس الوقت القفز فوق دروس التجربة التاريخية للمسلمين، فإنَّ ذلك يقتضي مراجعة منهجية بقراءة النص والواقع لزمنين: زمن مسلم انقضى وزمن حداثي يتفتَّق.

ويؤكد كذلك مازن هاشم بكل وضوح تفرد طرح العلواني في هذا الموضوع[1]:

- بتأكيده على أنَّ عملية التجديد تستلزم معالجة أطروحات العلوم الاجتماعية والإنسانية، التي يحفل بها فكر الحداثة.
- ولكن لما كانت عطاءات الحداثة تنحدر من نبع حضارة أخرى، فإنَّها تُلزم الباحث الجاد ألا يقتصر على الانتقاء من إفرازاتها العملية – التي قد تتمتع بدرجة عالية من الحيادية وعدم الخصوصية–وأن يسبر منطلقاتها الفلسفية، وأبجديات منهجياتها في عملية تفكيك واع، وتركيب مُبصر يستلهمان الخطوط العامة للقرآن والسنة.
- ومن هنا يدعو الدكتور طه إلى منهجية الفهم التفاعلي المستوعِب لمرجعية الخطاب الكلي للنص، ومحورية التجربة الإنسانية على أرض الواقع –مما أسماه القراءة المزدوجة لآيات الكتاب، وآيات الكون في سنن الاجتماع وخبرات البشر.

ومما يلفت الانتباه والنظر حسب رأي مازن هشام في شخصية العلواني–رحمه الله تعالى–هو ما تميَّز به الدكتور طه، إذ يعتبر من القلائل المتخصِّصين في العلوم الشرعية، الذين يدركون الإشكالية المنهجية للعلوم الحديثة. مما اكسبه قدرة نادرة على التخاطب مع فريق متخصِّص في العلوم الاجتماعية والإنسانية.[2]

ويؤكد **عبد الجبار الرفاعي** هذه المتانة العلمية في حسن التعامل مع التراث والقضايا المعاصرة ومنها الحداثة وبكل أريحية عبَّر بقوله[3]:

- لقد كان التكوين العلمي والمعرفي للشيخ العلواني مفارقاً للتكوين المبسط الهش للكثير من الدعاة ورجال الدين والوعاظ في المجتمعات الإسلامية اليوم.

1–مازن هاشم،" بدون عنوان".(مرجع سابق).

2– مازن هاشم،" بدون عنوان".(المرجع نفسه)، بتصرف.

3– عبد الجبار الرفاعي،" بدون عنوان ".(مرجع سابق).

- ذلك أنَّه انخرط في دراسة المعارف الإسلامية ومقدماتها في فترة مبكرة من حياته، فتتلَّمذ على علماء خبراء بالتراث ومسالكه الوعرة في بغداد.
- وبموازاة ذلك حرص على مواصلة تعليمه الأكاديمي الحديث في الدراسات الشرعية في جامعة الأزهر، وكانت أطروحته للدكتوراه تحقيق ودراسة (المحصول من علم أصول الفقه) لفخر الدين الرازي، وهو من أهم المدونات الأصولية في التراث، وأشملها في استيعاب المعطيات الهامة لهذا العلم وأعمقها في بحث وتحليل القواعد الأصولية، وشحذ التفكير في علم الأصول، واستئناف بناء أساليب الاستدلال وطرائق البرهنة على مسائله، وإعادة صياغة مفهوماته ببيان مختلف.
- وبعد الدراسة الجادة المعمقة لأصول الفقه والموروث بأسره، أنطلق العلواني ليصوغ أو يواصل صياغة مسالك بديلة للدراسات الشرعية، تؤصل لأسس ومرتكزات راسخة لاستنباط فقه يواكب الحياة، وينفتح على معطيات العصر والمكاسب الراهنة للعلوم والمعارف.
- مما جعل العلواني يدرك أنَّ أحد أبرز مظاهر أزمات مجتمعاتنا **هي الأزمة الفكرية**، وهذه الأزمة تتطلب أزمات استئناف **النظر في مناهج الاجتهاد** والتسلُّح بالجرأة في **نقد التراث**، وإعادة **بناء أدوات منهاجية للاجتهاد** تتخطى الأدوات التقليدية التي اخفت في فضائها العناصر المرنة في التشريع وعطلَّت الآليات الديناميكية عن وظيفتها في إنتاج **فقه يستجيب لأسئلة الحياة المتنوعة**، وتحولات الواقع السريعة والملتبسة.

يقول صبحي غندور: "قليل من المفكرين الإسلاميين والعرب من استطاع **أن يجمع** في فكره بين **عمق المعرفة الإسلامية وبين العقلانية في التفكير** والمنهج، والدكتور طه جابر العلواني هو أحد أبرز هؤلاء المفكرين العرب والمسلمين"[1].

يؤكد مصطفى عاشور نظرة طه الموضوعية اتجاه نقد التراث[2]:

1- صبحي غندور، "بدون عنوان ".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

2 - مصطفى عاشور،" علم المراجعات منطلق الاجتهاد الفقهي ".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

- وأكد العلواني أنَّه بأفكاره التي يطرحها لا يُقدم مراجعات شاملة للتراث، ولكن يثير قضايا وإشكالات تحتاج من الباحثين إلى تعميق وحفر معرفي.
- وكأنَّه في هذا يحاول مثل من سبقوه من العلماء أن يتجنَّب الاتهام بأنَّه تجرَّأ على نقد التراث، لئلا يُوضع أو يصنَّف أو يتهم بأنَّه يتماهى في موقفه من التراث مع ناقديه، وغير الملتزمين به من أبناء الأمة.
- ومن ثَمَّ تُصبح الخطوة الأولى في أيَّة مراجعات هي فهم البيئة العربيَّة والثقافيّة قبل البعثة.. وهذا الفهم يفتح أبوابًا لإدراك قضايا مهمة ومن بينها الاتصال الثقافيّ اليهوديّ بالعرب قبل البعثة وفي أثنائها. حيث كانت (الثقافة الشفوية) العربية مترعة بذلك التراث خاصة في الحجاز، حيث سكن اليهود الجزيرة قبل البعثة النبوية بسبعة قرون انتظاراً لظهوره، وطمعاً في أن يكون متصلاً بأنسابهم.
- **الفرع الثالث: العلواني ابن عصره بامتياز:**

يقول عنه الدكتور أبو يعقوب المرزوقي[1]:

- كان أول لي لقاء مع الشَّيخ طه جابر العلواني هو قراءتي لافتتاحية العدد الثالث عشر (13) من إسلامية المعرفة، حيث سمعت صوتاً **يجمع بين شموخ النَّهضة العربية** بإشارته إلى الفلسفة وعلوم الدنيا و**طموح الصحوة الإسلامية** بتلويحاته إلى الحكمة وعلوم الدين.
- وقد شدَّني إلى سيرة الرجل العلمية والعملية دوره في مجال إحياء الحضارة الإسلامية بالتأليف والتعليم الجامعي حيث ينبض قلب العالم لحظة العولمة التي عادت بالإنسانية إلى طغيان قانون التاريخ الطبيعي.
- كما أدرك هو وثلَّة من المفكرين الملتزمين بالرسالة الخاتمة أنَّ الرهانات الأساسية التي تترتَّب على سعي المسلمين لاستئناف دورهم التاريخي الكوني لها صلة وطيدة بالمعركة الثقافية في البلد الذي بيده مقاليد العالم حاليا قبل أن يؤيد التاريخ الموالي صحة هذا الحدس.

1 – أبو يعقوب المرزوقي، "بدون عنوان".(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

- فلا يمكن للأمة الشاهدة التي بشَّر دينها بالأخوة البشرية ألا تعتبر العولمة من حيث هو فرض لقانون التاريخ الطبيعي تحدياً للسمو بالإنسانية نحو قانون التاريخ الخلقي.

فلا يُمكن التعامل مع هذا الواقع إلا من خلال وسائله وأساليبه و فهم لغته، وعدم النقل الحرفي للمورث النبوي بتلك النسبيات البشرية وخصوصياتها، ناهيك عن موروث ما بعده، كل ذلك يجعل من المشروع الدعوي وخاصة في جانب التحاور مع الآخر الذي بيده مقاليد الدنيا ومتحكم في دواليبها، مشروع صِدام وفِصام، تجني البشرية بأسره ويلاته. وصدق الإمام الشافعي حين قال ذلك لما فأفتينا وهذا لما نفتي[1] إشارة لتغيير الأحكام بتغير الإنسان والزمان والمكان...

ويقول فتحي حسن ملكاوي[2]:

- لقد رأيت في الشيخ طه عالماً مجتهداً، وحافظاً متقناً، ومفكراً ناقداً. والأهم من ذلك أنني رأيته.
- وهو فوق السبعين، طالب علم لا يكف عن البحث والاستزادة، ليس من علوم الإسلام ومصادره فحسب، بل من علوم الغرب وفلسفته.
- ولا أعلم أحداً أتقن اللغة الانجليزية والتحدث بها بطلاقة في سن متقدمة كما فعل هذا الشيخ الجليل.

نجاح المشروع الإسلامي يحتاج بالإضافة لعلوم الشرع والدين، فهو بحاجة للعلوم الدنيوية المستحدثة، يضاف لها التمكن من اللغات وإتقانها؛ وهي ممثلة في شخص العلواني

1- هذه العبارة نقلها الدعاة والعلماء عن الشافعي بسبب تغيير بعض فتاوه،ففي عام 199هـ ذهب الإمام الشافعي إلى مصر قاضياً أربع سنوات جعلت آرائه أكثر نضجاً.حيث أنَّه وبعد مشاهدته لمستوى التمدن والثقافة والآثار في مصر ونتيجة لتقدمه في العمر وأسفار المتكرِّرة واكتسابه التجارب الوفيرة، بدأ يعيد النظر فيحذف ويضيف من المطالب الجديدة على الرسالة، كما أنَّه في الفقه عدَّل بعض آرائه.سيد محمد موسوي مقدم وليلا ثمني ومريم خادمي،" نظرة حديثة إلى القديم والجديد في المجال الفقهي والمذهب الشافعي"،مجلة آفاق الحضارة،أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات والثقافة،د.م ، السنة الثامنة عشر، العدد:1 الربيع والصيف 1436هـ، ص105.

2 - فتحي حسن ملكاوي،" بدون عنوان".(مرجع سابق).

وكما كان **ابن عصره الذي يحس بهمومه ويقف معه** وخاصة ما كان منه له علاقة بالوطن الإسلامي والعربي، فكما هتف لعبد الناصر أيام شبابه، ولكل حركات التحرُّر ،نجده **يهتف لثورة الجزائر**، ويتأثَّر بها **يقول مولود عويمر**[1]:

- بدأت علاقة الدكتور طه جابر العلواني **بالجزائر أيام الثورة التحريرية** التي وصلت أصداؤها إلى العراق، ولقيت في هذا البلد العربي تفاعلاً كبيراً سواء على **المستوى الرسمي** أو **الشعبي**، وقد وقف كثير من علماء العراق أمثال الشيخ أمجد الزهاوي والشيخ محمود الصواف في صف الثورة، وساندوها بكل الوسائل المتاحة.
- وقد عاش العلواني هذا الجو التضامني الذي ساد فيه إقبال العراقيين على دعم كفاح الجزائريين بتنظيم التظاهرات الشعبية من أجل استنكار السياسة القمعية التي كانت تُمارسها فرنسا الاستعمارية في الجزائر، وبجمع الأموال لفائدة المجاهدين وعائلات الشهداء.
- وقد دفعه حبه للجزائر إلى الاطلاع على تاريخها وتراثها الأدبي والفكري، فتعرَّف على أعمال قادة حركتها الإصلاحية أمثال **الشيخين عبد الحميد بن باديس** و**محمد البشير الإبراهيمي** وغيرهما، ودرس مؤلفات **المفكر مالك** بن نبي وأعجب بمنهجه، وتأثَّر بأطروحاته في قضايا النهضة.
- ولم يقتصر العلواني على **الاقتباس من هذا المفكر الجزائري** والاسترشاد به بل حرص على **استحضاره في مشروع المعهد العالمي للفكر الإسلامي** حينما كان رئيساً له.
- وهذا واضح من قوله: لقد كان **المعهد العالمي للفكر الإسلامي** يعرف للأستاذ **مالك بن نبي** حقه ويعرف أهمية أفكاره... وكان يهتمُّ بها كثيراً... وكثير من رجال المعهد **كانوا على صلة بالأستاذ مالك** في حياته.
- وأما دراساته في قضايا الفكر والثقافة المباشرة، فكانت موضع تقدير واهتمام خاص من رجال المعهد... ولقد كان كثير من أولئك الذين يقرأون لمالك ولرجال المعهد يدركون

1-مولود عويمر،" هل يموت من ترك وراءه كل هذا التراث؟ يرحل الرجال، وتبقى أعمالهم!".(مرجع سابق).

أنَّ **أفكار الجميع تصدر من مشكاة واحدة** لتصب في قناة واحدة...قناة التجديد الحضاري لهذه الأمة من منطلق التغيير الفكري والثقافي.

- وبعد استرجاع الاستقلال زار الدكتور العلواني الجزائر للمشاركة في أشغال ملتقيات الفكر الإسلامي، فأذكر هنا بالخصوص محاضرته التي قدمها في يوليو 1985م بعنوان: (**وضع منهجية علمية للتوصُّل إلى جعل المعرفة تُقدَّم في إطار إسلامي**). وهو يقصد هنا **منهج أسلمة العلوم** كما جاء في برنامج المعهد العالمي للفكر الإسلامي آنذاك.
- كما عمل أستاذاً زائراً في **جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة**، وقد تأثَّر به **بعض الطلبة** فتبعوه بعد ذلك إلى **جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية** بواشنطن (جامعة قرطبة) لإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه تحت إشرافه.

المطلب الرابع: آخر أعماله ووفاته.

في أخريات حياته وبعد رحلات وسفر غير منقطع نشراً للعلم والدعوة في سبيل الله، استقرَّ به المقام وهو يقترب من سنِّ الثمانين في مصر قلعة العلم قديما وحديثاً للعمل مع فريقه في مؤسسة باسمه؛ **أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية**، في مشروعه الأخير وكأنَّ الله –عز وجل–أراد أن يختم له حياته بالاعتكاف حول مائدة القرآن الكريم حتى وافته المنيَّة يوم 03/04/ 2016م –رحمه الله تعالى–وقد جاء في كتيب بعنوان" التعريف بأكاديمية طه العلواني للدراسات القرآنية" التعريف بالأكاديمية والشرح لأهدافها ومنطقاتها ووسائلها.

أولاً: رسالة ورؤية الأكاديمية:

تهدف الأكاديمية إلى نشر رسالتها بناءً على رؤية واضحة من خلال برامجها ومشروعها الإصلاحي والمتمثلة في[1]:

1 – انظر: بدون مؤلف، كتيب التعريف بأكاديمية طه العلواني للدراسات القرآنية.(لا.ط؛ القاهرة: أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية، د.ت)، ص2 بتصرف.

- تأصيل الرؤية الكونية القرآنية ومنهجية القرآن المعرفية لتقديم القرآن للبشرية كمصدر حيوي وأزلي مطلق للحكمة الإلهية بمفهوم بشري يقود الإنسانية نحو وحدة الخالق ووحدة الخلق ووحدة المعرفة الإنسانية.
- المساهمة في إعادة تكوين وبناء المجتمع الرائد وفق قواعد الرؤية القرآنية المعرفية.
- أن تتحوَّل الأكاديمية إلى مركز رائد للبحوث في مجال التنظير والتطبيق للرؤية القرآنية المعرفية.

ثانياً: الأهداف العامَّة للأكاديمية:

إذا كانت رسالة الأكاديمية قد وضحَّت الخط العام لسير مشروع العلواني وحدَّدت رؤيته إجمالاً، وحتى نقف على جلاء وبيان مضمون تلك الرسالة، نُذكر ما وضعه أصحاب الأكاديمية من أهداف تفصيلية وخطط عملية رسمتها الأكاديمية، وخططت للوصول إليها وهذه أهمُّها[1]:

1-مراجعة التراث الإسلامي القائم على مصدرية القرآن والسنَّة في ضوء منهجية القرآن المعرفية.

2-إعادة بناء المفاهيم في إطار الرؤية الكونية القرآنية.

3-دراسة قضايا المجتمع المعاصر بوسائل العلوم الاجتماعية الحديثة وبناء علوم العمران انطلاقا من منهجية القرآن المعرفية ومنهجية التطبيق في عصر النبوة.

4-إعادة بناء علوم الأمة التراثية ومناهج تدريس العلوم الشرعية والإسلامية في ضوء منهجية القرآن المعرفية.

5-إعادة بناء مناهج المقرَّرات الدراسية المشتركة –المقرَّرات العامة-في الجامعات المتعاونة معنا على أسس نقدية بنَّاءة مستمدَّة من القرآن الكريم ومنهجيته المعرفية.

6-المساهمة في تقديم دراسات وحلول لقضايا المجتمع المعاصر من منظور قرآني وبمنهجية قرآنية معرفية للنهوض بالمجتمع من حالات التمزق إلى حالة الاستقرار الوجداني لتحسين الأداء العمراني لهذا المجتمع.

---

1 - بدون مؤلف، كتيب التعريف بأكاديمية طه العلواني للدراسات القرآنية.(مرجع سابق)، ص2و4و5.

7-نشر موسوعة للمفاهيم القرآنية.

8-تقديم القرآن للبشرية كمنهج بحث ومعرفة.

ثالثاً: منطلقات الأكاديمية.

للأكاديمية منطلقات أساسية تتخذ منها سبلاً، للتواصل مع القضايا والمسائل التي تريد طرحها ومناقشتها على المستويين الداخلي والخارجي، إذ تُعتبر هذه المنطلقات بمثابة الأرضية التي ننطلق منها للتأسيس مع غيرنا، دوائر الاتفاق وحدود الاختلاف في جوٍّ من الودِّ والتفاهم وتحت قيادة العلم والمنهج. ومن أهم هذه المنطلقات مايلي[1]:

- ملامح المنهجية المعرفية القرآنية بدأت من خطاب حصري اصطفائي إلى خطاب عالمي في إطار تجربة عصر التنزيل ثم إلى خطاب عالمي بنسق مفتوح للبشرية جمعاء.
- إنَّ الحضارات المادية فيما بعد الحداثة قد وصلت إلى مأزق الإحالات النهائية الفلسفية، ولا مخرج منها إلا في إطار إعادة توظيف العلوم الاجتماعية الناتجة عنها ضمن ناظم ومنهج معرفي قرآني كوني غائي في الوجود والحركة. وهذا التوجه ليس نتاجاً لهيمنة لاهوتية على مصادر التنظير الفلسفي لهذه العلوم وإنَّما للخروج من مأزق ما بعد الحداثة وحالة العبث والعدمية التي وصلت إليها الحضارة المادية المعاصرة وإلقاء منهجية القرآن المعرفية في عمق الأزمة الحضارية الإنسانية.

  فالاستفادة من منتجات وثقافة الحضارة المعاصرة لابد منه، ولكن بالضابط المعرفي وهو منهجية القرآن المعرفية.
- المنهجية تقنين للفكر، ودون هذا التقنين يتحوَّل الفكر إلى تأملات وخطرات انتقائية قد تكون مجدية في وقت ما ولكن ينقصها الضابط المنهاجي لتفادي التلفيق والذي ليس من سمات المنهج.
- المنهجية القرآنية المعرفية هي المصدر المؤطر للشرعة ولإعادة فهم أصول الأحكام.

1 - بدون مؤلف، كتيب التعريف بأكاديمية طه العلواني للدراسات القرآنية.(مرجع سابق)،ص2إلى4.

- ظهور الإسلام على الدين كله ظهور منهج وليس بالضرورة ظهور شرعة إلا في إطارها الإيماني الأُممي.
- العلاقة الجدلية ما بين الإنجاز الحضاري وصانع هذا الإنجاز والتجربة التاريخية لهذا الإنجاز لا يمكن تجاهلها تماماً عند الحديث عن النهضة، فكما أنَّ صانع المنجزة الحضارية هو المهيمن على هذه المنجزة فكذلك المنهج هو المهيمن على الشرعة.
- فكما أنَّ للعلوم الطبيعية مناهجها المعروفة في فيزياء نيوتن وأينشتين، هناك منهج ناظم لهذا القرآن المعادل للكون، واكتشاف هذا الناظم وهذه المنهجية المعرفية للقرآن الكريم وبلورتها من أهم ما يمكن أن نقوم به في وقتنا الراهن.
- منهجية القرآن المعرفية ومركزها التوحيد تعيد الثقة في وحدة الحقيقة وفي قدرة الإنسان على الفهم وتتجاوز نزعات الشكيَّة والنسبيَّة وتعدُّد الحقائق.
- منهجية القرآن المعرفية تعيد بناء العلوم الطبيعية والاجتماعية على أساس نظرة للكون تجمع بين الإيمان بالغيب والشهادة، وتعتبر الإنسان لا مركزاً للكون حر التصرف، بل خليفة لله، لا فرداً خارج كل سياق، بل تنتبه لكون علاقته بالله وبغيره هي أحد أبعاد تكوينه، لا مجرد سلوكات قابلة للحساب الكمي، بل كإنسان يجمع في تركيبه عالمي الغيب والشهادة وينطلق من أهداف وقيم ومعايير وليس من الدوافع المادية الغريزية.
- منهجية القرآن المعرفية ولأنَّها تهتمُّ للإنسان في كليته، ولأنَّ مصدرها القرآن في شموله، فهي لا تقتصر على تجديد الرؤية العلمية والقيمية انطلاقاً من نموذج معرفي قائم على رؤية توحيدية فحسب، بل تتعدى ذلك إلي تجديد النموذج الجمالي الذي كان القرآن ذاته أعظن آياته، حيث تنطلق من رؤية جمالية تتجاوز الرؤية الغربية القائمة على مركزية الطبيعة ومحاكاتها، إلي رؤية تنظر فيما وراء الطبيعة، من الشهادة إلي الغيب، ومن المتناهي إلي اللامتناهي.
- منهجية القرآن المعرفية تنطلق من وحدة الإنسانية المستخلفة، مما يجعل الحفاظ على الأرض وموارها أساس في هذه الرؤية، وتتجاوز هذا التعامل المستنفذ للطبيعة المرهق لها

والذي واكب النموذج المعرفي الغربي، ونجني الآن ثماره في التلوث والاحتباس الحراري وغيرها من الظواهر التي نهضت المنظمات لمحاولة حلها، لكن دون جدوى، حيث الحلول تلك لا تلفت لضرورة وجود نموذج معرفي جديد يموقع الإنسان والطبيعة بصورة مختلفة عن تلك في النموذج المعرفي الغربي.

رابعاً: الوسائل المعتمدة في الأكاديمية:

وحتى تحقِّق الأكاديمية الأهداف المسطَّرة فقد اعتمدت في ذلك على جملة من الوسائل التالية[1]:

- عقد اتفاقيات تعاون بين الجامعات المختلفة في مجال البحوث والدراسات الموجهة.
- استقطاب طلبة الدراسات العليا للبحث في مواضيع منهجية القرآن المعرفية وبلورتها.
- استكتاب باحثين جادين لاستنباط المفاهيم القرآنية ودراستها من خلال الرؤية المعرفية القرآنية وتفعيل منهجية فهم القرآن الكريم.
- تشكيل الفرق البحثية لمراجعة كتب التراث وإعادة قراءتها من خلال المنهج القرآني.
- استكتاب باحثين لدراسة قضايا المجتمع وتقديم رؤى نقدية واعية من خلال تفعيل منهجية القرآن المعرفية في الواقع لبناء مجتمع العمران.
- عقد دورات تدريبية وجامعات صيفية لتدريب الباحثين الجدد على البحث من خلال منهجية القرآن المعرفية.

خلاصة الفصل:

العلواني نموذج متميز للعالم الداعية المعاصر، وهو للفرد المسلم المعاصر الكامل الشخصية بالتكوين الديني العميق والمزود بسلاح العلم المتين، وصاحب العقل السليم والمتفتِّح على كل جديد دون خوف أو تردُّد. المسلم صاحب العقيدة السلمية النقية المثمرة عملاً وسلوكاً بين الناس دون تفرقة أو تمييز، وصاحب الفقه المقاصدي المنطلق من القيم والمبادئ الإنسانية المشتركة وعلى رأسها مقصد الفطرة، وهو بصورة مختصرة صورة الإنسان الرسول من دون رسالة، فرحم الله العلواني وجزاه الله عنا وعن الإسلام كل خير.

1 –بدون مؤلف، كتيب التعريف بأكاديمية طه العلواني للدراسات القرآنية. (مرجع سابق)، ص5.

الفصل الثاني: جهود طه جابر العلواني في خدمة الدعوة الإسلامية داخلياً (البحث عن الذات) .

- المبحث الأول: مركزية القرآن الكريم في خطاب العلواني .
- المبحث الثاني: المقاصد العليا القرآنية الحاكمة في فكر العلواني .
- المبحث الثالث: التعامل مع السنَّة النبوية في فكر العلواني .
- المبحث الرابع: التعامل مع التراث في فكر العلواني .

المبحث الأول: مركزية القرآن الكريم في خطاب العلواني .

1- المطلب الأول: الجمع بين القراءتين عند العلواني .

2 - المطلب الثاني: الوحدة البنائية للقرآن الكريم عند العلواني .

3 - المطلب الثالث: القرآن الكريم وحلول المشكلات الإنسانية .

4- المطلب الرابع: القيم السياسية في القرآن الكريم وإشكالية الحاكمية .

المبحث الأول: مركزية القرآن الكريم في خطاب العلواني.

المطلب الأول: الجمع بين القراءتين عند العلواني.

الفرع الأول: مفهوم الجمع بين القراءتين.

أولاً: المفهوم.

ينطلق العلواني في تحديد مفهوم الجمع بين القراءتين من قوله تعالى:﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[العلق: 1إلى5] وفق التفسير الآتي[1]:

فالتَّركيز مرتين لكلمة اقرأ ليس للتوكيد وهذا خلافاً لرأي المفسرين وما ذهبوا إليه، بل هي تدَّل على الأمر بقراءتين مختلفتين هما:

القراءة الأولى: هي أمر بتحصيل فعل القراءة ومُمارستها مع الاستعانة باسم الله. والدليل على ذلك جاء على لسان الرسول – صلى الله عليه وسلم-«ما أنا بقارئ»[2] فهو أمي لا يكتب ولا يقرأ، فلذلك ربط الله القراءة باسمه وكأنَّه يقول له لن تكون وحدك في أداء الفعل الذي لا تعرفه بل ليكُون معك ربُّك.

القراءة الثانية: هي قراءة الكون والنَّظر في الخلق، وتجارب الأمم والآثار السابقة. و "هي قراءة منهجية تبدأ من قراءة النفس باتجاه الكون والآفاق"[3].

وبالجمع والمزج بين معنى هاتين القراءتين يضبط العلواني مفهوم الجمع بين القراءتين في صورة واحدة وعبارة شاملة كما يلي: **"قراءة الوحي وقراءة الكون**، وهي فكرة تقوم على أنَّ الكون **كتاب الله المخلوق المادي المجسَّم**، وأنَّ **القرآن كتاب الله المُنزَّل**، وأنَّ الكتابين في كل

---

1 – راجع:طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي و قراءة الكون.(ط:1؛القاهرة:مكتبة الشروق الدولية، 1427هـ/2006م)،ص15إلى20.

2 – أخرجه الشيخان، محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: د. علي حسين البواب .ج4(ط:2؛ لبنان– بيروت: دار ابن حزم، 1423هـ – 2002م)،ص47.

3 –انظر:السيد عمر، جامع فقه الأمة(رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني).(مرجع سابق)،ص197بتصرف.

منهما مؤشرات تهدي إلى الآخر"[1]،ويعضِّد هذا المفهوم ويقوِّيه كلام **محمد الغزالي** فيقول:" إنَّ **القرآن الكريم يُشبه الكون الكبير** الذي نعيش فيه"[2]. فهما يسيران في خط واحد ويرسمان معاً للبشرية غاية واحدة. بل يدعو الواحد منهما الآخر والمتأمل في عرض الكتاب العزيز، لقضايا ومسائل الإيمان الكبرى...يجد القرآن لا يعرضها مستقلة مجردة، ولكنه يخاطب الناس بها من خلال عرض مظاهر القدرة المحيطة في الآفاق و الأنفس[3]".

- كما يقول كذلك ويلْفت الانتباه إلى كلام جميل في تفسير قوله تعالى:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾[الواقعة : 75و76]:"والحلف بهذه الكواكب في فضائها الوسيع حين تُشرق وتُغرب يُومئ إلى المنزلة التي ينبغي أن نحفظها لهذا القرآن!**كأنَّما هو عالم من المعاني يُضارب في جلاله هذا العالم المادي** الذي نحبو على كرة منه"[4].

- ومن هنا يُعطي العلواني إشارة أكثر وضوحاً وبياناً لعلاقة الكتابين وهي ما أُطلق عليه **التَّعادل بين القرآن والكون** الذي قصد به: "أنَّ القرآن يستطيع أن يستوِّعب الكون وحركته...وأنَّ الله-جل شأنه-جعل **أمره بين كتابين الكتاب المُنزَّل والكتاب المخلوق**"[5].

- ثُمَّ يُشير العلواني لمعرفة العناصر المعرفية وهي عنده ثلاثة: "**القرآن والكون والإنسان**". فالإنسان يقرأ في القرآن والكون، **ليصل بأحدهما للآخر** لهذا جاءت **فكرة الجمع بين القراءتين**[6].فهو في حركة متناوبة ودؤوبة ذهاباً وإياباً بين القرآن والكون، ليصل للرَّبط بين علومهما والكشف عن هدايتهما للوصول للحقيقة المطلقة.

---

1 - طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(ط:1؛بيروت – لبنان:1421 هـ/2001م)،ص55.

2 - محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم.(ط:7؛مصر:شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،2005م). ص85.

3 - محمد عبد الله الشرقاوي،القرآن والكون.(لا.ط؛القاهرة:مكتبة الزهراء،د.ت)،ص 25و26.

4 - محمد الغزالي،نظرات في القرآن الكريم.(ط:7؛مصر:شركة نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع،2005م).ص11.

5 - طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(مرجع سابق)،ص56.

6 - انظر:طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(المرجع نفسه)،ص58و57بتصرف.

ثانياً: الجذور المعرفية للجمع بين القراءتين.

لم ينطلق العلواني في التأسيس لمبدأ الجمع بين القراءتين من فراغ، فقد سبقه لهذا المفهوم إشارات وتلويحات لعلماء الإسلام من قبله، إذ يكون قد أخذ هذه الفكرة منهم، وبالعودة للتراث الإسلامي القديم نجد إشارات دالَّة على هذا المعنى الذي رمي إليه العلواني، ومنها ما **جاء في كتاب ابن العربي "فصوص الحكم"** الذي يقول:"...ونقول في الإنسان إنَّ له حياةً وعلماً فهو الحي العالم، وحقيقة العلم واحدة، وحقيقة الحياة واحدة... **وانظر إلى هذا الارتباط بين المعقولات والموجودات العينية**"[1] .كما وردت إشارات **عند المحاسبي**، لربط القرآن بالكون ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر:21] فيقول **المحاسبي**: "فضَرَبَ هذا المثل فدَّل به أنَّ من لم يفهم عنه ما أنزل في كتابه أنَّ قلبه أقسى من الحجر الأصم[2].

وجاء **عند الرازي في التفسير الكبير**:(مفاتيح الغيب) الذي يُعتبر جامعا لآيات القرآن وسنن الكون **قوله في مقدمة تفسير سورة الفاتحة** "علوم الفاتحة": اعلم أنَّه مرَّ على لساني في بعض الأوقات أنَّ هذه السورةَ الكريمة يُمكن أن تستنبط من فوائدها ونفائسها **عشرة آلاف مسألة**"[3]. والأكيد في هذا العدد نفائس لفظية وبلاغية وغيرها وحتى **إشارات كونية وعلمية**.

– ولهذا كله فإنَّ العلواني يرى **بأنَّ الذي يُفرِّق في قراءته بين القراءتين** لن يستطيع أن يكون **مؤهلاً لحمل أمانة الاستخلاف**؛ فهو:" يجزم بأنَّ الرَّبط بين **أُسس الدين وبين قوانين الوجود** لا يخفى على متأمل"[4].

الفرع الثاني: أخطاء القراءات المُنفردة وسلبياتها.

أولاً: إهمال القراءة الأولى.

---

1 – محي الدين بن عربي، فصوص الحكم، تعليق أبو العلا عفيفي.(لا.ط؛بيروت:دار الكتاب العربي،د.ت)،ص52.

2– الحارث المحاسبي، فهم القرآن، تحقيق: حسين القوتلي.(ط:2؛بيروت:دار الكندي و دار الفكر،1398هـ)،ص283.

3 – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب،ج:1(ط:3؛بيروت:دار إحياء التراث العربي،1420هـ)،ص21.

4 – طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(مرجع سابق)،ص60.

يحصر العلواني نتائج وسلبيات إهمال قراءة القرآن والنظر فيه إلى مايلي[1]:

- إنَّ إهمال قراءة القرآن والتأمل فيه يُؤدي **إلى فقد العلاقة بالله–عزَّ وجلَّ**–لينطلق الإنسان **بفلسفة بشرية مستقلَّة وضعيَّة** مُنبَتَّةٌ عن الله عزَّ وجلَّ.
- فيتحوَّل الإنسان إلى الفاعل المبدع، المتعدِّد القُدرات المسيِّطر على الطبيعة.
- كما يتحوَّل الوجود حسب هذا التصور إلى قوى مُتصارعة مُتنابذة، ويُعَدُّ الغيب والخالق مجرد ما ورائيات أو ميتافيزيقا ويتلاشى الإله بقوة الدفعة الأولى، ويستمر الكون فاعلاً ومُنفعلاً كما ذهب إلى ذلك أرسطو قديماً ونيوتن حديثاً، فينجم عن ذلك التصور الاستبداد والطغيان مصداقاً لقوله تعالى:﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾[العلق: 6-7].

وقد جرَّبت البشرية ويلات التَّيه في نزغات المادية والإلحادية التي تصف الدين بأفيون الشعوب، فلا إله لها والحياة عندها مادة، ومآسي الحياة البشرية اليوم خير دليل على ذلك.

ثانياً: إهمال القراءة الثانية[2]:

كما أنَّ لإهمال القراءة الأولى سلبياتها ونتائجها على مستوى المعرفة الإنسانية فإنَّ إهمال قراءة الكون والتدبر فيه لا تقل عليها في الخطورة والسلبيات **فهي تُؤدي إلى:**

- العجز الإنساني حضارياً وتعطيل طاقاته والخلط العجيب بين قضايا عالم الغيب وعالم الشهادة.
- كما أنَّه قد يرى أصحابها **الاكتفاء بالقراءة الأولى** من باب تنزيِّه المولى–عز وجل– وأنَّ من تمام التَّنزيه **إلغاء الفعل الإنساني** ونفي الإدارة الإنسانية ومبدأ الاختيار.
- وبذلك سُلِبَ الإنسان سلباً لاهوتيا كهنوتيا فيُلغى دوره في الاستخلاف، وقد **يستغرق في المحرمات وعُذره في ذلك أنَّه مُسيَّر لا مُخيَّر.**
- ولنا في موروث الفرق الإسلامية القديمة ما يُغني في مجال الخلط بين الفعل الإنساني والإرادة الإلهية.

---

1 – راجع: طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون.(مرجع سابق)، ص22إلى25.

2– راجع: طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون.(المرجع نفسه)، ص25إلى27.

إلغاء مُعامل التأمل في فتوحات **الكتاب الكوني**، يُسفر عن **إنسان بعلاقة** مُرتبكة مع **مقصدي العمران** و**التزكية** فيختلّ **بناء الحياة** في جوانبها **المادية** و**المعنوية**.

الفرع الثالث: حتميَّة الجمع بين القراءتين.

إذا كانت الرؤية المعرفية لا تستقيم بالتخلي عن إحدى القراءتين، بل يجب الجمع بينهما إذ لا يُمكن للطائر أن يحلِّق من غير جناحين، فكذلك لا تتمُّ المعرفة من غير قراءة في الكتاب والكون، ليكن بذلك لكل قراءة دورها في بناء النسق المعرفي الإنساني الصحيح، وأي إهمال لإحدى القراءتين يؤدي إلى مآسٍ يتجرَّع الإنسان أساها وألمها، وعليه "فالقراءتان في الوحي والكون إذن فريضة وأمر إلهي ملزم[1]" كما يتضح مما يلي:

أولاً: مآسي إهمال القراءتين.

باستعراض تاريخ البشرية في تعاملها مع القراءتين وُجد أن[2]:

- الإنسان حينما اكتفى بقراءة واحدة، أدى ذلك إلى فوارق لا حصر لها.
- ولعلَّ أحدها جعل أسلمة المعرفة-إحدى المشروعات الموائمة بين الإسلام والغرب- الآن في مأزق بحتمية المواجهة والمصادمة مع المنهج العلمي رغم إنجازاتها الهائلة.
- ومن آثار إهمال القراءتين كذلك في مجال العقيدة، نقَّض جميع المسلَّمات ومنها المسلَّمات التي وُلد بها الإنسان.
- وهذا النقَّض نِتاج ما جاءت به المنهجية الوضعية، **التي أحالت المنهج العلمي على المعاش** و**هي مُتَّجهة نحو العالمية** ضمن خطة احتواء للعلوم الاجتماعية، **دفعاً للفوارق والخصوصيات** شأنُها في ذلك **شأن النظام العالمي الجديد** الذي يحاول هو كذلك **إلغاء الخصوصيات**.
- وكذلك نتاج الفكر الغربي الذي أهمل هو كذلك القراءتين حيث اعتمد في قوانينه على البعد الواحد.

---

1 – السيد عمر، جامع فقه الأمة (رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني).(مرجع سابق)، ص198.

2 – راجع: طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(مرجع سابق)، ص60إلى 66.

والذي قصده العلواني بالبعد الواحد هنا بالمصدر الواحد للمعرفة المعتمد فقط على **النظر في الكون** دون **النظر في الوحي**.

ثانياً: القراءتان وتكريس مبدأ المسؤولية.

فائدة القراءتين[1]:

- بالقراءتين تُدرَك الفروق بين الأمم التي استفادت بالوحي واتبعته وبين الأمم التي تجاهلته.
- وعلى ذلك يتم تكريس لمبدأ المسؤولية الفردية والأثر الجماعي، فيتعلَّم الإنسان بذلك كيفية الانضباط في أفعاله وتصرفاته، ويتهيأ لمبدأ الجزاء والعقاب والثواب ويتخلَّص من هيمنة مبدأ الآبائية المهلك. وهذا بناء للعقلية التجديدية التي تواكب بكل ثقة حركة العالم وتتماشى مع متطلباتها.

فالقيام بالقراءتين يكون[2]:

- بالقيام بالقراءتين معاً، قراءة إنسانية تكون ابتداءً من الإنسان، لتُوجد لديه المعرفة العمرانية الكاملة التي تُمكِّنه من الوفاء بالعهد.
- التي لا تقوم على التلقي وحده بل على الأخذ من الغير كذلك.
- وهنا لا يُمكن **الزهد في المعرفة**، من أي وعاء خرجت **بشرط التعامل المنهجي معها**، انطلاقاً من وحدة البشرية السابقة واللاحقة.

فتكون المعرفة الإنسانية ذات صفة تراكمية وتكاملية، تصبُّ في وعاء واحد يسمي الإنسانية، المتَّجهة بخطى ثابتة إلى الله الواحد الأحد في ظلِّ حماية الحريات والخصوصيات والمكرَّسة لمبدأ الاحترام والمسؤوليات.

كما يرى العلواني "**أنَّ القرآن الكريم اليوم بمقدوره أن يحُلَّ أزمة المنهج العلمي التجريبي** من خلال نقض إحالاته الفلسفية والمحافظة على الانجاز العلمي، كما يتَّفق معه في ربط الكلي بالجزئي، وربط الأجزاء إلى الكليات، **فالقرآن لا يُعارض المنهج العلمي التجريبي** ولكن

1- انظر: طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون. (مرجع سابق)، ص20بتصرف.

2- راجع: طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون. (المرجع نفسه)، ص20إلى22.

يوجهُه ويرشده"[1].فالقرآن لا يُعارض العقل السليم ومُنجزاته، لكن الشيء الذي يقف أمام أزمة المناهج والعلوم اليوم في حقيقة الأمر مُشكلات ومن أهمها مشكلتي التراث الغربي والإسلامي معا وكيفية التعامل معهما.

"فالحاصل الجمع بين القراءتين لئلا يقع الإنسان في أيِّ من ذلك الطرفين الذميمين"[2] لأنَّه لا طريق يوصله للغاية المرجوة من وجوده سوى التَّقلب بين السبيلين والتفيؤ في ظلالهما الوارفة.

الفرع الرابع: محددات ومعالم منهجية القرآن المعرفية.

أولاً: منهجيَّة القرآن المعرفية.

من خلال الجمع بين القراءتين دعا العلواني إلى ما **سمَّاه بمنهجية القرآن المعرفية** والتي يعني[3]:

- المنهج الذي يُقدِّمه لنا القرآن المجيد في شكل مُحدِّدات وسنٍّ قوانين يُمكن استنباطها من استقراء آيات الكتاب الكريم تلاوةً وتدبراً وترتيلاً وتنزيلاً وتفكراً وتعقلاً وتذكراً.
- ثُمَّ التعامل مع هذه المحدِّدات تعاملاً يسمح لنا بأن نجعل منها مُحدِّدات تصديق وهيمنة وضبط لسائر خُطواتنا المعرفية ومنها:
  - تصحيح مسار المنهج العلمي.
  - وإخراج فلسفة العلوم الطبيعية والاجتماعية من مضايق النهايات التي تتوقف عندها الآن، وفي مقدمة هذه المحدِّدات الجمع بين القراءتين والوحدة البنائية[4] للقرآن الكريم.

هذا المنهج القرآني لبناء المعرفة الإنسانية القادر على تجاوز الأزمات المعاصرة بشكل نهائي وصفة مرضية لكل أطياف البشرية.

فمن **قراءة الكتابين والجمع بينهما** تبرز **مُحدِّدات منهجية القرآن المعرفية** وتتحقَّق بفضل:" **قراءة تبدو غيبية تنشأ في إطار الوحي وتنطلق باتجاه الكون.** وقراءة موضوعية

---

1 – طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة. (مرجع سابق)، ص68.

2– انظر: طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون. (مرجع سابق) ،ص27 بتصرف.

3 – طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون. (المرجع نفسه)، هامش ص27.

4 – سنأتي على شرحها والكلام حولها في المطلب الثاني من هذا المبحث.

تنطلق من الكون وعناصره باتجاه الوحي"[1]. فلا تجاهل للكون ولا تجاوز للوحي بل منهما وإليهما وفيهما وبهما، ننَسج النسق الحضاري الخالد والمهيمن على الفكر الإنساني التائه.

ثانياً: دور قراءة السنَّة والسيرة في بناء المنهجية المعرفية القرآنية.

يرى العلواني أنَّ قراءة السُّنَّة والسِّيرة لهما دور كبير في بناء المنهجية المعرفية القرآنية بالإضافة إلى المحدِّدات القرآنية السابقة[2]:

- في البداية لابد من استحضار **أبعاد الهيمنة والتصديق القرآنيين** مع الاستيعاب والتجاوز.
- فتكون **قراءة الكون** بمثابة التَّطلع من الجزء نحو الكل المتمثِّل في الوحي وتطبيقات الرسول الكريم.
- ويُقرأ ذلك الكل وِفق قُدرات البشر النِّسبيِّة، **ويزول الانفصام المزعوم بين الوحي والمعرفة الموضوعية**، إذا تمَّ **الفهم الدقيق للسُّنَّة والسِّيرة على هذا النحو**.

فالكون جزء و**الوحي كل**، والاتجاه من الجزء إلى الكل، كما أنَّ **تطبيقات السِّيرة والسُّنَّة نِسبيَّة نِسبيِّة الإنسان** و**الزمان** و**المكان**، والقرآن مُصدِّق ومُهيِّمن على الجميع، والنَّتيجة بعد كل هذه المعادلات واضحة ويسيرة؛ **تحقيق الإنسان لمقاصده العليا** من توحيد وتزكية وعمران.

ثالثا: خلود صلاحية القرآن بخلود البشر:

يلحظ العلواني من خلال تدبره للقرآن الكريم بأنَّه يشير من حين إلى آخر إلى أنَّه كتاب خالد بخلود البشر، يُخاطب كل أمة منها برسالة واحدة لا يمكن أن تلج لهذه الرسالة إلا من

خلال إعادة النظر فيه والتركيز معه وتجاوز حروفه إلى تلمس حدوده فيقول[3]:

- نزل به الروح جبريل –عليه السلام–على قلب الرسول الكريم

1– طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون. (مرجع سابق)، ص30.

2 –انظر: طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون. (المرجع نفسه)، ص30و31 بتصرف.

3 – انظر: طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون. (المرجع نفسه)، ص31 بتصرف.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء : 192-195].

- وقد أُمر في البداية ألا يُحرِّك لسانه به قال تعالى:﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة :16-17].
- وما ينزَل على القلب يُراد به التَّدبر والفهم والاستيعاب والاستقرار في القلب، ولذلك على التَّالي للقرآن الكريم إذا أراد فهم ما يقرأ، وإدراك معانيه، ومَسِّ مُراد الحق منه، **فعليه أن يُنزِّله على قلبه، ويُدرك معانيه بصيرته.**
- وكأنَّ نهي الرسول-صلى الله عليه وسلم-عن تحريك الشَّفتين، **إشارة بأنَّ المقصود من القرآن الحدود لا الحروف** و**المعاني لا المباني.**
- على التَّالي أن يدخُل في رحاب القرآن الكريم، وهو على يقين من أنَّه سوف يجد فيه الجواب الشَّافي عن كل ما يُريد معالجته بشرط أن ينزل على قلبه ويتلوه حق تلاوته.

وهذه هي **خارطة الطريق** التي يُحدِّدها العلواني في **التعامل المُجدي مع القرآن الكريم** بالأخذ بهذا المحدِّد السَّهل والممتنع والذي يُمثِّل الحلقة المفقودة في ربط حبل وصال التعامل مع القرآن الكريم عبر مراحل الضعف والوهن، كما يُعتبر كمؤشر لقياس درجات التناغم والتفاهم و**التناسق بين الإنسان** و**الوجود** ورصد أثره على النفوس والعمران.

المطلب الثاني: الوحدة البنائية للقرآن الكريم عند العلواني.

الفرع الأول: مفهوم الوحدة البنائية للقرآن الكريم وأهميتها.

أولاً: مفهوم الوحدة البنائية للقرآن الكريم.

في وصف عام لمفهوم الوحدة البنائية يقول العلواني:

"والقرآن المجيد **منفصل** عن سائر الكتب المنزَّلة وغير المنزَّلة **مُتفوِّق** عليها- جميعاً-بخصائصه ومزاياه، ونظمه وبلاغته وفصاحته، وهو في الوقت ذاته واحد في داخله بهذه المزايا والخصائص، **ينظِّم** حروفه وكلماته وآياته وسوره في **سلك واحد**.والقرآن واحد في كونه **مُتفرِّداً** من تلك الحيثية، ومن حيث الأهداف والمقاصد والغايات والآثار حتى ليبدو في ذلك -كلِّه-كما لو

كان **كلمة واحدة**، أو **جملة واحدة**."[1] وهذا وصف عجيب وغريب فرغم تعدُّد زوايا القرآن الكريم وتنوّع جوانبه واختلاف موضوعاته، إلاَّ أنَّه في الأخير ينتهي إلى **مصبٍّ واحد** يسوق إليه الجميع في ترتيب وانسجام وتناسق بديع، تستشعره كلُّ **نفس سوية** ويستسيغه كلُّ **عقل سليم**.

وأكَّد العلواني بأنَّ أساس قيام (**الوحدة البنائية للقرآن**) يعتمد على: "أن القرآن المجيد واحد **لا يقبل بناؤه وإحكام آياته التعدَّد فيه أو التجزئة في آياته، أو التعضية** بحيث يقبل بعضه، ويرفض بعضه الآخر، كما **لا يقبل التناقض** أو التعارض، وإذا كانت قد تعددت آياته وسوره وأجزاؤه وأحزابه؛ فذلك التعدد ضرورة لا غنى عنها في التعليم والتعلّم، والتنزيل لتغيير الواقع وإبداله"[2].

كما **يؤكد الشاطبي** هذا التماسك في النص القرآني بشكل استقرائي، إذ يذكر في معرض حديثه عن سورة المؤمنين: "ومن أراد الاختبار في سائر **سور القرآن فالباب مفتوح** والتوفيق بيد الله، فسورة المؤمنين قصة واحدة في شيء واحد"[3]وكأنَّه يقول سور القرآن واحدة وأعطى على ذلك مثالاً للقياس بسورة المؤمنين.كما يذكر في **كتاب الموافقات** أنَّ القرآن الكريم يصح أن يُعدَّ كلاماً واحداً بحسب خطاب العباد، **أي يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما**، وذلك أنَّه يُبيِّن بعضه بعضاً، **حتى أنَّ كثيرًا منه لا يُفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر**، أو سورة أخرى، ولأنَّ كل منصوص عليه فيه من أنواع الضروريات مثلاً مقيد بالحاجيات، فإذا كان كذلك **فبعضه متوقف على بعض في الفهم** فلا محالة أنَّ ما هو كذلك فكلام واحد، فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار"[1] ويزيد **محمد الغزالي** القضية توضيحاً فيقول: "فالمحاور التي يقوم عليها القرآن الكريم **ليست مقسمة على أساس أنَّ هذا المحور لكذا، وذاك المحور لكذا**، ولكن نحن بجهدنا العقلي نجيء **لآية واحدة**، أو لطائفة من الآيات يُمكن أن تكون في قضية واحدة، فنرى أنَّ هذه القضية الواحدة تماسكت الآيات فيها

---

1 – طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد. (ط:1؛ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1427هـ/2006م)، ص9.

2 – طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد. (المرجع نفسه)، ص14.

3 – الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ج4(ط:1؛ السعودية، دار ابن عفان، 1417هـ/ 1997م)، ص273و274.

على عدة محاور من الكلام عن الله والكون والجزاء والنفس البشرية والإيمان والأخلاق، **تماسكاً غريباً لا يُعرف إلا في هذا القرآن**[1]

وبالعودة إلى بناء **الوحدة البنائية** عند العلواني نجدها مكونة من كلمتين[2]:

- **الوحدة:** وتعني وحدة القرآن الكريم؛ إذ هو واحد في جنسه ونوعه ونظمه وتحديه، وفَرَادته وإعجازه. لا يقبل التكثُّر ولا التعدُّد ولا التعضية ولا التجزؤ. لا يشاركه في خصائصه وصفاته ومنهجه كتاب آخر؛ لا مُنزَّل ولا موضوع.
- **البنائية:** وصف **الوحدة بالبنائيّة** تردُ الإشارة إليه في قوله-تعالى-:

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ﴾[هود: 1]،**فالإحكام** هنا من إحكام البناء بحيث يمتنع أيُّ اختراق له لمتانته وقوته.

- **فتكون وحدته البنائيّة:**تصف القرآن الكريم بأنَّه بكل سوَّره وآياته وأجزائه وأحزابه وكلماته يعتبر كأنَّه جملة واحدة.

فهذه صفات تجعل القرآن الكريم كتاباً فريداً مُتفرِّداً لا يشابهه كتاب.

ويزيد **محمد سيد طنطاوي** في توضح **معنى الإحكام** في تفسير آية هود السابقة بقوله:" **أُحْكِمَتْ آياتُهُ من الإحكام**-بكسر الهمزة-وهذه المادة تستعمل في اللغة لمعان متعددة، ترجع إلى شيء واحد هو **المنع**. يُقال: **أُحكم الأمر**. أي: **أتقنه** و**منعه من الفساد**. أي: منع نفسه ومنع الناس عما لا يليق: ويُقال أُحكم الفرس، إذا جعل له حكمة تمنعه من الجموح والاضطراب[3]"، ويقول فيها **سيد قطب** كذلك: "**أُحكمت آياته**، فجاءت **قوية البناء**، دقيقة الدلالة، كل كلمة فيها و**كل عبارة مقصودة**، وكل معنى فيها وكل توجيه مطلوب، وكل إيماءة وكل إشارة ذات هدف معلوم. **مُتناسقة لا اختلاف بينها ولا تضارب**، ومُنسَّقة ذات نظام

1 -محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم.(مرجع سابق)، ص42.

2 - انظر:طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(مرجع سابق)، ص13بتصرف.

3 - محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم.ج7(ط:1؛ الفجالة- القاهرة:دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع)،ص157.

واحد. ثم فُصلِّت. فهي مُقسَّمة وِفقَ أغراضها، مبوبة وِفَقَ موضوعاتها، وكل منها له حيز بمقدار ما يقتضيه"[1].

ثانياً: أهمية الوحدة البنائية.

الوحدة البنائية هي سِرُّ صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان وضمان استمراريته، ليستوعب ويهيمن على الزمان و المكان والإنسان، ومن هنا تتضح مدى أهمية الأخذ بالوحدة البنائية في التعامل مع القرآن الكريم، وأنَّ أي إغفال لها يُفقد القرآن الكريم القدرة على التجاوز والهيمنة والسيادة. ويحدد العلواني أهميتها في[2]:

- **بالوحدة البنائية** يستوعب القرآن **خبر ما بعدنا** بها يستوعب مستقبل البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- ببيان السُنَّن والقوانين التي تقود هذا المستقبل وتصوغه وتبنيه[3].
- وبالكشف عن السُنَّن والقوانين الحاكمة على البشريّة وحركتها، والتاريخ وحركته، والغاية التي يتجه الخلق-كله-إليها وفقا لتلك السُنَّن والقوانين الصارمة[4].
- إنَّ القرآن يحمل القيم العليا الحاكمة والقواعد الدستورية والقانونية التي تقدم للبشرية مصدراً واحداً موحَّداً يشتمل على **حكم ما بيننا** بحيث يقضي على جذور وأسباب قيام النزاعات والاختلافات ليُصبح **العدل** قاعدة و**الانحراف** عنه شذوذاً.
- ولا ينتظر إلى أن **تقع المظالم** والانحرافات ليتقدَّم لمعاقبة أولئك الظالمين طمعاً في ردع سواهم –**كما تفعل الأمم المعاصرة**-فليست العبرة بذلك، بل **بتزكية وتطهير الإنسان والأسرة والمجتمع والبيئة ونظم الحياة كلها**، بحيث يتضافر الجميع على محاصرة الشر ومصادره والتخلص منها.

وكمثال على ذلك نجد في التطبيق الواقعي لنصوص القرآن الكريم عبر التاريخ الإسلامي المتلاحق، و**خاصة في صدره الأول**،حيث نشأ المجتمع على يد الرسول-صلى الله عليه

1 – سيد قطب، في ظلال القرآن. ج 12(ط:32؛ القاهرة:دار الشروق،1423هـ/2003م)،ص1851.

2 – راجع:طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(مرجع سابق)،ص15و16.

3 – طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(المرجع نفسه)،ص12.

4 – طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(المرجع نفسه)،ص12.

وسلم- وبصورة إحصائية مقارنة بين نصية القرآن الكريم على إقامة الحدود وفرضيتها حال وقوعها، وبين الحالات التي أُقيم عليها الحد فعلاً، فإنَّ **العدد لا يكاد يذكر**، ليُعطي هذا الأمر بأنَّ **المُراد هو الردع ومحاربة الجريمة والقضاء عليها قبل وقوعها وتفشيها**، ولعل **حديث الرسول**-صلى الله عليه وسلم-:«تعافوا الحدود بينكم فما بلغني من حد فقد وجب»[1]وهذه **دعوة صريحة للعفو والمسامحة والتعافي والستر ومحاربة أسباب الجريمة والقضاء عليها في مهدها** وكل أنواع صيانة الإنسان وحفظ كرامته، وهل يسعى الإنسان إلا لتحقيق هذا المبتغى؟ وهكذا قس على ذلك في جميع المجالات والاختصاصات، إذ يسعى الإسلام بكل حرص على حقن دماء الناس كيفما كانوا وحيثما كانوا.

ولا تنجلي هذه الأهمية إلا من خلال تَّدبر القرآن الكريم كمبدأ ومقصد وهدف، فبه تُحقِّق الوحدة البنائية، وهذه الأخيرة بدورها تُحقِّق القوانين والقواعد المنظمة للكون وحركة الإنسان فيه **فيقنن العلواني لذلك بقوله**[2]:

- إنَّه قرآن أراد قائله ومنزِّله -تبارك وتعالى-له **أن يُقرأ ويُتدبَّر، ويُتفكر فيه ويعقله العالمون، ويرتِّله المرتلون، ويتلوه التالون، ويتبعه المهتدون**؛ فأودع الله- تبارك وتعالى-فيه كل ما يجعله **جاذباً لأصناف الخلق كافَّة**، مُستدعياً لهم لقراءته، قادراً على صنع الدوافع والدواعي والإرادات لترتيله وتلاوته.
- فمن أدّعى مثلاً بأنَّه **مختص في الأحكام الفقهية** أو قوانين القضاء أو غيرهما، وأن ليس له حاجة في التدبر والتفكر فمجاله عمليٌّ مجرد، فإنَّه لا **يلبث إلا يسيراً ليدرك أنَّ ذلك -وحده-لن يلبي حاجته** ولن تتَّكشف له آيات الأحكام عن دقائقها وقد فصل الغصن عن الشجرة، فمعاني الآيات لن تُسفر له عن وجهها حتى يقرأها في سياقها وموقعها وبيئتها ويقلب طرفه وعقله ولُبَّه وفؤاده، ويُصيخ السمع إلى نبضات

---

1 - أخرجه النسائي في سننه، باب رقم:4958، حديث رقم4886.قال الألباني حسن اعتمادا على قول شيخنا في صحيح الجامع الصغير(2954).

2 -انظر:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(لا.ط؛ لا.م: دار الشروق،2005م)، ص17و 18بتصرف.

الحياة في قلبه في ذلك –كله–ولن يبلغ الغاية، ولن يُدرك المراد حتى يُلاحظ سائر العلاقات بين الآية وبين القرآن كله.

بهذا الحس المرهف في التعامل مع آي القرآن الكريم، وهذا الاندماج التَّام فيه والتحليِّق في أجوائه والسفر في أرجائه يتسنَّى لكل طالب حاجة من القرآن الكريم أن يجد حاجته بيسر وسهولة.

الفرع الثاني: آثار الوحدة البنائية ونموذج عنها.

أولاً: آثار الوحدة البنائية.

يعتبر العلواني **الوحدة البنائية** محدِّداً **منهاجياً** من محدِّدات **منهجيِّة القرآن** المؤثرة على سائر العلوم والمعارف النَّقلية، وحين يجري توظيفها بشكل منهجي دقيق فإنَّها سوف **تُقدِّم للمُنشغلين بهذه العلوم والمعارف وسيلة من أكثر الوسائل فاعليَّة في مراجعة ونقد التراث الإسلامي كله** وفي مقدمتها ما يُعرف **بعلوم المقاصد** وهي التوحيد، أو الكلام، والتفسير، وأصول الفقه، وعلوم الحديث، والفقه[1]. وعلى سبيل المثال نذكر بعض الآثار والمراجعات في مجالي التوحيد والتفسير، كثمرة وأثر لهذه الوحدة البنائية كما يلي:

1-أثر الوحدة البنائية على التوحيد.

بعد إصابة **التوحيد بمظاهر الخلل** عبر مراحل الأجيال المسلمة، وانحرافه عن مساراته الحقيقة **محوِّلاً العقيدة الإسلامية الصافية البسيطة في الفهم** والممارسة إلى **جملة من المفاهيم الغامضة والاستشكالات الكلامية المُتلاسنة وإلى سفسطات فلسفية**، لتُكبح تلك الطاقة التي حرَّرها صفاء العقيدة الإسلامية الأولى، وتعطَّل الإرادة الفاعلة للمسلم في إعمار الوجود وإسعاد البشرية[2]. فإن أردنا العودة من جديد لهذا النبع الصافي والمعين الشافي فلا طريق لنا سوى: "التخلُّص من بعض هذا **التراث المُصاب**، وتنقية ما بقي منه، وتطهيره مما علق به، وتخليص العقل المسلم والوجدان المسلم من تلك الآثار الخطيرة فلا نجاة لنا إلَّا بعرضه

1 – انظر: طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)، ص13

2 –راجع: طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(مرجع سابق)،ص65إلى72.

كاملاً **على القرآن في وحدته البنائيّة**، ومراجعته ونقده والتصديق عليه في نور القرآن المجيد وهدايته. **وإعادة بناء التوحيد والإيمان على القرآن**، وتأسيس العقيدة على هديه."[1]

2-أثر **الوحدة البنائية على التفسير**.

التفسير من أعظم الأبواب التي تحفظ كيان الدين وتقيمه لأنَّه متعلِّق بفهم كلام الله وتبليغه للناس وهذا ما يُبرِّر خوف كبار الصحابة من القول فيه برأيهم فعن أبي بكر الصديق- رضي الله عنه-قال: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله تعالى، بما لا أدري أو ما لم أسمع»[2] من هنا يضع العلواني خطوات تُحدِّد التعامل المطلوب مع التفسير[3]:

- في البداية يرى العلواني أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قد سنَّ للصحابة تفسير القرآن الكريم حين كان يُفسِّر لهم القرآن بالقرآن ذاته، أو يقوم بتنفيذ وتطبيق ما يُوحى إليه ليُبيِّن لهم.
- وعليه كان **ينبغي أن يُتخذ ما قدَّمه رسول الله** -صلى الله عليه وسلم-**منهاجاً لا يحيد المفسرون عنه**، بل ينون عليه، وإذا كان لابد من إضافة شيء فليكن من القرآن ذاته، أو ينبغي أن **يُربط بالقرآن الكريم ربطاً محكماً**.
- إذ أنَّ **سائر القضايا اللُّغوية** كان ينبغي أن يكون **الحكم فيها للقرآن ذاته ولغته وأساليبه** فلا يفسر القرآن بدواوين الجاهليِّة، ولا بتراث بني إسرائيل، ولا بلغة البدو، بل تكون لغته هي المهيمنة على اللُّغة العربيِّة، وتكون اللُّغة العربيِّة تابعة للغته. يبنى لسان القرآن وقواعده انطلاقاً من لغته.
- كما أنَّ بعض الكلمات الشرعية **كالإيمان والصلاة والزكاة والصيام والحج والكفر والشرك والنفاق**، كل هذه الكلمات كانت **لها معان بسيطة في الاستعمال** العربي الجاهليِّ **فقام القرآن بتنقيتها وشحنها بالمعاني التي أراد لها أن تحملها** وتشتمل عليها، في تطويع تلك الكلمات لكل تلك المعاني بعض أوجه إعجاز القرآن الكريم.

---

1 – طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(مرجع سابق)،ص53.

2 –رواه سعيد بن منصور، في التفسير من سنن سعيد بن منصور.ج1 ص168،رقم:39.قال المحقق: صحيح إلى مرسله وهو منقطع لكن له متابعات يرتقي بها للحسن لغيره وذكرها في هامش 169إلى173.

3 –راجع:طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(مرجع سابق)،ص72إلى78.

- فيستنبط منه **اللغويّون مناهج عقليَّة منطقية** ومناهج تأثيريّة وجدانيّة، والبلاغيّون **يرون فيه قمة في مراعاة مقتضى الحال**، وتقديم الصور الفنيّة البديعيّة المعجزة. و**المؤرخون يرون فيه تاريخ الخلق والكون والنبوات** في غاية الأمانة والدقة، مع ملامسة الوجدان بحيث يتمثل التاريخ واقعاً قائماً بأحداثه وأشخاصه ودروسه وعبره.

وهكذا **ينهل من القرآن الكريم كل حسب اختصاصه** وبقدر طاقته وملكاته، لأن الآلية التي كانت تُستخدم لتفسير القرآن الكريم واضحة ويسيرة ولا غبار عليها، فنقاء الذهن وصفاء السريرة يجعل من تفسير القرآن بالقرآن أيسر سبل الفهم لتعاليم الدين وحسن ممارسته على الوجه المطلوب. **من هذا المنطلق المُعلِي لكلمة القرآن الخالد** والمتجاوز لكل اللغات والمستغني بذاته عن كل تُراث وفكر، سواء بالإلغاء أو بالتنقية نستطيع فهمه والتجاوب معه أينما وجدنا وحيثما كنا. **فهو غذاء الإنسان المُتعطِّش** للحقيقة وكشف المجهول وسبر أغواره.

ثانيا: نموذج عن الوحدة البنائية في القرآن.

تقوم الوحدة البنائية في سورة البقرة عند العلواني على مايلي:

يؤكد العلواني في **سورة البقرة** على أن الوحدة البنائية تقوم على **محور التوحيد** فهو عمودها الأساسي، وحوله تدور الأوتاد الأخرى تعضّده وتعزّزه-والقرآن بجملته يقوم على ثلاثة أعمدة أولها التوحيد، وثانيها التزكية، وثالثها العمران-ومن أهم هذه الأوتاد ما يلي[1]:

الوتد الأول: تصنيف الناس بحسب مواقفهم من التوحيد وهذا التصنيف يؤدي مهمَّة أخرى.

الوتد الثاني: بدعوة الخلق إلى العبادة موظفاً في حضِّهم على القيام بها **دليل العناية** الذي يؤكد باستمرار على توحيد الربوبية.

الوتد الثالث: ليؤكد كل ما تقدَّم صحته وصدقه بالتأكيد على صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم– وحجيّة الرسالة والتحدي بها، واتخاذ عجزهم وشهدائهم عن الاستجابة لذلك منطلقاً لتحذيرهم من رفضه وردِّه دون حجة أو دليل، وقرن ذلك بالبشارة للمؤمنين.

الوتد الرابع: يُنبِّه إلى أهميَّة الأمثال التي يضربها الله لعباده بقطع النظر عن أركان المثال.

1 – راجع: جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(مرجع سابق)،ص81إلى83.

ومن أهم هذه الأوتاد أو النجوم كما يحب العلواني أن يُسميَّها نذكر بعضها والدروس المستفادة منها كما يلي[1]:

1-**قصة غواية الشيطان لآدم وزوجته:** فقد عصى آدم وزوجه ربه ثم طلب التوبة فتاب الله عليهما، ولكن ذريته التي جاءت بعده **شبهته في الانحراف**، ولم **يشبهوه في التوبة** مع توافر كل وسائل الهداية. والصلاح لهم من النبوة والشريعة.[2] وبذلك فقدوا صلاحيَّتهم لأنَّهم لم يكونوا من المصطَفَيِّن الذين يصلحون

2-أمة **إبراهيم بديل شرعي لأمة بني إسرائيل:** بعد أن بين الله-عزَّ وجلَّ-كيف **انحرف** بنو إسرائيل عن **وصية إبراهيم ويعقوب**، ودعا اليهود منهم إلى اليهوديَّة وزعموا أنَّ إبراهيم كان يهوديَّاً ودعا النصارى إلى النصرانيَّة وزعموا أنَّ إبراهيم كان نصرانيَّاً وتجاهلوا ملة إبراهيم التوحيديَّة وهنا **جرى تجاوزهم** بعد كل ما فعلوا ويبدأ إعداد الملة الحقيقيَّة لإبراهيم الملَّة الموحِّدة، وذلك بالتحوُّل إلى ذريَّة إسماعيل، والإعداد للتخلي عن القبلة، وسائر الرموز والتشريعات التي ارتبطت ببني إسرائيل.[3]

فرتبة الترقي أو الانحسار رتبة اختيارية كسبيَّة وبنو إسرائيل بأيديهم وحدهم وبأعمالهم السيِّئة تدحرجوا من مقام الاصطفاء إلى حالة التخلي والإقصاء، وما كان ربك ليظلهم ولكنهم ظلموا أنفسهم.

3-**بين التوجيه والتحذير:** يُناوب الله-عزَّ وجلَّ-في خطابه للأمة البديلة وينتقل في صورة منسجمة بين خطاب التوجيهات الجديدة، **ويعود بهم من حين لآخر للتذكير والتحذير** من المغبَّة في الوقوع في الأخطاء السابقة لبني إسرائيل، فقد تناول الخطاب الإلهي جوانب مختلفة كالتزكية، فيها إنشاء توجيهات وأوامر للأمة الوسط –الأمة البديلة-وتحذيرات ضمنيَّة مما وقع فيه السابقون كما فيه كذلك فرصة جديدة للتوبة والرجوع للأمة المستبدَلة لعل ذلك يساعدهم على استدراك ما فاتهم[4].وهنا لفتة لإحدى **لطائف الله وعظيم رحمته بعباده المخطئين**، فرغم

---

1 – راجع: طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(مرجع سابق)،ص84إلى89.

2 – راجع: طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(المرجع نفسه)،ص62.

3 – راجع: طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(المرجع نفسه)،ص63.

4 – راجع: طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(المرجع نفسه)،ص64.

العِناد والإصرار على الاستكبار وتكرار العصيان والتمرُّد الواقع في حال بني إسرائيل، إلا أنَّه- تعالى-لا **يملُّ ولا يكلُّ في إتاحة الفرصة لهم للأوبة والرجوع ما داموا في الحياة الدنيا،** وإلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها وهذا منتهى الفضل واللطف والكرم بهم وبالناس أجمعين.

4-إنفاق **ما أُعطي إقراض لله تعالى:** وهذه معادلة مغلوطة وليست منطقية بمقياس وموازين حياة البشر وفي مفهومه، **إذ لا يُعقل أن يكون إنفاق ما لا تملكه قرضاً لغيرك،** فالمقرِض لابدَّ أن يمتلك ثُمَّ إن شاء بعد ذلك أن يُقرِض فله ذلك، ولكنَّ **هذا المفهوم صحيح ومقبول بالمنطق الإلهي،** إذا كل العطاء من عنده-تعالى-وما أنفق الإنسان منه فهو قرض لله-عزَّ وجلَّ-ينال عليه حُسن الجزاء يوم الجزاء فهل بعد هذا الفضل فضل؟ **لهذا حثَّ الله -تعالى- على الإنفاق في سبيله بجميع أنواع الإنفاق،** فالقتال إنفاق الأرواح، والزكاة والصدقة إنفاق الأموال في سبيل الله، وما دامت في سبيل الله فكأنَّها قرض يقرضه المتصدق الله – تعالى– وأَعْظِمْ بها مرتبة أن يكون المتصدق بمثابة المقرض الله تعالى[1].

5- **التوحيد أولاً والتوحيد آخراً:** إذا كانت **أول دعوة دُعِيَّ إليها الإنسان؛** هي توحيد الله وعدم الإشراك به، فإنَّ آخر ما يجب أن يُطلب منه وهو يُغادر الحياة الدنيا ليقابل ربَّه في دار الآخرة **هو كذلك التوحيد،** فمدار الأمر قائم **على التوحيد ابتداءً وتوسطاً وختاماً،** لهذا يجنح الله- تعالى-في آخر هذه السورة **للتذكير بمقاصد التوحيد وبيان أهميته** وذلك من خلال ما جاء في آية الكرسي، التي تعود لتوكيد التوحيد بشكل في غاية القوة فالله لا إله إلا هو، والله هو الحي القيوم الذي لا يشبه عباده أو خلقه في شيء فلا تأخذه سِنة ولا نوم، وكل ما في السماوات والأرض ومن فيهنِّ له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وإمعاناً في توكيد معنى الحق التوحيد، يتنقَّل الحق -تبارك وتعالى- بين الأدلة والحجج العقلية التي تتجاوب مع العقل السليم- **قصة النمرود ومجادلته ومحاورته لسيدنا إبراهيم-** وبين الذهاب بهم بعيداً إلى

1 - راجع:طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(مرجع سابق)،ص64.

مجال الخوارق والمعجزات التي تتجاوز عقولهم وتبهرهم وتدهشهم فتبهتهم فينصاعوا للحق مذعنين- **قصة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه**-[1].

6-وفي ختام السورة: يضبط الله- عزَّ وجلَّ- جملة من القضايا التفصيلية الهامة في حياة البشر، والتي يؤثر وجودها أو عدمها في تحقيق التوحيد أو انتفائه لأنَّ المجتمعات التي تقدس المادة والمال دون تعامل منضبط معه هي مجتمعات أقرب للبهيمية من الإنسانية يقول صالح بن فوزان عن شكل المجتمع البعيد عن التوحيد: "المجتمع الذي لا تسوده عقيدة صحيحة هو مجتمع بهيمي، يفقد كل مقومات الحياة السعيدة ،وإن كان يملك الكثير من مقومات الحياة المادية، التي كثيراً ما تقوده إلى الدمار...لأن المقومات المادية تحتاج إلى توجيه وترشيد للاستفادة من خصائصها ومنافعها، ولا موجه لها سوى العقيدة الصحيحة[2]" وهذه القضايا التي تضبطها السورة الكريمة هي[3]:

- وبعد أن يضبط الله-عز وجل-بعض أهم القضايا في المعاملات المادية بين الناس-الربا والدَّين-ومن قبلهما الحديث عن الإنفاق والصدقة، وهذا الربط بين الصدقة والربا والدَّين يُقدِّم أروع الصور عن الطرق المتَّبعة في **تداول المال وعلاقاتها بالتوحيد**، والإيمان بأنَّه تعالى المالك الأوحد لكل شيء.
- ويذكِّر بأركان الإيمان التي آمن بها الرسول والمؤمنون جميعاً، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر.
- وفي مشهد جامع لكل القضايا المشتملة في التوحيد، ختم الله السورة بتعليمنا **الارتباط بالدعاء** في صورة مُوحية بجلالته وأهميته ليرسم في الذهن بأنَّ **الدين مبناه على التوحيد** الذي يتحقَّق بفضل الدعاء والتضرع لله-

1 -راجع:طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(مرجع سابق)، ص65.

2 - صالح بن فوزان بن عبد الله بن الفوزان، عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر وتعطيل البدع.(ط:1؛ الرياض: مكتبة دار المنهاج،1434هـ)، ص 15.

3 - راجع:طه جابر العلواني، الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(مرجع سابق)، ص67إلى69.

- إنَّ الوصول إلى التوحيد **لا يكفي فيه إرادة الإنسان** وحده أو عمله المجرَّد فهو مظنَّة الخطأ والنسيان، **فلابد له من الاعتماد على الله** –سبحانه وتعالى – والاستعانة به والتضرع إليه والاتكال عليه.
- فالسورة بناء ضخم يقوم على عمود واحد هو **التوحيد** ومجموعة كبيرة من الأعمدة المساعدة أو الأوتاد الساندة والمعضِّدة تدور حوله.

وهكذا تتمثل الوحدة البنائية في جميع سور القرآن الكريم في بناء الكيان الإنساني في أرقى صُوَّره وأكمل وجوه الكمال الإنساني فيه.

المطلب الثالث: القرآن الكريم وحلول المشكلات الإنسانية.

الفرع الأول: عداوة مستمرَّة للقرآن الكريم.

أولاً: العداء الخارجي للقرآن.

في حديث للعلواني عن هجمات الكفر وأهله ضد القرآن الكريم والسنة المطهرة مايلي[1]:

- لقد تعرَّض القرآن منذ نزول "**اقرأ**" على رسول الله–صلى الله عليه وسلم–إلى كل ما عرفته البشرية من وسائل اللغو والتشويش والدَّس والافتراء والكذب والتكذيب، ومحاولات المحاكاة، والتقليد، والتحريف والمجادلة في كل شأن من شؤونه وهو صامد يتحدَّى الإنس والجن ويُثبت عجزهم واستسلامهم، وفشلهم في الوقوف أمامه، والاستجابة لتحديه.
- فالهجمة قديمة منذ اليوم الأول الذي نادى فيه الرسول–صلى الله عليه وسلم – أهل مكة إلى يوم الناس هذا، إذ شكَّل القرآن الكريم عقبة كؤودًا في وجه جميع المدنيات التي اتَّخذت منه العدو اللَّدود.
- ولم تتوقف المحاولات حتى يومنا هذا، والذاكرة التاريخية تعود بنا إلى عهد **وليم جلادستون** رئيس وزراء بريطانيا الذي لعب أدواراً خطيرةً في السياسات الاستعمارية البريطانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. لقد رفع هذا الحاقد مرَّة **بيده الملطَّخة بدماء المسلمين مصحفاً** في مجلس العموم، وهو

1 – راجع:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)،ص 28.

يخطب في أعضائه قائلاً: لن يكون لنا في الشرق مستقبل **ما دام هذا القرآن يُتلى**، ثم أشار ناحية مكة وقال: و**كعبة تُزار** فكانت دعوة صريحة للغرب المعاصر بضرورة استئصال القرآن وتدمير الكعبة.

- هذا الكلام و**هذه العداوة للقرآن والإسلام**، مارسها الغرب بصور عِدَّة في جميع مراحل تعامله مع المسلمين ودينهم، والأمثلة والبراهين في ذلك لا يسعها حدٌّ ولا تحويها الكتب.

ولعلَّ إحدى المحاولات البائسة ما جاء ذكره على لسان العلواني في نقده لكتاب يحاول أصحابه تحريف القرآن الكريم سمَّوه: **الفرقان الحق**[1] وسمَّاه هو **المُفبركان الباطل**[2]؟ يقول عنه[3]:

- وهم بعملهم هذا لا يعتدون على المسلمين فقط بل على البشرية جمعاء.
- لكن أنَّى لهم ذلك فقد حاول كثيرون من قبلهم وباءت كل محاولاتهم بالفشل، فقد تكفَّل الله بحفظه، قال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ **[لحجر**: 09 **]**.

كما أنّ العلواني أثناء إقامته بأمريكا قد شارك في مؤتمر من أجل إقامة **منظمة الأديان المتحدة**، جاء فيه[4]:

- كان عدد الأديان المشاركة أربعين ديناً حيث اعتبروا البهائية ديناً والقاديانية ديناً ونفس الشيء مع الديانة المسيحية واليهودية.

---

1 – خلاصة هذا الكتاب بحسب ما ذكره العلواني أنَّ القرآن – في نظرهم – لا يعدو أن كون أسماء سور، وفواصل تنتهي بها الآيات، وبعد ذلك يستطيعون أن يدسُّوا بين البدايات والفواصل ما يشاؤون من مضامين مقتبسة من الأسفار المنسوبة إلى موسى، والكتب المنسوبة إلى عيسى أو من مفترياتهم. فاستبدلوا أسماء السور بأسماء باطلة – ما أنزل الله بها من سلطان – زائفة خادعة اختاروها، وظنُّوا أنَّهم بمجرَّد أن يضيفوا كلمة **سورة** ستنجح الفبركة وسوف ينخدع القراء المسلمون بما افتروا وفبركوا وأنَّ **الجرس** الذي في الفاصلة سوف يجعل الفبركة أكثر إتقاناً، ثُمَّ هم بعد ذلك في المضامين أحرار.طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)،ص13.

2 – طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(المرجع نفسه)،ص9.

3 – راجع:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(المرجع نفسه)،ص8إلى10.

4 – طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(المرجع نفسه)، ص25.

- وبعد حضوره لمجريات المؤتمر يخبر بأنَّ الأمر جدٌّ، وأنَّ القوة الموجَّهة لعالمنا المعاصر تعمل على توظيف الدين لخدمة أغراضها السياسيِّة بكل ما تملك من وسائل.
- وأنَّ المستهدف الأول من كل تلك الجهود المحمومة، والضحيِّة الأولى لها سيكون الإسلام والمسلمون؟!

وتأكيداً لهذه المخاوف فقد **عُقد مؤتمر ثان حول نفس القضية** ومماثل لها ولكن هذه المرة برعية أممية –المنظمة الاقتصادية العالميِّة في **دافوس**–وبالضبط بعد **أحداث الحادي عشر من سبتمبر** في مدينة نيويورك **تكريماً للمدينة الجريحة** وتعزية لها. فهل سيصبح كتاب (المفبركان الباطل) **أرضية لمنظمة اتحاد الأديان؟**[1]. وهذه إحدى نتائج أحداث الحادي عشر من سبتمبر لمحاربة الإسلام عدو الغرب الأول.

ثانياً: العداء الداخلي للقرآن.

إن كانت معاداة الغرب لنا متوقعة ومحتملة منهم، بحكم السجال التاريخي الذي بيننا فإنَّ الذي يحزُّ في نُفوسنا ونأسف له[2]:

- تسرُّب هذا الوباء لتُنتقل العداوة للقرآن والدين لأبناء جلدتنا بإشاعة أنواع من المفاهيم الخاطئة في العقول مثل لا فرصة لدخول الإسلام لهذا العصر، والإيمان بعلمانية الدول الغربية، وغيرها.
- وأمام ذلك أصبح للقرآن أعداء من بين صفوف أبنائه ففقدت الأمة تماسكها وبذلك **تحقَّق لجلادستون ما تمنى.**
- وقد **شجَّع ضِعاف النفوس** من أبناء جلدتنا الانقلاب علينا والتخنَّدق مع الأعداء **حالة التخلف العام لأمتنا**، فهي دويلات متخلفة في عالم ثالث في حالة من السُبات.
- مما أثر على **الحالة النفسية لمجتمعاتنا** والتي عانت –ولا تزال تعاني –من التناقض الحاد بين **القيم الغربية** التي أفرزتها الحضارة الغربية المهيمنة، وعملت النخب الفوقية

1 – راجع:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)، ص25إلى27.

2 – راجع:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(المرجع نفسه)، ص27و28و44.

الحاكمة والمساعدة لها على غرسها وتبنِّيها وفرضها من علٍ على مجتمعاتنا وبين **مؤثِّرات وبقايا الأنساق الحضارية المغايرة**، والموروثات الإيديولوجية والإدراكية المتأصلة في ثقافتها، بحيث صارت ثقافةً وأعرافاً وتقاليد ليس من اليسير على شعب مفارقتها بالأوامر والإجراءات الفوقية.

وبتتبع الأسباب والعوامل المؤدية لحياة الضعف الداخلي نجد من أهمها مايلي:

1-العولمة:(وقد سبق الحديث عنها في المطلب الأول من الفصل الأول)

حيث فرضت هذه الأخيرة **كحل للقضاء على الموروث وبقايا الأنساق الحضارية**، وهي في نظر العلواني **ثورة شاملة** وليست مقتصرة على العولمة الاقتصادية، ولكنَّها نظام عالمي له مؤسساته الدولية سياسياً واقتصادياً وأمنياً وتربوياً وفكرياً وحضارياً ودنياً، كما أنَّها **لا تقبل فقط مجرد الانفتاح عنها وقبولها** بل **الاندماج فيها والانخراط فيها عضوياً** عن طريق الاحتواء بالعمليات الجراحية التي تُعرف بصراع الحضارات، لتُهيمن الليبرالية في نهاية المطاف على الجميع.[1]

2-**صدام الحضارات وفق منطق نهاية التاريخ**: فإنَّ النهاية حقيقة مسلَّم بها، ولا سبيل إلى أي نوع من أشكال مراجعتها والتيقن من دلالتها، وحصر المشكلة في العثور على الحدث التاريخي الذي يحقِّق النهاية[2].

3-**الارتداد إلى الموروث آخر حصون الأمة المسلمة**[3]:

- ففي ظل الهجمات العنيفة للعولمة **تضطر الأمة للرجوع للوراء والاحتماء بموروثاتها** وثوابتها، الذي صاغه الأسلاف **بطرائق إدراك ومعرفة خاصة عائدة إلى المكونات التاريخية حينها**، فأنتج نسقاً له ما له وعليه ما عليه.

---

1 – انظر:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)، ص44 بتصرف.

2 –فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة: فؤاد شاهين، جميل قاسم، رضا الشابي.(لا.ط؛ بيروت: مركز الإنماء القومي،1993م)، ص8.

3 – انظر:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)، ص45و46 بتصرف.

- والمشكلة هنا تكمن في **الأخذ دون تمحيص**، المؤدي للتعصب للموروث بحق وبغير حق، مما يزيد الهوة بيننا وبين الغرب وعولمته، فنصنف في نظرهم في خانة الإرهاب والأصولية والتطرف.
- ومكمن **الخطر في حالة الارتداد** والعودة، يظهر في **التوقف عن المراجعة** والممارسات التجديدية الداخلية-إن وجدت-ففي معركة الدفاع عن النفس من أجل البقاء، أقل ما تُنعت به هذه المحاولات التجديدية الداخلية؛ باستحسان بدائل العولمة والتبعية أو بالتواطؤ إذْ بالغ أصحاب التجديد في جرأتهم، وهنا تدخل الأمة في حالة من الفتنة العمياء التي تذر الحليم حيران.

فلا يُمكن للإنسان أن **يضع قدمه في النَّهر إلَّا مرَّة واحدة في مكان واحد**، إذ وضعها في كل مرَّة يختلف عن سابقتها، والكلام ذاته بالنسبة للأحكام والشرائع المتعلقة بالزمان والمكان والإنسان.

كما أنَّ **الإنسان يألف القديم ويستمسك به** بل ويستميت في الدفاع عنه، ومع مرور الأيام يزداد تشبُّثه به ويُصبح التَّخلي عنه مقرونا ومرتبطا بكرامة الإنسان وشروط بقائه.

4-**عجز العلم رغم تقدمه وتطوره**، والذي أصبح على مشارف اكتشاف الكونية بكينونتها وعناصرها، عن كشف القيمة الكينونية للإنسان، والقيمة الإلهية للموجود بسبب البيئة الأمريكية والأوروبية، التي يعيش فيها بالإضافة إلى عدم ممارسة اللاهوت تجديده النوعي، مع عدم اكتشاف الإسلام إلا من خلال أنظمة مهترئة مثل ابن لادن وجون محمد وصدام[1]. لكون **العلم وحيد النشأة** والمقصد فهو من **إنتاج الإنسان الغربي بثقافته وحده ونفسيته**، هذا الوضع زاد من سوء الحالة النفسية للمسلم، كما أثَّرت على مجريات وجوانب الحياة المادية والمعنوية في البلاد الإسلامية، بالإضافة للنماذج المهترئة في البلاد الإسلامية مثل نموذج صدام" الابن الشرعي لنهر القساوة المتدفق من التاريخ العراقي والذي لا يعرف التقاعد أو التنازل فإما القصر أو الموت[2]"، وهذا المشهد وأمثاله زاد في سوء الحالة النفسية للفرد المسلم وتدهورها.

---

1 - راجع:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)،ص44.

2 - غسان شربل، العراق من حرب إلى حرب-صدام مرَّ من هنا-.(مرجع سابق)، ص 4 بتصرف.

الفرع الثاني: مرتكزات القرآن الكريم لتحقيق الخلاص الإنساني.

إن مشكلة الخلاص الإنساني أزمة مستفحِلة وشاملة للمُتقدم والمتخلف للفاعل والمنفعل. ولا سبيل أمام البشرية سوى حبل القرآن الكريم ودين الإسلام، للتعلُّق به نحو الخروج من أزمتها الراهنة فهو ملاذها الأخير ومخلِّصها المنقذ بفضل خصائصه-ولا مصدر سواه- يستطيع أن يقوم بالتصديق والمراجعة، ثم الهيمنة على سائر المناهج المطروحة[1].

أولاً: مقدمات هامة لضمان حسن التعامل مع القرآن الكريم.

1-**تجريد وتنقية معارف وحيِه من سائر آثار النِّسبيِّة البشرية:** التي أحاطت بمُطلقه، وحجبت أنواره، وأخضعته لوعيها الذاتي، وحكمت عليه بتاريخيتها، وحكَّمت بمُحكمه أيديولوجيَّاتها وثقافاتها وأعرافها وتقاليدها، وقاموسها اللُّغويِّ.[2]فهذا الخلو للقرآن من كل أثر للفعل الإنساني الموسوم بالنَّسبيِّة واحتمال سوء الفهم، يجعل القرآن معينا لا يَنْضَبُ، ويديم لديه خاصية الصلاحية والمواكبة الزمانية والمكانية.

2- **الالتزام بالأمانة مع القرآن فكرياً ونفسياً:** فلا ندخل إلى عالم القرآن بحثاً عن شواهد لأفكار بنيناها بعيداً عنه، ومبادئ وضعناها خارجه؛ لأنَّ المطلوب أن نبدأ حركة التغيير بالقرآن **من داخل النفس**، فإذ تهيَّأت النفس وانفعلت به انعكس استعدادها وتهيؤها وانفعالها بالإصلاح على ما حولها، ثم تنداح[3] دوائر الإصلاح – آنذاك – استعداداً وتهيؤاً على مستوى جماعيّ.[4]ينبغي **أن تمتزج النفس البشرية مع القرآن الكريم في تفاعل وتأمل** وفق شروط نظامية، حتى يكون النَّاتج إنسانا يمتلك القدرة والاستعداد للتوحيد والتزكية والإعمار.

3-**الدخول إليه بعد فهم الأزمة:** وكذلك إدراك أبعادها –كلّها –والإلمام بتعقيداتها، والإيمان بقدرة القرآن المجيد على إيجاد حل مناسب لها، وأنَّ لا مصدر غير القرآن يستطيع أن يقدم العلاج الشافي فيها. ولذلك فلابدَّ من **الاِطّراح على أعتاب القرآن** اطّراح المفتقر، المدرك

---

1 – انظر:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)، ص46و47 بتصرف.

2 – طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(المرجع نفسه)، ص48.

3 – تنداح: تَنبَسِطُ وتَتَّسِعُ. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، جمع وترتيب وتعليق: علي بن نايف الشحود. (لا.ط؛لا.م:لا.ن،د.ت)،ص46.

4 – طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)، ص48.

لتجرُّده من كل طَوْلٍ وحول للخروج من أزمته إلا بالله – تعالى وكلماته[1].وهنا يُذعن الإنسان **في استسلام المُقتنع بعمق فشله وعجزه التام**، النَّابع من عمق أزماته المتتالية والمتعاقبة، ولعلَّ أشَّدها محاولاته تحدِّي القرآن بدعوى تجاوزه وتخطيه والقدرة على استبداله.

4-**إدراك الخصائص الذاتية للأمة القطب**: أو للأمة المنطلق التي يُراد لها أن تكون ميداناً للإصلاح والتغيير الأول، وقاعدة الانطلاق باتجاه **العالم والعالمية** وفي الحالة التي نحن فيها فإنَّ **المُنطلق** هو الأمة المسلمة-والعرب في موقع القلب منها -ما دامت لم تخضع بعد لسُنَّة **الاستبدال** بإيجاد أمة مسلمة بديلة عنها. وخصائص المسلم الذاتية -التي غرسها الإسلام فيه -هي الخصائص التي لابد أن تظهر في محيط الأمة، وتتحول إلى ثقافات وأعراف سائدة وجزء من الهوية[2].

5-**فشل الخطابات المعاصرة**: مثل الخطاب الطبقي في الثورة الفرنسية.[3]وبعد إدراك البشرية لفشل الخطابات المعاصرة في إقناع الإنسان واستيعاب هواجسه وأفكاره والإجابة عن أسئلته، فقد آن الأوان بأنَّ يُفسح المجال واسعاً أمام تجربة الخطاب القرآني.

ثانياً: خصائص تكوين الأمة في القرآن الكريم.

مما يجب أنَّ تتحلى به الأمة القطب في نظر العلواني أن **تتجاوز جميع المعوقات** من حزب وجماعة وأن تلاحظ فقط خصائص التكوين. الذي يلخصه العلواني في ثلاثة عناصر عند صياغة الخطاب التجديدي[4]:

1-تحديد المرجعية بالقرآن.

2-والتأكيد الدائم على ضرورة الالتزام بها.

3-وبناء ضمير الالتزام الجمعي في ضمائر أبنائها كافة، وإيجاد وترسيخ الإرادة الجماعية الشاملة في قلوب أبناء الأمة كافة وصيانة ذلك-كلِّه – بآلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

1 – طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)،ص49.

2 – طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(المرجع نفسه)،ص49.

3 -راجع:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(المرجع نفسه)،ص50

4 – طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(المرجع نفسه)،ص51و52.

كما يرى السَّبيل الوحيد لتحقيق هذا الأمر في[1]:

- هو تمحيص الأركان التي ذكرها بأنَّ تنبثق من الأمة وتضع في مقدمة أولوياتها تحقيق هذه الأركان، وتبلغ حالة تجعل الأمة قادرة على ممارسة دورها في الخلافة والشهود والعمران .
- مع إمكانية تشكيل هذه الأمة على شكل نظام أو تنظيم بشرط أن لا ينفصل هذا النظام عن الأمة قبل التكوين أو بعده، و أن لا يتجاهل الأركان المبنية على آية الاعتصام بحبل الله.
- كما يجب اِلتِحَام النظام مع التنظيم ليكسب كلا منهما الفاعلية والشرعية.
- الاستبداد لا يأتي بخير.
- ظاهر الصراع العربي الصهيوني. يلخص في أنهما يتصارعان بمستوى واحد وهو الطريقة الحمارية في فهم الكتب المقدسة فالأمتين استخلفتا في الأرض ولكن فرطتا.

ثالثاً: سُبل المدافعة عن القرآن الكريم وحملته.

يري العلواني من **خصائص الأمة القطب الإيجابية في الدفاع عن القرآن الكريم**، لهذا يجب المدافعة عن القرآن الكريم ليس لحمايته فالله تكفَّل بذلك ولكن من باب سُنة التدافع الماضية ومعركة القرآن تختلف عن بقية المعارف الأخرى.[2]

1-معركة المدافعة من طرف أعداء القرآن فتحتاج إلى[3]:

- تحصين شعوبهم وشعوب النصرانية وشعوب العالم ضد الإسلام وتزويدهم بأجهزة مناعة واقية ضده، وضد انتشاره في ديارهم.
- كسب وتنصير أو تكفير جهلة المسلمين – الذين لم يعد لديهم من الإسلام أكثر من انتماء جغرافيّ أو قومي أو تاريخي. وهم الغالبية الساحقة من المسلمين اليوم.

---

1 -راجع:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)،ص25و54إلى 60.

2- راجع:طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(المرجع نفسه)،ص 60إلى63.

3 - طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(المرجع نفسه)،ص64و65.

- فتح قلوب وعقول الشعوب الأخرى والمسلمة أيضاً إلى أنَّه لا بديل بين يدي، البشرية إلاّ **"النصرانية"** والمنظومات السائدة في ديار أهلها، فهي ديانة القوى العظمى ولها باع طويل في صناعة حضارتها وتقدمها، وهي ديانة صناع الديمقراطية ودعاة الحرية وحقوق الإنسان.وهذه الخيارات لم تعد على قائمة الانتظار بل تحققت في أغلبها وبدأت تأتي بثمارها للأسف الشديد.

2-معركة المدافعة من طرف حملة القرآن فتحتاج إلى[1]:

- ردِّ الاعتبار إلى اللُّغة العربية وإعطائها كل ما تستحقه من اهتمام، وتيسير سبل علْمها وتعليمها بكل ما هو ممكن من الوسائل المتاحة وما أكثرها.
- اعتبار إتقان اللغة العربية شرطاً لا تساهل فيه في تولي المسؤوليات العامة، والوظائف المختلفة.
- العناية بترجمة مصادر ومراجع العلوم المختلفة من سائر اللَّغات إلى العربية وتعريب المصطلحات العلمية، واختيار أفضل المصطلحات والمفاهيم المعبرة عن المعاني والأفكار العلمية بأدق الصيغ، وأكثرها ملاءمة.
- تعريب التعليم الجامعي بكل أنواعه من طب وصيدلة وعلوم وهندسة، وتعريب أسماء الأدوية، وغيرها.
- استخدام **الحاسوب** وتقنياته استخداماً يخدم العربية، وجعل اللّغة العربية موازية للغات الأوربية والأمريكية في تعاملها مع **الحاسوب** وأية أجهزة متطورة أخرى.
- تبنِّي **منظمة المؤتمر الإسلامي** بكل مؤسساتها الدعوة إلى نشر اللَّغة العربية في العالم الإسلامي، وتيسير ذلك بكل ما هو ممكن ومتاح من وسائل.
- على الدول العربية البترولية أن **تخصِّص جزءاً من إيرادات النفط** لوضع تلك العائدات في بناء مؤسسات تحت مظلة **منظمة المؤتمر الإسلامي** و**الجامعة العربية** و**الأزهر**، و**المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية** ومجامع **اللغة العربية**

1 - طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)،ص63.

وغيرها لوضع استراتيجية شاملة للتنسيق والتعاون من أجل تحقيق الأهداف السابقة الذكر.

3-كما يتطلب بناء الوعي بالقرآن الكريم للأمة القطب والبشرية -كلِّها - بُعدَها على أمور كثيرة، منها[1]:

- أن نُدرك بأنَّ القرآن حين يخوض معركة ضد أي نوع من أنواع خصومه **فإنَّه لا ينطلق من موقع ضعف** أو دفاع، بل من **مُنطلق التحدي** والإعجاز ليسقط أسلحة خصومه -كلَّها - مرة واحدة.
- ولكي ننطلق بالقرآن من **مُنطلق التحدي** والإعجاز، ونجاهد الناس به جهاداً كبيراً. على علمائنا ومفكرينا وحملة القرآن فينا أن يكتشفوا **الرؤية الكونية** للقرآن الكريم، ويتبنوا أبعادها ويتسلّحوا بها وبفهمها وفقهها.
- ولكي نتقدَّم بالقرآن إلى العالم ونتحدى الناس به نحن في حاجة إلى **مراجعة تراثنا في علوم القرآن لتنقيته** مما لحق به أو أضيف إليه، ومحاكمته إلى القرآن المجيد ذاته للتصديق عليه، والهيمنة على ما فيه وبعض هذه العلوم في عصور إنتاجها برهنت على مدى عناية علمائنا المتقدمين بكل ما يتعلق بالقرآن المجيد.
- وإشاعة الدراسات المقارنة بين الكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن وذلك بدراسة تاريخ كل منها، وطرق نقله وحفظه، والمقارنة بين مفاهيم وتصورات كل منها للدين.
- والعناية بدراسة القرآن بأشكال ميسرة تلاحظ في تفاصيلها الأعمار والمستويات والجنس واختلاف البيئات وما إليها. مع شيء من العناية بتفسير المفردات القرآنية، ليكون القرآن نفسه المبيِّن لمعانيه، وتستقرُّ المعاني القرآنية ذاتها في العقول، فتكون أعون على التأمل فيه.
- وتطوير مدارس **تحفيظ القرآن** بحيث تصبح مراكز لإيجاد إنسان القرآن، ولإحداث التنمية العقلية والذهنية والنفسية بالقرآن، وتعليم الطلاب فيها تاريخ القرآن، والفنون

1 - طه جابر العلواني، أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها.(مرجع سابق)،ص65إلى 68.

التي ارتبطت به من كتابة وزخرفة، وتجويد، وخطوط بحيث توجد مجموعة من الفنون الأساسية المتميزة بتأثير القرآن في البيئات المسلمة ليس فيها أي مجال للشرك، ومن المفيد إجراء بعض المقارنات مع الكتب الأخرى في هذا المجال: التوراة والإنجيل.

فهذه بعض ملامح سبيل **الخلاص الإنساني بالقرآن** تنبِّه إلى ما بعدها، وتشير إلى غيرها، وتفتح أمام الباحثين السبيل لإنضاجها واستكمالها وإشاعتها، وإيجاد الوعي بها، لعل الله يهيئ للبشرية أمر رشد، وينقذها من معاناتها.

المطلب الرابع: القيم السياسية في القرآن الكريم وإشكالية الحاكمية.

الفرع الأول: الحاكمية المفهوم والتاريخ.

انطلق العلواني في تعامله مع مفهوم حاكمية القرآن الكريم من[1]:

- تجاوز تحليل الجوانب اللُّغوية والاصطلاحية،لأنَّ المفاهيم عنده تختلف عن المصطلحات
- ولفهمه يحتاج لوجود وفهم عدَّة جوانب ومجموع من الزوايا والاتجاهات.
- كما أنَّ هناك شبكة من المصطلحات أو المفاهيم الفرعية التي يستدعيها هذا المفهوم، ومنها مفهوم (**الحاكمية الإلهية**) الذي يُمثِّل جذراً فلسفياً وفكرياً وثقافياً مُتشِّعب الفروع ومُتعِّدد الاتجاهات، وهي ترتبط بمفاهيم أخرى من أهمِّها مفهوم **الدين** ومفهوم **العبادة** ومفهوم **الحكم** بمعانيه المختلفة سواءً أكان شرعياً أو تشريعياً أو عُرفياً، ومفهوم الألوهية والخَلق والعبودية والدنيا والآخرة والخطاب والحلال والحرام، والمطلق والنسبي والعام والخاص.

فهذه شبكة مُعقَّدة لها علاقات مُتداخلة تُؤثِّر في بعضها البعض، كما تحتاج لبعضها لتكامل الفهم وسلامة المعرفة.لأنَّ "مفهوم (**الحاكمية الإلهية**) خلال العقود القليلة الماضية جرى تداوله بأشكال مختلفة من مدارس فكرية متنوعة، إذ تناوله بعضهم كما يتناول الشعر بحيث يكفي لمتناوله أن يقوم بتحليله ثم تركيبه ليكتشف معناه، في حين تناوله بعضهم على اعتباره باباً من أبواب مقاصد الشريعة يُمكن أن يُعتبره أصلاً يفرِّع عليه أحكاماً وفروعاً، إلى غيره من

1 –انظر:طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(لا.ط؛ لا.م: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.1996م)، ص 4بتصرف.

أنواع التناول التي لم تزد المفهوم إلا غموضاً"[1].

أولاً: محدِّدات مساعدة على الفهم.

1-مُحدِّدات ضرورية:

لقد جرى تداول مفهوم "**الحاكمية الإلهية**" بصورة خاطئة خلال العقود الماضية من المدارس الفكرية المتنوعة حيث لم يزد المصطلح إلا غموضاً. وحتى لا نسقط في وهم الحسم بقول الكلمة الأخيرة في هذا المفهوم الخطير، **فإنَّ العلواني ينبِّه** إلى بعض المعالم الضرورية لعرض الفهم ،أو حتى المساعدة على الوصول إلى نوع من الدَّقة والتحديد في مقاربته وهي [2]:

- دعوة سيدنا إبراهيم-عليه السلام-قال تعالى:﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة:106] وعليه فهناك إذا إمامة بجعل جاعل هو الله، وهناك ظلم وعدل كقيم لابد أن تُعرف وهنا تبرز جملة من المصطلحات والمفاهيم الفرعية ؛إمامة قائمة على جعل إلهي وعهد إلهي وظُلم وطاغوت يُقابله عدل وعادلون إلى غير ذلك.
- وفي عملية الإمامة وارتباطها بالجعل الإلهي فكرة الاصطفاء الإلهي قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾[الحج:75].

هذا الاصطفاء مرتبط بمواصفات محدَّدة قال الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[آل عمران:33]، وهذا الاصطفاء منوط كذلك لأداء مهام محدَّدة استخلافية وهذا الأمر لا بد من ملاحظته ونحن نتحدث عن **الحاكمية الإلهية.**

---

1 - طه جابر العلواني، الحاكمية والهيمنة.(لا.ط؛لا.م:لا.ن،د.ت)،ص15 بتصرف.

2- راجع: طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)،ص 5و6.

- لا بد لنا من أن نرجع قليلاً إلى الوراء للنظر في تاريخ النظم القانونية والتشريعية والاجتماعية التي عرفتها البشرية في مُختلف العصور-مجموعة من الشعوب والحضارات القديمة مثل الأكاديون والبابليون... لنجد أنَّ هناك نظماً قد قامت على أساس **حكم إلهي** بشكل من الأشكال، فكانت بعض نظم الحضارات القديمة تصدر عن الكهنة وبعضها يصدر عن الملوك أو القادة، فما يصدر عن الكهنة يعتبر وحي الآلهة، أو ظل الإله في الأرض.

ومن هنا يكون قهر الإنسان لأخيه الإنسان باسم الدين وبختم الإله وتوقيعه. فالعهد الإلهي للإنسان مرتبط بمواصفات الاصطفاء ومحدّدات شروط الاستخلاف عن الله في الأرض. "وهذا الاصطفاء تكليف لا تشريف بمقتضى الجعل القرآني نفسه، فهو عهد لا وعد، فقد ترتَّبت اللعنة على عدم الوفاء بالنسبة لبني إسرائيل، فهو أقرب إلى الابتلاء بالنعمة منه التي لا تدوم إلا بشكرها".والشكر هنا إمامة الناس والأخذ بأيديهم إلى سبيل النجاة والتمسك بحبل الله المتين"[1].

ثانياً-أشكال الحاكمية في الأمم السابقة:

لقد أخذ الملك أشكالاً مُتغيِّرة في الحضارات القديمة من كون الملك نظاما دينيا-بلاد ما بين النهرين القديمة-وفي المدن السومرية يعتبر الحاكم المدني خليفة الله في الأرض، ونفس الشيء نجده في عهد ملوك الأكاديين حيث أُعتبر المِلك مُنفِّذ إرادة الآلهة في الأرض، ولا يعمل إلا بوحيها وبذلك يفرض على رعاياه الطاعة المطلقة[2]. فأين حرية الإنسان؟ وأين الاختيار؟ وما قيمة الدين. وما جدواه وفائدته؟ وحتى نوضِّح التطور التاريخي لمعنى الحاكيمة وأثر ذلك التطور، نتابع أهم مراحلها عند العبرانيين كنموذج على شكلها عند بقية الأمم السابقة.

الحاكمية عند العبرانيين[3]:

---

1 - انظر:السيد عمر، جامع فقه الأمة (رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني).(مرجع سابق)، ص107و 108بتصرف.

2 - انظر:طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)، ص 7 بتصرف.

3- راجع:طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(المرجع نفسه)،ص 9و10و11.

بالحديث عن العبرانيين[1] بما فيهم بني إسرائيل نجد أنَّ فكرة الملك مرَّت عندهم بمراحل:

- بدأت عندهم بالاعتماد على رابطة الدّم مثل العرب بمعنى حاكم القبيلة أو شيخها هو من يتَّحكم فيها إلَّا أنَّه أُطلق عليه اسم نصي بأنَّه أُختير من النَّواصي[2] أو من الرؤوس والأشراف.
- إلى أن جاء موسى-عليه السلام-ووحَّد القبائل وحولها إلى شعب الالتفاف ومدار هذا الالتفاف هو رسالة موسى-عليه السلام-فمن أراد أن يكون من شعب الله وينضمَّ إلى مملكة الله فليس عليه إلا أن يقبل **"حاكمية الله"** مباشرة، وأن يقبل فكرة الإيمان بموسى وأخيه هارون وأن يتقبل الخروج إلى الأرض المقدسة والإقامة فيها[3].
- وقد ارتبط هذا كله باستجابة الله لكل ما طلبه هذا القوم لكنَّهم رغم الآيات كانوا كثيري التمرُّد والعصيان عن الحاكمية الإلهية المباشرة.
- وانتقل الأمر من مرحلة **الحاكمية المباشرة** إلى حاكمية استخلاف أنبياء ومرسلين يحكمون الشعب بشريعة الله –تعالى-وبما جاء في التوراة وذلك في دعوة داوود وسليمان-عليهما السلام-قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص:26].

---

1 – جاء الحديث عن تاريخ هجرة سيدنا إبراهيم إلى أرض كنعان وفي هذا دليل على أسبقية الكنعانيين في الوجود من بني إسرائيل، ثم اختلطوا بهم وأصبحوا جزاء منهم.انظر: أبراهام مالمات وحييم تدمور،العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة:رشاد عبد الله الشامي.(ط:1؛القاهرة:المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،2001م)، ص9بتصرف.

2 – النواصي، (نواصي الناس):أشرفهم،أقطابهم.جبران مسعود،الرائد.(ط:7؛بيروت– لبنان: دار العلم للملايين،مارس 1992م). ص825.

3– راجع:طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)،ص9.

- فلم يتوقف تمرُّدهم-بني إسرائيل-فطلبوا من الله أن يجعل لهم ملوكاً كغيرهم من الناس **قال تعالى** : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة:246] ، فجعل الله لهم طالوت ملكا و**قال تعالى**:﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة:247].
- وهكذا تقلَّب بنو إسرائيل في معنى الحاكمية الإلهية وعرفوها بشكل فيه كثير من التَّحديد.

وأخذ مفهوم الحاكمية الإلهية الفرضَ والهيمنة والقهر، وسلِّطوا لفرض هيمنة الإنسان وتسلُّطه، في حضور اسم الإله الذي يُريده الإنسان ويسعى لإرضائه، وأصاب مفهوم الحاكمية الإلهية عبر تاريخ البشرية تحريفا في مسار استخدامه وتطبيقه على واقع الحياة. وهو يدور في مجمله حول فكرة مؤسسة على الحق الإلهي التي تعني تأليه الحاكم وعلى الجميع أن يؤمن به[1].

وفي الفرع الموالي تفصيل وبيان لهذا المقدار من التخلِّي والابتعاد عن المفهوم الحقيقي والصحيح للحاكمية الإلهية.

1 - انظر:غالب الحاج، تاريخ النظم. (ط:1؛لا.م: موسوعة جنة القانون- المكتبة القانونية-،د.ت)،ص11 بتصرف.

الفرع الثاني: المسارات التاريخية لمفهوم الحاكمية الإلهية في الديانات السماوية السابقة.

أولاً: الحاكمية الإلهية في التصور الإسرائيلي (اليهودي).

يحدِّد العلواني أهم المبادئ التي تقوم عليها الحاكمية الإلهية في التصور الإسرائيلي في النقاط التالية[1]:

1-المبدأ الأول: بأنَّ الله –جل شأنه-قد اختار شعبه من بني إسرائيل وأن يكون من بين أبناء الشعب أنبياء ورسل يتصلون بالله ويأخذون منه التعاليم ليبلغوها لهذا الشعب وتمثَّلت هذه التعاليم في أصفارهم.

2-المبدأ الثاني: إنَّ هذه الحاكمية أو هذا الاختيار يجعل من شعب بني إسرائيل أقرب الشعوب إلى الله –سبحانه وتعالى-بل أبناءه وأحباءه وعلى هذه الصورة يكون مفهوم الحاكمية الإلهية في النظام اليهودي قائما على تعامل إلهي مباشر مع قوم معينين هم بنو إسرائيل والعلاقة بينهما علاقة عهد.

3- التَّطلع للتخفيف: بتتبع المسار التاريخي لليهود في مسألة " الحاكمية الإلهية" نجدهم قد تدرَّجوا من **"الحاكمية الإلهية المباشرة"** إلى **"حاكمية الاستخلاف النبوي"** إلى **"حاكمية الملوك الأنبياء"** ثم **"الملوك العاديين "**،وبدأوا يسألون الله التخفيف في التكاليف الشرعية، وقد حكى القرآن الكريم ذلك الأمر **فقال تعالى:**﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ

1 – راجع:طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)،ص 12إلى15.

ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف:155إلى157]

4-خاصية شعب بني إسرائيل المتمرِّد والمنحرف عن الالتزام بالشرائع، وخاصية شريعة موسى التي وحدته بعد شتات.

5-مما أدّى إلى انعكاس مفهوم" **الحاكمية الإلهية**" في العقل اليهودي على كل جوانب الحياة لديهم وعلى مفاهيم الإنسان والشريعة والكون والحياة والعبودية والألوهية والنّظام العام.

ومن هنا يتَّضح بأنَّهم هم الصفوة من البشر التي تقود البشرية للخلاص وتأخذ بأيديهم بفضل أبنائها ورسلها. وهذه نظرة مبنيَّة على التميُّز والعُنصرية والتفرقة، لا يُمكن بأيِّ حال من الأحوال أن تصل إلى جمع البشرية تحت مظلتها، لتكريسها الإحساس بالطبقيِّة والدونيِّة لدى الشعوب المنضوية تحتها، لتعارُضها مع الفطرة الإنسانية الرَّافضة للعنصرية والتميِّيز بأيِّ شكل من الأشكال. والأكيد كذلك بأنَّ لهذا الانحراف العقدي الناجم عن نفسية غير سويَّة سيكون له آثار وانعكاسات سيئة على مجريات الحياة العامة بجميع جوانبها.

ثانياً: الحاكمية الإلهية في التصور النصراني.

يحدِّد العلواني أهم المبادئ التي تقوم عليها الحاكمية الإلهية في التصور النصراني في النقاط التالية[1]:

1-فبعد الاضطراب الذي حصل عند بني إسرائيل، دعت الحاجة إلى مجيء رسول آخر برسالة أخرى تقوم بعملية التصحيح، فكان سيدنا عيسى ابن مريم-عليه السلام- صاحب تلك الرسالة، التي جاءت مصدِّقة للتوراة وليُحلَّ لهم بعض الذي حُرِّم عليهم، وليجمع الكلمة من جديد على التوراة ويعلمهم كيف يطبقونها بصدق وحق، ليصل في الأخير إلى جعلهم يتمسكون بروح التوراة لا حروفها.

1 - راجع:طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)،ص 16إلى 19.

2- إنَّ السيِّد المسيح-**عليه السلام**-كان يُؤكد على سيادة التوراة فقد جاء لتأكيد التوراة وسيادتها في مجتمع جديد، وعدم النسخ فيها من جهة، ومن جهة ثانية كان يُقدِّم رؤية في عملية تطبيقها بشكل سليم ومُتكامل.

3-كما يُشير إلى إحدى المبادئ في التصور النصراني؛ ألا وهو مسألة الفهم المجزأ ،وعدم التفريق بين النظام العام وسيادة الشريعة، وقد حاول تعزيز سلطان الروم بقوانينه الوضعية، وبروز قضية التَّقليد لديهم دون التمييز بين الحق والباطل بما في ذلك طلبهم الملك.

فالإنجيل ما هو إلا قراءة تصحيحية لمسارات التوراة ومُمارسات أهلها المنحرفة. وفي الجملة نجد أنَّ مفهوم الحاكمية الإلهية في شريعتي اليهود والنصارى، قد تزَّحزحت عن مكانتها الحقيقة وانزاحت لأدنى مستوى فكري وعملي، فنفس الأخطاء عند اليهود هي نفسها عند النصارى، في تعطيل الشريعة والقفز على أحكامها.

ثالثاً: الحاكمية الإلهية والرسالة الخاتمة.

وبعد التَّردي الذي أصاب مسار الحاكمية الإلهية، وانحرفت في طريقها للوصول بالإنسان لتحقيق عهد الوفاء مع الله، وتحقيق التصالح مع الذات والكون. نعرض للنظرة الصحيحة من بسط ما جاء في الرسالة الإسلامية الخاتمة وفق النقاط التالية[1]:

1-أول ما يُلاحظ عن الرسالة الخاتمة نظرتها للإنسان، **فهي تنظر إليه على أنَّه قد نضج،** وأصبح أهلاً لحمل الأمانة والمسؤولية والوفاء بالعهد الذي بين الله –تعالى-وبين بني آدم بما في ذلك من تحقيِّق عمران واستخلاف في الأرض. **ومرَّدُ هذا الأمر يعود إلى كون الرسالة الخاتمة هي الحاملة لرسالات** جميع الأنبياء السابقين والمهيمنة عليها والمستوعبة لها، وقد ذكر القرآن الكريم المهمة الأساسية للرسول محمد-صلى الله عليه وسلم-في **قوله تعالى:**﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾[البقرة: 129] وفي

1 -راجع:طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)،ص19إلى23.

قوله تعالى :﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[آل عمران:164] وآيات أخر... وكلُّها لم تشر إلى الحُكم والحاكمية.

2- وبتتبُّع حياة الرسول-**صلى الله عليه وسلم**-نجده قد مارس القيادة والحكم والقضاء والفتوى والتعليم، لكن من منطلق النبوة وليس من منطلق السلطة والسلطان.

3-إذا هي حاكمية كتاب أنزله الله-**جل شأنه** لينفِّذه الإنسان المستخلف أيًّا كان نسقه الحضاري، أو نمطه الثقافي، وفق ما يأتي به من توجيهات لتحقيق الهدى وإظهار الحق والفصل بين الناس.

4- وأنَّ الرسالة الخاتمة نبوة ووحي من السماء، وأنَّ الحاكمية من الله وحي يُتَّبع، وليست سلطاناً وملكاً، والرسول الكريم فيها مبلِّغ عن رب العالمين.

فمن أولى الخصائص المميِّزة للرسالة الخاتمة، المنطلقة من مبدأ التكريم لجميع البشر على حد السواء، وهذا من أهم الخصائص التي ميزت الشريعة الخاتمة، فالوحي هو المهيمن وليس ناقل الوحي وإن كان رسولاً. وقد حرص الرسول-**صلى الله عليه وسلم** – على تجسيد هذا المعنى في النفوس، فكيف يكون لغيره من البشر حق السلطة الإلهية والنطق بلسان الله، فقد ورد في قول **أبي سفيان للعباس**: «لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً! فقال له العباس: يا أبا سفيان! ليس بملك ولكنه نبوَّة»[1]. فهو بشر متواضع فقد قال لذلك الرجل الذي أتاه وفرائسه ترتعد: «هون عليك فإنَّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديَّد في هذه البطحاء»[2] وقوله:

1 – أحمد تقي الدين المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي. ج1(ط:1؛بيروت:دار الكتب العلمية، 1420 هـ / 1999 م)،ص383.

2 – رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الأطعمة، باب القديد، حديث رقم 3312، صححه الألباني في الصحيحة حديث رقم 1876.

«اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين»[1]. فالرسول بخلق التواضع يُريد أن يُعلن للبشرية بأن لا صوت يعلو فوق صوت الوحي والكتاب وإن كان من الكهنوت أو الرهبان أو الملوك أو الأمراء فلتسقط جميع أنواع **صكوك الغفران** وأشكالها.

رابعاً: فصل الخطاب في التفريق بين حاكمية الكتاب والحاكمية الإلهية.

يعطي العلواني مفهوماً واضحاً لمعنى حاكمية الكتاب، يُجلي من خلاله كل لُبس لهذا المفهوم ويجعله يتمايز عن غيره من المفاهيم، كما يُحدِّد ويضبط بكل دقَّة وإتقان العلاقة المطلوبة بين الكتاب والإنسان؛ من ثمَّ يُحقِّق الإنسان هدفه الوجودي في الحياة بيسر وسلام، **فيقول**[2]:

- في حاكمية الكتاب الكريم يكون الإنسان مسؤولاً، عن متطلبات ومستلزمات توفير سائر الضمانات التي تقضيها القيم العامة المشتركة بين البشر، مثل قيم العدل والأمانة والهدى.
- فهو مطالب بأنَّ يقرأ هذا القرآن الكريم قراءة منهجية تقوم على الجمع بين القراءتين- قراءة القرآن والكون معا-قراءة مُوحَّدة لا ينفصل أحداها عن الأخرى، ويدمج بينهما ويستخلص النتائج منهما بشكل مُنضبط.
- فتُستكمل القوانين الضابطة للحياة والقواعد المنهجية التي يُمكن للإنسان أن يهتدي بها ويُخرج الإنسان من دائرة التناقض والثنائيات، التي جعلت الإنسانية تُضيِّع من عمرها وقتاً ليس بالقصير بين الأفكار المتناقضة؛ أفكار الجبر والقدر، وأفكار الخلط بين الفعل الإنساني والفعل الإلهي وسوى ذلك.
- وحاكمية الكتاب هذه حاكمية تُعزِّزها وتُقودها أبعاد كثيرة منها عموم الشريعة وشمولها وانطلاقها من النص القرآني المحفوظ الذي لا يُمكن أن يتحوَّل إلى قراطيس يستقل بحفظها فريق من الناس ويجهلها كثيرون، بل هو كتاب مفتوح مُعلن يستطيع البشر أن يقرأوه وأن يتواصلوا به، فلا يكون هناك مجال لتسلط فئة وسيطة باسم الحكم الإلهي

---

1 – أخرجه الترمذي في سننه،ج4،باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنياهم، حديث رقم2352،قال الألباني حديث صحيح.

2 – انظر:طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)،ص 23 بتصرف.

على الناس لا لشيء إلا بحجة اطلاعهم أو اختصاصهم بمعرفة ما ليس في مقدرة الآخرين الوصول إليه.

- كما أنَّ حاكمية الكتاب تُحرِّر البشرية وتُخرجها من تسلُّط أي أحد باسم "**الحق الإلهي**" فهي قدرة مستمرة على تجديد الأحكام، من خلال تعامل الأجيال القارئة للقرآن الكريم.

ويجري العلواني مقارنة شيِّقة بين **حاكمية الكتاب** و**الحاكمية الإلهية** فيقول[1]:

- وقد جُمعت هذه المزايا وهذه القِطاف الجنيَّة لثمرة **حاكمية الكتاب** في **قوله تعالى**:

﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾

[الأعراف:156و157]

- كما أنَّ **حاكمية الكتاب** حين نبحث ضمن النَّسق التشريعي فإنَّها تُعطينا شيئاً آخر مختلفاً عن الحاكمية **الإلهية المطلقة**. التي يبدو الإنسان من خلالها مُتلقيا، عليه أن يأخذ كل ما يعطى بقوة، فإذا تردَّد أو تأخَّر نتق الجبل فوقه كأنَّه ظلة أو أُجبر على القبول بأيَّة وسيلة أخرى في ظل الحاكمية الإلهية المطلقة التي سادت في بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام.

1 -طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)، ص 23و39و40.

- حاكمية الكتاب تجعل الحاكمية أشبه ما تكون بأدوار مشتركة بين الكتاب الإلهي وبين قارئه من البشر، ولكل منهما دوره بوعي الإنسان وقوى وعيه". وتحمي الإنسان من أن يكون مُستَعبَدًا مقهورًا مسلوب الإرادة كالريشة في مهب الريح

وبعد هذا العرض المفصَّل والمستوفي لجميع الزوايا والجهات والذي يسير بقارئه إلى برِّ الأمان ويطرد عنه غلواء الشك أو ريبة الحيران، فيستسلم في إذعان واطمئنان لكلام العزيز المنَّان كما يتضح الفرق الجلي بين **حاكمية الكتاب** وأي **حاكمية أخرى**، فالقرآن الكريم هو الحاكم والمهيمن على من في هذه الأمة. كما جاء في كلام الشاطبي**–رحمه الله تعالى–**:" فالشريعة – يعني بذلك القرآن الكريم–هي **الحاكمة على الإطلاق وعلى العموم**، أي على الرسول**–صلى الله عليه وسلم–**وعلى جميع المكلفين، والكتاب الكريم هو الهادي، والوحي المنَّزل عليه مرشد ومُبيِّن لذلك الهدى و**الخلق مهتدون بالجميع**"[1]

وهنا سيعطينا حين إعادة قراءة النص القرآني في إطار هذا الفهم كثيراً من **الحلول لمشكلات نشعر الآن بالعجز عن حلها** أو معالجتها، ويستطيع المسلم المعاصر أن يستدرك مسؤولية الأمانة والابتلاء، المنوط بالإنسان القادر على القراءة والتلاوة والتدبر باسم الله الذي خلق، ومع الله تبارك وتعالى الأكرم، ليقوم بالعمران ويُحقِّق غاية الحق –**جلّ شأنه**–[2]

الفرع الثالث: الحاكمية كمفهوم تحريضي:

أولاً: توظيف الحركات الإسلامية لمفهوم الحاكمية الإلهية:

لقد تحول مفهوم الحاكمية بجهود بعض الحركات الإسلامية إلى قرين للتوحيد بحيث صارت تُسقط عليه كل عناصر التوحيد ومقومات العقيدة من ولاء وبراء وسواها وتربط بينهما بشكل وثيق، وبذلك ساد نوع من سوء الفهم والاضطراب في الرؤية داخل المجتمعات

---

1 – انظر:الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي.ج2(ط:1؛ السعودية: دار ابن عفان، 1412هـ/ 1992م)ص 853و854بتصرف.

2– انظر:طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)،ص 40و 41 بتصرف

الإسلامية[1]". ومن ثم تم توظيفه كمفهوم تحريضي يصف العلواني توظيف الفصائل الإسلامية المعاصر **لمفهوم الحاكمية الإلهية** في ممارساتها الدعوية بقوله[2]:

- لقد تبنَّت فصائل العمل الإسلامي في العصر الحديث شعار (الحاكمية الإلهية)، وهي في الحقيقة امتداد لحركات الكفاح والجهاد التي سبقت تلك الحركات، التي قامت في أقاليم مسلمة **من أجل طرد المستعمر** وأخذت تُكافح بجانب القوة القومية لتحقيق الاستقلال.
- ولكن الأمر **استمرَّ بعد الاستقلال** إذ لم تجد هذه الفصائل في السلطات الجديدة ما كانت تصبو لتحقيقه، وأحسَّت بالإبعاد والإقصاء، فعاودت الكفاح مرَّة ثانية، ولكن في وجه هذه القوى الوطنية والقومية.
- ونتيجة للصدام معها، ولتلقيها أشكالا من التعذيب والتغريب، ظهر شعار **الحاكمية** مرَّة ثانية ليُرفع في وجه هذه القوى كما رُفِعَ في وجه المستعمر.
- وكانت بداية ظهوره **في باكستان مع المودودي** وفي **مصر مع عبد القادر عودة وسيد قطب**.
- ويعود المفهوم السائد **للحاكمية في عصرنا هذا** حسب رأي العلواني؛ إلى إسقاط للمفاهيم التي شاعت بعد سيطرة الفكر الغربي والفكر المتعلِّق، بالسلطة والشرعية والمشروعية والدولة القومية.

و**شعار الحاكمية** هذا وإن رُفِعَ في **فترة الاستعمار** فإنَّ له ما يُبرِّره لوجود اختلاف الدين والعقيدة والملَّة، ولكن في الحقيقة اصطحاب **مقاييس النظر للاستعمار** ووَصم **الأنظمة العربية الحاكمة بها**، من طرف بعض هذه **الفصائل الإسلامية خطأ في الاستراتيجية** والتكتيك تتقاسمه أطراف عديدة داخلية وخارجية، كالأنظمة الحاكمة في حدِّ ذاتها وقِوى الهيمنة الخارجية والحركات الإسلامية كذلك. وبناءً على ذلك "فإن مفهوم الحاكمية الذي تبنَّته فئات سياسية

---

1 – هشام عوض جعفر، الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية رؤية معرفية.(ط:1؛أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي)، ص30.

2 – طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)،ص 24إلى39.

معاصرة كثيرة تحول من مفهوم إحيائي تجديدي قادر على إعادة بناء وحدة الأمة وترميم ما بلي من قواعدها إلى مفهوم زادها اختلافاً وفُرقة وتفكُّكاً وأثر فيها آثارًا سلبية، كما جرت عملية نسيان أو تناسي للقيم القرآنية العليا، استناداً إلى نبوة خاتمة شاملة وعالمية وخطاب تحمله موحدها في رؤيتها ومعتقداتها وأهدافها ومقاصدها، لتزود العالم بما هو أحوج ما يكون إليه وتقدم له المثل الذي كان يقدمه الأنبياء"[1].

ثانياً: صفات أساسية لفكرة الحاكمية الإلهية.

يرى العلواني ضرورة إعادة الاعتبار لفكرة الحاكمية الإلهية في فكر الحركات الإصلاحية وتجريدها مما علق بها فغيَّرها وأفقدها معناها، كما حوَّلها من التجديد إلى التبديد في الممارسة والتطبيق ،كما لا يمكن الخلط بينها وبين القضايا العقدية إن اتَّفقت من حيث المبدأ والمنطلق فليس بالضرورة أن تتَّفق في العمل والممارسة ،غير أنَّ سجال العمل والممارسة أوقع بعض فصائل العمل الدعوي في هذا الخلط من غير قصد إذْ جاء في قول سيد قطب ما يُثبت هذا الخلط " إنَّ أخص خصائص الألوهية هي الحاكمية ... والذي يُشرع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الألوهية ويستخدم خصائصها[2]". ويقول كذلك: "أما أن تكون الحاكمية لله وحده أو تكون للأرباب المتفرقة[3]".وقد حدَّد العلواني لإعادة الاعتبار لمفهوم الحاكمية الصحيح جملة من النقاط الأساسية[4]:

1-**الإمامة شأن دنيوي:** إذ قامت دولة المدينة المنورة على صيغة التعاقد بين فصائل ثلاثة متكافئة (المسلمون واليهود والمشركون)، فتشكَّل مجتمع توافقي قائم على الحماية والدفاع المشترك وزعامة محمد -صلى الله عليه وسلم-وكان فيه الرسول أفضل في جميع المجالات من الأسرة إلى الدولة.

1 - طه جابر العلواني، الحاكمية والهيمنة.(مرجع سابق)،ص12.

2 - سيد قطب، في ظلال القرآن. ج2(مرجع سابق)،ص367.

3 - سيد قطب، في ظلال القرآن. ج2(المرجع نفسه)،ص465.

4 - السيد عمر، جامع فقه الأمة(رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جاب العلواني).(مرجع سابق) ص103 إلى106.

2- **دور الأمة في الشرعة والمنهاج: قوله تعالى:**﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ **[**المائدة:48**]**.فالآية لا تقرِّر أن جعل لكل أمة شرعة ومنهاجاً، وإنَّما إلى أنَّه جعل من أمة القرآن شرعة ومنهاجاً، فعبارة (لكل منكم) تعني أنَّها **مأخوذة منها** و**مردودة عليها**، فيكون الاجتهاد بذلك فريضة لملء الفراغ التشريعي.

3-**مفهوم الأمير في منظور الأمة:** الأمير في صدر الإسلام إنسان حُمِّل مسؤولية كبيرة ليعان عليها وهو أجير عند الأمة، فوجب تجريد هذا المفهوم من كل معني تسلطي سلطوي.

بهذه **النقاط الثلاث** يرسم منحنى السياسية الشرعية، التي تنظر **للإمامة بمنظور واسع الأفق** بعيداً كل البعد عن **النظرة القاصرة** والمأسورة تحت **ضغط الشعارات الضيقة**، كما تقفز على المعنى السطحي القائل بأنَّ السياسية دين لتحقِّق المعنى الأوسع والأشمل بأنَّ الحياة كلها دين، فيُفتح المجال لكل **الفاعلين وأمام جميع الطاقات دون إقصاء أو تهميش في النظر والاجتهاد** نحو الصالح العالم وبناء التشريعات العامة، فيصبح بذلك **الأمير أو السلطان أجيرًا لصالح الأمة** ويتقاضى أجر مشقَّته من يدي أبسط أفراد أمته، فيزول بذلك اللهف المحموم على **المكاسب السلطوية** ومطامعها ويغلق الباب في وجه كل المنتهزين، كما تختفي شعارات الإسلاميين الوهمية التي أرهقت المشروع الإسلامي واستنزفته فيكون **الإسلام هو الحل ممارسة نبوية لا شعاراً إيديولوجياً** .

ثالثاً: مفاهيم أساسية تعصم من الخطأ في فهم الحاكمية.

ولكي يُوضع هذا المفهوم في نِصابه، لابدَّ من التفكير في أمور قد تُعتبر من البديهيات، لكنَّها ضرورية هي[1]:

1-أنَّ الإسلام دين عالمي رسالةً وخطاباً منذ بدايته لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ:28].

وقد توهَّم البعض في صفة الخطاب الإسلامي أنَّه عربي حصرياً لأمرين:

أ-أنَّ القرآن جاء بلسان عربي لا يفهمه إلا العربي.

ب-أنَّ القرآن الكريم مُقيَّد بأسباب نزول تخصُّ العرب وإلى أمثال هيَ من بيئتهم مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ ﴾[الغاشية:17].فاللغة العربية تعني بأن من ليس له لسان عربي فهو غير معني بخطاب القرآن، لأنَّه لو كان الله يعنيه بخاطبه لكلَّمه بلسان لغته التي يفهمها، بالإضافة لنزول القرآن الكريم حسب وقائع أسباب النزول الخاصة، والمحدَّدة بالعوامل الزمانية والمكانية المعلومة، مما ينافي صفتي الإطلاق والعالمية والشمول والعموم.

والحقيقة إن كان القرآن نزل بلغة عربية لفظاً إلا أنَّه مُطلق في معانيه ومحيط وشامل مستوعب كلِّي للوجود والكون وحركته وصيرورته بما في ذلك الأنساق الحضارية المعرفية التي جاءت بعده.

2-كما أنَّ علاقة القرآن الكريم ببيئة النزول العربية هي علاقة المطلق بالنسبي واللامحدود بالمحدود واللامقيَّد بالمقيَّد، وأنَّ السنة النبوية قد قامت بدور المبيِّن لمنهجية تعلُّق المطلق القرآني بالواقع النسبي.

3-إنَّ الخطاب القرآني ليس نصوصاً محدودةً ومتناهيةً على مستوى المعاني وتفرعاتها، وإن كان نصوصاً محدودةً ومتناهيةً على مستوى اللفظ.

4-إنَّ نزوله قبل أربعة عشر قرناً **تضمَّن خاصتين**: هيمنته وإحاطته بما سبق من الأزمنة وقدرته على استيعاب ما يليه من الأزمنة، إذا فعالمية الإسلام تبدأ من فهم خصائص الكتاب المتضمن

1 - طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)،ص33إلى35.

لعالمية الخطاب، المتجاوز بذات الوقت إشكالات كافة الأنساق الحضارية، لا في الماضي وحسب لكن في الحاضر والمستقبل أيضاً لكافة البشرية، إذا فُهِمَ أنَّه الحاكم المعادل للكون.

5-ولكن العالميَّة وختم النبوة وحاكمية الكتاب خصائص يشُّد بعضها بعضاً وتدلُّ كل خاصية على الأخرى إذا رُتِّبت ذهنياً ومعرفياً بنحو سديد.

وهذه حقائق يقرِّرها العلواني على أنَّها ينبغي أن ترسخ في الأذهان وخاصة من ناشد الإصلاح والدعوة، بأن ينطلق من خلالها حين يتعامل مع النصوص والواقع تعاملاً سيده الإعمار والتشييد لا الهيمنة والاستعباد.

ولترتيبها يقترح العلواني الشكل التالي[1]:

أولاً: ليكون الخطاب عالمياً كان لابدَّ من **ختم النبوة** وذلك لتوحيد المرجعية الإنسانية.

ثانياً: ليكون الخطاب عالمياً كان لابدَّ من **تحرير القرآن الكريم من خصوصية بيئة النزول**، وبهذا أُمر الرسول-صلى الله عليه وسلم-وجبريل بأنَّ يُعاد ترتيب مواقع الآيات وحياً وتوقيفاً على يدي الرسول قبل التحاقه بالرفيق الأعلى ليتَّضح ما هو مُطلق وما هو نسبي.

ثالثاً: ليكون الخطاب القرآني عالمياً كان لابدَّ من **نسخ الشرائع ذات الخصوصيات الحصرية للشعوب**.

رابعاً: ليكون الخطاب عالمياً كان لابدَّ من أن تتضمَّن النصوص اللغوية المحدودة **معاني إطلاقية** تُكتشف عبر اكتشاف منهجية القرآن المعرفية ضمن وحدته البنائية.

خامساً: الدليل على عالمية الخطاب من القرآن الكريم انطلاقاً من التَّدرج بالإنسانية من لدن خطاب الله -تعالى-إلى آدم -عليه السلام-إلى خطاب العائلة إلى خطاب القبيلة إلى خطاب القوم والعشيرة والأقربين منتهية إلى خطاب الأمم.

1- طه جابر العلواني، حاكمية القرآن.(مرجع سابق)،ص 36 و37.

المبحث الثاني: المقاصد العليا القرآنية الحاكمة في فكر العلواني.

1- المطلب الأول: تعريف وأهمية المقاصد القرآنية العليا الحاكمة.

2- المطلب الثاني: الخصائص التي ستقوم المنظومة المقاصدية بتشغيلها عند قيامها.

3- المطلب الثالث: المقاصد القرآنية العليا والمحدِّدات المناهجية.

المبحث الثاني: المقاصد العليا القرآنية الحاكمة في فكر العلواني.

المقاصد العليا للقرآن الكريم هي جزء من فكرة مركزية القرآن الكريم عند العلواني، ولكن لأهميتها ولكونها ميزة فكر العلواني في إطار تجديده لعموم الدين وفروعه، إذ تشمل كل التخصصات من تفسير وفقه وأصول وبقية العلوم، كما أنَّها الركيزة الكبرى في جعل الإسلام يتسم بالخطاب العالمي محقِّقاً بذلك مفهوم الهيمنة والاستيعاب، لهذه الأسباب أفردت بمبحث مستقل بذاته.

فالمتتبِّع للعلواني وكتبه يجد مصطلح "**المقاصد الشرعية العليا الحاكمة**" الذي يُطلق عليها كذلك اسم **المنظومة القَيميَّة** وبالتأمل في المصطلحين والمقارنة بينهما، نجد أنفسنا ننساق إلى اتجاه واحد ومعنى مشترك مُؤداه ومفاده **الهيمنة** و**السيطرة** و**الإحكام**، مما يُكسبه الأهمية والمكانة العالية والاهتمام البالغ والعناية الخاصة وسيتضح ذلك كله فيما يلي.

المطلب الأول: تعريف وأهمية المقاصد القرآنية العليا الحاكمة.

الفرع الأول: تعريف المقاصد القرآنية العليا الحاكمة.

يُعرِّف العلواني المقاصد الشرعية العليا الحاكمة بأنَّها: "**كُليات مُطلقة قطعية** تنحصر مصادرها في **المصدر الأوحد** في **كليَّته** و**إطلاقه** و**قطعيته** و**كونيته** و**إنشائه للأحكام**؛ ألا وهو القرآن المجيد. وذلك **بقراءة** و**فهم** و**تدبر** ينطلق من الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون"[1].

وقد سبق ذكر هذا المعنى عند **الإمام الحارث المحاسبي** في كتابه **العقل وفهم القرآن** و**الفخر الرازي** في كتابه **مفاتيح الغيب** و**ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية** ومن المعاصرين **محمد أبو القاسم الحاج حمد** في كتابه **العالمية الإسلامية الثانية**[2].وعليه فقد كان لهذا الفهم إرهاصات مبثوثة في ثنايا التراث الإسلامي القديم والجديد، و**العلواني تلقَّف تلك الإشارات** و**صقلها في ذهنه** مع ما هو موجود لديه من علوم وملكات وانطلاقات تجديدية،

1- طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(ط:1؛بيروت-لبنان:دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع،1421هـ/2001م)،ص 135.

2-انظر: طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(المرجع نفسه)ص 135و136

ليصوغها **في قالبها الجديد على شكل نظرية قائمة** بذاتها. وأول ما يجب أن يتَّضح في الأذهان من **مُراد العلواني في مجال الجانب التطبيقي لهذا المفهوم** ما أوضحه هو بنفسه: "سوف يكون حديثنا عن المقاصد القرآنية العليا الحاكمة، بوصفها **قِيَماً عليا** و**مبادئ حاكمة، لا تقتصر على قضايا التكليف الشرعي** و**الأحكام الجزئية**، أو **تعالج المقاصد بكونها باباً من أبواب أصول الفقه**، وإنَّما **تتجاوز ذلك** إلى استلهام الخطاب القرآني في **بيان غاية الحق من الخلق**، و**فهم حقيقة الفعل الإنساني وعلاقته بالخطاب المقاصدي**[1]".فالعلواني هنا رسم بكل دقة ووضوح **المنهج الذي سيسلكه** في التعامل مع هذه المحددات المعرفية- المقاصد أو القيم أو المبادئ-مما يُزيل اللُّبس عن القارئ في فهم ما يريد العلواني تناوله بالمعالجة والبيان.

وقد لاحظ **فتحي حسن الملكاوي** التداخل بين دلالات المفاهيم الثلاثة-المقاصد و**القيم** و**المبادئ**-في الاستعمال: "فإنَّه بإمكاننا ملاحظة التشابه في الوصف، فنحن نصف **المقاصد** بأنَّها **مقاصد حاكمة**، و**القيم** بأنَّها **قيم حاكمة**، و**المبادئ** بأنَّها **مبادئ حاكمة**؛ وذلك بأنَّها **تشترك** في **كون الفعل الإنساني محكوماً لها** في ابتدائه واتجاهه وغايته، وفي الوقت نفسه نصف المنظومة بأنَّها **عليا**؛ منظومة **المقاصد العليا**، ومنظومة **القيم العليا**، ومنظومة **المبادئ العليا**. فليس لها ما هو أعلى منها، ولكل منها ما هو أدنى منها متفرِّع عنها[2]".فجميع التسميات **تسير في اتجاه واحد** يُخلص في كونها مُهَّمة وأصل لغيرها، فأي اسم منها أطلق عليها فلا حرج فيه ولا مشاحاة في الاصطلاح حينئذٍ.

ولعلَّ أهم ما **يميِّز هذه المقاصد** العليا كونها **مقاصد جميع الأنبياء والرسل** الذين تعاقبوا على البشرية جميعا: "لا تُعدُّ مقاصد كلية **إذا لم ترد بها رسالات الأنبياء كافة** ذلك لأنَّها تعبِّير **عن وحدة الدين**، و**وحدة العقيدة** و**وحدة المقاصد** و**الغايات** في جميع الرسالات[3]"،لأنَّ الرَّب واحد هو الذي أرسل جميع هؤلاء الرسل لوِجهة واحدة برسالة مقصدها

---

1 -طه جابر العلواني، "من التعليل إلى المقاصد العليا الحاكمة". إسلامية المعرفة، بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي العدد:46-47،السنة:12،خريف1427هـ/2006م وشتاء1428هـ/2007م

2 -فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية،(مرجع سابق)، ص16.

3- طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(مرجع سابق)،ص 138.

واحد فأنَّى لهم أن تختلف مقاصدهم، وفي هذا إشارة دقيقة كذلك بأنَّ ما جاء به الإسلام ومن خلال مقاصده العليا بإمكانه أن **يسع تحته اليهوديَّ والنصرانيَّ** وكل من يدعي بأنَّ له صِلة وصل بالسماء، فهو جوهر وحقيقة حوار الأديان إنْ كان للغرب نيَّة صادقة نحو المؤاخاة بين الأديان فمن هنا مُنطلقها الصحيح ومن هنا الطريق.

ومن **الخصائص** المميزة كذلك **كون دائرة السنَّة النبوية بيان للقرآن المجيد** للعلاقة الوثيقة بينهما والتي تبدو **علاقة البيان بالمبيَّن** بأجلى صورها وأوضحها، في بيان السنَّة الثابتة الصحيحة لهذه المقاصد العليا لذا **يقول العلواني**: "فإنَّ **السنَّة والسيرة** تبدوان **تطبيقاً عملياً للقرآن في مقاصده العليا الحاكمة** تتكامل السنَّة في وحدة ثنائية تُقرأ وتُفهم في ضوئها آلاف الأحاديث الصحيحة والأفعال والتَّصرفات النبويَّة الثابتة [1]".وهذا **أحد أهم التَّصورات الجديدة للعلواني في كيفية تعامل قضايا السنَّة مع الكتاب** وقد بسطَّنا العرض والتفصيل فيها في مبحث التعامل مع السنَّة في فكر العلواني من هذا الفصل.

الفرع الثاني: أهمية منظومة المقاصد القرآنية العليا في ضبط الفكر الإسلامي وفروعه.

لمنظومة القيم المقاصدية للقرآن الكريم دور كبير في ضبط مناحي الفكر الإسلامي بجميع مركباته ومظاهره، وما أهم ما تنعكس به عليه ما يلي:

1-أهمية المقاصد القرآنية العليا الحاكمة [2]في ضبط الأحكام الجزئية[3]:

يقول العلواني: "من شأن المقاصد العليا الحاكمة أن تكون قادرة على **ضبط الأحكام الجزئية، وتوليدها عند الحاجة** في سائر أنواع الفعل الإنساني القلبي منها والعقلي و الوجداني والبدني، ليتحقَّق **ربط الجزئيات بالكليات**، ولتهتدي **كينونة الإنسانية** بهداية الله[4]".لتجنب حالة الجمود التي أُصيبت بها منظومة الأحكام الشرعية، في مُجاراة تطور أساليب الحياة الإنسانية

1- طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(مرجع سابق)،ص 136 و137

2-سمَّاها مرَّة المقاصد القرآنية وسمَّاها مرَّة المقاصد العليا، كما سبق وأن سمَّاها بمنظومة القيم أو المبادئ و يظهر أنَّه يريد بها مقاصد الإسلام.

3 - بعض هذه العناوين من اختياري وبعضها من اختيار العلواني مع بعض التعديل.

4- طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة،(لا.ط؛لا.م:لا.ن،د.ت)،ص7.

اليوم في بلاد المسلمين وفي الغرب، **فهناك ذهول كبير عند علماء الإسلام أمام مستجدات الحياة** في جوانبها المتعددة جميعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وهذا المنحى الذي انساق إليه العلواني لم يكن بدعاً، بل له ما يُؤيِّده في تراثنا الإسلامي فهذا **الإمام القرافي** يقول: "ومن جعل **يخرِّج الفروع بالمناسبات الجزئية دون القواعد الكلية تناقضت عليه الفروع واختلفت** وتزلَّزلت خواطره فيها واضطربت وضاقت نفسه لذلك، واحتاج إلى حفظ الجزئيات التي لا تتناهى، وانقضى العمر ولم تقضِّ نفسه من طلب مُناها. ومَن ضبط الفقه بقواعده، استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها في الكليات[1]" ويُصدر **العلواني حكمه الأخير** حول ضرورة هذه المقاصد في بناء الفروع والجزئيات **فيقول**: "فمن وفَّقه الله **لضبط الفقه** وكلِّياته وأصوله وفروعه معا **بالمقاصد العليا** فقد حاز **الخير كلَّه**، وأطلق الأمة من عقالها[2]". وهنا تختفي من فقهنا تلك الاختلافات حول الجزئيات، وإن بقي الاختلاف قائماً فلن يؤدي إلا للإتلاف، بما حاكته حوله هذه المقاصد من حسن الفهم والأدب.

2-أهمية المقاصد العليا الحاكمة في بناء المبادئ الدستورية.

فيما يتعلق بالجانب التشريعي فهي **قادرة على توليد المواد الدستورية** و**القواعد القانونية**، ومن ثَمَّ ربطها بالمقاصد العليا الحاكمة، فهي أدلة شرعية نصَّبها الشارع لإرشاد المكلفين وتقيِّيم أفعالهم والوصول إلى أحكامها، سواء رجع المجتهدون إليها أم لم يرجعوا[3].قد تُأهل المكلف في كثير من الأحيان إلى تقيِّيم فعله وعرضه على الشرع دون الحاجة إلى الرجوع للمجتهد فيتجنّب الممنوع ولا يقع فيه ويلمس الممنوح ويأتي به مُحاكاة لقول الرسول-صلى الله عليه وسلم-لوابِصَةَ: «استَفتِ قلبك ياوابِصَةُ ...»[4]

3-بالمقاصد القرآنية العليا يُمكننا التَّجدُّد الذاتي لفقهنا الإسلامي.

1- القرافي، الفروق، تحقيق: خليل المنصور.ج1(لا.ط؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ/1998م)، ص7.

2- طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، ص7.

3- طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(مرجع سابق)، ص139.

4 - أخرجه الدارمي في مسنده، باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، الحديث: 2552.قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، باب الترغيب في الورع وترك الشبهات وما يحوك في الصدور حديث: 1734، صحيح لغيره.

يقول العلواني: "إنَّ تشغيل منظومة المقاصد العليا الحاكمة **سوف تُؤدي إلى غرس قابلية التَّجدُّد الذاتي** في **أصولنا** و**فقهنا**، وسوف تُقيمها وتحفظها من عوامل الفتور والظرفية التي تصيب الشرائع[1].فالدافعية للتَّجدُّد تتأتَّى من شمول وقدرة الاستيعاب التي تحضى بها هذه المقاصد، المتجاوزة لحتمية الظرف وخصوصيته الضيقة، والمستغرقة للواقع وتجدُّده والمستشرِفة للمستقبل وتقلُّبه.

فمن شأن هذه المقاصد القرآنية العليا أن ترفع من الفاعلية في التَّجديد والاجتهاد يقول: "لن تكون هذه المقاصد **مُجرَّد دليل** أو **أصل من أصول الفقه**، بل تتعدى ذلك لتكون **المُنطلق الأساس لإعادة وبناء قواعد أصول الفقه وتجديدها** ولبناء **الفقه الأكبر**[2] عليها بعد ذلك ومن ثَمَّ **غربلة تراثنا الفقهي** وجعله قادراً على **صياغة الثقافة العالمية المشتركة**[3]".هذه الثقافة الموجودة في الفكر الإسلامي الأصيل والتي تنزل الناس منازلهم "فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن[4]".

4-بالمقاصد القرآنية العليا الحاكمة نَبعث طاقات التجديِّد في الواقع.

يذكر العلواني:"الاعتماد على منظومة المقاصد العليا الحاكمة سوف **يساعد على بعث وإحياء وإطلاق طاقات التجديِّد** و**الاجتهاد**، وينقل مهام التجديِّد والاجتهاد إلى قاعدة عرضية للأمة، تحقيقاً لإرادة القرآن الكريم، مما يُحدث تغيِّراً في العقلية والنفسية الإسلامية وعلاقتها بالكتاب والسنة وسيرة رسوله الكريم[5]" كما يوضِّح كذلك: "من أهم ما **أتاحه القرآن المجيد** للبشرية القضاء على ما **يُعرف بطبقة الكهنة المحتكرة للمعرفة**، بل جعله مشاعاً

1- طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(مرجع سابق)، ص 140.

2- سُئل أبو حنيفة النُّعمان عن معنى الفقه الأكبر فقال: "ألا تُكَفِرَ أحداً من أهل القبلة بذنب ولا تنفي أحداً من الإيمان أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وأنَّ ما أخطأك لم يكن ليُصيبك ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ولا توالي أحداً دون أحد وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله تعالى".أبو حنيفة النعمان، الفقه الأكبر.(ط:1؛ الإمارات العربية: مكتبة الفرقان،1419هـ/1999م)،ص76و78و80.

3- انظر: طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(مرجع سابق)، ص 140بتصرف.

4 - مسلم، الجامع الصحيح،ج5. باب فتح مكة. رقم الحديث:4722.

5- انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، ص141بتصرف.

مشتركاً[1]"، فالعِلم لله- تعالى- يهبُه لمن بحث عنه واجتهد في طلبه، وعليه فالناس فيه سواء ولكل مجتهد نصيب.

ويُؤكد **العلواني** على أهمية **مشاع العلوم وتفجير الطاقات** في كسبه وتحصيله **فيقول** "فهي ذات أهمية في بناء الوعي لدى جميع المنتمين إلى الأمة المسلمة وخاصة في مسألة الحقوق والواجبات، ومن ثَمَّ **قطع الطريق أمام أي فرصة لحاكم** أو **طبقة سياسية** أو **علمية أو فيئيَّة من الاستبداد** في شؤون الأمة[2]"، والمتصفح للتاريخ الإنساني عموماً والإسلامي على وجه التحديد، يلحظ بكل وضوح وجلاء ما تجرَّعته الأمة وما كابدته من هزائم وويلات من **جراء حصر العِلم** و**الاستحواذ عليه من طرف فئة من الناس دون غيرها**، ولعلَّ سِمة التقليد التي وُصِمت بها الأجيال الأخيرة من الأمة المسلمة أكبر دليل على الهزائم والويلات.

5-المقاصد القرآنية العليا الحاكمة تبني حاسة النقد لدى الفقهاء.

يذكر **العلواني** في هذا الشأن: "بأنَّ منظومة المقاصد سوف **تُوجِد في أهل الذكر** و**المعرفة** في مختلف المستويات **حاسة نقدية**، ننطلق بها **لمُعَايَرَةِ**[3] سائر أنواع المعارف الإسلامية والإنسانية والاجتماعية وحتى بعض العلوم البحتة[4]"، فالمجتمعات التي تقوم على النقد الهادف وتتَّخذ منها مقوماً أساسياً لها، يُكتب لها السلامة والنجاح والتطور، فهو كفيل بالقضاء على الأخطاء قبل وقوعها، وإن وقعت لم يكن لها الأثر البالغ على مجريات الحياة وسيرورتها ويمكن اِستدراكها ومُعالجتها، وما قيل على المجتمعات ينطبق على الأفراد.

ومن هنا **يطلق العلواني** هذا الحكم أو القاعدة: بأنَّ **المنظومة المقاصدية منظومة قَيَّمِية مِعيارية تَصلح لأن تُقاس إليها سائر أنواع المعرفة**؛ لمعرفة العلم النافع من الضار والربط الإيجابي بين المعرفة والقيم[5]"فيكون العلم النافع اسم جامع لكل ما من شأنه أن يُقدَّم منفعة للإنسان في الدين أو الدنيا وليس فقط ما يوصف بالعلوم الشرعية في فكر بعض الجماعات

1- انظر:طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(مرجع سابق)، ص 141بتصرف.

2- راجع :طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(المرجع نفسه)، ص 141بتصرف

3- المعَايَرَة: المقصود بها أن نجعلها معياراً نقيس به.

4- انظر :طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، ص 9 بتصرف.

5- انظر :طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(المرجع نفسه)، ص10بتصرف.

الإسلامية "إنَّ أهم وأنفع أسباب زيادة الإيمان **تعلُّم العلم النافع علم الشريعة** المستمد من كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم-"[1] ولعلَّ هذا الفكر من آثار موروثنا الإسلامي الذي يحتاج للتنقية والمراجعة فقد جاء **عن ابن رجب قوله:**" فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ما انضبط بنصوص الكتاب والسنة، وفُهِمَ معناهما[2]".

6-المقاصد القرآنية العليا الحاكمة تُفعَّل خصائص الشريعة منهجاً للفكر والعقل.

من أشكل المشكلات التي عانى منها الفكر الإسلامي وجعلته يترنَّح في براثن الأخطاء والإخفاقات المتكرِّرة؛ غياب المنهج والمناهجية في التصور والممارسة وتفعيل المنظومة المقاصدية كفيل: "بأن يُضفي حيوية وفاعلية كبيرة على خصائص الشريعة لتعمل بجانب منظومة المقاصد **على القضاء** على **دائرة الفِصام** بين **ما يُفتى به فقهاً** لِاستكمَاله الشرائط الظاهرة و**لا يُقبل ديناً** لعدم **تحقيقه للمقاصد** وعكسه[3]"،فلا يُعقل أن **تتعارض حقيقة الفتوى** مع **المقصد العام** بمُجرد اِستفاء الشروط الظاهرية لها، وكأنَّ هناك استقلالاً بين الفتوى والمقاصد العام، أو ما يُمكن أن نُسميَّه بعَلمَنَة الفتوى وفصلها عن غيرها من قضايا الدين.

7-المقاصد القرآنية العليا الحاكمة والفعل الإنساني.

الفعل الإنساني يمتاز بالحركة والانتقال وعدم الثبات في مكان واحد شبيه بحركة الصوت وتردُّداته **يضرب العلواني لهذه الصفة في فعل الإنسان** بمثل: "بالأمواج التي تظهر عندما نُلقي بحجر في بركة ماء راكد فترى الأمواج تتحرَّك مشكِّلة دوائر في سائر الاتجاهات، ثم تبدأ في التلاشي شيئاً فشيئاً وتختفي، إلا أنَّ **الفعل الإنساني يستمر إلى يوم الحساب** ولا يختفي[4]". وهنا **يُلاحظ العلواني على إطار الخطاب التكليف:** "وَضعُ المكلف همُّه الوصول إلى حالة **الإحساس بفراغ الذمة، والخروج من عُهدة التكليف** بقطع النظر عن أثر فعله في

---

1 – من دون مؤلف، " الموسوعة العقدية: المطلب الأول: تعلم العلم النافع "موقع الدرر السنية (3305/ https://dorar.net/aqadia)،تاريخ التصفح:2020/11/5م، الساعة:23و45د.

2 –ابن رجب، بيان فضل علم السلف على علم الخلف، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي. (ط:2؛ بيروت–لبنان: شركة دار البشائر الإسلامية،1424هـ/2003م)، ص72.

3 انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة، (مرجع سابق)، ص 10بتصرف

4 – طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة. (المرجع نفسه)، ص11 بتصرف.

الواقع، أما نظرية المقاصد فإنَّ الوضع مُتغير بحيث **يلاحظ الواقع كما هو في نفس الأمر**[1]" وكأنَّه يُشير إلى عدم عزل الإطار التكليفي عن الأطر الارتدادية للفعل الإنساني وتأثيراتها على الفرد والمجتمع، بل العمل على الاحتواء لكل هذه الجوانب ومُراعاتها والنظر فيها، وهذا الذي تكفَّلت به المنظومة المقاصدية في مراعاته والعمل على إحيائه وبعثه من جديد.

8-**بالمقاصد العليا نطوِّر نظرية المعرفة.**

فهي كما يقول العلواني: "يُمكنها **تطوير نظرية معرفية عامة** في العلوم الشرعية كلها، وكذلك في العلوم الاجتماعية أو علوم العمران.وبمقدور هذه النظرية أن تقوم بالعمليات المنهجية **من وصف وتصنيف وتفسير**، في حين تستطيع أن تكون **موضوعية في ذات الوقت**، وسوف تعُود على المنهج العلمي بفوائد كثيرة، كما أنَّها قادرة على إيجاد قاعدة **لفكر عالمي كوني** يُخرج فلسفة العلوم من أزمتها الراهنة[2]".وقد فصلَّنا القول في هذا الأمر بشرح مُسهب في مبحث أسلمة المعرفة من الفصل الثاني .

9-هذه المقاصد العليا **لابتنائها على الاستقراء** التام **لآيات الكتاب المحكمة** ولكل **ما صحَّ عن رسول**-الله صلى الله عليه وسلم-في بيانه، ولتلقي العقول لها بالقبول فإنَّها (مقاصد حاكمة عليا) مطلقة لا يلحقها التشابه في أي معنى من المعاني التي فُسر التشابه بها قديماً وحديثاً، كما لا يلحقها التغيير والتبديل والنسخ-أيضاً-بأي معنى من المعاني التي أُستعمل النسخ بها عند القائلين به.[3]

المطلب الثاني: الخصائص التي ستقوم المنظومة المقاصدية بتشغيلها عند قيامها.

عند قيام منظومة القيم سوف تقوم بتشغيل مجموعة النظم والمعارف على مستوى الفكر والممارسة وهي:

---

1 - انظر:طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، ص 12و13 بتصرف.

2- انظر:طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(المرجع نفسه)، ص 14بتصرف

3- طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(مرجع سابق)،ص 147.

أولاً: خصائص عامة ستقوم المنظومة المقاصدية بتشغيلها عند قيامها وهي.

1-**ختم النبوة:** وهو أحد المحدِّدات المناهجية التي تشتغل في ظل إحياء وقيام منظومة المقاصد، وهنا يتمُّ **حصر** المرجعية العليا **للبشرية** في **القرآن الكريم** وبيانه في **منهج السنَّة النبوية** التطبيقية إلى يوم الدين ليُطَّرح بعد ذلك كل ما يتنافى مع هذا المحدِّد مثل: **قضية عودة المسيح** و**ظهور المخلص** و**المهدي** وبعض ما جاءت به الديانات الأخرى وحتى بعض الأخبار عندنا[1]. مثل الحديث عن الدعوة الأحمدية كل هذا الموروث يجب أن **يُعامل** وفق **خاصية ختم الرسالة بمحمد** – صلى الله عليه وسلم-فتُلغى كثير من هذه الآثار التي أثقلت كاهل البشرية كما أثقلت كاهل الكتب ورفوف المكتبات.

2-**حاكمية الكتاب:** وبقراءة وتدبر وفهم بشري كما-ذكرنا في مبحث حاكمية الكتاب من هذا الفصل-بديلاً عن الحاكمية الإلهية التي كانت في بني إسرائيل[2].

3-شريعة المقاصد العليا الحاكمة والقيم والتخفيف والرحمة بديلاً عن شرائع الإصر والأغلال والحرج واللامعقولية المغطاة بالتَّعبد.[3]

4-**عالمية الخطاب القرآني بديل عن الخطاب القومي في الرسالات السابقة:**[4]

أوضح الله- تعالى- خاصية عالمية الخطاب في قوله:﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ

1- انظر:طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، ص 15 بتصرف.

2- طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(مرجع سابق)، ص 143.

3- طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، ص 16.

4- طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(المرجع نفسه)، ص 16

ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف:155إلى158]. قال **أبو زهرة** في هذه الآيات:" بيان أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – مُبشَّر به في التوراة والإنجيل، وأنَّ اليهود الذين يعاندون محمداً – صلى الله عليه وسلم – مُخاطبون، **وأنَّه إليهم جميعاً، وأنَّ إتِّباعه واجب عليهم**، وأنَّهم ينحرفون عن دين موسى – عليه السلام – إن لم يؤمنوا به، وبهديه الذي جاء إلى الخليقة الإنسانية كلها به[1]".**وقال الفخر الرازي**: "هذه الآية تدل على أنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى جميع الخلق .وقال طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية وهم أتباع عيسى الأصفهاني : أنَّ محمداً رسول صادق مبعوث إلى العرب . وغير مبعوث إلى بني إسرائيل[2]". **يُعلِّق العلواني** على هذه الآيات:" بأنَّها قد اشتملت على أهم وأبرز خصائص الشريعة الإسلامية وربطت بينها وبين عالمية الإسلام وشريعته فهي الخصائص التي جعلت هذه الشريعة صالحة للبشرية كلها في كل زمان ومكان[3]".

ثانياً: خصائص المنهج العلمي عند قيام وتفعيل المنظومة المقاصدية.

يُشيد العلواني **بالمنهج العلمي التجريبي** على أنَّه **خلاصة مراحل تاريخية** أطلق عليها اسم المراحل الخطيرة–لمرورها بثورات علمية وعقلية مُتَّتابعة–[4]وبه حقَّقت البشرية سائر إنجازاتها

1 – أبو زهرة، زهرة التفاسير.ج6(لا.ط؛ مصر: دار الفكر العربي،1987م)،ص 2968.

2 – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب.ج(ط:1؛بيروت:دار الكتب العلمية،1421هـ/2000م)،7ص270.

3 – طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، ص 17.

4– انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(المرجع نفسه)، ص 17بتصرف

المعاصرة حيث تمَّ به تفكيك الطبيعة والتاريخ والدين ثُم الإنسان نفسه، كما أُخضعت المعارف الإنسانية والاجتماعية له غير أنَّه لم يحظ بالنَّجاح المطلق الذي حظيَ به في العلوم الطبيعية، مِمَّا جعله **يقع تحت ضغط السؤال** ليجد نفسه مضطراً عن الكشف عن موطن الخلل[1]:

- فهل المنهج العلمي **ضروري فعلاً للتعامل مع المصدر الأساسي للإسلام** ألا وهو القرآن الكريم؟
- وهل هو كذلك **مضطر للتعامل مع السنَّة المطهرة؟** وما هو **وجه الضرورة لذلك؟**
- أهي الضرورة **للحاضر** والتأسيس فيه أم **للمستقبل** وضبط قضايا أهم، أم **لإعادة قراءة الأربعة عشر قرناً الماضية** من تاريخ أمتنا في الحاضر وتمييز إيجابياتها من سلبياتها، وما إذا كانت آثاره ستستمرُّ لتكوين مستقبلنا كذلك؟ وإلى أي مدى؟!
- وغيرها من التساؤلات المشروعة .

وقبل أن **نترك الإجابة** عن هذه الأسئلة **للعلواني** نعطي **ملاحظة عامة** عن طبيعة وتكوين **هذه الأسئلة**؛ فالمتأمل في طبيعتها يجد أنَّها:

- تنُمُّ عن قوة إدراكية واستيعابية هائلة، إذ يسبق الشروع في الإجابة عنها كونها تنحى بالفكر الإنساني إلى عوالم جديدة بعيدة كل البعد عن النمطية والتقليد، فقد تَمَّ من خلال القراءة التفكيكيّة لها تنبيه العقول والإدراك على التفكير في غير النسق النمطي المألوف.
- وهذا في حدِّ ذاته مطلب ومبتغى إنساني مفقود، لِمَا درجت عليه العقول من الخضوع والاستلاب، وخاصة بعد هيمنة التفكير العلمي في العصر الحديث.

أما إجابة العلواني عن مجموع تلك الأسئلة **فقد لخصها في قوله**[2]:

- إنَّه المنهج الضروري لذلك كله والجواب عنده يسير لانطلاقه من منهجية القرآن الكريم الذي جاء ليُؤسس للحاضر والمستقبل من خلال النظر في آثار الماضي **فالقرآن نفسه استرجع تراث النبوَّات كلها من** آدم إلى خاتم النبيِّين عليهم

1- انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، ص17و22بتصرف.

2- طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(المرجع نفسه)،ص 23بتصرف

الصلاة والسلام، وقام بنقده وتنقيته وبيان ما شابه من شوائب وانحرافات ثُمَّ بنى عليه الرسالة الخاتمة.

- في حين يرى أنَّ مناهج الأصوليين والمحدِّثين وغيرهم؛ مناهج غير كاملة بالمعنى القرآني، ولا بالمعنى العلمي المعاصر، بقدر ما كانت قواعد منهجية أو بعض مُحددات منهجية والفرق شاسع بين الاثنين.

وفي بداية التعامل مع المنهج العلمي **يطرح العلواني سؤالاً** لا تخفى مشروعيته ويجيب عنه وهو[1]:

- هل سنأخذ هذا **المنهج العلمي التجريبي** وهل سنأخذه **كما هو** بعد انفصاله عن القرآن ولم يُعد يعتد بالمعرفة الغيبيَّة، في حين يعتد فقط بالمعرفة العلمية كل معلوم خضع للحس والتجربة.
- ونحن نعلم أنَّ الوحي ومعارفه لا يخضع للحس ولا للتجربة المخبرية، أو أنَّ عليَّنا أن نقوم بعملية التصديق والهيمنة عليه بمنهجية القرآن الكريم، واستيعابه وتجاوزه بها؟!!
- إنَّ منهجنا مُستمَدٌّ من مرجعيتنا من القرآن المجيد، و**القرآن لا يتجاهل الغيب**، بل يُضيف بُعد **الغيب إلى الواقع المادي المحسوس** القابل للتجريب، ويربط بينهما فنستطيع **إدراك حركة الغيب وأثره على الواقع في حركة الكون** وإدراك آثار الفعل الإنساني فيه.

وهنا تبدأ عملية الجمع بين القراءتين–السابقة الذكر في مبحث الجمع بين القراءتين–ويتِمُّ استحضار البعد الغيبي ويُستخرَج المنهج المعاصر من أزمنته الراهنة.[2]

ثالثاً: المقاصد القرآنية وكيفية استخلاص القوانين الموضوعية والكليات.

سبق توضيح المقصد من الجمع بين القراءتين في مبحثه عند العلواني؛ حيث لا يقصد به ذكر فضائل القرآن الكريم؛ و**إنَّما استخلاص القوانين الموضوعية العاملة**؛ وليس على

1- انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)،ص 25بتصرف

2-انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(المرجع نفسه)،ص 26بتصرف

مستوى التذوق والتأمل. بل على أعلى مستوى معرفي **فيأخذ القوانين القرآنية الموضوعية** والسُنَّن ويذهب بها إلى الواقع ليكشف **أنَّ الرسالة الخاتمة قامت على المنهج والمنطق** والربط بين الأسباب والمسببات والنتائج بالمقدمات[1].وفي تأكيد مبدأ السببية يقول عبد الكريم زيدان في ذلك: "وقد دلَّ القرآن الكريم على أنَّ كل شيء يحدث بسبب، سواء كان هذا الحدث يتعلَّق بالجماد أو بالنبات أو بالحيوان أو بالإنسان أو بالأجرام السماوية أو بالظواهر الكونية المختلفة. فقانون السببيَّة، أي ربط المسببات بأسبابها والنتائج بمُقدماتها قانون عام شامل لكل ما يحدث في الكون[2]".

فمنهج القرآن الكريم مبني على الربط المنطقي بين الأسباب والمسببات والمقدمات بالنتائج من باب التدليل على صحة هذا الكلام وصدقه يستنَّطق العلواني القرآن الكريم ويسمع لإجابته[3]:

- أخُلقَ الخلق لغاية أم خُلقوا لغير شيء؟
- القرآن المجيد **يُصرِّح بالغاية وينفي العبثية** كما هو معروف، وينطلق من هذه الغاية؛ فهي قانون فلسفي ينعكس على بلايين الجزئيات في الكون والطبيعة والحياة والإنسان، ويُوجه حركة البحث في الموجودات والظواهر لملاحظة هذا البُعد الهام وينفي العبثيَّة والمصادفة نفياً مطلقاً، ويدفع بحركة البحث العلمي للغوص وراء المقاصد والحكم والغايات.
- وفي هذا القانون الأهمية الكبرى **لانطلاق العقل الإنساني** وراء البحث العلمي واتساع آفاقه، وهكذا يستمر الإنسان في صياغة أسئلته والتوجه بها إلى القرآن ليستنطقه الجواب.

المطلب الثالث: المقاصد القرآنية العليا والمحدِّدات المناهجية.

تحدِّد المقاصد القرآنية بعض المحدِّدات المناهجية التي ترتقي بالفكر الإسلامي وتنهض بالعمل الدعوي المنشود وهي:

1- انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)،ص 28بتصرف.

2 - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية.(ط:1؛بيروت:مؤسسة الرسالة،1413هـ/1993م)، ص21و22.

3 - انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)،ص 27بتصرف.

1-**أنَّ هذه الرسالة الخاتمة وحاملها كلاهما رحمة للبشرية:** قال تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء:107]وقال تعالى :﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾[المائدة:15و16].

يقول العلواني عن هذه الآيات[1]:

- أنَّها عندما قُرئت في الماضي وُضعت في دائرة الفضائل والمناقب الخاصة بالرسول –صلى الله عليه وسلم–والرسالة.
- فكون الرسالة والرسول رحمة يُغير كثيراً من القضايا، فلا تكليف بما لا يطاق، ولا تبعيَّة لشرائع الإصر والأغلال قبلنا، ولا حرج في هذه الرسالة بأيِّ معنى من معاني الحرج .

فهو يؤكد على معنى الرحمة المحمدية في الآية، إلا أنَّ دلالتها المنهجية عنده أكبر من كونها فضل ومنقبة.

2-**المقاصد العليا ضمانة لإعادة بناء الأمة.**

ينطلق العلواني من مبدأ الزوجية الذي جعله الله نظاماً للحياة والأحياء قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾[يس:36] قال وبذلك مُنع الإنسان من السقوط في **الواحدية المادية** التي تقود الإيمان بهيمنة الطبيعة أو المادة على كل شيء، وانطلاقاً من مدنية الإنسان الجبلَّة والطبع فإنَّه ليس له أن يعيش وحيداً **فوحدته الصغرى أسرته ووحدته الكبرى الإنسانية** وبين الوحدتين تُبنى شعوب وقبائل ويتحقَّق التعارف والتآلف والتعاون باتجاه تحقيق غاية العمران، كما حقَّق بالعبادة والتوحيد غاية التزكية[2].فمقصد القرآن الكريم من الإنسان العيش في اتجاه الآخر لا في

1 – طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة،(مرجع سابق)،ص30.

2– طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(المرجع نفسه)،ص 32بتصرف.

اتجاه الذات وأنانيتها، بل نحو الجماعة والازدواج والأمة، وفي هذا الاتجاه كل معاني البذل والعطاء والتعاون وكل صنوف فعل الخيرات، وفي ذات الوقت الابتعاد والمصادرة لكل صفات الفرقة والانقسام والعداوة و البغضاء والكراهية وكل صنوف الشرور و المنكرات.

كما جعل لفترات الصعود والهبوط والجدل **مكانزم** أو **منهج** أو **آلية**[1]:

- لتجعل هذه الانقسامات والانشطارات تصبُّ في إطار البناء والفاعلية لا في إطار الهدم والتخريب والتفكك.
- بفضل وحدة المقاصد والغايات التي تُهيمن عليها وتصرفها نحو الاتجاه الإيجابي.
- ومن أهمِّ وسائل ذلك؛ المعرفة التامة بطبيعة وأسباب ومكونات وآثار هذه الانقسامات هذا بالنسبة لجميع الأمم.
- أضف عليه فعل الغيب وأثره بالنسبة للأمة المسلمة فله دور بارز في ائتلافها واختلافها.
- ففي **الائتلاف** نجد قوله تعالى :﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾[آل عمران:103].
- وفي **الاختلاف** يشير لفعل الغيب فيه قوله تعالى:﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾[الأنعام:56].
- فحركات الإصلاح إذا تجاهلت هذه القوانين؛ فإنَّها تنتهي إلى أن تكون نتائج عملها هباءً منثوراً.

1- طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)،ص 32و33.

فهناك قانون ثابت يرفع الأمم أو يضعها، وقد وضع الله –تعالى–بين يديها هذا القانون وعليها أن تختار لنفسها أي المنزلتين. ومعرفة هذا القانون ودراسته ضرورة معرفية للإلمام بأسباب قيام وسقوط الأمم، ومن ثَمَّ تنجب السقوط الحضاري إذ يؤكد على ذلك **مالك بن نبي**:" إنَّ مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحلَّ مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم **يتعمَّق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها**[1]".

3-المقاصد القرآنية العليا الحاكمة وفرقة الأمة.

يقرِّر العلواني بأنَّ الانقسامات في تاريخ أمتنا كانت بطبيعة رأسية، وكانت نتيجتها أن صرنا فرقاً وطوائف ومذاهب في الماضي، ومصدر ذلك الاختلاف يُرجعه إلى الاختلاف في فهم الخطاب القرآني وتطبيقاته، والاضطراب في فهم العلاقة بين الكتاب والسنة، وكذا لم تُفارق اختلافاتنا التاريخية الصيغة الدينية، كما ارتبط ائتلافنا باجتماع كلمتنا على القرآن وتفرُّقنا باختلاف الكلمة حوله قال تعالى:

﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة:14][2].

فمن مقومات قيام الأمة وبقاء قوتها نبذ كل أسباب الفرقة والنزاع والدخول في السلم كافة" نستطيع القول بأنَّ النهوض بمهام الخلافة الإلهية في الأرض لا يتحقَّق شيء منها إلا أن ندخل في السلم كافة...لأن البديل عن دخولهم في السلم إتباعهم لخطوات الشيطان في الحروب والتنازع والخلاف وفقدان الأمن والطمأنينة، وذلك لا يجعل من تحقيق المقاصد القرآنية: وهي التوحيد والعمران والتزكية والأمة والدعوة أمراً ممكناً[3]".فليس أمام الأمة إلا التمسك

1 –مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين وعمر كمال مسقاوي. (لا.ط؛ دمشق–سوريا: دار الفكر،1406هـ/1986م)، ص 19.

2– طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة. (مرجع سابق)، ص 30بتصرف.

3 – طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف. (مرجع سابق)، ص210.

بوحدتها فهي سبيل خلاصها وطريق عودتها لتتصدر المشهد الحضاري اليوم "وما نريد تأكيده هنا هو أنَّ **الوحدة ضرورية لازمة لحضور** الأمة بوصفها ذاتاً تتألف من الجميع[1]".

4-المقاصد العليا وفِصام الأجيال.

يشخِّص العلواني سبب **فصام الأجيال** إلى **سيادة النموذج العلماني**، وضعف اتحاد الدين مع ثقافة المجتمع المسلم. فقديماً كان العيب هو نفسه الحرام، كما كان التقليد والإتباع بين الأجيال سيِّد الموقف وكانت فيه إيجابيات غير أنَّه لا يخلو من السلبيات، فلكل جيل زمنه كما جاء عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-:" لا تقسروا أولادكم على آدابكم ، فإنَّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم "[2]، وهنا **يطلب العلواني** من المربين أن **يعلموا الشباب مناقشة ما اعتبره الآباء والأجداد من المسلَّمات بخصوص تفاصيل وجزئيات الفهوم والمعارف التراثية**[3].فإذا قبلوها أو إن أُكرهوا عليها فسيحدث لهم انفصاما عن عصرهم ورفضاً له ومن ثَمَّ فتبدأ ظواهر التكفير والتفسيق والتبديع بالذيوع والانتشار [4] وهي مُمارسات دينية خاطئة نتجت عن هذه الحالة النفسيِّة الخطيرة لهؤلاء الشباب، أو تسير بهم الأمور إلى طرف النقيض من التخلي والابتعاد عن الدين ومظاهر الالتزام به.

و مما افرزه كذلك النموذج المعرفي العلماني حسب رأيه؛ **اختلاف الدين مع الثقافة** مما جعل هذه الأجيال اليوم تُعاني من صراع نفسي شديد ومعاناة كبيرة[5]. يصدق عليها حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «يأتي على الناس زمان، الصابر فيه على دِينه، كالقابض على الجمر»[6] في مُحاولة تكاد تكون يائسة للتوفيق بين الالتزام بأحكام الدين ومواكبة الثقافة الجارفة الوافدة.

---

1 – طه جابر العلواني، من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف.(مرجع سابق)،ص212.

2 – أبو الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.ج20(لا.ط؛ القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه،د.ت).ص267.

3- راجع:طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)،ص 34إلى35.

4 -انظر:طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(المرجع نفسه)،ص 36بتصرف.

5 انظر:طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(المرجع نفسه)،ص 37بتصرف.

6- أخرجه ابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول، باب الوصية عند وقوع الفتن،حديث7455،قال الألباني صحيح في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، باب أول الكتاب،حديث13962.

5-المقاصد القرآنية وإعادة صياغة الخطاب الإسلامي.

يضع العلواني فرضية يراها حتميَّة وضرورية من أجل إعادة بناء خطاب إسلامي جديد يتماشى ومتطلبات العصر ويلبي تطلُّعات الأجيال القامة من المسلمين وهي[1]:

- تغيِّير شامل في خطابنا للشباب والأجيال الصاعدة، كما يرفض وسائل إقناع الآباء والأجداد ويرى عدم فاعليتها وتأثيرها فلا بد من منطق جديد ووسائل إقناع أخرى تنبثق عن دراسات معمَّقة لعقلية الشباب ونفسياتهم.
- كون المقاصد القرآنية العليا الحاكمة هي المنطلَّق السليم باتجاه إعادة صياغة الخطاب الإسلامي.
- هذا الدور يقوم به الفقهاء المعاصرون في تقديم المساعدة للشباب على حسن التدين.
- لا توجد مندوحة عن ممارسة الاجتهاد لبناء فقه للأكثرية في بلاد المسلمين وللأقليات في سائر أنحاء العالم، يُفضي إلى فقه تدين يواكب عصره ولا ينفصل عن عقيدته. فهذا الحل الذي يجب أن يُركِّز عليه الفقهاء في أداء دورهم الفعال والخطير، لا أن يترك الشباب تتقاذفه أمواج الجهل والسطحية والاندفاعية والتَّهور فيَهلَكوا ويُهلِكوا.

6-المقاصد العليا وتصحيح مسارات الفتوى المعاصرة:

يُرجع العلواني سبب عجز الفقيه المعاصر للوقوف في وجه أزمة فصام الأجيال وأزمة التدين والثقافة إلى[2]:

- العملية التعليمية التي أنتجت هذا الفقيه؛ **الأستاذ** و**الطالب** و**الكتاب** و**المؤسسة**، ومن ثَمّ أدى إلى إهمال التغييرات النوعية الهائلة والاهتمام فقط بالتغييرات الكمية فشاع أن **المعالجات الفقهية التي صلُحت في زمن ما تصلح لا محالة في كل زمان.**
- وأهملنا **الواقع الذي صاغته صيرورة تحولات نوعية** حتى أضحت الضوابط المنهجية والمنطقية قادرة على تحقيق مستوى من الهيمنة على سائر جوانب الحياة المعاصرة.

1- انظر طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة. (مرجع سابق)،ص 38و39بتصرف.

2 -انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة. (المرجع نفسه)،ص 39إلى42بتصرف.

- في حين أنّ **مصدر القرآن المجيد يحمل طاقة الفهم بقراءة تجمع بين القراءتين،** كما تكشف عن بُعد الغيب في الواقع لصياغة فكر وفقه وثقافة وحضارة.

فالعلواني يؤكد كل هذه المعاملات الضرورية لتوليد مسارات فتوى تعبِّر بصدق على واقع الحال الإنساني وفق احتياجاته المتجددة. وقد فصلَّ **علي محي الدين القرة في** الحالات التي تتغير فيها الفتوى: "ذكرنا أنَّ الفتاوى القائمة على الاجتهادات هي التي تقبل التغيير، وتخضع لقاعدة: تغيِّر الأحكام بتغير الأزمان، وتعود أسباب هذا التغيِّر إما إلى تغير اجتهاد المجتهد نفسه لأيِّ سبب، أو أنَّ مجتهداً آخر نظر في الأدلة نظرة أخرى فتحقَّق له اجتهاد آخر، وإما إلى فساد الزمان أو تغيُّر الأعراف والعادات، أو إلى التطور الناشئ للمجتمعات[1]".كما جاء نفس الكلام عند **علي حيدر**:"لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان إن الأحكام التي تتغير بتغير الأزمان هي الأحكام المستندة على العرف والعادة لأنه بتغير الأزمان تتغير احتياجات الناس[2]".وبهذا الكلام تتَّضح مسألة تصحيح مسارات الفتوى في واقع الدعوة والموجه الأساسي لهذا المسار هو منظوم المقاصد القرآنية الحاكمة.

7-بين المقاصد القرآنية والمقاصد الأصولية.

يرى العلواني أنَّ علم المقاصد في أصول الفقه[3]:

- بقي محدود الاستعمال متداولاً فقط في دائرة الفضائل أو كأدلة معقَّدة، ولم **يُتَّخذ كأساس للحكم الشرعي** مثلها مثل **الإجماع والقياس والاستحسان** وغيرها وإن أخذت صيغة **الكليات القطعية** على أيدي **إمام الحرمين والغزالي والعز ابن عبد السلام والشاطبي** رحمهم الله جميعاً.
- ضرورة الكشف عن المقاصد القرآنية العليا الحاكمة، وأنَّ الحاجة ماسة لتحديدها بدقة، ثم **تحويلها إلى قاعدة منهجية وأصول كلية قطعية،** يمكن غربلة الفقه والقدرة

---

1 – علي محي الدين القرداغي، الفتوى بين النص والواقع والثابت والمتغير. (لا.ط؛لا.م:لا.ن،د.ت)،ص59.

2 – علي حيدر، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تحقيق تعريب: المحامي فهمي الحسيني.ج1(لا.ط؛ بيروت: دار الكتب العلمية،د.ت)،ص43.

3– طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة. (مرجع سابق)، ص 43بتصرف.

على الاستجابة لسائر مستجدات الحياة. وقد لاحظ غياب فكر المقاصد عن ساحة العمل الإسلامي غير العلواني، **فأحمد بوعود** مثلاً يُرجع سبب حضور العمل المقاصدي في مجتمع الصحابة الكرام إلى عدم وجود الجمود الفكري؛ بلاء الجموع الإسلامية في القرون الأخيرة فيقول "إنَّ علم مقاصد الشريعة الإسلامية، رغم المجهودات التي بذلت في الآونة الأخيرة من أجل إبرازه، فإنَّه لم يأخذ حقَّه بعد في منظومة العلوم الإسلامية، وهو أعظمها وأشرفها. **وإذا كان هذا العلم حاضراً، ضمناً، عند صحابة رسول الله**-صلى الله عليه وسلم-لا يصدرون إلا عنه، في اجتهاداتهم وممارساتهم اليومية، فإنَّه، وبفعل الجمود الفكري عامة، والفقهي خاصة، أصيب بالضمور[1]". ومن هنا **يدعو العلواني إلى ضرورة تفعيل علم المقاصد الأصولية** وطريق ذلك عبر منظومة القيم القرآنية، ومن ثم يمكن الوصول لصياغة القانون للأمة وليس مجرَّد أسماء لبعض أجزاء التشريع وأحكامه كما يعبر عن ذلك **محمد الطاهر بن عاشور**:" وأما الشريعة فهي **قانون الأمة** وليست التفاتاً إلى مطلق الشيء المشروع كالمندوب والمكروه[2]"

8-**المقاصد القرآنية ونظريتا الحكم الشرعي والتكليفي.**

يُصدر العلواني قاعدة ونظرية عامة تحدِّد بصورة واضحة ومختصرة المراد والمقصود من كل الأحكام الشرعية والتكليفة مفادها: "أنَّ الحكم الشرعي والتكليفي في الإسلام **يهدف إلى تكوين عباد لله يمتلكون حرية كاملة**، ويتمتَّعون بالتنقيب في الأرض كيفما يشاؤون وليسوا

1 - أحمد بوعود،" التكليف الشرعي والسلوك المقاصدي"موقع منار الإسلام(com/purposes- conduct https://islamanar)،2020/02/06م.

2 - محمد الطاهر بن عاشور. مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة.ج2(لا.ط؛ قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1425 هـ /2004 م)، ص16.

عبيد العبيد بمفهوم" اللاهوتي اليهودي"[1] وقد أجملت صفات هؤلاء العباد في قاله تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ

1- معنى اللاهوت:ثيولوجيا Theology أو علم اللاهوت، هو كلمة مركبة من كلمتين من اللغة اليونانية. "ثيو" تعني الإله و"لوجس" تعني كلمة. وثيولوجيا تعني "كلمات عن الإله".يركّز علم اللاهوت على ماهية الإيمان، ولهذا فهو علم متجذر في التراث المنقول. لهذا يقال "اللاهوت في الديانة المسيحية" أو "اللاهوت في الديانة اليهودية" أو يُعادلها في الإسلام من مصطلحات تعكس مهمة هذا العلم مثل علم الكلام وعلم الأصول والإلهيات وسوى ذلك. إيان مرخام،" علم اللاهوت ، جذوره ومضامينه وتطوراته المعرفية". الاستغراب، بيروت: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد7 السنة الثالثة -ربيع 1438 هـ / 2017 م.

ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل:73إلى83][1] وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمٗا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان:63إلى77][2].

1- طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة. (مرجع سابق)، ص 30بتصرف.

2- طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة. (المرجع نفسه)، ص 30بتصرف.

ومن هنا **يرَّجح العلواني الخطاب المقاصدي على خطاب التكليفي** معلِّلا سبب تقديمه وأولوية العمل به بما يلي[1]:

- القوانين المنبثقة عن التكليف تأخذ شيئاً فشيئاً في **الانغماس في الطابع الشكلي** وخاصة بعد طول الأمد وقسوة القلوب من جراء ارتباطها بجزاء تُوقعه السلطة المنشئة لها (عُقوبات المخالفين).
- أما المقاصد العليا فهي سند قلبي وإيمان راسخ يسهل على المؤمن أمر قبولها.
- جانب التكليف في الشريعة الإسلامية محدود جداً، كما وُضعت الأحكام الشرعية ليس في شكلها القانوني الجاف بل بشكل جامع الأبعاد والجوانب الأخلاقية والسلوكية والتربوية قال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾[النساء:63] من باب تحرير الوجدان الإنساني وتحويله إلى رقيب ذاتي بالإيمان.

وهذا من عظمة الإسلام فالرسول –صلى الله عليه وسلم–كان **حريصا على تضيِّيق دائرة التكليف** من خلال النهي عن كثرة السؤال، وفضول السؤال فلا يقفو ما ليس له علم.

9-الخطاب المقاصدي وتداخل الأنساق الثقافية.

للعلواني الأزهري التكوين المنفتح على ثقافات الغرب المقيم فيها والمعايش لكل خُصوصياتها، بهذه الشخصية المتكاملة والمتَّزنة يمكن أن تكون نظرته للثقافات والحكم عليها الأقرب لواقع الحال والأصوب في تدبير كيفية التعامل إذ ينظر لها كما يلي[2]:

- أنَّنا في عصر **مُتداخل الأنساق الثقافية**، ومُضطرب في الأعراف وفاقد للخصوصية الثقافية واستقرارها وثباتها، بل أصبح الاستقرار والثبات هدفاً لاتجاهات التغيير العولمية.
- من خلال هذه البيئة المستحدثة إنّ القواعد **والقوانين الفقهية وحدها غير قادرة على مواكبة هذه البيئة** ومن ثَمَّ المحافظة على شخصية الأمة، في حين يُمكن للمقاصد العليا القرآنية أن تكفل المواكبة بعالمية الإسلام القادمة.

1- انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، 52إلى 56 بتصرف.

2- انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(المرجع نفسه)، ص56و57 بتصرف.

- غير أنَّ هناك مُشتركات إنسانية جامعة، فما من أمة تخيَّر بين **التزكية** و**التدنُّس** إلا واختارت التزكية أو بين **العمران** و**الخراب** إلا واختارت العمران.

فمعرفة هذه الأنساق ذات الخصوصية المتغيرة، مع العلم بفقر القوانين الفقهية لتلبية الحاجة والمواكبة والإلمام بالمشتركات الإنسانية والمسلمات الفطرية للبشر. ومعاملة ذلك كله وفق مقصد القرآن الكريم الجامع لسبل الخيرات من شأنها أن تنتج خطابا ثقافيا بلسان العصر.

10-الخطاب المقاصدي وحقيقة الفعل الإنساني.

يقسِّم العلواني أفعال الإنسان إلى نوعين[1]:

- أفعال لا يتعلق بها تكليف من باب الجلَّبة كالنوم والأكل والتنفس وغيرها.
- ما يقع منه فما هو مقدور له، وهو فيه مخيَّر ويلحقه عليه تكليف وعليه تترتَّب آثار (التوحيد والتزكية والعمران).وقد قسَّمه العلماء إلى ثلاثة أقسام:
  - أفعال مختصَّة بالجوارح كالقيام والقعود والمشي وكل فعل يحتاج إلى سائر الأعضاء فيه.
  - ما يختصُّ بحفظ عوارض النفس كالشهوة والخوف واللذة والفرح وغير ذلك.
  - ما يختصُّ بالتميِّز والعلم والمعرفة.

والعبادات بهذه الثلاثة تختصُّ وعليها ينعكس التوحيد إما أن يكون خالصاً أو يكون تعبيراً عن شرك، وقد تكفَّل القرآن المجيد ببيان ذلك على سبيل الإجمال في البعض وعلى سبيل التفصيل في بعضه الآخر قال تعالى:﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾** ﴾[الأنعام:38] .

ويرى العلواني تفصيل ما جاء في القرآن الكريم[2]:

- عن طريق التدبر من القرآن نفسه أو ما انطوت عليه بديهيات العقل أو الفطرة أو بسنَّة رسول الله-صلى الله عليه وسلم -أو باعتبارات الأقيسة المبنية عليها، وهنا

1- انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، ص 59بتصرف.

2- انظر: طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(مرجع سابق)،ص 179بتصرف

يظهر اهتمام العلواني بمقصد الفطرة الإنسانية السليمة واعتباره رافدا قويا لمقاصد القرآن العليا الحاكمة والهيمنة.

- وفي بيان الغاية من الخلق مستعرضاً جملة من الآيات منها:

قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة:30] ، وقوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف:129] ، وقوله تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد:25] ، وقوله تعالى:﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾[هود:61] ، وقوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات:56] .

- ليلحظ أنَّ التركيز جرى عند الحديث عن غاية الحق من الخلق على العبادة، وقد أرجع سبب هذا التركيز إلى اعتبار كل **ما اشتملت عليه الآيات الأخرى** من الاستخلاف والنصرة وإعمار الأرض **جزءا من مفهوم العبادة** العام والشامل أو **لاعتبارهم العبادة** هي **الأهم** من **الاستخلاف** وغيره.

وإن كنت أميل للسبب الأول باعتباره جزءاً عن مفهوم العبادة الشامل لكل تصرفات المسلم التي تندرج وتنطوي تحت مفهوم العبادة لله في الحركة والسكنة.

وقد **تجاوز العلواني الترجيح** بين السببيَّن مع عدم اعتراضه على أن تكون **غاية الحق من الخلق مركبة من عناصر مُتعدِّدة** أهمها وأعلاها **العبادة التي تقوم على التوحيد** المحور الذي تتكوَّن حوله معارف الموحِّد وأخلاقه ونظمه وعبادته وسائر أوجه نشاطه العقلي والنفسي والبدني، بحيث يصبح ذلك النشاط كله وبأنواعه كلها صالحاً لأن يوصف بأنَّه عبادة"[1]

وعلى هذا الاعتبار يرى العلواني بأنَّ **العمل الإنساني** لابد أن **يصدر عن نية** وقصد لأجل التقرب إلى الله تعالى، فاستحضار النية ركن أساسي لاعتبار الفعل وترتُّب أثره عليه.[2]

وينقل كلام الشاطبي في ذلك:" المقصد الشرعي من وضع الشرعية إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد لله اضطراراً[3]".

11-**الخطاب المقاصدي واتجاه التعبد.**

يطلق العلواني على العبادة التي ينعكس التوحيد عليها على معنيِّين هما:[4]

- **معنى أخصُّ** وهو التحنُّث والتذلل لله-سبحانه-وأن يعبده على سبيل التقرب الخالص له بالفعل أو الترك.
- **معنى أعمُّ** وهو شامل لسائر الأفعال حتى التي لا يبدو فيها قصد القربة ظاهراً نحو المباحات من شراب وطعام وجنس وغيره

وعليه **تكون النية** في هذه الأفعال متعلقة ومرتبطة بعدة مفاهيم[5]:

- فهي انعكاس للتوحيد ومُتعلِّق للتزكية أو العمران أو لها كلُّها وقد تكون هذه الأفعال فردية أو جماعية أو مجتمعية وقد شملها حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-لسعد

1- طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة.(مرجع سابق)،ص 180.

2- انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)،ص 63.

3 -الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ج2(ط:1؛الجيزة-مصر:دار ابن عفان 1417هـ/ 1997م)،ص 289.

4- انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)،ص 65 و 66 بتصرف

5- انظر: طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(المرجع نفسه)،ص 66و67 بتصرف.

أبي وقاص «إنَّك مهما أنفقت من نفقة فإنَّها صدقة، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك»[1].

- من خصائص الشريعة (**خاصية الشمول**) إذ الشمول يعني أنَّ الحكم الإلهي له تعلُّق بكل فعل من أفعال الإنسان.
- مستوى التكليف واحد من مستويات مختلفة تعلَّق بها الدين باعتباره وضعاً إلهياً ليُعينَ الإنسان على تحقيق مهمة الوفاء بالعهد الإلهي.
- مستوى التكليف واحد من تلك المستويات وليس كلها فهناك مستوى الأخلاق والأدب، وتنظيم الروابط الاجتماعية وغيرها مما لا يدخل في دائرة التكليف، ولكنه لا يخرج عن إطار المقاصد الثلاثة العليا الحاكمة.

وقد فهم بعض الكتاب في مجال خصائص الشريعة شمول الحكم الإلهي لكل أفعال الإنسان وهذا الأمر في الحقيقة **لا يخالفه العلواني** ولكنَّه يدخل عليه تعديلاً في إدراج الآداب وروابط تنظيم المجتمع ضمن الدائرة العامة لمستويات الدين، التي جاءت بها الشريعة الغراء لتبسط خيرها على الإنسان في الدنيا والآخرة وقد **أجمل ابن قيم الجوزية هذا المعنى** في قوله:" الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد. وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل. فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه..."[2]

وهنا يظهر بكل جلاء **تركيز العلواني على البعد الفطري** لأنَّ الأخلاق والآداب والروابط الاجتماعية والحسن فيها والقبيح أمر إنساني مشترك فطري.

---

1 – أخرجه البخاري، في صحيحه، باب فضل النفقة على الأهل، حديث 4935.

2 – ابن قيم الجوزية، علام الموقعين عن رب العالمين، تقديم وتعليق وتخريج: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، بمشاركة أبو عمر أحمد عبد الله أحمد في التخريج. ج1(ط:1؛ المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1423 هـ)،ص41.

وفي حديث شعب الإيمان ما يوافق قول العلواني فقد قال أبو هريرة-رضي الله عنه-قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[1].

فإماطة الأذى عن الطريق تدخل في دائرة تنظيم الخدمات والمرافق العامة وكونها مدرجة تحت مفهوم الإيمان المراد منه الحث عليها وطلب زيادة الاهتمام بها.[2]

ويجمل القول **الراغب الأصفهاني** بكلام جميل في كتابه **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**:" الغرض منه أن يعبد الله ويخلفه وينصره ويعمر أرضه كما نبَّه تعالى على ذلك بآيات في مواضع مختلفة من كتابه الكريم[3].ويخلص العلواني إلى معنى ومفهوم العبادة في صورة شاملة تُزيل كل لُبس وإيهام فيقول:" إنَّ **العبادة** التي جعلها الله –تعالى-غاية **الحق** من إيجاد الخلق **أمر مركَّب** من العبادة **بمعناها الخاص** و**الاستخلاف** و**النصرة** و**الإعمار**، فهي ليست أمراً بسيطاً أو منحصراً، بل هي ذلك الأمر المركَّب والله أعلم[4]". فهي مجموع تلك الأشياء الأربعة في تناغم وتناسق بينها فتأخذ بذلك العبادة مفهومها الواسع والعام لكل فعل إنساني خاص أو عام.

---

1 – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب الأول من شعب الإيمان وهو باب في الإيمان بالله-عز وجل-حديث 89.قال الألباني حديث صحيح في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، باب فرض الإيمان، حديث166.

2- انظر:طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، ص 68 بتصرف.

3- الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين.(لا.ط؛بيروت:دار مكتبة الحياة،1983م)، ص48.

4- طه جابر العلواني، المقاصد الشريعة العليا الحاكمة.(مرجع سابق)، ص 69.

المبحث الثالث: التعامل مع السنَّة النبوية في فكر العلواني .

1- المطلب الأول: مفاهيم ومصطلحات .

2- المطلب الثاني: إشكاليات منهجية في التعاطي مع السنَّة النبوية .

3- المطلب الثالث: خلاصة رأي العلواني في جمع وحجية السنَّة .

المبحث الثالث: التعامل مع السنَّة النبوية في فكر العلواني.

المطلب الأول: مفاهيم ومصطلحات.

ينطلق العلواني مِنْ أنَّ إشكالية التعامل مع السنَّة **لم تكن قائمة في عهد الرسول**-صلى الله عليه وسلم-**لكن** بعد **وفاته وقع المسلمون في إشكالية** التعامل مع السنَّة[1].وسأتناول في هذا الفرع بعض المصطلحات ومضامينها وتطورها الدلالي وأثر ذلك في إشكالية التعامل مع السنَّة.

أولاً: النبي بين النبوة والبشرية.

اصطفاء الله للبشر من أجل الاستخلاف، يتعدى مفهوم عبادة الملائكة المتضمِّن التَّسبيح والتَّحميد والرُّكوع وغيرها إلى عبادة العمران، وقد أكَّد القرآن الكريم على **بشرية الرسول** – صلى الله عليه وسلم- تجنباً لاختلاط مفهوم **النبوة** مع الألوهية،[2] ففي السيرة مواقف كثير يُرَكِّزُ فيها الرسول– صلى الله عليه وسلم- على تثبيت بشريته في الأذهان وترسيخه في العقول، فقد جاء في حديث **زينب بنت أم سلمة**:«إنَّما **أنا بشر** وإنَّكم تختصمون إلي...»[3]، وحديث **السهو في الصلاة**[4]، ومجموعة من الأحاديث كلها، يؤكد فيها الرسول – صلى الله عليه وسلم- **على بشريته**،كل ذلك من أجل ألا تتكرَّر المأساة وتذهب أنوار النبوة[5]. فهو بشر رسول له مهام عظيمة كلَّفه الله بها فأدَّاها على أحسن وجه وأتمِّ صورة وهي:

---

1 – راجع:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية.(ط:1؛ بيروت-لبنان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1435هـ/2014م)، ص14إلى17.

2 – راجع:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية.(المرجع نفسه)، ص19إلى23.

3 – أخرجه البخاري في صحيحة، باب موعظة الإمام للخصوم، حديث رقم:7168.

4 – نص الحديث:عن عبد اللَّه، قال: صلى رسول اللَّه-صلى الله عليه وسلم-فزاد أو نقص، فلما سلم قلنا: يا رسول اللَّه، هل حدث في الصَّلاة شيء؟ قال:«لو حدث في الصَّلاة شيء أَنبَأتُكُمُوهُ، ولكنِّي إنَّما **أنا بشر أنسى كما تنسون**، فأيُّكم ما شكَّ في صلاته فلينظر أحرى ذلك إلى الصَّواب، فليتمَّ عليه، ثُمَّ ليُسلِّم وليسجد سجدتين».أخرجه النسائي في سننه كتاب السهو باب التحري ج3، حديث1242 وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، (339) باب قوله-صلى الله عليه وسلم-"إذا نسى أحدكم فليسجد سجدتين".

5 – طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية.(مرجع سابق)، ص24إلى25.

- **التلاوة:** قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة:121].
- **التبليغ:** قال تعالى:﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المائدة : 99].
- **البيان:** قال تعالى:﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن : 04].
- **النصح:** قال تعالى:﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأعراف : 79].
- **تعليم الناس الكتاب والحكمة وتزكيتهم:** قال تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة : 02].
- **تعليم الإتباع:** قال تعالى:﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران : 31].

ثانياً: السنَّة مفهوم ومصطلح.

1-مفهوم السنَّة في القرآن:

ناقش العلواني بعض تعريفات علماء الإسلام حول السنَّة وخَلُص إلى عدِّة معان وهي متقاربة ولكنها ليست موحدة. وقد يكون الانطلاق من القرآن الكريم في تحديد مفهوم السنة الطريق الأقرب والأنسب في ذلك. فنجد مادة (س- ن - ن) في الاستعمال القرآني تستعمل في السُّنَنِ الكونية وفي السُّنَنِ الاجتماعية، التي تكرَّرت وتماثلت حتى صارت مشمُولةً بقانون واحد ثابت، تدُّل دلالة مباشرة على قضية الجمع بين القراءتين، كما أُستعملت السنة في القرآن بمعنى الطريقة[1]، وهما في معنى واحد فمن خصائص الطريقة اعتيادها بالتكرار الذي هو

1- راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية.(مرجع سابق)،ص 97إلى 106.

من خاصية القانون كذلك فقد جاء في القرآن الكريم مجموعة من الآيات الدالة على ذلك منها قوله تعالى :﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾[الأنفال:38]قال تعالى:﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾[الحجر:13]. قال تعالى :﴿ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: 77] . فالتكرار للأحداث السابقة ومُضيِّ السنن الكونية فيها بنسق واحد وقانون مُتَّحد هو ما رسمَّته هذه الآيات الكريمات في معنى السنة في القرآن الكريم.

و**يعرض العلواني** في صورة واضحة مُراده بالسنَّة في القرآن الكريم **فيقول**: " بأنَّ الله–عز وجل–قد جمع بين سُنَّن **الاجتماع الإنساني** التي يُفترض أن تكون قائمة على **المقاصد العليا** و**القيم الكبرى**، فإذا **غيَّر البشر** من هذه السُّنن وأخلوا بالعمران **سَلَّطَ الله** عليهم **سُنَّتَهُ** الدائمة المستمرَّة[1]".

ثالثاً–مفهوم السنَّة في السنَّة النبوية:

ساق العلواني مجموعة من الأحاديث التي جاء فيها ذكر لفظ السنَّة، منها حديث أنس –رضي الله عنه–قال:«أن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح فقال: هذا أمين هذه الأمة»[2]،وكذلك استعمال الصحابة ومنها حديث جابر بن عبد الله–رضي الله عنه–:«أنَّ رسول الله–صلى الله عليه وسلم–سنَّ الجَزُورَ والبقرة عن سبعة»[3]،لينتهي إلى معنى السنة بحسب رأيِّه؛ إذ جعلها مقصورة على الرسول –صلى الله عليه وسلم– ويرجع هذا التحديد إلى أواخر

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية، (مرجع سابق)، ص99 بتصرف.

2 – مسند أبي يعلى، باب ثابت البناني عن أنس، حديث رقم:3515 قال حسين سليم أسد:إسناده صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الحديث رقم:1964.

3 – أخرجه أحمد في مسنده، باب مسند جابر بن عبد الله–رضي الله عنه–حديث رقم: 14066، وذكره أبو الفضل السيد أبو المعاطي النوري، في المسند الجامع، قال:أخرجه أحمد 335/3(14647) قال:حدَّثنا يونس بن محمد، حدَّثنا عبد الواحد، حدَّثنا مجالد بن سعيد، حدَّثني الشَّعبي، فذكره.

القرن الثاني الهجري بسبب طريقة الإمام الشافعي[1]،الذي "يُعدُّ أبرز العلماء الذين أسهموا بنصيب كبير في التأصيل العلمي للسنة النبوية"[2]، هذه السنة التي قال عنها الإمام الشافعي:" وقد سنَّ رسول الله مع كتاب الله وسن فيما ليس فيه بعينه نص، وكل ما سنَّ فقد ألزمنا الله باتباعه وجعل في اتباعه طاعته وفي العنود عن إتباعها معصيته التي لم يعذر بها خلقا[3]".وقال أيضاً: "وأي هذا كان فقد بين الله أنَّه فرض فيه طاعة رسوله ولم يجعل لأحد من خلقه عذراً بخلاف أمر عرفه من أمر رسول الله وأن قد جعل الله بالناس الحاجة إليه في دينهم وأقام عليهم حجته بما دلَّم عليه من سنن رسول الله معاني ما أراد الله بفرائضه في كتابه ليُعلم من عرف منها ما وصفنا أن سنته صلى الله عليه وسلم إذا كانت سنة مبينة عن الله معنى ما أراد من مفروضة فيما فيه كتاب يتلونه وفيما ليس فيه نص كتاب أخرى فهي كذلك أين كانت لا يختلف حكم الله ثم حكم رسوله بل هو لازم بكل حال[4]".

رابعاً–الخلط بين الدلالات.

ذكر العلواني مجموعة من الاستعمالات للسنَّة وربما هذا ما أحدث الخلط في استعمالها فقد نُقل عن مارغوليوث عشرة معاني للسنَّة وتحت كل معنى بعض الآثار الدالة: منها[5]:

- العمل المعروف ضد البدعة.
- العمل القديم.
- العمل الحسن مقابل العمل السيئ.
- النظام مقابل الفوضى.
- العمل بدون إضافة تعريف آخر.

---

1 – انظر:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية.(مرجع سابق)،ص110 بتصرف.

2 –إبراهيم أحمد الكر ومحمد زياد السحار ،مكانة السنَّة عند الإمام الشافعي وجهوده في حفظها.(لا.ط؛ فلسطين: جامعة الأقصى–مؤتمر الإمام الشافعي–،2012م)،ص446.

3 – الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر.(لا.ط؛ القاهرة–مصر: دار الكتب العلمية، د.ت)،ص88.

4 – الشافعي، الرسالة.(المرجع نفسه)،ص104.

5 – راجع: محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه.(ط:1؛د.م:المكتب الإسلامي1400هـ /1980م)،ص7إلى9.

- تُنسب الكلمة إلى جهات شتى.
- بمعنى عمل النبي-صلى الله عليه وسلم-والخليفتين من بعده.
- بمعنى الأشياء التي هي فوق عمل النبي-صلى الله عليه وسلم-.
- بمعنى محمد -صلى الله عليه وسلم-هو الذي أرشد إلى العمل.
- بمعنى العمل الذي يشتمل عليه القرآن.

كما يرى العلواني أنَّ بعض فقهاء المذاهب يُخلطون في معنى السنة، فيجعلون لفظ **السنة الوارد** في **كلام النبي** -صلى الله عليه وسلم-أو **كلام الصحابة** أو **التابعين**، دليلاً على **سُنيَّة العمل** المرغب فيه **بالمعنى الاصطلاحي المُتأخر** في حين **سُنَّته**-صلى الله عليه وسلم -كما جاء في الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية للعلامة عبد الغني النابلسي: "و**سُنَّته**-صلى الله عليه وسلم-اسم **لأقواله** و**أفعاله واعتقاداته** و**أخلاقه** و**سكوته عند قول الغير** أو **فعله**[1]".

وهذا المعنى نجده كذلك قد رُسمت معالمه في نهايات القرن الأول وبدايات القرن الثاني، وقد دلَّ على ذلك **فهم عمر بن عبد العزيز** في كثير من نصوصه ومنها: "إنَّ الطلاء لا خير فيه للمسلمين، إنمَّا هو الخمر يُكنَّى باسم الطِّلاء قد جعل الله منه مَندُوحةً وأشربة كثيرة طيبة، وقد علمت أناساً يقولون قد أحلَّه عمر رضي الله عنه، وشربه أناس ممن مضى من خيارنا، وإنَّ عمر إنمَّا أتى منه بشراب طُبِخَ حتى خَثَرَ فقال حين أتى به أطلاء؟ يعني به طلاء الإبل فلما ذاقه قال: لا بأس بهذا فأدخل الناس فيه بعد عمر أما من شربه من صالحيكم فإنَّهم شربوه قبل أن يُتَّخذ سَكَراً وقد قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: حرام كل مسكر على كل مؤمن، فلا أرى أن يتَّخذ الفاجر البار دُلسَة، ونرى أن يتنزَّه المسلمون عامة، وأن يحرموه، فإنَّه من أجمع الأبواب للخطايا وأخوفها عندي أن تُصيب المسلمين منه جائحة تعمُّهم[2]" .وفهم عمر ابن عبد العزيز يبدو أنَّه استقاه من خلال **فهم أهل المدينة** عندما كان **والياً عليها**. وقد فهم هؤلاء **جميعاً السنَّة** على أنَّها: **العمل المُتبَّع الذي سار عليه الرسول-صلى الله عليه**

---

1 - طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص113.

2 - ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق أحمد عبيد.(ط:لا؛ بيروت – لبنان: عالم الكتب، 1404هـ / 1984م)،ص107.

وسلم–وأصحابه من بعده. وهو نفس **فهم الإمام مالك في الموطأ**، فقد كان حريصاً على أن لا يُورِدَ فيه إلا ما كان عليه **عمل أهل المدينة**[1].

خامساً–مفهوم السنَّة عند العلواني.

السنَّة عنده **مفهوم** وليس **مصطلحاً**، والفرق بينهما كبير ودقيق وخلاصته كما يقول[2]:

- إنَّ **المفهوم** يقترن بتعريف ما يُحِيلُ عليه اللفظ **بمفردات غير منضبطة**، أو ما يُعَرفُ **بالتعريف الإجرائي**، أما **المصطلح** فغالباً ما يقترن **بتعريف مُنضبط** للمعنى المقصود الإحالة عليه، وذلك من خلال **مُفردات مُتماسكة** ومختصرة، وهو ما يعرف **بالتعريف الحديّ**.
- كما أنَّ **الخلط** بين **المصطلح** و**المفهوم**، قد أورث في أحيان كثيرة **لُبساً** و**غموضاً** و**اضطراباً** في المعنى.
- وعليه **فالسنَّة لفظ كلي يشترك** في معناه كثير من الأمور يُحمل عليها اللفظ باعتبارات مختلفة.

فهي تُحَدَّد باعتبار **مدلولاتها اللغوية** مع مرادها عند **الأصوليين** و**أهل الحديث** دون أن ننَّسى معناها في **القرآن الكريم**.

سادساً–التطور الدلالي لمفاهيم السنَّة وما ارتبط بها:

يذكر العلواني بعض تعريفات السنة عند الأصوليين والفقهاء وأهل الحديث، ثم يعَلَّق عليهم بكلام جميل إذ يقول: لذا يجب الخروج من **دائرة المصطلح**، ليكون اللفظ **مفهوماً كاملاً منبثقاً عن نظرية شاملة تجمع سائر المعاني الواردة** لهذا اللفظ في اللغة والقرآن والسنة[3].وقد جاء هذا المفهوم نتيجة التطور للسنة واستخداماتها بالإضافة لتطور المفاهيم المرتبطة بها.

1–السنَّة بيان تطبيقي للقرآن:

---

1 – انظر:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص114و 115بتصرف.

2 – راجع:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)، ص 93إلى 96.

3 – انظر:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)، ص118 بتصرف.

يرى العلواني بأنَّ العلوم المرتبطة بالقرآن والسنَّة قد مرَّت بمراحل ولحقها التطور والتغيُّر مما أثر في علاقتها ببعضها البعض والسنة مما لحقها من هذا الأثر[1]:

- ظل تطور معنى الفقه وتطور مفهوم الرأي وتطور مفهوم النَّص فإنَّ **العلواني** يُفرد **معنى النَّص** ويقصره على القرآن المجيد وعدم إشراك أي شيء آخر معه.
- **فالقرآن هو المصدر المنشئ** والسنة هي البيان التطبيقي.
- أمّا **سنَّة النبيِّ** -صلى الله عليه وسلم-**فهي طريقة الحياة الشاملة لسائر الممارسات البشرية**، التي تمثَّلت في شكل أفعال وسلوكيات لم تكن-في حقيقتها-إلاَّ تطبيقاً للقرآن المجيد.
- فما يقال له **سنَّة رسول الله**-صلى الله عليه وسلم -إنَّما هي في حقيقتها **تعبير** عن **الإتباع**، و**الممارسة** و**البيان** و**التطبيق** النبوي لما جاء به **الكتاب**.
- فيكون حينها **الرسول**-صلى الله عليه وسلم-حسب هذا المعنى **مبلغا** و**ناقلا فقط** فهو يتلو القرآن ويتَّبعه، ويُعلمه للناس وفق سيرته.

فحرص العلواني على حفظ السنَّة واضح من خلال **التفريق بينها** وبين **القرآن** بشكل يكاد يجعل كلاً منهما في **طرفي حدٍّ مستقل** ومتمايز، لهذا **يذكر العلواني** في غير موضع بأنَّ **القرآن منشأ** و**السنَّة مبيِّنة**.

2-مفهوم الوحي:

يعرِّف العلواني القرآن بقوله:" **كتاب الله** الذي أنزله-جلَّ شأنه-على قلب عبده ورسوله ونبيه المفتتح بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس، فهو أربعة عشر ومائة سورة[2]". وهذا تعريف مأخوذ من تعريفات العلماء السابقين. في حين **يقرِّر العلواني** بأنَّ **بقية ما صدر** عن **رسول الله**-صلى الله عليه وسلم- من **أقوال** و**أفعال** و**تقريرات** بأنَّها **محلُّ اتفاق** بأنَّها **صدرت عن اعتبارات مختلفة** ففي **أفعاله** ما هو **جبليٌّ** طبيعيٌّ، وما هو **تطبيق للقرآن** الكريم وتوجيهاته، و ما هو **صادر وفقاً للوظائف التي كان يؤديها**- صلى الله عليه وسلم-

1 - راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص118إلى136.

2 - طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)،ص137.

من إمامة وقضاء وإفتاء وتعليم وتوجيه وتشريع، ولا شك أنَّ **بعض** ذلك **يُعَدُّ** من **قبيل النِّسْبِيِّ** المرتبط **ببيئته**- عليه الصلاة والسلام-و**بعضه يُعَدُّ** في **دائرة الخصوصيات** له ولبعض الأصحاب، وبعضه **تشريع مطلق** دائر حول القرآن الكريم يستمد إطلاقيته منه[1]"، **فهل في هذا الكلام أي شيء يُنْقِصُ من قيمة السنة أو مكانتها؟** وإن قيل لم يذكر العلواني **ما سكت عنه القرآن وذكرته السنة** فلا أظنه يغفله ويستثنيه بل هو **داخل ومتضمن** لما جاء في **عموم القرآن** أو **إحدى مقاصده** أو **داخل في باب من أبوابه** فلا يعقل أن **تخالف السنة وتناقض القرآن** بأي وجه من الوجوه، بل بالعكس كلامه في منتهى واقعية الإسلام وإحاطته بالزمان والمكان وتجسيد لخصائص المرونة والشمول والعموم، وهذا **وجه المخالفة** التي **أظهرها العلواني** في تعامله مع السنَّة بهذا المنطق **عامل غيره فالسنَّة** بجميع هذه **التقسيمات بمنطق واحد** في **المكانة** و**العمل** وقع الاختلاف والمخالفة عنها ولم يفهم منطق العلواني.

3-الوحي القرآني وغير القرآني:

يذهب العلواني إلى تحديد المصدر المعرفي الحق بعد أن استدلَّ بآيات القرآن الكريم بأنَّه[2]:

- **الوحي القرآني** المنزَّل على رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأنَّه مُحدَّد كمّاً وكيّفاً، بحيث يستطيع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أن يعرف بعضه من كلِّه.
- وأنَّ **الرسول**-عليه الصلاة والسلام-خُوِّلَ **مهمة البيان** وهذا البيان النبويُّ والتطبيق الرسولي الذي **أُطْلِقَ عليه – فيما بعد-السنة** يصدِّق القرآن ويُهَيمِنُ عليه شأنه في ذلك شأن تراث النبيين والمرسلين كافة.
- ولذلك كان **القرآن** المجيد **يستدرك** على الرسول -صلى الله عليه وسلم-ويُسَدِدُ تطبيقاته وذَكَرَ مجموعة من الآيات.

وعَضَّدَ كلامه بما قاله الإمام الشافعي: "فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي

---

1 - طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص137.

2 - راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)، ص151إلى155.

كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها[1]".

4-السنَّة ونظرية البيان:

جعل الشافعي أنواع البيان مُقسَّمة إلى أبواب خمسة وهي[2]:

- **الباب الأول والثاني**: وفيهما بيان القرآن بالقرآن.
- **الباب الثالث**: في بيان ما نزل من القرآن جملة فبيَّنه رسول الله وفصله.
- **الباب الرابع**: في ما سنَّ رسول الله في ما ليس في القرآن الكريم إلا أنَّ له أصلا من القرآن.
- **الباب الرابع**: في البيان الذي له علاقة بجهة اللغة والعلامات الحسية.

يعلِّق العلواني على كلام الشافعي فيقول:" ومع كل ما **ذكره الإمام الشافعي** من **مستويات البيان** فإنَّ مما لا شك فيه أنَّ **بيان القرآن الكريم** هو **أسماها** و**أَهَمُّهَا**، وينبغي الحرص عليه وعلى معرفته والاطلاع عليه، وأنَّه حين يُوجد فإنَّه أعلى أنواع البيان وأولاها بالالتزام به"[3]. ومن هنا **ذهب العلواني** إلى **القول بعرض السنَّة** على **القرآن الكريم** وخلاصة قوله؛ هو تحقيق ما اتَّجَهَ إليه معظم الأئمة عن **الشافعي** حتى **الشاطبي**، ثم من تلاهم وجاء بعدهم من أنَّه ما من **سنَّة ثابتة** إلا و**لها في القرآن أصل**[4].

وهنا نُحافظ على السنة من التحريف الذي عانت منه في تاريخها بسبب أمراض النفوس والتعصب وحتى بدعوى الانتصار للحق، لأنَّ التصديق القرآني يصرف كل ذلك لأنَّه الحق الذي لا نختلف فيه.

إذا **فعَرضُ السنَّة** على **القرآن لازم** حسب رأي **العلواني** وغيره ومنهم **أبو زهرة** الذي قال: "ومن هذا ترى أنَّ **فقهاء الرأي** الذين **لا يقبلون الأحاديث** إلا **بعد عرضها على المُحَكَم من كتاب الله** – سبحانه وتعالى-الذي لا يحتاج إلى بيان -قد **اعتمدوا** في **منهجهم على**

1 – الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر. (ط:1؛ مصر: مكتبة الحلبي،1357هـ/1938م)، ص20.

2 – راجع: الشافعي، الرسالة تحقيق أحمد محمد شاكر. (المرجع نفسه)، ص26إلى52.

3 – طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية. (مرجع سابق)، ص162.

4 – طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية. (المرجع نفسه)، ص167.

الصحابة؛ أبي بكر وعمر وعائشة وغيرهم-رضي الله عنهم-وحاكوهم **في منهاجهم**، ولم يبتعدوا عن سمتهم، **فما كانوا مبتدعين**، ولكن **كانوا مُتَّبِعِين**[1].

المطلب الثاني: إشكاليات منهجية في التعاطي مع السنَّة النبوية.

يرى **العلواني** أنَّ من أهمِّ الأمور التي **شغلت العقل المسلم**، وما تزال قضية صياغة **العلاقة** وبالدقة، **بين القرآن الكريم والسنة المطهرة** وقد انقسم أهل العلم في ذلك على مذهبين حسب رأيه[2]:

- **المذهب الأول**: يرى بعض أهل العلم أنَّ **السنَّة مستقلَّة عن الكتاب**، وعلى هذا التصور قَدَّر الفقهاء والأصوليون أنَّها **المصدر الثاني للتشريع**، و**القرآن هو المصدر الأول** وجعلوا من ذلك القطعي والظني **فالقرآن مقطوع به كُلُّه** و**السنة في عمومها ظنيَّة**.
- **المذهب الثاني**: وذهب بعضهم إلى **دمج بين الكتاب** و**السنة** و**عدُّوهما وحياً**، لا يختلفان إلا في الإعجاز والتعبد وترتَّب عليه **آراء خطيرة** منها **جواز نسخ السنة للقرآن** وقبول أمكانية التعارض بينهما.وسنفصِّل أهم الإشكاليات في التعامل مع السنَّة

الفرع الأول: إشكالات في التراث الأصولي.

يرى العلواني بعض الغبش لدى بعض المعاصرين، في فهم مهام صاحب الرسالة-صلى الله عليه وسلم-وتنوُّعها والحدود الفاصلة بين مهمة وأخرى[3]:

- فإذا قارب كبار الأصوليين في فهم تنوع مهامه-صلى الله عليه وسلم-وما يتعلَّق بأفعاله بناء على ملاحظة صفاته وما تقرر عندهم من الفرق بين القول والفعل فلماذا لم نُقسِّم الأحاديث على اعتبار كونه قاضياً أو وصفه إماماً أو قائداً كما فعل الأصوليون مع أفعاله صلى الله عليه وسلم.

1 – محمد أبو زهرة، ابن حنبل حياته وعصره وآراؤه الفقهية.(لا.ط؛ القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)،ص250و251.

2 – راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية. (مرجع سابق)، ص175و176.

3 – راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية. (المرجع نفسه)، ص178و179.

- ومن بين أهم المشكلات الأصولية ما يُعرف بالحكم التكليفي، وقسمه الخامس **المباح** فهل هو **حكم شرعي** أم **حكم عقلي**؟ فقد أُعتبر حكماً شرعياً عند الجمهور وعلى هذا الاعتبار فالعبرة بصحة الرواية، فإذا صحَّت الرواية فالأمر مفروغ منه، فأدخلوا بذلك الأعمال الجبلية في دائرة التشريع.

أولاً: سيطرة المنهج الفقهي على التَّعاطي مع السنَّة:

مما يلاحظه العلواني في سيطرة الجانب الفقهي على عموم الحياة الإسلامية، وقد أثر على جوانب الحياة الأخرى، وفي مظاهر تأثيره على السنة يذكر العلواني مايلي[1]:

- بأنَّ **التركيز** على الجانب الفقهي **واعتبار القرآن الكريم والسنة المطهرة مصدران للأحكام فقط**، أدى ذلك إلى **ضمور إدراك العقل المسلم** بأنَّهما معاً مصدران **لبناء الإنسان وتحقيق العمران** ومن ثَمَّ ينبغي تسليط الضوء وبالقدر التي حظيت به الآيات والأحاديث على جوانب العقل المسلم .
- في مسألة **الاستدلال** المرتبط **بالجزئيات الفقهية**، وجدت في **السنة مصدراً أيسر** من القرآن الكريم **لارتباطها بوقائع وأشخاص وأحداث واقعية** وسَهَّلَ القياس عليها والمشابهة.

كما أنَّه بهذا الاستدلال **الفقهي الجزئي** نتجاهل **الوحدة البنائية القرآن الكريم والسنة المطهرة**، كما كرست التَّراتُبية بينهما من خلال فهم **حديث معاذ بن جبل** الذي جاء فيه أنَّ النبي-صلى الله عليه وسلم -لما بعثه إلى اليمن قال: «أرأيت إن عرض لك قضاء كيف تقضي؟ قال: **أقضي بكتاب الله** قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: **فبسنة رسول الله** – صلى الله عليه وسلم-قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: **أجتهد رأيي لا آلو** قال: فضرب صدره وقال الحمد لله الذي وفَّق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»[2].

---

1 – راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية. (مرجع سابق)، ص167إلى180.

2 – أخرجه الدارمي في مسنده، باب الفتيا وما فيه من الشدة، حديث رقم:170. قال عنه ابن الملقن سراج الدين، باب: الملحق الأول حديث معاذ والاستدلال به على حجية القياس، فقد اتَّضح بحمد الله ومنِّه ضعف هذا الحديث وصَّح دعوانا الإجماع في ذلك والحمد لله على ذلك وأمثاله.

وهذه الفرضيات التي قامت عليها هذه التَّراتُبية حسب رأي العلواني وهي[1]:

"**الفرضية الأولى**: أنَّ الآيات مُتناهية والوقائع غير مُتناهية، فكيف تكون مُتناهية والله تعالى قال:﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:89]

- **الفرضية الثانية**: أنَّه لا يلجأ للسنة بحثاً عن حكم، إلا عند اليأس من وجودها في القرآن وهذا مناف لما تقدم في الحديث وللعلاقة التي رسمها الله-تعالى-وأكدها رسوله -صلى الله عليه وسلم-بين القرآن وتطبيقاته النبوية.

ثانياً: الدعوة إلى ضرورة نقد المتن:

مما يراه العلواني أنَّ **السند أخذ أكثر** مما يستحق على حساب **مقاييس نقد المتن،** والأولى التزام منهجين في التعامل مع السنة هما[2]:

- **الطريق الأول**: يَمُرُّ الحديث من خلال منهجية السند للكشف عن صحة سنده أو ضعفه.
- **ثم الطريق الثاني**: حيث يَمُرُّ متن الحديث ذاته من خلال منهجية نقد المتون ومقاييسها لغربلة تلك الأحاديث، ووزن متونها بالموازين التي تنبثق عن اتجاهات القيم الحاكمة في الإسلام.
- فالجدل القائم بين المعاصرين كما يراه العلواني؛ قائم على هذين الأمرين فمنهم من يأخذ بمنهجية الإسناد، ومنهم من يأخذ بمنهجية نقد المتون، ولا يُمكن الخروج من هذا الإشكال حسب رأيه إلا **بإعادة النظر والقيام بدراسة تحليلية شاملة لمنهجية الإسناد، ومنهجية مقاييس نقد المتون وعلاقتهما بالسقف المعرفي التاريخي الذي انبثقا في ضلاله.**

1 - راجع:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص181و182.

2 - طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية.(المرجع نفسه)، ص183و184.

ثالثاً: تضخم دور الرِّواية.

قسَّم العلواني **أجيال الأمة المسلمة من بعثة الرسول** -صلى الله عليه وسلم-إلى يومنا هذا إلى **أربعة أجيال**: جيل **التلقي** وجيل **الرواية** وجيل **الفقه** وجيل أو أجيال **التقليد** وقد تعامل كل جيل منهم بطريقة خاصة مع السنَّة النبوية الطاهرة.

أ-جيل التلقي:

لم تكن **إشكالية العلاقة** بين **الكتاب** و**السنَّة مطروحة** لوضوح الصورة في أذهان الصحابة-جيل التلقي-لوجود الرسول -صلى الله عليه وسلم-في حين اهتم الشيخان أبو بكر وعمر في التَّثَبُتُ من الرواية والتّدقيق في متن الحديث. وقد وضحا في أذهان هذا الجيل أن أفعال الرسول كانت مقسمة لأقسام.

•**أفعال ضرورية لتنفيذ الأوامر القرآنية المحكمة** مثل قوله تعالى:﴿**وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ** ﴿٤٣﴾﴾ **[البقرة:43]** ،جاءت مفرقة عامة في القرآن، ثم فصَّلها- صلى الله عليه وسلم- بأفعاله في الصلاة والزكاة وقال فيها:« صلوا كما رأيتموني أصلي»[1]

•**أفعال ذاتية صدرت منه**-صلى الله عليه وسلم-بصفته **الشخصية** وحسب ما يتطلبه المقام، وهذا ما يعنيه العلماء بأقواله وصفاته-صلى الله عليه وسلم-المختلفة في غير التبليغ، وهنا قد **يدخل فيها الاجتهاد**، كما قد يكون منها **الجبليِّ**[2].

ب-جيل الرواية:

دعت الحاجة إلى العناية بالرواية، وقد كانت في أوائل المحاولات المنهجية **محاولة عمر بن عبد العزيز** ووالده من قبله إذ لاحظوا اختلاف المرجعية، فحاولوا اتِّخاذ السنَّة بديلاً عن المذاهب الفقهية وغلقاً لباب الفتنة والفرقة[3].

---

1 - أخرجه أبو بكر البيهقي في الخلافيات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، باب ولصلاة المغرب وقت واحد، حديث :1060.وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل، المجلد الأول،حديث:262.

2 - راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص 187إلى196.

3 - راجع:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص197و199.

ج-الفقيه وجيل الفقه.

تلك المرويات التي أظهرت **اهتمام عمر بن عبد العزيز**، فبدل من أن تكون فقه سنة للكتاب تستوعب به اختلافات الكلاميين والفقهاء معاً، فإذ بها تتحوَّل إلى **سلاح جديد** أمسك به علماء الأصليْن أصول الدين وأصول الفقه وعلماء الفقه **ليستنصر كل بما يناسبه لمذهبه**، وهنا ظهرت **فكرة خاطئة أن القرآن الكريم** لا يحتوي إلا على عدد محدود من **آيات الأحكام**، والتي ينبغي للمجتهد **التقيُّد بها ويصرف غايته لها**، وأما **بقية آيات** القرآن فقد **جاءت لتصف الدار الآخرة** و**ذكر الأمثال** و**القصص** و**المواعظ**، ومن هنا برزت عن ذلك **فكرة أخطر** هي؛ **تجاوز القرآن الكريم** و**مساواته للسنَّة المطهرة**، ويمكن الاكتفاء بها في تنشئة الأحكام الشرعية[1].

قال العلواني بعد ذكر آيات الأحكام وحدودية عددها:" أما فيما عدا ذلك **فإن السنة النبوية ينبغي أن تكون هي النص المحوري**، فمنها تَنبثقُ الأصول وتُستنبطُ أنواع الفروع، ويُفتى منها في النَّوازل، وبها يُمكن أن يكتفي عن سواها، **في حين لا يستغني عنها بسواها في أي حال من الأحوال**[2]".

وعند ظهور مدرستي **الرأي** و**الحديث** أَفْرَزتْ تطورات خطيرة ومنها؛ تصوُّر توازي بين القرآن والسنة ومنها[3]:

- زال **الحرص الشديد** الذي كان في جيل التلقي، وفي أذهان قياداته **على ألا يُشاب القرآن بغيره أياً كان ذلك الغير**. وانشغل الناس انشغالاً مستغرقاً بالآثار والمرويات، حتى صار القرآن مجرَّد مصدر للشواهد، التي يستشهد بها الكلامي والأصولي والفقيه وغيرهم.
- يذهب جماهيرهم إلى القول بأنَّ **السنَّة تنسخ القرآن**، حتى لو كانت **خبر آحاد** والقرآن ينسخ السنَّة، **فافترضوا** بذلك **تناقضاً** بين **القرآن** و**السنة** لا يزول إلا بالنسخ،

1 – راجع:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص199إلى201.

2 – طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)، ص200و201.

3 – راجع:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)، ص202إلى206.

وهذا **أمر في منتهى الخطورة** حسب رأيه، حيث أنَّ أبسط معانيها وقوع **الاختلاف** بين **الله ورسوله**[1].ومن هذه الأقوال القول بنسخ السنَّة للقرآن:"...فإنه أضاف إلى قول مالك قول الكوفيين في ذلك: إنَّ السنَّة تنسخ القرآن[2]"،ومنها كذلك قول ابن حزم:"...وقالت طائفة: جائز كل ذلك والقرآن يُنسخ بالقرآن وبالسنَّة والسنَّة تُنسخ بالقرآن وبالسنَّة، وبهذا نُقول وهو الصحيح، وسواء عندنا السنَّة المنقولة بالتواتر، والسنَّة المنقولة بالآحاد، كل ذلك ينسخ بعضه بعضاً، وينسخ الآيات من القرآن الكريم، وينسخه الآيات من القرآن الكريم[3].وحتى الذين لم يقولوا بألسنتهم بالتوازي بين القرآن والسنَّة إلا أنَّ الممارسات الميدانية للتعامل مع السنَّة وفي الجو العام الذي ساد من المبالغة بالعناية بالسنَّة على حساب القرآن الكريم، فإنَّهم صرفوا جل جهودهم في هذا المسار من غير قصد أو انتباه فوقع الخلل وكثرت الأخطاء التي امتدَّت إلى يومنا هذا على جميع المستويات العامة وكذا المستويات الأكاديمية فقسم الكتاب والسنَّة حيث لا كتاب شاهد دليل على ذلك ومن هذه الأخطاء ما وقف عليه العلواني[4]:

- لقد **تداول** هؤلاء **أقوالاً غثيثة أخرى**، ليُسَوِغُوا بها ما ذهبوا إليه، وتجاهلوا أنَّ القرآن الكريم كتاب مكنون لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقال بعضهم: إنَّ **القرآن حمَّال أوجه**، وعلى ذلك فإنَّ تلك **الوجوه** التي **يحملها القرآن الكريم** لا بد لها من **دليل يحدد المُراد منها**، وهذا **الدور** الذي **أُنِيطَ بالسنَّة** لتَتَحَدَدَ بمقتضاه دلالات القرآن، وهذا **ينافي** كل ما جاء في **القرآن** وصفاً له من **التيسير** و**البيان**.

---

1 – راجع:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص205و206.

2 – بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري.ج2(ط:1؛ المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، 1414 هـ /1994 م)، ص 1195.

3 – ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر.ج4(ط:2؛ بيروت:دار الآفاق الجديدة،1403هـ/ 1983م)، ص 107.

4 – راجع:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص206إلى212.

- كما زعم بعضهم أنَّ **النصوص القرآنية مُتناهية** و**الوقائع غير مُتناهية**، ومن ثَمَّ فلا بد من **زيادة** في **الأدلة** لسد ما توهموه **فراغاً تشريعياً**.
- التناقض بين القول **بتأخير السنَّة عن القرآن في الرتبة**، و**تقديمهم لها على القرآن عند استنباط الأحكام** .ومع الاختلاف في مسألة استقلال السنَّة عن الكتاب في مجال التشريع، فالقول باستقلال السنَّة في إنشاء الأحكام ليس كافيا.

- ظهور منهجية الإسناد: يرى الشيخ العلواني أن ظهور منهج الإسناد قد ظهر بعد(140هـ) يعني، أنَّ الذين جاءوا قبل هذا التاريخ لم تَجْرِ لهم عمليات فحص وجرح وتعديل وإن وجهوا نقدهم فللمتن حتى لا يخالف متناً آخر. وبعد القرن الثاني ظهرت تسهيلات في الرواية منها توثيق الرواة السَّبر[1] وكثير من المشكلات.

ت–أجيال التقليد:

في هذه المرحلة **أشتغل الناس** حسب رأي العلواني **بالسُّنن عن القرآن المجيد** بحجة اشتمالها عليه وارتباطها به ثم **جعلوا من السُّنن شواهد لأقوال أئمة الفقه**، وانتهوا **للاشتغال بفقه الأئمة عن السُّنن** وظهر **التعصب** و**التقليد**، بالإضافة للعوامل السياسية المصاحبة لذلك، فقد قال **الكرخي**:" الأصل أنَّ كل آية تخالف قول أصحابنا فإنَّها تُحمل على النسخ أو على الترجيح الأولى أن تُحمل على التأويل من جهة التوفيق[2]".

ويختم **العلواني** القول بأن **تعود الأمة إلى جيل التلقي**، ولا يكون **للرواية فضل على القرآن** الكريم، **فالكتاب يُتَّلَى ويُعَلِمُ ويُزَكِي**، والمرويات الصحيحة الثابتة تكون تأويلاً لآيات الكتاب، في الواقع وتفعيلاً لها وتطبيقاً عملياً فيها، وبالتالي؛ تكون **السنَّة منهج الإتباع** و**التأويل** و**التفعيل**، **لا تَزيد على القرآن** و**لا تُنقِصُ منه**، ولا تنسخه ولا تخصِّصه ولا تَنْسِبُ

---

1 – أي إن تسبر مرويات راو معين، فإن وجد أنَّها صحيحة في وقت ما حكم على الراوي بأنَّه ثقة، فإذا جاء بعد ذلك بروايات أخرى قد تكون موضوعة أو معلولة فقد يقبلها الموثق بناء على ما سبر من أحاديث الرجل أو أحاديث الراوي. عبد الرحمن المعلمي، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ج1(ط:2؛ المكتب الإسلامي1406 هـ /1986 م)،ص256و257 بتصرف.

2 – علي بن محمد البزدوي، أصول البزدوي – كنز الوصول الى معرفة الأصول.(لا.ط؛ كراتشي:مطبعة جاويد بريس.د.ت)،ص373.

إليه إبهاماً أو إجمالاً، بل تتضافر معه فالقرآن يأمر وينهى ويحكم ويُنشئ ويكشف، و**السنَّة تشكل منهج العمل بآيات الكتاب ومنهج الإتباع**، ومنهج التأسي برسول- الله صلى الله عليه وسلم- في ذلك الإتباع والتطبيق فتُشرق الأرض – آنذاك- بنور ربها وتعلو كلمة الكتاب وهدى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من جديد[1].فإنَّ كل التشريعات التفصيلية في سنة الرسول- صلى الله عليه وسلم- لها أصول في القرآن الكريم لا تخرج عنه ولا تتجاوزه، وأظن أنَّ هذا الكلام لا يخالف فيه أحد رأي العلواني، فبان بذلك أصل الخلاف بينه وبينهم فهو لغوي فقط أما المعنى فهم فيه متفقون جميعاً.

الفرع الثاني: السياق التاريخي لتدوين السنَّة

أولاً: ضرورة مراعاة السياق التاريخي:

يرى العلواني أنَّ **فهم السياق التاريخي** الذي جرت فيه عملية تدوين الأحاديث عملية ضرورية وهامة في تحديد موقفنا من هذه الأحاديث حتى ننسجم مع واقع الأحداث المستجدة، بحيث يمكن أن[2]:

- يُعيننا ذلك على **فهم كثير من العلل البنيوية** التي يعاني منها **تراثنا الروائي**، وانعكاس ذلك على صياغة **عقلية المسلم**.
- وكمثال حي على ذلك نلحظ **ما أحدثته حالة الألفة** و**العادة التي**، عاشها **العرب مع الرسول**-صلى الله عليه وسلم-من انعكاس على نفسيتهم كثيراً، حيث جعلت رجلاً مثل **عمر بن الخطاب**-رضي الله عنه-يَضْطَرِب **عند وفاة الرسول** صلى الله عليه وسلم.

فالسياق التاريخي المهمل في حسابات بعض المشاريع الدعوية هو عامل إخفاق هذه المشاريع التي تخاطب الإنسان في حالة زمنية ساكنة، مخالفة بذلك كل سنن الكون وسيرورة الوجود، ولزيادة إثبات المعنى المراد من حساب فاعل الزمن في التأثير على مستوى الفعل الدعوي

1- طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص218.

2 - انظر:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)، ص219بتصرف.

وفاعليته نعود لحادثة وفاة النبي-صلى الله عليه وسلم-إذ انقسم الصحابة إلى طوائف ثلاث من شدَّة حبهم للرسول الكريم وإنكارهم لوفاته[1]:

- **الطائفة الأولى:(وهم السياسيون):**

حاولوا أن **يعبِّروا عن حبهم للرسول** عن طريق تشبثهم، **بأن تقوم الخلافة على منهاج النبوة**، ولعل خير مثال على ذلك **حروب الرِّدة، على عهد أبي بكر الصديق**، وقد بلغت عند بعضهم شدَّتها في ضرورة **حصر السلطة في آل بيته**، ليكون حضور الرسول-حب الصحابة للرسول الكريم وإنكارهم لوفاته -في حياة الأمة أكثر تجسيداً.

ب-الطائفة الثانية:(الزهاد والمتصوفة):

حيث رأوا أن **تستمر النبوة في شكل ولاية**، فالولي خليفة النبي والولاية شكل آخر للنبوة، و**تحلُّ الكرامة محلَّ المعجزة**، وهؤلاء الزهاد كانوا يلقبون في القرنين الأول والثاني للهجرة بالقراء، وقد أَوَجَدَت هذه الطائفة دون مبالغة حسب رأي العلواني وجعلت من التصوف سنة وطريقة موازية لما عرف بالسنة التشريعية.

ج-الطائفة الثالثة:(المتكلمون، الفقهاء، الأصوليون المحدثون)

وهؤلاء لا يقلون حرصاً على الطائفتين السابقين، وقد تحوَّلت السنَّة عندهم ولم تقف **عند إتباع القرآن وتصنيفاته واقعاً في حياة الناس**، بل إلى **نوع من التقنين الذاتي** الذي لا يُفْلِتُ صغيرة ولا كبيرة من حركات وسكنات الرسول-صلى الله عليه وسلم -وأقواله وأفعاله سواء أكانت بين خاصة أهله أو عامة الأمة، قانونا يطبق بكل حب ودقة وتقدير وسواء، فعلها بصفة النبوة أم بصفة البشرية.

وهنا نلاحظ:

- أنَّ **العلواني رَكَّزَ على الجانب الذي يحتاج للمراجعة**، والأكيد في نظره أنَّ هؤلاء كان لهم **الفضل الكبير في بناء الفكر الإسلامي** عبر هذه الأجيال في بيان صحة السنَّة من عدمها، ووضع القواعد والأصول والفقه والكلام وأصول الفقه وغيره من العلوم الشرعية.

---

1 - راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص220إلى222.

- ما قصده **بصفة البشرية**؛ أنَّ ما صدر عنه **بصفته بشراً** يُمكن أن **يكون تشريعياً** وخاصة إذا **قَوَّمَهُ الله** و**نقده** و**صحَّحه** فيصبح تشريعاً و**ترتفع عنه صفة البشرية** ليوصف بالتشريعية.

ثانياً: تدوين السنَّة:

ينطلق العلواني في حديثه عن تدوين السنَّة من ملاحظة أمرين لهما تأثير بالغ في مسألة تدوين السنَّة، مع وجوب مراعتهما أثناء التدوين وهما[1]:

أ–تدوين السنَّة وأثر الثقافة اليهودية واليونانية فيه:

يرى العلواني أنَّ التراث الإسلامي، تأثَّر بالتراث اليهودي مثل فكرة الجبر مثلاً وبعض القصص اليهودية وما نُقل عن كعب الأحبار، كما كان للفلسفة اليونانية تأثيرها الذي، لا يمكن إنكاره على العلوم الإسلامية مثل التأثر بالمنطق الأرسطي.

ب–نظرة في الأحاديث التي تفيد كراهية كتابة الأحاديث وإباحتها:

يعرض العلواني لجملة من الأحاديث والآثار المانعة من كتابة الأحاديث، أو المحذِّرة من الإكثار فيها أو التي تدعو للكتابة ولكن باليقين وكذلك لكراهية الصحابة والتابعين الكتابة والإكثار منها، وكذلك ومن هذه الآثار ما جاء عن الضحاك أنَّه قال: «لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف»[2]

ينتهي العلواني بعد ذكر الأحاديث والآثار التي تمنع تدوين السنَّة[3]:

- كل هذه **المرويات العديدة** من هؤلاء الصحابة الكرام **تدلُّ** على وعيهم بضرورة **الالتزام بالتكوين القرآني للشخصية المسلمة** ووضع هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في موضعه.
- الحذر من فتح أي سبيل يشغل الناس على كتاب الله.

---

1 – راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص222إلى249.

2 – الخطيب البغدادي. تقييد العلم، تحقيق: يوسف العش.(ط:2؛القاهرة:دار إحياء السنة النبوية،1974)،ص47.

3 – راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص242و243.

- المعلوم أنَّ **ما يستقرُّ** في الذهن والنفس **أولاً**، و**يتحول** إلى **سلوك** يصبح كل ما يأتي للإنسان **بعده تالياً له محكوماً** به يُقاس إليه، و**يُقبل منه** و**يردُّ** ويؤول بمقتضى ذلك الفهم الذي حصل من القرآن.
- **أفلا يسع الخلف ما وسع السلف؟** فيرجعون إلى كتاب الله جلَّ شأنه لأنَّ أسباب **الفرقة** و**الطائفية** تعود إلى **ضعف علاقة الناس بالقرآن الكريم**.

هذا الكلام **لا يُفْهَم منه النَّقْص من مكانة السنة**، ولم يقله العلواني وإنَّما أراد **أن تدور السنة في فلك القرآن**، وهل يخالف أحد من الناس هذه الدعوة؟ كما أنَّه لا يوجد من العلماء من السلف أومن الخلف، من يقول بأنَّ السنة الصحيحة تخالف مقاصد القرآن، العليا لأنَّ **أصليهما واحد الوحي الإلهي**، وتعالى الله علواً كبيراً على أن يَتَنَاقَضَ في وحيه.

والشيء الملفت للانتباه في النَّظر لمسألة الخلاف في تدوين السنَّة بين العلماء تقاسم ذات الهدف؛ وهو الحفاظ على الكتاب والسنة ومكانتهما كما يلي[1]:

- فقد أذن الرسول –صلى الله عليه وسلم –لنفر محدود من الصحابة بتدوين السنَّة للذين قد أُشْرِبُوا تعاليم القرآن الكريم ومقاصده.
- كما كان حرص الرسول –صلى الله عليه وسلم –على تدوين القرآن أولاً، حتى يكون القرآن نصاً لا ينبغي تعريضه لأي تغيير دَقَّ أو جَلَّ.
- وقد كان قصد من **ذهب للنهي عن الكتابة**، أن لا يكون هناك **أيُّ نص يكتب ليحفظ بألفاظه ومعانيه إلا القرآن الكريم** ليكون مرجعية للسنة.
- أما القائلون بالجواز إنَّما صرفوا الأمر إلى تلك الاستثناءات والحوادث النَّادرة التي أذن الرسول –صلى الله عليه وسلم–بها لبعضهم لحاجتهم الماسة.
- أما الذين قالوا بأنَّ السنَّة هي المصدر الثاني للتشريع، فقد أرادوا دفع هذا الاعتراض المقدَّر وهو؛ كيف يجعلون إلى جانب كتاب الله–عز وجل–نصاً متساوياً له. في الحُجِية ومستقلاً عنه؟

1 – انظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص249و248بتصرف.

فدافع الجميع دون استثناء الحرص على سلامة المصدريين من أن يختلط أحدهما بالآخر، وأن يبقى التمايز بين كلام الله-عز وجل-وبين كلام الرسول-صلى الله عليه وسلم-مع الاتفاق على العمل بكليهما والاعتصام بهما.

ثالثا: نشأة الرِّواية وتطورها:

أ-نشأة الرِّواية:

دعت الضرورة لجمع السُّنن والآثار بعد نهاية فترة الخلافة الراشدة، وقد بدأ العمل **بذلك الخليفة عبد العزيز** والد عمر عندما كان والياً سنة(83هـ)، ولما ولي عمر الخلافة سعى في ذلك سعياً حثيثا[1].

لكن هذه المشروعات لم يَطُلْ عمرها لإكمالها، لتتحوَّل إلى وسيلة اختلاف من جديد، حتى سمعنا من يقول: "**بأنَّ السنة قاضية على الكتاب**"[2] ويقول الأوزاعي: "**الكتاب أحوج إلى** السنة من السنة إلى الكتاب[3]" وغيرها من الأقوال، التي صَرَّحَ **في حقِّها أحمد بن حنبل** بأنَّه:" ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكنِّي أقول إنَّ السُّنة تفسِّر الكتاب وتبيِّنه[4]".

يقول العلواني عن تلك العقلية التي نشأت في تلك الفترة ويُحسن وصفها: "إن تلك العقلية الجُزئية التي تكوَّنت تحت ضغوط الفتن الداخلية والخارجية[5]".

ب-تطور الرِّواية:

ظهرت الرِّواية عند **جيل التلقي** وخاصة في **أوساط سكان غير المدينة** والغزاة والمسافرين، أما **جيل الرِّواية** وبعد وفاة الرسول-صلى الله عليه وسلم-فقد **تَدَاخَلَ مع جيل الفقه** ولكنَّه تَدَاخُلٌ لم **يمنع تمايز الفقه عن الحديث**[6].

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص251 و252بتصرف.

2 – وإن كان المراد بقول السُّنة قاضية على الكتاب بمعنى تُبيِّنُ المراد منه. ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري،ج2(مرجع سابق)،ص1193.

3 – ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري.ج2(المرجع نفسه)،ص1194.

4 – ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري.ج2(المرجع نفسه)،ص1194.

5 – طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص254.

6 – راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)،ص254 و255.

وهنا ينقل العلواني كلاماً للكنوي وأمين الخولي

قال اللَّكنوي حول نشأة الرواية وظروف نشأتها وتطور الرواية: "فمن **المُحدثين** من ليس له حظ إلاَّ **رواية الأحاديث** ونقلها من **دون التَّفقه** و الوصول إلى سرِّها، ومن **الفقهاء** من ليس له **حظ إلاَّ ضبط المسائل الفقهية** من **دون المهارة في الروايات الحديثيّة**[1]".و**قال الأمين الخولي** حول هذه النشأة [2]:

- وقد **نشأت الرواية الحديثية** نشأة **تطورية**، إذ لم يشعر القوم بالحاجة إلى شيء من الإسناد وسلسلته، حينما كانوا **يتلقون عن الرسول– صلى الله عليه وسلم– مباشرة**...ثُمَّ هم يجدون أمامهم، في كل مناسبة ذلك المرجع الرسمي، مَعِيناً فياضاً يستقون منه؛ وهم مع هذا وذاك **جماعة محدودة مُتعارفة**، في بيئة غير فسيحة لا يكثر أن ينتقل فيهم قريب لبعيد، ولا حاضر لغائب.
- فأما حين **اتَّسعت الرقعة**...فقد **اضطروا أن يسألوا العارفين**، عما قد **سمعوه من الرسول–صلى الله عليه وسلم–**فيجيب أولئك الواعون لمسموع **تفرَّدوا به دون سواهم** بفضل **الملازمة القوية** أو مواتاة الظروف...ومع هذا الحال لا تتَّضح الحاجة، ولا يقوى الشعور بالضرورة القاضية بالعزو والإسناد... وجائز أن يستمرَّ ذلك جيلاً أو جلين، دون الشعور بضرورة قوية للإسناد المبَيِّن لمصدر تلقي ما يذكر من علم.
- ثُمَّ تَتَغير الظروف **بمتغيرات اجتماعية مختلفة**...فتقوى الحاجة إلى الإسناد فيكون إذ ذلك ضرورة مقدّرة بقدرها.

وقد لخَّص **العلواني** بعد ذكر كلام **أمين الخولي**، أنَّ معارفنا الإسلامية قد مرَّت بأطوار ثلاث[3]:

- **الطور الأول**: الثقافة الشفوية.

---

1 – أبو الحسنات اللكنوي، الأجوبة الفاضلة الأسئلة العشرة الكاملة، تعليق عبد الفتاح أبوغدَّة.(ط:1؛حلب– باب الحديد: مكتبة النهضة،1383هـ/1964م)،ص31.

2 – انظر: أمين الخولي، مالك بن أنس.(لا.ط؛ لا.م: دار الكتب الحديثية، د.ت)، ص559و560بتصرف.

3 – راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص258و259.

- **الطور الثاني**: طور الجمع والتدوين من عام 83هـ على يد عبد العزيز وابنه عمر واستمرَّ قُرابة مائة عام.
- **الطور الثالث**: طور الفرز والتَّمايز، وظُهور ما يُعرف بمبادئ العلوم.

المطلب الثالث: خلاصة رأي العلواني في جمع وحجية السنَّة.

الفرع الأول–فهم قطعية جمع عمر عبد العزيز للسنَّة في سياقها التاريخي:

عَبَّرَ **أبو زُرعة الدمشقي** عن مُراد **عمر بن عبد العزيز** من عملية الجمع والتدوين قائلاً: "أراد **عمر بن عبد العزيز** أن يجعل أحكام الناس والاجتهاد حكماً واحداً، ثم قال: إنَّه قد كان في كل مِصْرٍ من أمصار المسلمين وجند من أجناده ناس من أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وكان **فيهم قضاة قُضوا بأقضية أجازها أصحاب رسول الله**–صلى الله عليه وسلم–ورضوا بها وأمضاها أهل المِصْرِ كالصلح بينهم، فهم على ما كانوا عليه من ذلك[1]".

ويعلق العلواني بعد ذلك قائلاً[2]:

- أنَّ هذا النص يدلُّ على أنَّ **عمر بن عبد العزيز** يشير بوضوح إلى **مفهوم السنَّة العملي**، الذي يظهر في عمليات التطبيق من قِبَلِ الصحابة.
- وأنَّ الموطأ كتاب **أقرب في فقه السنَّة**، فهو يحاول أن يُجيب عن أسئلة فقهية بسُنن تصلح أن تكون فقهاً.
- ومن الواضح إذن أنَّ **الإمامين مالكاً** و**البخاري**، كان لكل منهما **شخصيته الفقهية القوية**... وقد اختار كل منهما من الأحاديث والآثار والأقوال... بعد اجتيازهما شروط الرواية والتَّحمل، بعكس كثير من المحدِّثين الذين هَمُّهُم الأول **الجمع** و**التسجيل**، سواء أحاديث الرسول–صلى الله عليه وسلم–أو لآراء أصحابه.

فيُظهر نموذج **الموطأ أفضل ما كان يريده عمر بن عبد العزيز**، في جمع السنَّة ولذا خصَّه العلواني كما قارنه بصحيح البخاري.

---

1 – أبو زرعة عبد الرحمن، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني.(لا.ط؛ دمشق: مجمع اللغة العربية،د.ت)،ص202.

2 – راجع: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنة النبوية.(مرجع سابق)،ص260إلى276.

الفرع الثاني: علوم الحديث رواية ودراية

إنَّ الفقهاء وضعوا **شروطاً** تتعلَّق **بالإسناد** و**المتن** في تعاملهم مع السنَّة، في حين لا نجد شرطاً من هذه الشروط **وقع في التعامل مع القرآن الكريم** لذا فهو أصل، في حين سلك **علماء الحديث** مسلكاً وسطاً بين **علماء الأصليين: أصول الدين** و**أصول الفقه** فأسَّسوا **علمي الرواية** و**الدراية**[1]. وسأكتفي بالتمثيل لهذا الأمر بعلم **الجرح والتعديل** فقط.

أولاً: تاريخ نشأة علم الجرح والتعديل

قال العلواني: "مع أنَّ الكلام في الرِّجال **تأخَّر لأكثر** من 160[2]سنة... أول من تكلَّم في الرِّجال **شعبة بن الحجاج**... وشعبة توفي سنة 160هـ...ثمَّ إنَّ **التَّفتيش عن الرِّجال** اختلف نوعيّاً من ناقد لآخر فقد سأل **يعقوبُ ابن معين**: تعرف أحداً من التَّابعين كان ينتقي الرِّجال كما كان **ابن سيرين ينتقيهم؟** فقال برأسه: لا[3]". وهنا يُقرِّر **العلواني** أنَّ النَّقد مُتأخر إلى سنة 160هـ، وهي سنة وفاة شعبة، إلا أنَّنا نجد **أقولاً مخالفة للعلواني** فيما ذهب إليه من تحديد تاريخ **نشأة هذا العلم**.

ولتبيِّين واقعية هذا القول من غيرها **نسرد** بعض هذه **الأقوال المخالفة**، قال **ابن الصَّلاح**: "فالكلام فيه **جرحاً وتعديلاً مُتقدِّم ثابت عن رسول الله** -صلى الله عليه وسلم-ثُمَّ عن **كثير من الصَّحابة** و**التَّابعين** من بعدهم[4]"، ففي حديث **حفصة**- رضي الله عنها- أنَّها لما قصَّت رؤيا أخيها **عبد الله** على النَّبي-صلى الله عليه وسلم-قال: «نعم الرَّجل عبد الله لو كان يصلي من اللَّيل»[5]، فكلمة نعم الرَّجل تزكية، و**التزكيَّة تعديل**، أمَّا في **عصر الصَّحابة** -رضي الله عنهم-كانت حالتهم وما هم عليه **من الدِّين** و**الورع** و**كمال الخوف** من الله- تعالى- **ممَّا** يجعلهم أبعد النَّاس عن الكذب، لكن رغم ذلك فقد **آثر كبار الصَّحابة كمال التَّثبت**

---

1 - انظر:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص305 بتصرف.

2 - يقصد العلواني بهذا التاريخ بظهور العلم بقواعده ومنهجه ، أما العمل به فهو موجود قبل هذا التاريخ والله أعلم.

3 - انظر:طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)، ص348بتصرف.

4- ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر.(لا.ط؛ بيروت: دار الفكر-سوريا، دار الفكر المعاصر، 1406هـ /1986م)، ص 389.

5- صحيح البخاري، كتاب التَّهجد، باب فضل قيام الليل،ج2، ص49، رقم: 1121.

والتَّحري في نقل آثار النّبي-صلى الله عليه وسلم- وأول من احتاط في **قبول الأخبار** هو **أبو بكر الصِّديق**-رضي الله عنه-[1]، وسار على نهجه أغلب الخلفاء **الرَّاشدين**- رضي الله عنهم أجمعين- وتكلَّم **ابن عباس** و**أنس بن مالك** و**عبادة بن الصّامت** -رضي الله عنهم- في **الرُّواة توثيقاً** و**تكذيباً**[2].وها هو الإمام **ابن حبان يقول**: "ثمَّ أخذ مسلكهم، واستن بسنتهم، واهتدى بهديهم فيما **استنوا من التَّيقظ من الرَّوايات**، جماعة من أهل المدينة من السادات التَّابعين، منهم: **سعيد بن المُسيِّب**، و**القاسم بن محمَّد بن أبي بكر**، و**سالم بن عبد الله بن عمر** ... وانتقاء الرِّجال، ورحل في جمع السُّنن جماعة بعدهم، منهم **الزُّهري**، و**يحي بن سعيد الأنصاري** و**هشام بن عروة** إلا أنَّ **أكثرهم تيقظاً**، وأوسعهم حفظاً، وأدومهم رحلة، وأعلاهم همَّة: **الزُّهري**[3]" وقد **دلَّ هذا الكلام** على أنَّ هؤلاء السَّادة من **التَّابعين** هم **تلاميذ الصَّحابة** في مختلف العلوم ومنها **الجرح** و**التَّعديل** وهذا دليل على **تقدُّم الجرح** و**التعديل**. ولعلَّ ما جعل **العلواني يُؤخر نشأة علم الجرح** و**التعديل** من كون هذا الأخير **علماً قائماً بذاته مستقلاً**، ولو على أقل تقدير في أذهان العلماء، واعتباره للأدلة السابقة الذكر الدالة على وجود الجرح والتعديل، من لدن عهد الصحابة، **كمُؤشرات فقط** أو **إرهاصات لبداية النشأة** والظهور الفعلي، فيبقى **الاختلاف** بين **العلواني** و**غيره** ينحصر في **شكله الصوري** لا **جوهره** ومعناه الحقيقي.

ثانياً: علم الجرح والتَّعديل بين التَّقعيد المنهجي والاجتهاد الذَّاتي

جعله العلواني عنواناً وجاء بعدّة فقرات سنحاول نقل أهمَّها ومُناقشتها في ضوء علوم الحديث، فقال: "من الملاحظ أنَّ **النُّقاد الكبار** كثيراً ما **يقع منهم اختلاف الحكم**-بل حكم الواحد منهم-في الرَّاوي الواحد، **فيلجأ المتأخرون إلى حمل جملة كبيرة من مصطلحاتهم**

1- الذَّهبي، تذكرة الحفاظ.ج1(ط:1؛ بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، 1419هـ/ 1998م)، ص9.

2- مصطفى السِّباعي، السنَّة ومكانتها في التَّشريع الإسلامي.(ط:3؛ دمشق - سوريا، بيروت – لبنان: المكتب الإسلامي،1402هـ/1982م)، ص110.

3- انظر: ابن حبان، المجروحين من المحدثين. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.ج1(ط:1؛ الرياض - المملكة العربية السعودية: دار الصميعي للنشر والتوزيع، 1420 هـ /2000 م)،ص40بتصرف.

على غير معانيها المشهورة عندهم، المقرَّرة بينهم من أجل نفي الاختلاف بين معنى كلمات النُّقاد[1]".

في هذه الفقرة عدَّة أفكار منها:

- **أولها:** وصف **الاختلاف** الواقع في **الحكم على الرَّاوي** كثيراً بين النُّقاد أو النَّاقد نفسه، وأنَّ **المُتأخرين يحمِّلون الكلام ما لا يُحتمل لنفي الاختلاف.**
- **وثانيها:** أنَّ العلواني ضرب أمثلة، والذي أعلمه أنَّ المتأخرين يذكرون الظُّروف أو تغيير الأحكام وأغلب عمل المتأخرين الجمع الممكن وفيه يتمُّ ذكر المناسبات أو الإطلاق والتَّخصيص وغيرها أمَّا حمَّل الكلام بعضه على بعض في مرات يكون تعسفاً. وسأذكر بعض الأسس التي **سطَّرها المُتأخرون للجمع أو التَّرجيح** في كلام النَّاقد الواحد في نفس الرَّاوي، بعد التَّثبت من صدور الكلام عن نفس الإمام في راو واحد، علينا أن نأخذ بتطبيق بعض القواعد التي ذكرها المحدُّثون، **قال السَّخاوي:** "إذا كان من قائل واحد، كما **يتَّفق لابن معين** وغيره من أئمَّة النَّقد، فهذا **قد لا يكون تناقضاً** بل نسبياً في أحدهما، أو ناشئاً عن تغير اجتهاد، و**حينئذ لا ينضبط بأمر كلِّي**، وإن قال بعض المتأخرين إنَّ الظَّاهر أنَّ المعمول به المتأخر منهما إن عُلِمَ، وإلا وجب التَّوقف[2]"، **ويُفهم من كلام السَّخاوي ما يلي:**
- أنَّ الجمع بين القولين لابد أن نبذل وسعاً كبيراً لتحقيقه.
- فنقبل فيه التَّجوز والتَّأويل أكثر من غيره[3].
- أو نأخذ بآخر الأقوال كما نفعل في النَّسخ إن علمنا القول المتأخر منهما، فلعلَّ المزكي تغير اجتهاده فقال حكماً جديداً.

---

1 – طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص345.

2– السَّخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، تحقيق: علي حسين علي. ج2(ط:1؛ مصر: مكتبة السنَّة،1424هـ/ 2003م)، ص36.

3– انظر: حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني خلاصة التَّأصيل لعلم الجرح والتَّعديل.(ط:1؛مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،1421هـ)، ص 34بتصرف.

- أو نرجّح بين القولين إذا لم نتمكَّن من الجمع أو معرفة المتأخّر من القولين ونستعين **بمجموعة من القرائن:**
  - ككثرة النَّاقلين لأحد القولين عن ذلك الإمام المزكي.
  - ترجيح ما نقله أوثق تلاميذ ذلك الإمام عنه وأعرفهم به وبأقواله وأحكامه.
  - ترجيح ما نقله آخر تلاميذ ذلك الإمام أخذاً عنه.
  - ترجيح ما يُوافق من قوليه بقية الأئمَّة، خاصَّة إذا كانوا من أقرانه في العلم والطَّبقة.
  - فإن لم نتمكن من هذا كلِّه؛ نتوقف عن العمل بهما جميعا[1].

يلاحظ ممَّا سبق أنَّ **التَّرجيح** هو **الأكثر** وإذا استحال الأمر **توقَّفنا في قبول الحكم** أليس هذا علم **مُمنهج يراعي القواعد العقليَّة المُحتملة** ويستقصيها ثمَّ يحكم؟ لكن هناك حالات قد يعجز العالم على حلَّ عقدها. **ثمَّ قال:** "بل قد **يصل الأمر** إلى أن **يكون أحد حُكمي** النَّاقد غير **مُتأثر بغير حال الرَّاوي** في الرَّواية ويكون الحُكم الآخر متأثراً بحال السَّائل أو المجلس أو غير ذلك مثل **أن يكون السَّائل مشدَّداً في سُؤاله،** فيظهر أثر ذلك على جواب مَن سأله، قال **علي بن المَديني**. سألت **يحيى بن سعيد** عن **محمَّد بن عمرو بن علقمة،** فقال: تريد العفو أو تشدُّد؟ فقلت: لا، بل أشدد. فقال: ليس هو ممَّن تريد: كان يقول: أشياخنا أبو سلمة ويحيى بن عبد الرّحمن بن حاطب[2]"فتفسير هذه المقولة أنَّ **يحي بن سعيد** حَكَمَ على **ابن عمرو** بأنّه **ليس ممَّا يُعتمد عليه** بسبب **جمع الشّيوخ** وليس معنى ذلك أنَّ **يحي القطَّان** أجاب علي بن المدِيني تشدُّداً، ولو عفا لقال ثقة، بل أراد أنَّ **محمَّد بن عمرو** لا يصلح للحلال والحرام بل يصلح لما دونها كما قال عباس الدُّوري: "سمعت **أحمد بن حنبل** وذكر **محمَّد بن إسحاق** فقال: أمَّا في **المغازي** وأشباهه **فيُكتب** وأمَّا في **الحلال** و**الحرام** فيحتاج

1- انظر: حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني خلاصة التَّأصيل لعلم الجرح والتَّعديل.(مرجع سابق)، ص 35بتصرف.

2 - طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص346.

إلى **مثل هذا – ومدَّ يده وضم أصابعه**[1]"ثمّ ذكر كلام **الخطيب البغدادي** الذي هو حالات أعيان من تشدَّد بعض النُّقاد أو لمعالجة قضية خارجة عن الحديث بل **عدم الأخذ عنه تربيَّة** له وليس طعناً في مروياته وهي قد رويت من غير طريقه أو زيادة **تثَّبت في حاله من باب الاحتياط**. ثمَّ ذكر **كلام الباجي** في التَّنبيه على **سبب اختلاف الحكم من النَّاقد** من اختلاف السؤال لذلك النَّاقد، وختم بقول **حسان عبد المنان** الذي ذكر **اختلاف ثمرات سبر المرويات بين النُّقاد** لاختلاف **المقاييس**، وهذا الكلام الأخير ليس موجوداً بهذه الكيفيِّة بل الاختلاف قد يقع، **لكن في القليل من مرويات الرَّاوي مع توافق المقاييس** لكنَّ **قلَّة المعلومات** أو كثرتها هي الفيصل، وتظهر في **التَّفرد** أو **المتابعة** و**الموافقة** أو **المخالفة**.

وختم العلواني كلامه بملاحظات[2]:

فحواها أنَّ **الحُكُمَ على الرَّاوي** يفترض أن **يكون منضبطاً** لوضوح أحوال الرُّواة من البداية. والحقيقة التي **يجب أن يذكرها العلواني** أنَّ السُّؤال عن العدالة الدِّينيَّة **كان لا يُطرح لغلبة العدالة في مجتمع الصَّحابة** وجزء من **عصر التَّابعين**، أما الأحاديث والحُكُمُ عليها **فكان من أول عهد** كما **كانت السَّيدة عائشة تستدرك على الصَّحابة** و**تردُّ** و**تصحِّح**.[3]

ثالثا: خوارم المنهجيَّة في علم الجرح والتَّعديل.

ذكر **العلواني** هذا **العنوان** ليُبيِّن أنَّ **علم الجرح والتَّعديل** ليس **علماً** بل مخروما، وسنناقش النَّقاط التي ذكرها واحدة واحدة.

---

1 – ابن أبي حاتم، الجرح والتَّعديل.ج7(ط:1؛– بحيدر آباد الدكن – الهند دار إحياء، بيروت لبنان: مجلس دائرة المعارف العثمانية، دار إحياء التراث العربي، 1271 هـ /1952 م)،ص193.

2 – انظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص348بتصرف.

3 – انظر: الزَّركشي، الإجابة لما استدركت عائشة على الصَّحابة، تحقيق وتخريج: رفعت فوزي عبد المطلب.(ط:1؛ القاهرة –مصر: مكتبة الخانجي، 1421 هـ /2001 م)،ص4بتصرف.

- **التَّدليس والمدِّلسون:**

بدأ **بتعريفه لغة** فقال: "**هو المخادعة وإخفاء العيب**[1]"ولما ترجع لمعاجم اللغة جد أنَّ **أصل التَّعريف هو السَّتر** وليس المخادعة المقصودة لكنَّ العلواني اقتصر على واحد منها فقط، قال **ابن فارس:**" **الدَّال واللَّام والسِّين** أصل يدلُّ على **ستر** وظلمة... ومنه **التَّدليس في البيع**، وهو أن يبيعه من غير إبانة عن عيبه، **فكأنَّه خادعه** وأتاه به في ظلام[2]".

والتَّدليس في الحديث مجاز، أمَّا **الاصطلاح فعرَّفه العلواني** بقوله: "هو أن **يقوم الرّاوي بستر عيب بروايته فينخدع السَّامع**، وهو كما يبدو نوع من الكذب الماكر[3]".

- **انتشار التّدليس وعسر الكشف عنه:**

قال العلواني: "وبرغم **انتشار التَّدليس بصورة مُخيفة بين الرُّواة عامَّة**[4]"ثمّ **راح يلوم المُحدِّثين على تقليل عدد المدلِّسين في كتب التَّراجم** وأنكر أن يكون العدد الذي أخبروا به عدداً حقيقيّاً و**استدل بأحداث أعيان وعمَّمها**، ثمَّ قال إنَّ **التَّدليس عسير الكشف** عنه[5] فالمحدِّثون يهتمون بالمرويات بعد ثبوت عدالة الرَّاوي، **فالمدلِّس يخرجون له ما انتفى فيه تدليسه ويتركون ما دلَّسه**، فعلْمُ الحديث **قاعدته العامَّة** لكلِّ **حديث نقده الخاصَّ**، فالذين نقل عنهم أنَّ المدلِّسين كُثر كيف جاز لهم التَّحمُّل عن المدلِّسين **كشعبة مثلاً فقد روى عن الكوفيين المدلِّسين**[6] وأمَّا **الكشف عن التَّدليس**

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص 349بتصرف.

2 – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.ج2(لا.ط: دمشق–سوريا: دار الفكر،1399هـ / 1979م)، ص296.

3 – انظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص349بتصرف.

4 – طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)، ص349.

5 – انظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)، ص349و350بتصرف.

6 – المزي، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد.ج12(ط:1؛بيروت:مؤسسة الرسالة ، 1400هـ/ 1980م)، ص480إلى486.

لكلِّ حديث فأمر سهل عند المحدِّثين الكبار فقد **قال الحاكم**: "إلَّا أنَّ **المتبحِّر** في هذا العلم **يُميِّز** بين ما **سمعوه**، وما **دلَّسوه**[1]"،وكُتب الجرح والتَّعديل والعلل تبيِّن سهولة اكتشاف أمر التَّدليس عند المحدثين وأنَّهم لا يغترون بأنَّ فلاناً ابن فلان، **قال عبد الرَّحمن بن مهديٍّ**: "كان عند مخرمة كتب لأبيه لم يسمعها منه[2]". ويبقى مع ذلك الحذر الشَّديد منه.

- **الكذب**:

ذكر العلواني قول شعبة: "ما أعلم أحدا فتّش الحديث كتفتيشي، وقفت على أنّ ثلاثة أرباعه كذب[3]" **يُريد العلواني من إيراد هذا القول**:

- أنَّ ثلاثة أرباع السنَّة مكذوبة.
- أنَّ الكذب كثير جد.
- الكذب من عهد النَّبي وأصحابه وأحتجَّ بأمور منها: قول **عثمان بن عفان**-رضي الله عنه-: «إنَّ ناساً **يتحدَّثون عن رسول اللهِ**-صلى الله عليه وسلم-أحاديث **لا أدري ما هي؟**»[4] وبقول **معاوية**-رضي الله عنه-: أمَّا بعد، فإنَّه **بلغني أنَّ رجالاً منكم يتحدَّثون أحاديث ليست في كتاب الله**، ولا تُؤْثر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-فأولئك جهَّالكم، فإيَّاكم والأمانيَّ الَّتي تُضلُّ أهلها، فإنِّي سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-يقول: «إنَّ هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد، إلَّا كبَّه الله على

---

1 - الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تحقيق: السيد معظم حسين.(ط:2؛بيروت:دار الكتب العلمية، 1397هـ / 1977م)،ص 164.

2 - الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تحقيق : السيد معظم حسين.(المرجع نفسه)،ص 110.

3 - الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشَّيخ شعيب الأرناؤوط.ج7(ط:3؛لا.م: مؤسسة الرِّسالة، 1405 هـ / 1985 م)، ص226.

4 - مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي.ج1(لا.ط؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي،د.ت)،كتاب الطَّهارة، باب فضل الوضوء والصَّلاة عقبه،ص207.

وجهه، ما أقاموا الدِّين[1]» وحديث **أنس** -رضي الله عنه-لما سأله عاصم: «إنَّ **فلاناً يزعم أنَّك قلت بعد الرُّكوع!** فقال: **كذب**[2]» وبقول **ابن عبد البر**: "فهذا **محمود بن لبيد** يحكي عن جماعة أنَّهم حدَّثوه عن **عبد الله بن جعفر** بما أنكره **ابن جعفر** ولم يعرفه بل عرف ضدَّه وهذا في زمن فيه الصَّحابة فما ظنَّك بزمن بعدهم[3]"

- **قول شعبة: وفيه عدَّة احتمالات:**
  - خرج مخرج المبالغة كعادته فهو يقصد أنِّي فتشت ولم أكن أظن أنَّ الكذب لهذه الدَّرجة.
  - مقصوده أنَّ الطُّرق هي المكذوبة وليست المتون، بل هي ثابتة بطرق أخرى.
  - فيه أنَّ النُّقاد يفتشون ويدققون وأنَّهم نظفوا السنَّة من الكذب، فلو أشار العلواني إلى أنَّ شعبة نظَّف السنَّة كغيره من النُّقاد، وكشفوا زيف الكذَّابين، لكنَّه حمل الخبر على السَّلب فقط.
- **أنَّ الكذب كثير:**

هذه تحتاج إحصاء وليس تعميم أقوال، والذي نعرفه من عمل المحدِّثين أنَّهم أحصوا الكذَّابين، وأسقطوا عدالتهم بالمرة ولم يتشاغلوا برواياتهم. قال **الإمام مسلم**:" فأمَّا ما كان منها عن قوم هم عند **أهل الحديث مُتَّهمون**، أو عند الأكثر منهم، فلسنا **نتشاغل بتخريج حديثهم**...وعبد القدُّوس الشَّاميِّ، ومحمَّد بن سعيد المصلوب،

---

1 – محمَّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر.ج4(ط:1؛ لا.م: دار طوق النجاة –مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمَّد فؤاد عبد الباقي–، 1422هـ)، كتاب المناقب، باب مناقب قريش، ص179.

2 – محمَّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر.ج4(المرجع نفسه)، كتاب الجزية، باب دعاء الإمام على من نكث العهد، ص100.

3 – بن عبد البر، التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. ج1(لا.ط؛ المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ،1387 هـ)، ص54.

وأشباههم ممَّن اتُّهم بوضع الأحاديث، وتوليد الأخبار وكذلك، **من الغالب على حديثه المنكر**، أو الغلط **أمسكنا أيضاً عن حديثهم**[1]" وهذا عمل المحدِّثين أنَّهم لا يتشاغلون برواية الكذَّابين إلا على سبيل التَّبيين وما أجمل ما قاله **القاضي عياض**:" **اعلم أنَّ الكذَّابين على ضربين**: ضرب **عُرفوا بذلك في حديث النَّبي** –صلى الله عليه وسلم– وهم **على أنواع**: منهم من يضع عليه **ما لم يقله** أصلاً؛ ... كالزنادقة، أو حسبة ... كجهلة المتعبدة ... أو **إغراباً وسمعة**، كفسقة المحدِّثين، أو **تعصباً واحتجاجاً** كدعاة المبتدعة ومتعصبي المذاهب، أو **اتباعاً لهوى** أهل الدُّنيا فيما أرادوه، ... وقد **تعيَّن جماعة في كلِّ طبقة** من هذه الطَّبقات عند أهل الصَّنعة وعلم الرِّجال. ومنهم **من لا يضع متن الحديث**، ولكن ربما **وضع للمتن الضَّعيف إسناداً صحيحاً مشهوراً**. ومنهم **من يقلب الأسانيد** أو **يزيد فيها** ويتعمَّد ذلك...ومنهم من **يكذب فيدعي سماع ما لم يسمع ولقاء مَن لم يلق**...ومنهم من **يعمد إلى كلام الصَّحابة** أو **غيرهم** و**حِكَمِ العرب** و**الحكماء** فينسبها للنّبي –صلى الله عليه وسلم–فهؤلاء **كلُّهم كذَّابون** متركوا الحديث...والصِّنف الآخر من **لا يستجيز شيئاً من هذا كلِّه** في **الحديث ولكن يكذب في حديث النَّاس**، قد عُرف بذلك. فهذا أيضاً لا **يقبل حديثه ولا شهادته**..."[2]

هذا التَّفصيل لما يطلقه المحدِّثون على أنَّ فلاناً كذَّاب أوسع ممَّا ذكره العلواني، وهذا الكلام جاء نتيجة البحث والتَّفتيش والاستقراء لجميع الحالات ومن وقع في واحدة منهم سقط حديثه، **فهذا تفسير ما نقله العلواني من انتشار ظاهرة الكذب**، وتعجبنا مقولة **ابن المبارك** لما قيل له: "هذه الأحاديث الموضوعة! قال: يعيش لها الجهابذة[3]". والمؤلفات في الأحاديث المعلولة والموضوعة وكتب التَّراجم خير دليل على ذلك.

- **أنَّ الكذب كان من عهد النَّبي –صلى الله عليه وسلم–والأصحاب:**

1 – مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي. ج1(مرجع سابق)، ص6.

2 – النَّووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج1(ط:2؛بيروت:دار إحياء التراث العربي،1392هـ)،ص126.

3 – السَّخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث. ج1(مرجع سابق)،ص319.

أمَّا **حديث عثمان** –رضي الله عنه–فهو في باب الطَّهارة **يردُّ بها** على الذين يروون أحاديث **تمنع مغفرة الذُّنوب** أو ما شابه، و**لم يكذِّبها عثمان** –رضي الله عنه–بل **لعلَّه لم يسمعها** ولم **يجمع بينها وبين الأحاديث التَّي سمعها من رسول الله** –صلى الله عليه وسلم–كحديث **الوضوء**، فيبدو أنَّه **لا علاقة لها بالكذب**. وأمَّا **حديث معاوية** –رضي الله عنه–فهو في **حكم شرعي بخصوص الإمامة من قريش** أم لا والذي يتبيَّن أنَّه **لا يقصد أحاديث النَّبي** –صلى الله عليه وسلم–لأنَّه قال: يتحدَّثون أحاديث **ليست في كتاب الله**، و**لا تُؤْثر عن رسول الله** –صلى الله عليه وسلم–أي ليس لهم حجَّة لا من كتاب ولا سنَّة وليس أنَّهم يضعون الأحاديث.

أمَّا **حديث أنس**: لما سأله عاصم: «إنَّ فلاناً يزعم أنَّك قلت بعد الرُّكوع! فقال: كذب»[1]، **فمن العلماء من حمله على الخطأ** أي أخطأ[2] أمَّا حمله على الكذب المعروف فليس شرطاً،

قال الإمام المزري: فقال: "الكذب عند الأشعريَّة الإخبار عن الأمر على ما ليس هو به[3]"

أمَّا ما نقله **ابن عبد البر**:" فهذا **محمود بن لبيد** يحكي عن جماعة أنَّهم **حدَّثوه عن عبد الله بن جعفر** بما أنكره ابن جعفر ولم يعرفه بل عرف ضدّه وهذا في زمن فيه الصّحابة فما ظنَّك بزمن بعدهم[4]"، فهذا الكلام خاصَّ بالقُصَّاص الذين حذَّر منهم المحدِّثون وليس بكلِّ الرُّواة، قال شعبة: "اذهب فإنَّا لا نُحدِّث القُصَّاص قال: فقلت له: لم يا أبا بسطام ؟ قال: يأخذون الحديث منَّا شبرا فيجعلونه ذراعا[5]"

---

1 محمَّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري،كتاب الجزية، باب دعاء الإمام على من نكث العهد.ج4(مرجع سابق)ص100.

2 – ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، أخرج وتصحيح: محبُّ الدِّين الخطيب.ج2(لا.ط؛ بيروت: دار المعرفة ، 1379هـ)، ص490.

3 – المازري، المعلم بفوائد مسلم، تحقيق محمّد الشَّاذلي النَّيفر.ج1(ط:2؛ تونس: الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر،1988م)، ص273.

4 – بن عبد البر، التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.ج1(مرجع سابق)،ص54.

5 – الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع، تحقيق: محمود الطَّحان.ج2(لا،ط؛ الرِّياض:مكتبة المعارف،د.ت)، ص164.

– الإقليميَّة:

ذكر فيها العواني[1] **قول وكيع**:" لا نعدل بأهل **بلدنا أحداً**[2]"وقول **سفيان بن عيينة**:"مَن أراد الإسناد والحديث المعروف الَّذي **تسكن إليه القلوب** فعليه **بحديث أهل المدينة**[3]" وبقول **الزُّهري**: "ما رأيت قوماً أنقض لعرى الإسلام من أهل مكَّة[4]" وسئل **ابن مهدي**: "قالوا فالشَّام قال فنفض يده[5]"

– لو أتى العلواني بأثر الإقليميَّة في أنَّ العلماء يقبلون حديث بلدهم ويردُّون حديث البلدان الأخرى رغم صحته لقلنا أثر الإقليميَّة واضح لكنَّه أتى بكلام عام محمله واضح، ولولا ذلك لما رحل العلماء إلى كلِّ البلدان، فكلام **وكيع** و**ابن عيينة** و**ابن مهدي** هو **من باب تفضيل حديث أهل بلد على أخرى عموماً** لأنَّ **المدينة** مثلاً **لها خصائص**؛ ككثرة الصَّحابة والعمل المتوارث وغيرها من الخصائص التي تجعل منها المدرسة المقدَّمة على غيرها في الحديث وهكذا، أي أنّ **كلام العلماء جاء بوصف لواقع حديثي** وليس **تفضيلاً** من **باب الإقليميَّة**، وأمَّا كلام **الزُّهري** فقد ذكره **ابن عبد البر** ضمن **كلام الأقران بعضهم في بعض** وهم من نقص طبيعة البشر ولم يتأثر به العلماء قط لما علموا مخرجه، ومادام لا أثر له فلا قيمة علميَّة ترجى من ذكره. بل **المعروف عن المحدِّثين أنَّهم يذكرون الحُكم ولو كان في أقرب النَّاس إليهم**، مثاله: "**سُئل عليٌّ بن المدينيِّ عن أبيه** فقال: **اسألوا غيري** فقال سألناك **فأطرق** ثمَّ رفع رأسه وقال: **هذا هو الدِّين أبي ضعيف**[6]"

الفرع الثالث: خاتمة قول العلواني في حجية السنَّة

وفي الختام يطرح العلواني سؤالاً جوهرياً ومفصلياً؛ ألا هو: **هل الكم الهائل من المرويات يُمكن أن يُطلق عليه مفهوم السنَّة؟** بعد أن ميَّز وعزل فكرة حجية السنَّة ،والتي

---

1 – طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)، ص 354.

2 – الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع.ج2(مرجع سابق)، ص299.

3 – بن عبد البر، التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.ج1(مرجع سابق)،79.

4 – ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله.ج2.(مرجع سابق).ص 1098.

5 – بن عبد البر، التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.ج1(مرجع سابق)،81.

6 – ابن حبان، المجروحين.ج2.(مرجع سابق)،ص15.

تعني عنده طريقة النبي – صلى الله عليه وسلم– ومنهجه في تطبيق القرآن الكريم إذا تثبت عنه ثبوتا قطعياً لا شبهة فيه[1].

ويُقرر أنَّه رغم الجهود المبذولة في عملية الجمع، إلاَّ أنَّها في النهاية عملية بشرية احتمالية وظنية.

فهل يُمكن الالتزام في الدين بما شأنه الظن والاحتمال؟

وهذا الفهم أفرز عنده[2]:

- تضاعف الأحكام والتكاليف وأصبح هذا التراث المتناقل هو أبرز مكونات شخصية المسلم.
- وتحوُّل السنَّة من نقل للسيرة والحياة العملية للرسول–صلى الله عليه وسلم–إلى النقل الشفاهي للأقوال المجردة.
- وكأنَّه يريد القول بأنَّ الأمة تبني شخصيتها على هذه المرويات، بعد أن تتأكد من صحتها ومن ثم تلتزم بها دون العودة إلى القرآن الكريم.

ومن هنا ظهر للعلواني أنَّه يوجد خلط بين النص **القرآني** المتضمن غالباً **لمبادئ كلية** و**النص النبوي**. الصادر غالباً في **وقائع تفصيلية نسبية** مرتبطة بسياق زماني ومكاني.

وترتَّب على هذه النظرة أخطاء منهجية ومنها؛ أنَّ هذه الطريقة حسب رأي العلواني هي[3]:

- هيمنة الإسناد بمفرده لذا احترف بعض الوضَّاعين فبركة الأسانيد، وضرب لذلك مثلاً بسعيد الدمشقي يفعل إذ يقول:" لا بأس إن كان **كلاما حسنا** أن **تصنع له إسناداً**".
- كما **انحصر عمل الفقهاء** في **التثبت من صحة الحديث** و**صلاحيته للعمل به**، وإذا بدرت من أحد الفقهاء بادرة اعتراض أو تمرُّد، طُعِنَ في دينه مباشرة ومن ثَمَّ؛ انقسمت الأمة إلى طوائف وصار القرآن المجيد محيّداً.

كما يُقرِّر العلواني[4]: أنَّه لا **نزاع بين علماء الأمة**، في أنَّ صحَّة الاستدلال بحديث يُروى عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم – على عقيدة دينه أو حكم شرعي **تتوقَّف على أمرين**:

1– انظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(مرجع سابق)،ص276 بتصرف.

2 – انظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)،ص276و277 بتصرف.

3 – انظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)،ص277و280 بتصرف.

4 – انظر: طه جابر العلواني، إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية.(المرجع نفسه)،ص282و283 بتصرف.

- **أولهما:** ثبوت أنَّ ما يُروى من حيث صدوره عن النبي-صلى الله عليه وسلم -حجة أصلاً.
- **ثانيهما:** ثبوت أنَّ هذا الحديث قد صدر عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بطريق لا شبهة فيه.

وقد **اتَّفقت** جميع **الأجيال الأربعة** السابقة الذكر-**جيل التلقي** و**جيل الرواية** و**جيل الفقه** و**جيل التقليد** حسب تقسيم العلواني -على الأمر الأول واختلفوا في الأمر الثاني.

وبناء على هذا **الاختلاف في تحديد معنى الشبهة** ومُواصفاتها الحديِّة، التي تعود إلى الاجتهاد البشري النسبي لا **يُمكن مُحاكمة الأمة وإلزامها بهذا الأمر النسبي**، أو بناء أمر **قطعي** بالاعتماد على **النسبي**.

المبحث الرابع: التعامل مع التراث في فكر العلواني.

1- المطلب الأول: منطلقات منهجية لمعالم مراجعة التراث.

2- المطلب الثاني: المراجعة بين الواقع والمأمول.

3- المطلب الثالث: أمثلة عن مراجعات العلواني للتراث.

المبحث الرابع: التعامل مع التراث في فكر العلواني.

من أهم الإشكاليات التي تعرَّض لها العقل المسلم عبر مراحله الفكرية في التاريخ الإسلامي، ما تعلَّق بكيفية التعامل مع التراث وفي ظل عصور التقليد والجمود، أخذ التراث الإسلامي وبدون تنقيَّة ومراجعة يبسط هيمنته وسطوته في غير تبرير ولا إقناع، على المستويات الذهنية والفكرية والمرجعية للمشاريع الإسلامية، مما أنتج عقماً في المردود الحضاري للمشروع الإسلامي في الداخل والخارج، وقد حوَّر الأمة حوله إلى فرق وطوائف بين مُوغل فيه دون تمييِّز وبين مصادر له. وفي هذا المبحث سنعرض لموقف العلواني من التراث وكيفية تعامله معه.

المطلب الأول: منطلقات منهجية لمعالم مراجعة التراث.

الفرع الأول: مفهوم المراجعة.

في الحديث عن معنى التراث يبتعد العلواني عن تحديد المعنى المراد منه ليكتفي بذكر المحترزات من إيراد معنى التراث عليه، فإذا بانت المحترزات فما بقي يُمكن أن نُطلق عليه اسم التراث وهذه المحترزات هي:

أولاً: القرآن والسنَّة:

يستثني العلواني القرآن الكريم والسنَّة النبوية من مفهوم التراث، فلا يدخلان في معناه لقُدسيتهما وكونهما وحياً منزهاً عن الخطأ. وقد حدَّد **عبد المجيد النجار** ما يدخل في معنى التراث بدقة وأبعدهما عن معناه **حيث يقول**: "وقد اِنْكَبَّ المسلمون على مصدر دينهم، لفهمه عبر الزمن منذ الصحابة **ومن اجتهاداتهم المُتتالية** نشأت أفهام دوَّنوها في علومهم، و**تفاسيرهم** و**شروحهم**، **فقهاً** و**عقيدة** و**تفسيراً** و**أمثالها من العلوم**، وهي لئن كانت تشترك في الأسس الكلية للدين، إلا أنَّها تفترق في كثير من الفروع والتفاصيل، ومن **جملتها تتكون المدونة الكبرى التي أصبحت تسمى تراثاً**[1]".

ثانياً: إجماع المسلمين وخاصة إجماع الصحابة: كما يستثنى من معنى التراث إجماع المسلمين وخاصة إجماع الصحابة[2].فالذي أجمع عليه علماء الأمة وتواطأوا عليه يُصبح في حكم

---

1 – عبد المجيد النجار، فقه التَّدين فهماً وتنزيلاً، ج1(لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت)، ص34.

2– انظر:عبد المجيد النجار، فقه التَّدين فهماً وتنزيلاً،ج1(المرجع نفسه)، ص35بتصرف.

صريح الآية أو صحيح الحديث، غير أنَّ هناك مسألة هامة يجب ذكرها لها علاقة بمسألة التراث متعلقة بأنواع الإجماع، فأيُّ الأنواع يلحقها معنى التراث وأيُّها الذي يُستثنى منه وقد فصَّل **الكلام فيه عياض بن نامي بن عوض السلمي** كما يلي[1]:

يُقسَّم الإجماع باعتبارات متعددة أهمها:

أ-أقسامه من جهة تصريح المجتهدين بالحكم، وله من هذه الجهة ثلاثة أقسام:

1-**الإجماع الصريح**: وهو ما صرَّح فيه أهل الإجماع بالحكم، وهذا نادر الوجود بل لو قيل بانعدامه لكان أولى، لكن لا يخرج عن الإمكان ولا يقال بامتناعه.

2-**الإجماع السكوتي**:وهو أن يصرِّح بعض المجتهدين بالحكم ويشتهر قوله ويسكت الباقون عن إنكاره.

3-**الإجماع الضمني**: وهو المستنَتَج من اختلاف أهل العصر على قولين أو أكثر، فيدُّل ذلك على اتفاقهم على أنَّ ما خرج عن تلك الأقوال باطل.

ب-تقسيمه من حيث قوة دلالته وله بهذا الاعتبار قسمان:

1-**قطعي**:وهو ما تحقَّق فيه شرطان وهما: التصريح بالحكم من أهل الإجماع، ونقله إلينا بطريق قطعي.

2- **ظني**:وهو ما اختل فيه أحد هذين الشرطين.

وبناء على هذا التقسيم وقع الاختلاف في مسألة الحجية، ولعلَّ مخالفة العلواني لإجماع قتل المرتد[2] يدخل ضمن هذا الباب.

---

1 - عياض بن نامي بن عوض السلمي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله.(ط:1؛ الرياض-المملكة العربية السعودية: دار التدمرية، 1426 هـ / 2005 م)، ص126.

2 -ويبدو أنَّ حكم العلواني يعتمد فيما اعتمد عليه الحرية العقدية في الإسلام إذ يقول:" يتَّضح أنَّ حرية العقيدة في القرآن الكريم أُحيطت بسائر الضمانات القرآنية التي جعلت منها حرية مطلقة لا تحدُّها حدود، ما دمت في إطار حرية اختيار المعتقد وأنَّ الحساب عليها خاص بالله-جلَّ شأنه-لا يتجاوزه إلى سواه ". طه جابر العلواني، حكم الردة وعقوبة المرتد.(لا.ط؛ المملكة العربية السعودية:هيئة حقوق الإنسان، د.ت)، ص42.

ليُصبح في الأخير **مفهوم التراث محدَّداً واضحاً عند العلواني يكون**[1]:

- المراد مراجعته هو **ذلك التراث البشري النسبي** لا المصدر الموحى المطلق و**نقد فقه التديُّن لا الدين** .
- فكل فهم بشري للقرآن الكريم عدا فهم الرسول –صلى الله عليه وسلم–وعدا قواعد الإتباع والتأسي بالرسول الكريم في الربط بين الوحي والواقع فهو موضوع للمراجعة والنقد.

الفرع الثاني: منطلق ومداخل علم المراجعة.

أولاً: منطلق علم المراجعة.

تنطلق هذه المراجعة من[2]:

1–مراجعة العلوم النقليِّة–والتي تسمى بعلوم الدينيِّة والعلوم الشرعية والعلوم الإسلامية– بالمنهجية المعرفية القرآنية.

2–النقد العلمي المنهجي لنظرية المعرفة المهيمنة على هذه العلوم تناولاً نقدياً علمياً، بحيث يُمكن اكتشاف الإطار المرجعي لهذه المعارف بكل تفاصيله ودقائقه؛ واكتشاف تأثيره المتنوع على تلك العلوم والمعارف التي أخذت في تراثنا أسماءً متنوعةً.

ثانياً: مداخل هذه المراجعة.

تعتمد مراجعة التراث على مداخل منهجية هامة، تُحدِّد لها مساراتها وسبيل ممارستها، بما يجعلها لا تخرج عن الأطر المنهجية، وتُؤدي المطلوب منها وهذه المداخل هي[3]:

المدخل الأول: المراجعة في ضوء النسق القرآني وهو تلك المنظومة المترابطة المحكمة التي تُمثِّل إطاراً يرجع إليه، وينطلق منه في بناء الأفكار الإسلامية على تنوعها ومُراجعتها وتقويمها واختبار نتائجها. وهذا النسق القرآني يقوم على؛ التوحيد والتزكية والعمران.

---

1 – طه جابر العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا: الفقه وأصوله. (ط:1؛ مصر: دار تنوير للنشر والتوزيع،1429هـ/2008م)، ص53و55.

2 – طه جابر العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا: الفقه وأصوله. (المرجع نفسه)، ص20.

3 – راجع: طه جابر العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا الفقه وأصوله. (المرجع نفسه)، ص 21إلى26.

المدخل الثاني: المراجعة في ضوء القرآن المجيد باعتباره المصدر المنشئ للعقيدة والشريعة.

المدخل الثالث: المراجعة في ضوء مُقومات العصر النبوي.

المدخل الرابع: المراجعة في ضوء المبادئ العشرة للعلوم-الحد والموضوع والغاية والمصادر والموارد والمسائل وحقيقة العلم ومرتبته بين العلوم وشرفه واسمه[1]-حتى تكون له الصفات الموحدة والمنضبطة.

فهذه المراجعة سهلة وبسيطة إذا اعتمدت الرجوع إلى الحياة في ظل السيرة النبوية وحياة الرعيل الأول في صدر الإسلام، فالتجربة النبوية تمثل حالة من النموذج الأعلى أو كما يُعرف في لغة العلوم التجريبية الشروط النظامية[2]،التي يرجع إليها العالم من أجل قياس صحة ما يُريد قياسه، بالرجوع مرَّة فمرَّة للحالة المثالية، كي يزيد أو يُنقص أو يغير أو غيرها من ضروريات الوصول إلى الحالة المناسبة والمطلوبة، وبنفس الطريقة ينهج المفكر أو المصلح بالعودة لمقومات صدر الدعوة الأولى، باعتبارها الحالة النموذجية التي تُقاس بها الحالات إلي تليها وتعقبها ليحدث التغييرات المناسبة.

فهذه هي إذن المداخل الأربعة الأساسية التي تُبنى على أساسها المراجعة، وهناك مداخل أخرى لها كذلك أهميتها حتى تأخذ المراجعة شكلها التام والنهائي، فتحيط بجميع زوايا المسألة وتهتم بجزئياتها، على اعتبار دقة هذه العملية وحساسيتها وصعوبتها في ذات الوقت وهذه المداخل المكملة هي[3]:

المدخل الخامس: المراجعة في ضوء **آثار تلك العلوم في الواقع** بأن تُراجع في ضوء آثارها الإيجابية والسلبية في الواقع بكل مُكوناته وعناصره، أي **آثارها في الثقافة** و**الحضارة** و**الفكر**

---

1 -راجع:خالد بن محمود بن عبد العزيز الجهني،البداية في مبادئ العلوم الشرعية.(لا.ط؛لا.م:الألوكة،د.ت)،ص2.ومحمد حسن نور الدين إسماعيل، المطالب السَّنيَّة في المبادئ العشرة العلوم الشرعية.(لا.ط؛لا.م:مكتبة الألوكة1437 هـ/2016 م)،ص المقدمة وص1و2.

2 - يستخدم مصطلح الشروط النظامية أو "الظروف القياسية " في مجال العلوم الطبيعية والتقنية، ولها معنيين أساسيين:

أ-ظروف قياسية تُستخدم لقياس الغازات مثل حجم الغاز وسرعة سريانه.

ب- في الكيمياء وعلم الأحياء والطب وتقنية العمليات في الصناعة تستخدم الظروف القياسية لتحديد ظروف إجراء التجارب، بغرض مقارنة نتيجة تجربة بأخرى.راجع موسوعة ويكيبيديا.

3 - انظر:طه جابر العلواني، نحو التجديد والاجتهاد أولا الفقه وأصوله.(مرجع سابق)،ص 27و28بتصرف.

و**التصورات**، و**الفاعلية** و**الدافعية** و**الإرادة في ضمير الأمة**. ودورها في حماية الحريات وتدعيم وحدة الأمة وإيجاد القنوات اللازمة لاستيعاب القوى والطاقات الجديدة التي يفرزها المجتمع، **وهذا الأمر يتطلَّب عمل فريق من المختصين** في ميادين كثيرة إذا أريد لها النجاح.

المدخل السادس: المراجعة في ضوء الفاعلية في معالجة قضايا الأمة ومدى قُدرتها على تطوير مؤسساتها.

المدخل السابع: المراجعة في ضوء **الاستقامة العلمية**؛ بأن تُراجع العلوم النقليِّة في ضوء **الموضوعية** و**الحياد** ومدى تحققها فيها. ونسبة الذاتي والمعرفي والمنهجي فيها، ومدى قدرتها على بلوغ العلمية في مسائلها، واستيعابها للمشكلات المستجدة.

المدخل الثامن: المراجعة في ضوء **العقل الذي صيغت بتأثيره**.

وبناءً على نوعية **هذا العقل** و**طبيعة تكوينه** تَتمُّ المراجعة وتتحدَّد آليات الخطاب وجميع مُحدداته، وقد فصلَّ العلماء قديماً وحديثاً في أنواع هذه العقول واختلافها في الإدراك والماهية، فعلى سبيل المثال **يرى ابن رشد** أنَّ **العقول تنقسم إلى ثلاثة أنواع هي**[1]:

النوع الأول: العقول البرهانية القادرة على متابعة دليل يقيني مُحكم، وتصل إلى نتائج بيِّنة ضرورية، وربط هذه الأدلة هو الذي يكوِّن الفلسفة، ولكن هذا لا يتسنَّى إلا لقلة من العقول الموهوبة، بالقدر الذي يجعلها تُكرِّس نفسها لها.

النوع الثاني: عقول منطقية تكتفي بالبراهين الجدلية.

النوع الثالث: العقول التي تستجيب للوعظ والأدلة الخطابية، وهذه غير مُهيَّئة لإتباع الاستدلال المنظم.

وهذه العقول الأخيرة نجدها عند الناس العاديين، وهم السواد الأعظم، الذين لا يستجيبون إلا للخيال والعاطفة فحسب. وهذا التقسيم نابع من تصنيفه للناس حيث جاء في **فصل المقال**: فإذا الناس في الشريعة على **ثلاثة أصناف**[2]:

---

1 –انظر:حسن نافعة وكليفورد بوزروث، تراث الإسلام. ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العميد، مراجعة فؤاد زكرياء،ج2(لا.ط؛ الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب– عالم المعرفة–د.ت)،ص45بتصرف.

2 – ابن رشد، فصل المقال، دراسة وتحقيق: محمد عمارة.(ط:3؛القاهرة:دار المعارف،1999م)،ص58.

- صنف ليس هو من أهل التأويل أصلاً، وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب. وذلك أنَّه ليس يوجد أحد سليم العقل يعرى من هذا النوع من التصديق.
- وصنف هو من أهل التأويل الجدلي، وهؤلاء هم الجدليون بالطبع فقط، أو بالطبع والعادة.
- وصنف هو من أهل التأويل اليقيني، وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة، أعني صناعة الحكمة.

وبين وأثناء وقبل وبعد عملية المراجعة مدخلان أو صفتان يجب تحقيقهما والسعي في طلبهما وهما[1]:

المدخل التاسع: المراجعة في ضوء القابلية للنقد المنهجي[2]،وهذه النقطة من أشقِّ ما تعاني منه المعرفة و العلوم، بل هي الأصعب على العقل إذ أنّ أشد ما يتجنبه هو النقد بكل أشكاله والنقد المنهجي بوجه الخصوص.

المدخل العاشر: المراجعة في ضوء القدرة على التجدُّد الذاتي، من أجل القدرة على استيعاب المستجدات ومواكبة التجدد.

بهذه **المداخل العشرة** يمكن أن يشكِّل أساساً لبناء **علم المراجعات** بالإضافة لتحصيل القائم على المراجعة والإلمام "**بالنظريات القرآنية**" أو ما يُعرف "**بالمفاهيم القرآنية**" والمقاصد القرآنية العليا، والسنَّن القرآنية الكونية والاجتماعية، وكيفية التعامل مع المحددات المنهجية مثل؛ **الوحدة البنائية** و**الجمع بين القراءتين** و**التصديق** و**الهيمنة** و**الاستيعاب** و**التجاوز**.

المطلب الثاني: المراجعة بين الواقع والمأمول.

الفرع الأول: الواقع الإسلامي في وجه المراجعة.

أولاً: طبيعة أزمة الأمة وانعكاساتها على واقعها.

تشهد الأمة الإسلامية اليوم أزمة في عديد الجوانب من جراء الإخفاقات المتراكمة ومن

---

1 – انظر: العلواني، نحو التجديد والاجتهاد أولا: الفقه وأصوله.(مرجع سابق)،ص28 و29بتصرف.

2– العلواني، نحو التجديد والاجتهاد أولا: الفقه وأصوله.(المرجع نفسه)،ص 28.

أهم مظاهر هذه الأزمة[1]:

1-فقدان الإحساس بالأمن لدى الجماهير اليوم، وانعدام الثقة والخوف والانطواء والسلبية وضيق الأفق واليأس من كل تغيِّير نحو الأفضل.

2-ومما يزيد من هذه المظاهر التصدي لعلاجها بتبني ردود الفعل تجاه التطرف بدلاً من الأخذ بأسباب الحضارة بشكل مخطط ومدروس.

3-ومن مظاهر الأزمة كذلك الاعتقاد بدور اليهود في كل أحداث الوجود.

فأفقدت الأمة أصالتها وقدرتها على الإبداع ووقعت تحت سيطرة المقلِّدين التابعين.

وقد أفضت هذه المظاهر في الأخير مُختزَلة في مشهد محزن إذ تلحظ وبكل جلاء هذه الحالة من الفزع وانعدام الثقة وغيرها من المظاهر السلبية، مُتفشيِّة في الوسط الإسلامي، بعد أن تكرَّرت الهزائم والإخفاقات وتعاقبت، وخاصة في ظل اتِّساع الهوة بين الحكام والمحكومين، بسبب الوَلاءَات المعادية والخيانات وحتى الضغوطات الخارجية وإملاءاتها وأسباب كثيرة أخرى. مما جعل أمر مواجهة اليهود اليوم مستحيلاً أو صعب المنال، وفي أحسن الأحوال إرجاء أمر المواجهة إلى آخر الزمان مستأنسين **بحديث أبي هريرة** –رضي الله عنه-أنَّ رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: «لا تقوم الساعة **حتى يقاتل المسلمون اليهود** فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[2].

ومن هنا انطلق المصلحون في عمليات الإصلاح وإعادة البناء وتشخيص الأزمة وأسبابها-وهذه بداية وخطوة منهجية صحيحة؛ إذ التشخيص يسبق العلاج في العادة ويتقدمه، بشرط أن يكون هذا التشخيص صحيحاً ومتبوعاً بخطوات العلاج المناسب، وهذا ما لم يتم للأسف الشديد – فكانت لكل مُصلح وجهة نظر في تشخيص الأزمة وبيان أسبابها، وقد كان مما ذهب إليه **العلواني في تشخيص الأزمة وبيان أسبابها**[3]:

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية.(لا.ط؛ الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1409هـ/1979م)،ص13بتصرف.

2 – أخرجه المنذري، في مختصر صحيح مسلم، باب: في قتال المسلمين اليهود، حديث: 2025.

3 – طه جابر العلواني، خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية.(مرجع سابق)،ص15.

- إنَّ أزمة هذه الأمة أزمة فكرية تندرج تحتها سائر الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.
- أما عن أسبابها فهي إما أن تحدث نتيجة لاضطراب مصادر الفكر أو اختلال طرائقه أو مناهجه أو عن ذلك كله معا.

وهذا الكلام عن مصدر الأزمة الفكرية يقودنا للحديث عن آلة الفكر؛ ألا وهو العقل: "الذي به استحقَّ الإنسان التكريم و الاستخلاف لذا وردت مادة **عقل** وتصريفها في تسع وأربعين آية من الكتاب الكريم، كما جاء ذكر العقل في ست عشرة آية أخرى بمادة **لُبٍّ**، كما ورد ذكر العقل في القرآن العظيم بمادة **فؤاد** ست عشرة مرَّة منها سبع مرات اقترن فيها السمع والبصر والفؤاد، كما وردت مادة **فكر** في القرآن العظيم ثماني عشرة مرَّة، وتعرَّضت السنَّة المطهرة إلى بيان فضل العقل وشرفه وأهميته، وبيان أهمية العقلاء وصفاتهم، كما اتفقت **مقاصد جميع الشرائع على حفظ الكليات الخمس** ومنها حفظ العقل[1]".فعندما اختلَّ العقل وقعت الأزمة وحلَّ الخطر الداهم، ولهذا دعا العلواني إلى ضرورة إعادة تحديد مكانة العقل فقال[2]:

- إنَّ المنهج الإسلامي يضع الوحي في مُقدمة مصادر المعرفة، كما يُحدِّد للعقل مجال وآفاق تحرُّكه حتى لا يُبدِّد طاقته في عالم الغيب.
- إنَّ العقل المسلم قد فُرض عليه الانغلاق داخل أُطروحات تبلورت في أوضاع وأزمنة وأمكنة مختلفة، أصبحت تتحكَّم في رؤيته لمواجهة الواقع المعاش. مما أورثه العجز عن تحديد وتحديد أدواته من خلال هذا الواقع. ونتيجة لذلك الانغلاق أصبح الإنسان المسلم عاجزاً عن معالجة قضايا الواقع إلا من خلال فتاوى وأفكار من سبقوه، وذلك بالقياس عليها أو التلفيق بينها، مما جعل الكثير من أطروحاته تصطدم بالواقع في بعض الأحيان، ولعلَّ هذا العجز هو المسؤول الأول عن بُعد هذا الواقع عن الإسلام.

وحتى يتمَّ إعادة بوصلة الفكر إلى مكانها وتقوم بعملها على أحسن تقدير، وجب تحرر العقل من عقاله ودفع عنه كل انغلاق فُرِضَ عليه.

---

1 – انظر: العلواني، خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية.(مرجع سابق)،ص15و16 بتصرف.

2 – العلواني، خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية.(المرجع نفسه)،ص16و17.

ثانياً: الأسباب التي حالت دون المراجعة والاجتهاد.

مشروع مراجعة التراث مشروع شاق ومتعب لأنَّه رؤية منهجية ومعرفية ونقدية تتعرَّض لعلوم ومعارف مرتبطة بالنص القرآني المقدس، وقد تحفَّظ العلماء المتقدمون من القيام بالمراجعة، وقد تلمَّس العلواني وهو يفتش في التراث بعض زفرات هؤلاء العلماء لعدم قدرتهم على المراجعة فيقول: "يصادفنا في عملية المراجعة للتراث، أن **تجد بعض** المقولات لعلمائنا حيث، كانوا يقولون **إنَّ في هذا الصدر شيئاً، لو بُحْتُ به لخشيتُ أن يحصل كذا أو يحدث كذا**"[1].

من هنا **يُدرك العلواني** وغيره أنَّ هناك جملة من العوائق والعراقيل التي تقف أمام المراجعات والاجتهاد و**أضعفت القدرة على ممارسة المراجعة:**

1-الإيديولوجيا:

أدلجة الكثير من المقولات التراثية وجعلها جزءًا من إيديولوجيا مُعيَّنة في مختلف علوم المقاصد في بعض مراحل التاريخ، وما تتمُّ أدلجته فمن الصعب توجيه النقد بكل أنواعه إليه، فحاملوه سوف يرون في النقد عملاً عدائياً يستفزهم للدفاع عن ذلك التراث[2]. وهذه نزعة قديمة متجددة فالإيديولوجيا اليوم والمذهب بالأمس وكأن العقل العربي مكتوب عليه أن يظل رهين غيره، فاقداً لحريته ومحجوراً عليه بمُبررات مُختلفة في أغلبها ادعاء أداء حمايته وصيانته. ومما يتفرَّع عن الإيديولوجيا ما يسمى **بالمحافظة على مكانة العلماء وقادة الفكر وزعماء المذهب.** فبالمبالغة في المحافظة على المكانة يتحول هؤلاء العلماء إلى قادة إيديولوجيات من تلقاء أنفسهم أو يحولهم الأتباع وهنا:

- يقع الناس في الخلط بين الرأي وقائله، فوَرِثْنَا تقاليد ذات حساسية شديدة لأيَّ مراجعات لآراء العلماء حتى لا تَهْتَزَّ مكانتهم التاريخية .

1 – طه جابر العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة.(مرجع سابق)، ص122.

2 –طه جابر العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا: الفقه وأصوله.(مرجع سابق)،ص40.

- وقد شاعت عبارات مثل "**ليس بالإمكان أبدع مما كان وما ترك السابق للاحق شيئاً**"[1] و" **لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به آخرها**" وهذه عبارات قالها السلف الصالح في مناسبات معيَّنة، لكنها تحولت إلى جزء من ثقافتنا، إنَّهم عملوا المطلوب وكل ما علينا إلا أن نستهلك هذا التراث مستريحين.[2]
- وهذا أمر حجَّر على العقول ووأد كل محاولة للإبداع والتخطي والتجاوز. كما ارتبطت فكرة تقديم الرأي والمراجعة بتكوين الفرق ونشوء الطوائف مع أنَّه كان الأولى أن ترتبط نشأة الفرق بغياب قنوات التعبير، وفقدان سُبل مراجعة الآراء، في داخل الكيان الاجتماعي الموحد، وفي إطار الانتماء للأمة الواحدة؛ إذ لو وجدت مثل هذه السبل والقنوات، لما وجد أصحاب الآراء والمقالات حاجة إلى إيجاد قنوات خاصة بهم، من خلال حزب أو فرقة أو طائفة[3].

وهذا المعوِّق لزيم الإيديولوجيا والتَّعصب، فمن أجل المحافظة على العَالِم أو القائد أو الزعيم، نرفض النَّبش في أقواله وأفعاله حفاظا على بيضة الدعوة أو الفكرة التي ستكون المخلِّص للإسلام والمسلمين، وبهذا المبرر الواهي سوَّق هؤلاء لفكر العِصمة والتَّقديس للموصوف بالخطأ والسهو والنسيان. ومن أجل نُصرة هذه الإيديولوجيا نُسلط سيف العذاب على كل من تسول له نفسه التمرد عليها أو الوقوف في وجهها، فكانت بذلك مبرِّراً لعدم المراجعة والصدود عنها.

فمعظم الذين تجرؤوا على مراجعة تراث من سبقهم من أهل العلم، وقالوا في بعضه ما يخالف، نالهم كثير من الأذى من معاصريهم علماءَ وحكماً وجماهير، فأُتُّهِم بعضهم بالرِّدة وتعرَّض بعضهم للأذى والسجن وحرق الكتب، وكم من إمام جليل القدر شُيِّعَ من سجنه إلى قبره، وتاريخ كبار الأئمة شاهد على ذلك.[4]والأدهى والأمرُّ أن تُلاحق اللعنات أؤلائك الذين تجرأوا

---

1 – طه جابر العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا:الفقه وأصوله.(مرجع سابق)، ص43.

2 – راجع: العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة. (مرجع سابق)، ص126إلى 134.

3– طه جابر العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا:الفقه وأصوله. (مرجع سابق)، ص43.

4 – انظر: العلواني، نحو التجديد والاجتهاد، أولا الفقه وأصوله.(مرجع سابق)،ص44بتصرف.

على مراجعة تراث من سبقهم، حتى بعد موتهم بأزمان طِوال امتدَّت إلى الناس هذا لهيمنة فكر قداسة التراث وحرمة النَّبش فيه.

2-الزهد في ممارسة النقد:

إنَّ مما يُزهِّد البعض في مُمارسة النقد المعرفي للتراث حتى لو أتقنوه وانطلقوا في نقدهم من منطق الالتزام بالتراث لا التنكر له، تصوُّرهم أن لا علاقة تُذكر بين تردي أوضاع الحاضر وثقافة وأفكار الماضي.[1] أو قطع الصِّلة بين الماضي والحاضر فالقليلون جداً هم الذين يستطيعون أن يُدركوا العلاقة الوثيقة بين تردِّي أوضاع الحاضر وثقافة وأفكار ماض مُتحجِّر فلو سألنا علماءنا الذين عاصروا غزو الصليبيين لبلاد المسلمين، أو الذين عاصروا غزو التتار لبلاد المسلمين، عن هذه العلاقة بين الماضي وبين الحاضر الذي بلغته الأمة سوف تجد قليلاً جداً من الإشارات التي تشتمل على تحليل دقيق.[2] فما يُعرف في علمي التاريخ والاجتماع من ربط للأحداث السابقة بالأحداث اللاحقة أمر مهم في الحكم على مستجدات الحياة، "**فمن يتحكَّم في الماضي يتحكَّم في المستقبل؛ ومن يتحكَّم في الحاضر يتحكَّم في الماضي**[3]".

إنَّ تقاليدنا تنطوي على حساسيَّات شديدة لأيَّة مراجعات تتكلم عن آباء كُرِست مشروعيَّتهم التاريخية، لأن ذلك في نظر البعض إساءة إلى أولئك الآباء وتقليل من شأنهم، وقد كُرِست مشاعر ترى أنَّه لا فصل بين الرأي وقائله، فإذا انتقدت رأياً فكأنَّك سببَّت قائله[4].وهنا تحضر مسألة من أخطر المسائل في مسارات عزل العقل والفكر الحرِّ عن المكانة اللائقة بهما؛ ألا وهي مسألة تقديس الأشخاص وما يُعرف بالشَّخصانية فهي وجه من وجوه الإيديولوجيا أو التمذهب أو غيرهما من **المُسميَّات التي ترتبط بالقائل لا بالقول**. "وقد شاهدنا من الدعاة من حوَّل جماعته أو جمعيته أو حزبه إلى مزرعة يرتع فيها الأبناء والأصهار والأقرباء، وبعضهم

1 – العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا: الفقه وأصوله.(مرجع سابق)،ص40.

2 – انظر:العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(مرجع سابق)،ص123و124بتصرف.

3 – Samer Hamdan، "حكم عن الماضي" موقع موضوع، تاريخ التصفح:2015/09/19م.

4 – العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا:الفقه وأصوله.(مرجع سابق)، ص40.

جعل أتباع جماعته أشبه بتركة لا وريث لها، فورَّثها لأحد أبنائه يقوم عليها ويرعاها، وبعض الدعاة وطلاب العلم جعل سيرته الذاتية ورداً يكرِّره على أسماع طلابه ومريده[1]"

وعلى هذا فالمراجعة الحقيقة والناجحة لا تفصل الحاضر عن الماضي، بل الواجب الانطلاق من القراءة الفاحصة والمتأنيَّة للثقافة الماضية التي تكشف بُنيَّة العقل المسلم وتشكلُّه حتى يتسنَّى على غرارها القُدرة على تشريح بُنيَّة العقل المسلم اليوم، وهذه في الحقيقة خطوة من شأنها المساهمة بشكل مباشر وبصورة دقيقة في إعادة صياغة العقل المسلم من جديد صياغة مثمرة وناجعة.

ولقد اختلقت الأمة مُبررات واهية بدعوى المحافظة على آراء الآباء والأجداد إذ ربطوا ذلك **بفكرة المحافظة على التكوين الثقافي للتراث**[2]:

- بالنسبة لأبناء هذا العصر ارتبطت قضية المحافظة على التراث بالمحافظة على الهوية، هويتنا شخصيتنا تاريخنا تكويننا تراثنا أمر لا ينفصل عنه.
- إنَّ القرنين الأخيرين كانا فترة صراع بيننا وبين خصوم أشداء، أوروبا اجتاحتنا وقسَّمت ديارنا وأساءت إلينا فالتعرض للتراث يُعتبر بمثابةَ تعَرُضٌ للهوية، وبالتالي نجد أشد المقاومة وأشد النصرة له.
- كما أنَّ قيادات حركة الإصلاح خلال القرنين الأخيرين استعملت التراث كأداة تحريضية لتعبئة الأمة وتكثيف ثقتها بهويتها، لكي تصمد أمام الاجتياح من ناحية، ولكي تردَّ الاجتياح من ناحية وتقاومه من ناحية أخرى.

كما أنَّ من أسباب المساعدة إلى قيام وتكوين الإيديولوجيا **افتراض الماضي خير من الحاضر إذ**[3]:

- أصبح لدينا تفكير بأنَّ الماضي، حتى ماضي والدي أو حتى ماضي والدتي، أو حتى ماضيك في العشرين سنة والثلاثين سنة، محكوم عليه بالبراءة والأفضلية، ومحكوم عليه بأنَّه خير من الحاضر.

---

1 – عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي.(لا.ط؛ دمشق: دار القلم، د.ت)، ص137.

2 – العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(مرجع سابق)، ص125.

3 – طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة. (المرجع نفسه)، ص126.

- وهذه نزعة أصبحت حاجزاً من الحواجز والحُجب الكثيرة التي تقف بيننا وبين المراجعة والتقويم.

وتظهر هذه النزعة في الجانب الديني خاصة، فالأجيال السابقة في نظرنا أكثر تديُّناً منا وأكثر ارتباطاً بالإسلام علماً وعملاً مما شكَّل حاجزاً نفسياً وعرقل عملية الإصلاح والمراجعة كان من المفروض أن نفرِّق بين الاحترام وتقديم الأدب لمن سبق، وبين مراجعة قوله والتدقيق فيه بصورة موضوعية بنَّاءة لأنَّ" **النقد يبلور معرفتنا بذواتنا وأصولنا**، وإنَّ كثيراً من الأفكار تظل غائمة ومعتَّمة ما لم تتعرَّض للنقد والحوار، وتلوكها ألسنة المناظرة. ثُم إنَّ النقد يوفر لنا بيانات كثيرة، نحن بأمس الحاجة إليها، إذ أنَّ الإنسان يحب الوضوح، ويحب العمل في أجوائه، والنقد من الوسائل المهمة في ذلك[1]". ومما كرَّس نظرة الفوقية للماضي في مقابلة نظرة الدونية للحاضر ما بُثَّ في طيات كتب التراجم المركونة في زوايا التراث من مبالغات وزيادات. يقول العلواني عن هذه المبالغات: "إذ يمكن ملاحظة **بعض المبالغات في كتب الطبقات والتراجم**، في بيان مناقب الماضين من أهل العلم ، **فمعظم هذا التراث أُعِدَّ في أجواء اصطراعية**، جعلت أتباع كل فرقة أو مذهب يُبالغون كثيراً في نسبة الفضل والذكاء والخير إلى علماء فرقهم، وحصيلة ذلك كله قد صبَّت في دائرة تعظيم التراث وتجاوز سلبياته، والإحساس بالاستغناء عن المراجعة والنظر فيه أو نقده والاستدراك عليه[2]" لهذا ينبغي قراءة هذه المناقب بعيداً عن تلك الأجواء التاريخية المصاحبة له، وحمل ما فيها من مُبالغات وزيادات وعرضها على مُخرجات العصر الحديث وُمستجداته، بكل موضوعية وحياد لتنسجم في نسق خدمة العلوم والمعارف لا غير.

فهذه العوامل التي جعلت آلة المراجعة تتوقف معلنة في الوقت ذاته توقف العقل المسلم عن أداء وظيفته، ويضاف إلى هذه العوامل الأساسية عوامل أخرى قد تكون من إفرازاتها أو بمحاذاتها أو قريبة منها وهي[3]:

- **عدم وجود التحليل الدقيق:**

---

1 – عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي. (مرجع سابق)، ص292.

2 – انظر: طه جابر العلواني، نحو التجديد والاجتهاد، أولا الفقه وأصوله. (مرجع سابق)، ص44بتصرف.

3 – طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(مرجع سابق)،ص124و125.

كثيراً ما تُحال أسباب التَّردي والانهزام إلى عموميات مثل الانحراف عن الكتاب والسنة والانحراف عن سيرة الصدر الأول وهكذا، وهو أمر صحيح في عموميته، ولكن هناك فرق كبير بين أن نُحيل الأمر إلى شيء عام ونترك الناس يحملون العام على ما يريدون، وبين أن نضع أيديهم على تفاصيل نرجعها إلى ذلك العام.

- **سيادة الفكر الجبري.**

حين ساد الفكر الجبري وأساء المسلمون فهم القضاء والقدر بدأت تُحال عدة أمور إلى القدر: الله سبحانه وتعالى هو المسؤول. نحن لم نفعل شيئاً لكن الله-جلَّ شأنه-هو الذي سلَّط علينا الاستعمار وأفقرنا، لكن لم تحصل مراجعة لما كسبت أيدينا والله تعالى:﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء:79] ابحث في نفسك، ابحث في عقلك، ابحث في فكرك، ابحث في تراثك لكي تُدرك أين موطن الإصابة؟

وقد كان داء الجبر من أقدم الأورام التي أُصيبت بها الأمة الإسلامية، حيث أصابت مفاصل الأمة بالفتور والوهن يقول الفاضل الشامي: "إنِّي أرى منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والأخلاقية مثل **العقيدة الجبرية** التي من بعد كل تعديل فيها، جعلت الأمة جبرية باطناً قدرية ظاهرا[1]". فعقيدة الجبر الشائعة في المجتمعات الإسلامية، كبَّلت كل الطاقات نحو الانطلاق الحرِّ في مواكبة الدين والحياة.

كما كان لادعاء **ارتباط المراجعة بالإلحاد والانحراف** وكذا **فترات الصراع الطويلة التي قضيناها مع الآخر** دور في تعطيل عمليات المراجعة إذ اقترنت قضية المراجعة للتراث عند بعضنا إلى الإلحاد في بعض الأحيان وهذا نوع من الخلط.[2]

كما جعل البعض من وحدة الرأي مطلباً وخاصة من طرف أصحاب القرار والمسؤولين من أجل تعبئة الأمة، فصدور أية مراجعات أو آراء مغايرة يُحمل- عندهم- على أنَّه تفريق لوحدة الأمة وتهديد لهويَّتها، ولو كانت هناك القنوات الشرعية للاستفادة من المراجعات لما كُرِسَ هذا

1 - عبد الرحمن الكواكبي، أم القرى.(لا.ط؛ مصر: المطبعة المصرية بالأزهر،1350هـ/1931م)،ص23.

2 - العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(مرجع سابق)،ص125.

الاتجاه لصالح فئة من الناس على حساب عمومها[1].وحتى يكتمل الأمر لديهم ويحضى بالقبول فإنَّ الشكل أخذ اتجاهاً جديداً وتسمية ذات صبغة دينية وعنوانًا طناناً عُرف **بقضية الخروج عن الإجماع**، وفي الحقيقة فأصل الفكرة ومنشؤها سياسي ثم تفشَّت وانتشرت وتبنَّتها الأمة بجميع أفرادها حتى وصلت إلى علمائها. فالأمة التي يتحوَّل فيها الاجتهاد والذي هو أول المطالب في دينها، إلى تهمة يُعاقب عليها. إنَّنا الأمة التي أصَّلت لفكرة **الإجماع** واعتبرته دليلاً من أهم أدلتها الشرعية، فصار كثيرون من أبناء الأمة ينظرون إلى **النقد المعرفي** على أنَّه مفرِّق مناف للإجماع الذي ينبغي أن يكون هدفاً لسائر أبناء الأمة وفصائلها[2]

فبالعودة للتاريخ الإسلامي وتتبع مراحله المختلفة، ومنذ تحول نمط الحكم في البلاد الإسلامية، من النظام الشورى إلى **النظام المَلَكِي**، نلحظ بكل **جلاء ظهور حالة الركون للتقليد** والابتعاد عن الاجتهاد، بل لعلَّه يكون من أهم الدعائم التي قام على أساسها الحكم المِلَكِي دعامة تفشي التقليد واندثار الاجتهاد، وقد ساهم في بروز هذه الحالة في الأوساط الإسلامية **طرفان أساسيان؛ الحكام** و**العلماء** ولكل طرف مُبرره **فالحاكم يخاف على منصبه** و**العالم يخاف على قناعته التي يعتبرها ديناً**" وهكذا التقت رغبة الساسة بمخاوف العلماء على إغلاق باب الاجتهاد. ثُمَ تبع ذلك ما تبعه من تعصُّب بعض المتمذهبين لمذاهبهم، وما أدى إليه ذلك من صراعات ومنازعات كان لها أسوأ الآثار في تاريخ أمتنا [3]"فكان هذا الاتفاق سبباً كبيراً في بداية التَّعثر لمسارات الفكر الإسلامي فتعدَّدت الأسباب وتنوَّعت في خلق هذا الوضع المتردي الذي أثر على مُجريات الحياة العامة عموماً، والمسارات العلمية والفكرية خصوصاً.

هذه **جملة المعوقات الفكرية والثقافية** ويُضاف إليها **خصوصية المرحلة الراهنة** التي نحياها، كلها في **مجموعها جعلت المراجعة** و**النقد المعرفي للتراث، أموراً مُستعصية** وفي غاية الصعوبة وأوقفت حركة الفكر الإسلامي كما جعلته يتراوح في مكانه، إن لم نقل قد تراجع وانحسر **لينكفئ على الذات مؤخراً عجلة الدعوة الإسلامية في مواكبة العصر الحديث.**

---

1 – انظر: العلواني، نحو التجديد والاجتهاد، أولا الفقه وأصوله. (مرجع سابق)، ص43بتصرف.

2 – انظر: العلواني، نحو التجديد والاجتهاد، أولا الفقه وأصوله. (المرجع نفسه)، ص43بتصرف.

3 – العلواني، الاجتهاد والتقليد في الإسلام. (مرجع سابق) ،97.

ولهذا وجب المسارعة للقيام بالمراجعات والنقد الصريح، لأنَّ الكتمان والتَّستر لا يوقفان سريان الداء وانتشاره في الجسد، ولكون النقد أداة معرفية لا يُمكن الاستغناء عنها بأيِّ حال من الأحوال وفي جميع المراحل والأوقات.

الفرع الثاني: المراجعة والمأمول المفقود.

أولاً: واقعنا الأليم أفرز المراجعة.

لما تكشَّفت للعلماء والمفكرين خطورة الوضع الفكري، وحالة الانفصام بين الواقع الإسلامي وعالمية الخطاب، لذا شهد العالم الإسلامي حالة من الانتباه المبكر لتدارك هذا الوضع وقد وصف العلواني تلك الحالة:

فقد بدأت مشاعر الرَّغبة العارمة في المراجعة والنقد الذاتي تظهر بقوة، وكثُرَت أحاديث الدعوة إلى إعادة النظر في المفاهيم والنظريات التي كانت مطروحة حين اتسعت رقعة الخلل في هذه المرحلة من حياة الأمة.[1]فنبض اليقظة في الجسد الإسلامي قديم ومتجذِّر، غير أنَّه يظهر تارة كلما كانت الظروف مواتية، كما كان يُخفت ويختفي في حالات الضعف والمرض ومحن الأئمة الأربعة وبعض العلماء شاهدة تلك الحالة من التيَّقظ والانتباه والثورة في وجه المقولات السائدة حينها مثل: "**ما ترك السابق للاحق شيئاً**" و"**ليس بالإمكان أبدع مما كان**[2].

- وقد احتلَّت قضايا المراجعات في تراثنا الإسلامي وتاريخنا الفكري أهمية كبيرة، ذلك لأنَّ علماءنا أدركوا في وقت مبكِّر أنَّ من لا يُراجع تُراثه بنفسه ومن مُنطلق الالتزام به، فسوف يُراجعه له خصومه وأعداؤه بعين سخط، وقد تنال منه فتُزيِّف قضاياه، وتُشوِّه مُوضوعاته، وتُغير طبيعته[3].

فعلم **المُراجعات** يعمل على بِدءِ خطوات **الألف ميل** بخطوة المراجعات التي لابدَّ منها ليتبيَّن جميع المهتمين بهذا الجانب من جوانب المعرفة حقيقة الأزمة فيها، وسُبُل الخروج منها- بإذن الله تعالى- ثُمَّ **يبدأ العمل الجاد التجديدي الذي يقوم به المختصون في إعادة بنائه بناءً متيناً** يرتقي بها إلى مستوى العلوم، ويمتدُّ بها بحيث تكون لها مناهجها العلمية ونماذجها المعرفية،

1 – العلواني، خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية. (مرجع سابق)، ص13.

2 – العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة. (مرجع سابق)، ص130.

3 – العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا: الفقه وأصوله.(مرجع سابق)،ص19.

ومصادرها المنتجة الغنية، وآنذاك سوف تكون قادرة على تكوين الملكات الاجتهادية، والقُدرات الإبداعية المعرفية، ويعود للعقل المسلم تألقه و نقاؤه[1].

ثانياً: فائدة وأهمية المراجعة.

للمراجعة فوائد عديدة وأهمية بالغة في تحقيق حالة الاتزان للأمة المسلمة، التي تسعى جاهدة للإقلاع الحضاري الموعود، ومن أهم ما يُمكن أن تحقّقه هذه المراجعة مايلي[2]:

- هي التي ستوَّضح لنا مدى **اتصال تلك المعارف** أو العلوم **بالكتاب**؛ لمعرفة ما إذا كانت تلك العلوم قد أنشأها الكتاب الكريم **المصدر المنشئ** أو أنَّها نشأت خارجه واتخذت من آياته شاهداً ومعضِّداً، لأنَّ **نشأتها من القرآن الكريم يجعلها قادرة** على **الاستجابة لقواعد التصديق** والهيمنة القرآنية والاستيعاب والتجاوز لأنَّ القرآن مصدر جميع المعارف سواء كانت علوم مقاصد أو علوم وسائل[3].
- مدى اتصال هذه المعارف بالسنَّة النبوية، حيث مثلَّت السنَّة سيرة وأفعالاً وتطبيقات مقترنة بالأفعال، أو أقوالاً شارحة مستقلَّة في حياته-صلى الله عليه وسلم-تُمثِّل منهج إتباع النبي-صلى الله عليه وسلم-للقرآن المجيد وتطبيقاته في واقع متحرك، فكان الرسول- صلى الله عليه وسلم- يُمثِّل المنهج في التأسي والإتباع، وبعد وفاته- صلى الله عليه وسلم- فقد كانت روايات أصحابه لكل تفاصيل حياته وسيرته تُمثِّل المنهج السُّنني البديل الذي يساعد في حسن تطبيق ما جاء في القرآن الكريم وتمثيله في واقع

---

1 – العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا: الفقه وأصوله.(مرجع سابق)،ص18و 19.

2 – انظر: العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا: الفقه وأصوله.(المرجع نفسه)، ص31إلى33بتصرف.

3 – قال القرافي في **الفرق بين المقاصد والوسائل**:" أما الفرق بين المقاصد والوسائل فهو أنَّ: موارد الأحكام على قسمين: **مقاصد** وهي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها، ووسائل وهي الطرق المفضية إليها وحكمها حكم ما أفضت إليه من تحريم وتحليل .غير أنها أخفض رتبة من المقاصد في حكمها. والوسيلة إلى أفضل المقاصد أفضل الوسائل وإلى أقبح المقاصد أقبح الوسائل. وكلما سقط اعتبار المقصد سقط اعتبار الوسيلة فإنها تبع له في الحكم".القرافي، الفروق، تحقيق خليل المنصور.ج2(مرجع سابق)،ص59و60.

الحياة. ومن هنا يكون **عرض هذه العلوم على السيرة النبوية**[1] **والسُّنن النبوية أشبه ما يكون بعرض المسائل الفرعية على المنهج الكلي** للتحقق من انضباط تلك الفرعيات بمنهج الكلي الضابط الصارم.

- إنَّ علماء الأمة بعد عصر التدوين قد حدَّدوا لهذه العلوم جملة من المبادئ واعتبروا تحقيق تلك المبادئ شرطاً أساسياً لاعتباره علماً، وهي حده وغايته وفائدته ومصادره وموارده ومدارسه وسبل المهارة فيه وأهم الكتاب وأهم كتبه ومدارسه وكيفية بناء الملكة والقدرة فيه.
- مادام لكل علم تاريخ ولادة وظروف نشأة، فذلك يعني أنَّه ذو ارتباط بزمان ومكان وبيئة ومجتمع، فمن المهم جداً عند القيام بمراجعة ذلك العلم ملاحظة ذلك كلِّه، وهذا ما يُعرف **بعلم الاجتماع المعرفة**[2].

ومن المعلوم بأنَّ المجتمعات البشرية حركية وحيوية تطورية، مما يولِّد تطوُّر للعلوم وللمعارف حتى يُمكن لهما مُسايرة المتغير والمتحرك، إذ الحركة والتَّغير سِمة الأحياء وصفتهم المشتركة بما في ذلك الإنسان والكون والعلوم، وهذا ما يغيب عادةً في عمليات المراجعة والإصلاح عموماً، إذ لا تُستصحب هذه المعاملات وتأثيراتها في صناعة الخطاب الدعوي الجديد، فتُجهض المشاريع قبل ولادتها ويتأخر الشهود والحضور.

المطلب الثالث: أمثلة عن مراجعات العلواني للتراث.

---

1 – "صلى الله على محمد رسول الرحمة وخير مثال يحتذى به في الدعوة والإنجاز...هو الذي شهد الله له أنَّه مُعلِّم الكتاب، ومُزكي النفوس ومنقي المسالك من الزيغ والانحراف، **ومبيِّن كيفيات تنزيل القرآن الكريم على الواقع** وتقويم سلوك البشرية به... الرسول القدوة الذي يجسد المبادئ ويقدِّم **المثال الأُنموذج** و**يناط به البيَّان** بقوله وفعله وإقراره".إبراهيم علي محمد أحمد،في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية.(ط:1؛قطر:كتاب الأمة–وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1417هـ/1996م)،ص10و11.

2 – **علم اجتماع المعرفة**: هو فرع جديد من فروع علم الاجتماع، ظهر حوالي الأربعينات من القرن العشرين، يُعَدُ العقل الإنساني طبقاً لمسلماته الجوهرية ليس مرآة معصومة عن الخطأ، وإنَّما الأداة التي وضعت بيد الإنسان لمساعدته في النضال من أجل الوجود.يرى الإنسان الأشياء ليس كما هي في الحقيقة، إنَّما كما تظهر له بأُحاديتها فيما يقف في ظرف ثقافي واجتماعي ونفسي معين.على الوردي، تحليل سوسيولوجي لنظرية ابن خلدون في علم اجتماع المعرفة، ترجمة: لاهاي عبد المحسن.(ط:1؛بغداد– العراق: دار المدى،2018)،ص12.

الفرع الأول: موضوع النَّسخ في القرآن الكريم.

أولاً: قراءة العلواني لأدلة مثبتي النَّسخ:

يُعدُّ موضوع **النَّسخ** من أهم الموضوعات المشتركة بين علوم القرآن وعلم أصول الفقه، وقدجعل العلماء والأصوليون معرفة **النَّاسخ والمنسوخ شرطاً قارّاً في الاجتهاد** انطلاقاً من مُسلَّمة وهي **أنَّ النَّسخ واقع في القرآن الكريم**، إلا أنَّ هناك من العلماء من ذهب إلى نفي هذه المسلَّمة قديماً وحديثاً، وإن كان صوت النافين له قديماً خافتاً، لا يُسمع له أثر فقد ارتفعت كثير من الأصوات حديثاً ترفض النَّسخ جملةً وتفصيلاً و**العلواني واحد من الذين تبنوا قضية رفض النَّسخ.**

- وكان استدلال القائلين بالنَّسخ بما جاء في قوله تعالى :﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾[البقرة:106] قال تعالى :﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ [النحل:101][1] .و**يرُّد العلواني** على هذا الاستدلال بغياب استحضار أولويات التعامل مع النص القرآني وذلك بأنَّ آية البقرة هذه قد وردت في إطار نقاش مع اليهود، وهي **لا تدلُّ على النَّسخ** بل على أنَّه متى حصل النَّسخ وجب أن يأتي بما هو خير منه ،أما آية سورة النحل فلا يُمكن أن يُصرف لفظ آية بتعسُّف عن معنى الوحدة الأساسية في القرآن الكريم، لوجود قرينة في الآية نفسها دالة على ذلك، وهي قوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾[2] .وبهذا **ينسف العلواني ما اعتمد عليه مثبتو النَّسخ** من أدلة، ويوافقه في هذا الرأي مجموعة من العلماء ومنهم **محمد الغزالي**- رحمه الله تعالى- حيث يقول[3]:

1 – العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ.(لا.ط؛ لا.م: لا.ن،2006م)، ص26و27.

2 – راجع:العلواني، نحو موقف قرآني من النسخ.(المرجع نفسه)، ص26إلى34.

3 – راجع: محمد الغزالي، نظرات في القرآن.(مرجع سابق)، ص194 إلى211.

- هل في القرآن آيات معطلَّة الأحكام، بقيت في المصحف للذكرى والتاريخ كما يقولون، **تُقرأ لالتماس أجر التلاوة فحسب**، ويُنظر إليها كما يُنظر إلى التحف الثمينة في دُور الآثار، غاية ما يرجى من المحافظة عليها إثبات المرحلة التي أدَّتها في الماضي أما الحاضر والمستقبل فلا شأن لها بهما؟
- من المسلمين من يرون هذا الرأي حين يقولون بالنَّاسخ والمنسوخ **على أساس الناسخ الأخير أبطل ما صدر قبله من أحكام**.
- ونحن لا نميل إلى المسير في هذا الاتجاه، بل لا نرى ضرورة في الأخذ به.

فهذا موقف صريح في نفي النَّسخ، على اعتبار أنَّ القرآن الكريم قد جاءت جميع آياته بعبادة تشريع الأحكام-ما **كان منها ظاهراً** أو **مخفياً**-بالإضافة إلى عبادة التلاوة والتدبر.

وفي سؤال لماذا ننفي وجود النَّاسخ والمنسوخ؟ **يجيب عبد المتعالي محمد الجبري** في كتابه النَّاسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي: "**النَّسخ جاء على خلاف الأصل**، وما جاء على خلاف الأصل فإنَّه لا يثبت إلاَّ بنص في المعنى، أي لا يحتمل في دلالته إلا وجهاً واحداً، **ولا يوجد نص قطعي الدلالة والثبوت يُثبت النسخ في أيَّة آية من القرآن الكريم**[1]".

ويرى **العلواني ظاهر التعارض** بين نصوص القرآن الكريم بأنَّه **انتقال من حالة إلى حالة** كما هو الحال في مثل قوله تعالى :﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾[البقرة:284]، وقوله تعالى :﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴿٢٨٦﴾﴾[البقرة:286] ،تدلُّ الآيتان على أنَّ المحاسبة لا تكون إلاَّ على ما يستطيع الإنسان التَّحكم فيه ودفعه أو إيراده إن شاء؛ فبينهما للوهلة الأولى ونحن **ننظر إلى سطح الخطاب تعارض**، فهناك تعميم وهنا انتقال إلى التخصيص، ولكن حين يُنظر إلى الواقع وتاريخ النزول، ويُنظر إلى هذا الذي بدا تعارضاً على السطح الظاهر للخطاب[2]،يُكتشف أنَّ لكل من **النَّصين وظيفة نفسيَّة واجتماعيَّة وتاريخيَّة**

1 – عبد المتعال محمد الجبري، لناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي.(ط:2؛مصر:مكتبة وهبة،1407هـ/1987م)، ص199.

2 – انظر: العلواني، نحو موقف قرءاني من النسخ.(مرجع سابق)،ص46بتصرف.

فالنَّص **الأول** يقوم بتحريك الواقع بإعطاء الإنسان دفعة قويَّة جداً حيث **يُعلي فيه طاقاته النفسيَّة ويُضاعفها أضعافاً كثيرةً**، لأنَّ بداية الحركة تتوقَّف على ذلك وتحتاج إلى طاقة إضافيَّة لتصل إلى ذروتها في سبيل مفتوح لا تعترضه عقبات **فتحقِّق الغايات القيميَّة في تكوين الإنسان أو النموذج الإنسانيِّ المطلوب** المتحلِّي بالصدق مع الله ثم مع الذات، والإحساس الكامل بالمسؤوليَّة التامَّة عن الكون والحياة والإنسان فتتحقَّق فيه شروط **الخلافة** والفاعليَّة، وإرادة العطاء والمشاركة، وهذا شأن النص القرآني في عدَّة مواضع، فبعض التعارضات المثبتة في النص تنهض بوظيفة محددة .[1] فتكون **الآية الأولى** في أقصى درجة لرفع مستوى الحرص على عمل الخير والتفكير به،وتجنُّب فعل الشر والتفكير فيه، حتى تجعل المسلم يرى حسناته إن كان من الأبرار كسيئات من سبقه من المقربين، فيجتهد في طلبه الحثيث لتحقيق مرتبة الأبرار، فتكون هذه الآية بمثابة الحافز النفسي والدافع القوي نحو الترقي في مدارج السالكين، فإن زلَّت به قدم أو تعثَّر بوَحَلِ بشريته المجبولة على الخطأ والنسيان، تلقَّفته **الآية الثانية** بأنَّ التكليف حسب القُدرة والإمكان والسَّعَةِ، وفتحت أمامه فرصةً ثانيةً للمحاولة مرَّة ومرَّة إلى أن يُقبض وهو يُراوح في طريق الحق والهداية توفيقاً بين التوبة والإنابة.

ثانياً: وظيفة النَّسخ في نظر العلواني:

يرى العلواني بأنَّ الجدل الذي دار حول النَّسخ قديماً وحديثاً جدل لم يتحرَّر فيه موضع النزاع بشكل دقيق بين الأصوليِّين واللغويِّين وعلماء القرآن وخاصة فيما يتعلق بحقيقته ومعناه الذي تراوح حسب رأيِّه بين المفهوم والنظرية.[2] فإذا اضطرب الشيء في حقيقته ومعناه انعكس على جميع فروعه وقضاياه إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ومن هنا يطرح العلواني سؤالاً جوهرياً حول وظيفة النَّسخ والذي تبدو الإجابة عليه واضحةً وبسيطةً؛ تتمثَّل في رفع ظاهر التعارض في النص ولكن كيف يتم هذا الرفع؟ وهنا الاستشكال يقول العلواني عن طبيعة هذا الاستشكال:"فإذا كانت وظيفة النَّسخ **رفع التعارض القائم** في ذهن المجتهد وهو ينظر في

---

1 – وليد منير، النص القرآني من الجملة إلى العالم،(ط:2؛ القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1432هـ/ 2003م)،ص32و32 بتصرف.

2 – راجع: العلواني، نحو موقف قرءاني من النسخ.(مرجع سابق)،ص8إلى23.

دليلين، فهذه قضيَّة **تتعلق بأدوات المجتهد ووسائله المنهجيَّة** التي يستخدمها في التعامل مع النَّص، فإذا كانت وسائل المجتهد قاصرة عن إدراك معاني النصوص في سياقها الكليِّ والجزئيِّ، وفي وحدتها وتفرُّقها، فذلك يعني أنَّ عليه **أن يُعيد النظر في تلك الوسائل والأدوات المنهجيَّة**، وليس له أن يعالج إشكاليته الذهنيَّة **بالتحكُّم في النَّص** قبل **الجمع بين القراءتين** من ناحية، وقبل **بناء المنهج المُلائم للتعامل مع خطاب كونيٍّ** مثل القرآن المجيد من ناحية أخرى، **فتحميل الخطاب مشكلة المجتهد المنهجيَّة أمر غير معقول منهجيّاً** ولا يستقيم مع واجب التلاوة حق التلاوة[1]". وعليه "فالتعارض **في ذهن المجتهد** لا **في أصل الأمر**، فكلام الله نور وأنواره لا تتعارض، وكل تدبير لهذا التعارض يجب أن يتأطَّر **بالوحدة البنائية للخطاب** فتقرأه في كُليَّته ونسقيَّته لا في جزئيَّته وتبعيضيَّته[2]". وهو ما يظهر جليّاً عند العلواني وهو الصواب والمتفق عليه عند جميع العلماء مُلاءَمة الخطاب القرآني الكوني، والمشكلة إذن في الأدوات والوسائل المنهجية المتعلِّقة بالقراءة والتلاوة.

ولزيادة توضيح وظيفة النَّسخ نورد كلام **ابن القيم الجوزية** في ذلك إذ يقول: "ومُراده ومُراد عامة السلف بالنَّاسخ والمنسوخ **رفع الحكم بجملته تارة** –وهو اصطلاح المتأخرين– **ورفع دلالة العام** و**المطلق** و**الظاهر** و**غيرها تارة** إما: بتخصيص، أو تقيِّيد، أو حمل مُطلق على مُقيِّد، وتفسيره وتبيِّينه، حتى إنَّهم ليسمون الاستثناء، والشرط والصفة نسخاً، لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد، فالنَّسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ، بل بأمر خارج عنه، ومن تأمَّل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يُحصى، وزال عنه به إشكالات أوجبها حملُ كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر[3]"وبالنظر لكلام **ابن القيم** يرى العلواني أنَّ النَّسخ بمعنى **رفع الحكم بجملته عند المُتأخرين**؛ أي أنَّه مخصوص بهم وحدهم و**قد يُخالفهم في ذلك المتقدمون**، يُضاف إليه المعاني المرادة من النَّسخ التي ذكرها كل ذلك يُبعد

---

1 – العلواني، نحو موقف قرءاني من النسخ.(مرجع سابق)،ص38.

2 – جميلة تِلوت،" إشكالية النسخ في قراءة الوحي:دراسة نقدية".مركز خطوة للتوثيق والدراسات، (http://www.khotwacenter.com)، 10 مارس، 2019م.

3–ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين. تقديم وتعليق وتخريج: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان و شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد،ج2(مرجع سابق)،ص66.

النَّسخ عن وظيفة إزالة الحكم بالكُليَّة إلى **وظائف أخرى مثل التفسير والتقييد والاستثناء.**

إنَّ القول بالنَّسخ وبالطريقة التي سار عليها المتأخرون من علماء الأصول والقرآن والتفسير تطرح تساؤلات في غاية الخطورة، ولعلَّ من بين هذه التساؤلات[1]:

- إذا قلنا بالنَّسخ في تلك الفترة الزمنيَّة المحدَّدة فترة المدينة أفلا يستدرجنا ذلك إلى القول بالنَّسخ، أو التوَّقف عن التطبيق أو استبدال تلك التشريعات التي مضت عليها القرون بتشريعات أخرى مغايرة؟ لذات الأسباب التي ذُكرت لتسويغ النَّسخ في عصر النبوة؟
- كيف يقع النَّسخ داخل الآية الواحدة، والقرآن خصَّه بالآية:﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾ على فرض أنَّ المراد هو الآية القرآنيَّة وليس المراد جزءاً من آية على مذهب القائلين بالنَّسخ لو تنزَّلنا للتسليم به.
- كيف يقع النَّسخ بين نصيَّن مختلفي المرتبة والنسبة؟ أي موضوع نسخ الكتاب بالسنَّة والعكس.
- كيف يُدَّعى النَّسخ بعد وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم – وبمثل تلك الرايات المتهافتة؟
- كيف يُنسخ النَّص القرآنيّ الثابت القطعيّ بأخبار آحاد لم تثبت وفي كل منها مقال؟ خاصَّة و**قد أكَّد العلماء عدم جواز نسخ القرآن بأحاديث الآحاد، وفي مقدِّمتهم أولئك القائلون بالنسخ!!**
- كيف يعدون ما ليس فيه إعجازاً، ولا ما يقرب منه قرآناً؟
- كيف ينسخ القرآن المتواتر المتلو بمروي لا يتجاوز في حالة صحته أن يكون خبر آحاد، أورده صاحبه بمعنى أخطأ في فهمه أو نسي؟ وكيف يُحكم بمثل هذا على كتاب الله المتحدي المعجز الذي جاء فيه قوله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء:88].

1 – العلواني، نحو موقف قرءاني من النسخ.(مرجع سابق)،ص95و96.

فالتأصيل للنَّسخ، بمعنى رفع الحكم، كما استقرَّ في الأدبيات الأصولية المؤسسة لا يقوى أمام النقد بالإضافة إلى **أنَّ القول بالنَّسخ يُحيلنا إلى علاقة النص مع الواقع**، حيث يصير التاريخ حَكَما على النص لا العكس، فتصير المحايثة الواقعية معكوسة، وتُلغى المفارقة التي تضمن استمرارية النص لكل زمان ومكان، وهذا الربط بين العناصر الزمكانية والنص في صورة آلية النَّسخ نتج عنه إلغاء لعدد من الأحكام التي جاء بها الوحي الخاتم، وتُحيلنا هذه المسألة إلى مُحدَّد أكثر عمقاً وهو علاقة النص بالزمان والمكان والإنسان[1]. فيُهيمن الزمان والمكان على النص لا العكس فيفقده الاستمرارية والديمومة وفق عالمية الخطاب.

ثالثاً: القواعد التي بنى عليها العلواني رفضه للنَّسخ.

يبني العلواني موقفه الرافض للنَّسخ على قواعده القرآنية وهي[2]:

1-**الوحدة البنائية للقرآن**: التي تُحيل إمكان قيام أيِّ تعارض أو تناقض أو تمانع أو معاندة بين آياته، ولذلك فإنَّ هذه الوحدة مانعة من قبول **نظرية النسخ**.

تشبه آياته وكلماته وحروفه في مواقعها منه مواقع النجوم في السماء بحيث لو غُيِّرَ موقع نجم واحد، أو خرج عن مداره، أو اتَّخذ لنفسه مداراً مغايرًا لاختل نظام المجوعة كلِّه.

2-**الجمع بين القراءتين**: التي توَّضح أنَّ الخطاب القرآنيَّ لا يسكن الجزئيَّ ولا يتعلَّق به، إنَّه يمرُّ عليه بمقدار ما يُلقي ضوءاً بين يدي المجتهد أو التالي أو القائم بالقراءة والتلاوة **حقَّ التلاوة** يساعده على فهمه، ثم ينطلق إلى غايته الممتدَّة إلى يوم الدين وهناك خصائص قرآنيَّة أخرى عديدة لابد للتالي من تتبعها، والعناية بها، واستحضارها على الدوام.

3-قدرة الخطاب القرآني على الانفتاح على حركة الزمن فحين ندرك – عند التعامل مع القرآن المجيد – أنَّ الخطاب القرآني مُنفتح على حركة الزمان، وأنَّه ذو قدرة خارقة معجزة على استيعاب تلك الحركة وتجاوزها، فإنَّنا لن نجد أنفسنا مُضطرِّين للقول بالنَّسخ، أو ملاحظة تواريخ النزول، أو أسبابه فيما يتجاوز الاستئناس.

---

1 – جميلة تِلوت،" إشكالية النسخ في قراءة الوحي: دراسة نقدية"،(مرجع سابق).

2 – انظر:العلواني،نحو موقف قرءاني من النسخ.(مرجع سابق)،ص39إلى41 بتصرف.

فالتلاحم بين القراءتين وتشابكهما يُكامل في بناء المعرفة ويُطرد عنها كل تعارض أو تضاد فلا نضطر للنَّسخ لدفع ذلك التضاد أو التعارض. كما أنَّ إطلاقية القرآن الكريم وخطابه العالمي الممتد عبر الزمان والمكان والإنسان، تتجاوز خُصوصية السَّبب إلى عموم الحكم، ليكون بذلك بسبب النزول عاملاً للاستئناس ومؤرخاً لبداية الحكم لا مُهيماً عليه.

ومما **ينتقده العلواني** على مثبتي النَّسخ الإسراف في استعمال النَّسخ وإثبات دعاويه حيث يقول: "أسرف الأصوليُّون والكاتبون في علوم القرآن في دعاوى النَّسخ إسرافاً جاوز الحدود، وتباروا في بناء دعائمه وأركانه، ولعلَّ بعضهم كان يتحرَّى ما يزيد به على سابقيه من دعاوى، وكأنَّه نوع من الاجتهاد والكشف العلميِّ يتبارون فيه ويتسابقون إليه"[1] .

وسبب اختيار مسألة النَّسخ هو نفس السَّبب الذي جعل "**جميلة تِلوت**" تُركِّز على تناوله حيث تقول:"الذي جعلني أركِّز على هذه المسألة هو أنَّ النَّسخ صار مكوناً هاماً من مكونات التفسير والحديث والفقه والأصول والكلام، فهو مُكوِّن مركزي في الثقافة الإسلامية، حتى جعل من شروط المفسر العلم بالنَّاسخ والمنسوخ، وذلك لتعامله المباشر مع النص الشرعي، وأهميته للفقيه لا تقلُّ عن ضرورته للمفسر[2]".و"لما يترتَّب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام[3]".

الفرع الثاني: حديث الفرقة الناجية:

جاء في حديث افتراق الأمة بألفاظ تتجاوز العشرين لفظاً من طُرق عديدة، منها طريق علي وأبي هريرة وأنس بن مالك ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم، ولعلَّ أغربها رواية الترمذي وأبو داود وابن عبد البر وابن وهب في جامعه، حيث زاد في عدد الفِرق زيادة لم نجدها في روايات غيره، وهي: «إن بني إسرائيل تفرَّقت إحدى وثمانين ملَّة، وستفترَق أمتي على اثنتين وثمانين ملة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: الجماعة». وقد جمع المحدث الكبير محمد يحي سالم عِزَّان روايات الحديث فوجد كما وجدنا أن ألفاظه شديدة الاختلاف، فلن نجد

1 – العلواني،نحو موقف قرءاني من النسخ.(مرجع سابق)،ص50.

2 – جميلة تِلوت،" إشكالية النسخ في قراءة الوحي: دراسة نقدية"،(مرجع سابق).

3 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،تحقيق:هشام سمير البخاري.ج2(لا.ط؛ الرياض–المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب، 1423هـ/ 2003م)،ص62.

لفظين منهما قد اتفقا، كما أن أسانيده كلها لم يخل واحد منها من راوٍ أو أكثر ضعيفاً أو مجهولاً أو مخطئ أو مختلف فيه أو صاحب بدعة أو منكر الحديث.

وقد ذكر العلواني جملة من الملاحظات حول هذا الحديث وهي كما يلي[1]:

- ما جُمع من روايات الحديث حضي بتصحيح بعض المحُدثين وتخريجهم جاءت بألفاظ تُخبر بأنَّ هذه الأمة سوف تتعرَّض إلى داء الاختلاف كما عرض ذلك الداء للأمم السابقة، **فيندرج بذلك هذا الحديث في باب التحذير والخطوات الاستباقية** مما قد يقع لها إن هي ابتعدت عن طريق الله.
- الحديث **ليس من باب علامات النبوة والإخبار** بما سيقع في المستقبل، فتكون بذلك الفُرقة قضاءً محتوماً.
- فإذا وقع الاختلاف في أوساط الأمة بالرُّغم من اتخاذ الاحتياطات وتدابيرها، فإنَّ هذا الحديث حينها ينبغي أن ينسجم مع قوله تعالى:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ **[** الحجرات:**9]** .

بهذا يُصرف معنى هذا الحديث وغيره من الأحاديث المماثلة في التحذير من السُقوط في براثن الاختلاف، وإن وقع فالحل في الاعتصام فيما جاء به الرسول الكريم في حياته وفيما جاء في الكتاب الكريم وما بينتَّه السنَّة المطَّهرة بعد مماته–صلى الله عليه وسلم–فتنكُّبِ طريق الحق ومجانبته مرُّده الخُسران والتِّفرقة، فالحذر مطلوب والبحث عن أسباب الفرقة لا يتوقف، وفي مقابل الدفع بعجلة الاتحاد والتماسك والوحدة نحو الأمام. فهذا الحديث في الحقيقة أُسيئ استعماله منذ القديم وأثَّر سُوء فهمه في مُجريات الحياة الإسلامية، كما ظل تأثيره إلى يومنا هذا وقد تجاوز حدود الفرق الإسلامية ليشمل الجماعات والأحزاب وكل الهيئات والجمعيات.

1 – انظر: العلواني، العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات.(لا.ط؛لا.م:لا.ن،د.ت).ص 96 بتصرف.

فهل المقدَّر علينا إلا الانتظار والانتظار فقط لنعتصم بحبل الفرقة الناجية، ثم تجرُّع بعد ذلك التبعات النفسية وتأثيراتها على المردود التفاعلي لأمة الشهود الحضاري المرتقب؟

كما يبدو أنَّ مفهوم ومصطلح الفرقة الناجية **في نظر العلواني قد اشتهر بعد الفتنة الكبرى:** "وكل فرقة من الفرق أسقطت مفهوم **الناجية** على نفسها، وجعلت منه أنموذجاً معرفياً شديد التحديد شديد الدقة جامعاً مانعاً لا يسمح بالنظر إلى فكرة إمكان أو احتمال وجود الحق والصواب في أيِّ جانب آخر[1]". وهل يُمكن بمثل هذا المنطق وهذا التفكير أن تُتاح مساحة لحرية الرأي والاختلاف؟ وهل يُمكن لرحابة القلوب أن تتَّسع لكل مخالف أو معارض؟ وفي ظل هذا الجو المشحون هل يبقى مكان للمقولة الخالدة" رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب؟[2]" و" هل راجع السنَّة أقوالهم وآراءهم في الفِرق الأخرى؟! وهل راجعت الفِرق الأخرى مقولاتها وآرائها في السنَّة وغيرها من المخالفين لهم؟! وقد مرَّت على الأمة قرون طوال[3]".

ويخلص العلواني إلى[4]:

- أنَّ النجاة والهلاك أمران أخريان، وأنَّ الحَكَمُ في أي منهما منحصر بالله-تبارك وتعالى- فهو الذي يحكم بين عباده في ما هم فيه يختلفون، أما الدار الدنيا فهي دار العمل والابتلاء.
- الشيعة والعرب والأكراد والتركمان وغيرهم من أهل المدينة أو البادية، فكل يحمل شعار الإسلام مُستهدف ومقصود.
- إنَّ ما حدث في الماضي ما كان ليحدث لولا **تفرُّق كلمة أبناء الشعب واختلاف قلوبهم** .

---

1 – العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا: الفقه وأصوله.(مرجع سابق)،ص44.

2 – هذه المقولة تردَّد كثيراً عند الدعاة والمفكرين المعاصرين، من باب جمع كلمة المسلمين والدعوة للوحدة.

3 – راجع: العلواني، نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا: الفقه وأصوله.(مرجع سابق)،ص45.

4 – راجع: العلواني، العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات.(مرجع سابق)،ص 97و98.

فالعلواني يُرجع سبب ما حدث في الماضي للمسلمين لاختلافهم، كما **يدعو جموع الأمة إلى الوحدة** والتَّوحد وجمع الكلمة من أجل مواجهة الخطر الداهم الذي يتهدَّد الجميع من غير تمييز ولا تفرقة.

- **المطلب الرابع: العلواني ومراجعة التراث:**

الفرع الأول: موقف الجماعات الإسلامية من التراث.

في بدايات تعامل المسلمين مع التراث وفرضية تحديد موقفهم منه، على اعتبار أنَّ تحديد الموفق وضبط المسافة بينهم وبين التراث يحدِّد ويضبط ويقيس قيمة تديُّنهم ومدى علاقتهم بالإسلام، وعلى غِرار ذلك انقسمت الجموع المسلمة بما فيهم الحركات الإصلاحيةإلى فريقين بارزين وبينهما أصوات مخالفة لهما بالمعارضة أو التعديل[1] :

- مسلم **علماني** ومسلم **تراثي ماضوي**.
- برز **موقف ثالث** يتوسَّط الأمرين، نادى به مُعظم رجال حركات الإصلاح الإسلامي؛ وهو موقف انتقاء يأخذ من التراث ما يرى أنَّه صالح ومناسب، ويأخذ أيضاً من الغرب والمعاصرة ما يراه صالحاً.
- وهو موقف طيب لو كان أَخْذٌ وتَرْكٌ بطريقة منهجية وبمعرفة وليس بطريقة عشوائية.

فالعلماني و**التراثي الماضوي** يقفان على حدي طرف، غير أنَّ قاسمهما مشترك **هو التقليد فالأول**؛ قلَّد الغرب ورفض التراث مُطلقاً، و**الثاني** قلَّد الأقدمين كردِّ فعل مُضاد للفريق الأول وقَبِلَ مُطلق التُراث ودافع عنه بعاطفة مشحونة دون تمييز ولا إنصاف.

وقد **تجاوز العلواني المناهج الثلاثة** المذكورة ونأى بنفسه إلى منهج خاص[2]:

- يصفه **بالمنهج البسيط** الذي من شدَّة ظهور يختفي، فأحياناً يكون الشيء ظاهراً ولكن يصبح كأنَّه خفي ومعقَّد.

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة.(مرجع سابق)،ص134و133 بتصرف.

2 – انظر:طه جابر العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة.(المرجع نفسه)، ص135 بتصرف.

- ينطلق هذا المنهج من **حديث القرآن عن تراث الأمم السابقة**، الذي تعامل مع تراث البشرية جمعاء، من لدن آدم–عليه السلام–إلى عهد سيدنا–محمد صلى الله عليه وسلم–وفي هذا دلالة على أنَّه يحتوي على منهج للتعامل مع أيَّ تراث كان.
- ويقوم هذا المنهج **على الكشف عن القاعدة المعرفية التي ينطلق الناس منها** في بناء أفكارهم، ورؤيتهم للإنسان وللكون وللحياة.

وعليه إذا صحَّت الرؤية للكون والإنسان والحياة، تَصِحُّ بعدها كل أفكار الإنسان على مجريات حياته وتفاصيلها، وإذا تعثَّرت هذه الرؤية عن كشف الحقائق ولم تصل لجوهرها، تعثَّرت بعدها كل خطوات الإنسان المعرفية.

الفرع الثاني: القرآن الكريم يُراجع سيرة الأمم السابقة

يذكر العلواني أن ربنا–جلَّ في شأنه –في حديثه عن الأقوام السابقة يُشير إلى الانحراف في هذه الرؤية حول الكون والإنسان والحياة[1]:

- **فقد تجد** من لا يؤمن بخالق الكون والإنسان والحياة.
- و**قد تجد** من يشرك من لا تأثير له في عمليات الخلق والإيجاد.
- و**قد تجد صنفاً ثالثاً** يَضِلَّ عنه بشكل أو بآخر فتضطرب الرؤية وتصير لمن يحب الدنيا كما جاء عنهم في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾[الأنعام:**29**] .فالقاعدة التي ينطلق منها هذا الإنسان قاعدة مُضطربة تؤدي إلى أفكار أخرى مُترديِّة.
- وهذه الرؤية تفتقد لكثير من المؤثرات، ومن أهمها فقدان القدرة على الجمع بين القراءتين–قراءة الوحي وقراءة الكون–الموصلة إلى المعرفة وما نريد الوصول إليه.

ولتوضيح اضطراب هذه الرؤية ومدى تأثيرها على مصير الشعوب والأمم يضرب العلواني المثال بالتراث الإسرائيلي كما يلي[2]:

---

1 –راجع:طه جابر العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة.(مرجع سابق)، ص136و137.

2 – راجع:طه جابر العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة.(المرجع نفسه)،ص137إلى140.

- فهو مضطرب، من حيث قاعدته المعرفية الأساسية، قال الله –تعالى–حكاية عن اضطرابها قال تعالى:﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف:126]، فقصة السامري مع بني إسرائيل تُبَيِّنُ بدقة مدى اضطرابهم العقدي، وعليه فإنَّ بقية أحكامهم ومواقفهم ستكون مضطربة لاضطراب المنطلق والقاعدة.
- في قصتهم مع سيدنا موسى في عدم صبرهم على الطعام الواحد، فطلبوا من الله العدس والفول والبصل وغيرهم، وغاب عنهم طلب الأرض الزراعية والقيام بعملية البذر والزرع، ومن ثَمَّ ستُجني الثمار لأنَّ هذه القراءة غير واردة في ذهنهم، إذ الوارد عندهم فقط هو أن يلجأوا إلى الله، ويقولون له هات فولاً وعدساً وبصلاً وغيرهم فيقول لهم قال تعالى:﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة:**61**] قراءة واحدة.

وبناءً على هذا كلِّه فالاعتبار عند العلواني في سلامة الرؤية، يعود إلى سلامة القاعدة ثم بناء المعرفة وفق الجمع بين القراءتين. وتجنَّب ما وقع فيه بنو إسرائيل من شرِّ القراءة المنفردة.

وبعد التأكد من سلامة القاعدة الفكرية وحضور القاعدة المزدوجة[1]، يبقى **أمراً ثالثاً لتتمَّ عملية بناء المنظومة المعرفية عنده** ألا وهي[2]:

- عملية القراءة لهذا التراث والتَّصديق عليه لاسترجاعه استرجاعاً نقدياً على مستوى آخر غير مستوى البحث عن القاعدة الأساسية الفكرية التي انطلق منها في بناء تلك الأفكار.

ويدعو العلواني إلى تطبيق هذا المنهج على بعض فروع الدين وعلومه ومنها[3]:

---

1 – المزدوجة تعني قراءة الوحي وقراءة الكون.

2– انظر: طه جابر العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة.(مرجع سابق)،ص140بتصرف.

3 –راجع: طه جابر العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة.(المرجع نفسه)، ص140و154.

- **أصول الفقه** فهو منضبط بضوابط النموذج الكلي، منضبط بضوابط الجمع بين القراءتين، منضبط بضوابط القيم الحاكمة العليا (التوحيد، العمران، التزكية) فأُمارس عليه عملية نقد بسيطة من أجل التمثيل.
- مسألة أصولية لا زالت تُطرح إلى يوم الناس اليوم ألا وهي؛ هل كان الرسول-صلى الله عليه وسلم-متعبداً بشرع من قبلنا، أم كما قِيل بأنَّ سيدنا محمدًا قد كان نصرانياً خرج على الكنيسة الكبرى وقرَّر أن يبني كنيسة عربية خاصة به.
- قضية رجم اليهودي في التراث الإسلامي، وقضية مطالبة الكافر بمسائل الشريعة، وقضية نسخ شريعة بني إسرائيل، وحكم الأشياء قبل الشرع.
- كما يرفض أن يكون في القرآن الكريم متشابه بمعنى مُشْتَبِهِ الفهم غير مفهوم، إنَّما الواجب أن استعمل محوراً مناهجياً قائماً على قراءة النموذج الكلي قراءة القاعدة الكلية وتحديد محددات المنهجية.

وقد كانت بعض هذه القضايا نتاج ما ذهب إليه المستشرقون وكما أن طرح مثل هذا الأسئلة والقضايا مؤشر فكري شديد الخطورة. كما يدعو العلواني[1]:

- فالآن لدينا منهج علمي تجريبي تعتمد عليه الحضارة الغربية، فمحاكماتي لها يجب أن تَتِّمَ على أساس المنهج العلمي التجريبي.
- قد تجاهل بُعدَ الغيب ونظر إلى أنَّ الحياة ما هي إلا إنسان وطبيعة، فعنصر الغيب مكمل منهجي، لحركة بناء المعرفة وامتدادها وخروجها من أزماتها.
- وعليه فالبديل في أسلمة المعرفة بحكم اعتمادها على القرآن الكريم، تُقدِّم للبشرية منهجاً متكاملاً، يتَّصف بمنهجية التصديق والهيمنة والاستيعاب والتجاوز والانفتاح على كل العصور وبإمكانه مراجعة كل ما نَسَق.

وهنا تتَّضح بكل جلاء الذهنية المنهجية التي يتصف بها العلواني ومن أهم صفاتها الموضوعية والعلمية وعدم التحيُّز بعيداً عن كل عاطفة وتبعية.

1 -راجع: طه جابر العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة.(مرجع سابق)،ص155إلى157.

كما أنَّه في طريق محاكمة التراث الغربي وفق المنهج العلمي التجريبي، يؤكد على وجود أزمات خلال المحاكمة مردُّها إلى إقصاء الجانب الغيبي.

ويؤكد على أن تكون المراجعة من داخل النَّسق وقواعده، فلا نحاكم التراث إلى المنهجية الغربية، ونفس الشيء مع محاكمة التراث الغربي، يجب أن نحاكمه لنموذجه هو.

ويتحقَّق ذلك من خلال ما تسعى إليه أسلمة المعرفة نموذج خلاص أزمة المعرفة الإنسانية.

خلاصة الفصل: في رحلة البحث عن الذات والسؤال المفقود من نحن؟ وفي زمن الأفكار والإيديولوجيات، وأمام صراع إثبات الذات، تتنازع المسلمين تيارات متباينة قصد جذبهم إليها، وهنا يختلط الأمر على الناس لكثرة التيارات ولبهرجتها فلا يتضح السبيل ولا يستبان صوابه للوصول لمعرفة الذات والهوية، ومن ثم نفقد الاتصال بكل شيء من حولنا، من أقل الحقائق إلى أعلاها وأجلها وليس هنالك شيء يحرص عليه المسلم أكثر من دينه وتقفي أثر ربه، ليحقِّق له واجب العبودية والطاعة. من هذا المنطلق يرسم العلواني للفرد والمجتمع أيسر الطرق المؤدية إلى البحث عن الذات بالاعتماد على مركزية الخطاب القرآني، فهو الخطاب المثالي لصناعة الفرد والمجتمع، وهذا الأمر يتأتى بالعودة الحقيقة للقرآن كتاب الكون الخالد، والجمع بينه وبين الكون الكتاب المخلوق، فيمتزج الفهم ويتنقَّح بما في الاثنين من تكامل؛ بالأول بوحدته البنائية وما فيها من متانة عضوية للمختلف الواحد، والثاني بانتظامه وانسجامه وعظمته وقوته وترتيبه ودقة خصائصه، فسيطيع بذلك الفهم الإجابة على كل التساؤلات وحلَّ جميع المشكلات. وبالإضافة إلى القرآن الكريم المصدر الأول لبناء الذات يضيف العلواني مصدران آخران هامان؛ السنَّة النبوية والتراث الإسلامي، إذ يوضح منهجية التعاطي معهما بعد الوقوف على التحديات والعوائد في الأخذ بها، ودعوته للعمل بالسنَّة بعد تحديد مفهومها الضابط لها والمانع من دخول غيرها فيها، وبضرورة المراجعة للتراث وغربلته بما يوافق مطلق القرآن الكريم وروح العصر.

الفصل الثالث: جهود العلواني في خدمة الدعوة الإسلامية خارجياً

(الرؤية النقدية وتحديات العودة إلى الذات).

- المبحث الأول: إشكالية المواءمة بين الحضارة الإسلامية والغربية في فكر العلواني.
- المبحث الثاني: إسلامية المعرفة في فكر العلواني.
- المبحث الثالث: التكامل المعرفي في فكر العلواني.

المبحث الأول: إشكالية المواءمة بين الحضارة الإسلامية والغربية في فكر العلواني.

1- المطلب الأول: الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش.

2 - المطلب الثاني: المواطنة وفقه الأقليات وعلاقتهما في بناء التعايش السلمي.

3- المطلب الثالث: موقع حوار الحضارات في المواءمة الحضارية بين الإسلام والغرب.

المبحث الأول: إشكالية المواءمة بين الحضارة الإسلامية والغربية في فكر العلواني.

المطلب الأول: الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش.

يعتمد العلواني على المرتكزات القرآنية والتي يستند عليها من أجل إرساء مجتمع قوامه السلم والأخوة والأمن والحرية والعدل والتعايش؛ فالقرآن في حقيقته وفي محتواه جاء لتأسيس مجتمع بشري واحد وموحد أساسه العدل العام والعيش الكريم للجميع. فما هو واقع هذا التعايش؟ وما هذه المرتكزات القرآنية المؤسِّسة لبناء مجتمع إنساني متعايش، وكيف حدَّد القرآن الكريم إطار ذلك التعايش؟

الفرع الأول: واقع وحقيقة التعايش داخلياً وخارجياً عبر التاريخ الإسلامي.

أولاً: الإكراهات الإيديولوجية سمة شوَّهت النسيج الإسلامي العام:

ينطلق العلواني في حكمه على الواقع الإسلامي من قراءته للتاريخ الإسلامي ووجود هَنَات ومَثَالِم خدشت نصاعة التجربة الإسلامية حيث[1]:

- عَرف التاريخ الإسلامي إكراهات إيديولوجية متنوعة سوَّغها فقهاء القصور السلطانية مخالفة لقوله تعالى:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾[البقرة:256]،كفتنة خلق القرآن المعروفة...أُضطهد فيها العلماء اضطهاداً شديداً، ممن خالفوا المعتزلة بالقول في خلق القرآن.
- فلا شك أنَّ هناك فترات حرجة في تاريخنا الإسلامي كتهافت بعض العلماء من أجل إرضاء السلاطين إلى سياسة التكفير، وتسهيل أمور الردَّة في قضايا خلافية.
- وفي نظرة للتاريخ عامة وفي تاريخ بني إسرائيل خاصة نجد أنَّهم ارتدُّوا ردَّة جماعية في اتخاذ العجل رغم ذلك فقد تاب الله عليهم، "وأُشربوا في قلوبهم حُبَّ الأصنام، ثم أقبل

1 – طه جابر العلواني، "الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش".(مرجع سابق)، ص 31إلى33.

عليهم موسى بالتوراة وقال هذا كتاب ربكم فيه الحلال والحرام والأحكام الشرعية والسُّنن والفرائض والرجم للزاني والزانية المحصنين والقطع للسارق... فضجوا من ذلك وقالوا لا حاجة لنا بهذه الأحكام[1]". في حين نحن شرعة التخفيف والرحمة نُسرف في توزيع أحكام الارتداد والتكفير والتفسيق والتبديع لأدنى مخالفة.

وبالعودة للتاريخ الإسلامي بجميع مراحله والتفتيش في ثناياه يجد العلواني أنَّه كذلك لم يسلم من هذه اللوثات في التعاطي مع القضايا الأساسية، والخلط غير المبرَّر بين المصالح والمطامع الشخصية وبين قضايا الدين العادلة، فقد وقع الخلط بين مصالح الفرد أو الفئة مع مصالح الشعب أو الأمة إذ:

- **شاع استخدام الفتاوى كسلاح بين الإسلاميين في هذا العصر**، وأضحت وسيلة للتشهير والقذف وتحريض العامة على من يخالفونهم. وقد بدأ استخدام الفتوى كسلاح في وقت مُبكر، **فحادثة خطأ عثمان بن عفان**-رضي الله عنه-يوم أتمَّ الصلاة بمنى متأولاً بعد أن تزوَّج بمكية ظناً منه أنَّه أصبح من أهل مكة وأنَّه يُعامل معاملتهم ،فنُوقش وأُفهم، ثم تجمَّع من تجمَّع لمحاولة عزله التي انتهت بقتله[2]. بعد أن جمع له أعداءه عدة حجج ومبرِّرات ومنها **ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه، ولابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه، وابتدع في جمع القرآن وتأليفه، وفي حرق المصاحف** ...[3] "**فرد عليهم عثمان:** أما القرآن فمن عند الله، إنَّما نهيتكم عن الاختلاف فاقرءوا على أي حرف شئتم، وأما الحمى فو الله ما حميته لإبلي ولا لغنمي، وإنَّما حميته لإبل الصدقة. وأما قولكم: إنِّي أعطيت مروان مائة ألف. فهذا بيت مالهم فليستعملوا عليه من أحبوا، وأما قولكم: تناول أصحاب رسول الله-صلى الله عليه

1- مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة. ج1 (لا.ط؛ عمان:مكتبة دنديس، 1420هـ / 1999م)، ، ص93.

2 - طه جابر العلواني،" الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش"،(مرجع سابق)، ص32و34.

3 - أبو بكر بن العربي، العواصم من القواسم، تحقيق: محب الدين الخطيب.(ط:6؛القاهر:مكتبة السنة،1412هـ)، ص 76 و77.

وسلم-فإنمَّا **أنا بشر أغضب وأرضى**، فمن ادعى قبلي حقاً أو مظلمة فها أنا ذا، فإن شاء قوداً وإن شاء عفواً[1]"

- ثم ظهر الخوارج الذين أسرفوا في التكفير واستمرَّ هذا الأمر إلى استباحة الزبير إلى قتل عبد الله بن الزبير، وقتل الحسين واستمرَّ الهرج والمرج[2].
- وأحداث كثيرة بعدها أيام الدولتين الأموية والعباسية، وما حدث للعلماء والأئمة فليس بخاف ما حصل للإمام أحمد من ضرب وحبس بل وصل الأمر إلى القتل كما حصل لأحمد بن نصر الخزاعي، الذي قتله الواثق بيده[3].
- وحين وقعت الحرب بين حزب البعث **بقيادة صدام وبين الثورة الإيرانية** ذات الصبغة الإسلامية المذهبية سارع الكثيرون إلى تكفير الإيرانيين باعتبارهم يسبون الصحابة ولديهم أقوال ومذاهب غير مقبولة لدى مخالفيهم من السُّنة، وأيَّد علماء منهم صداماً وحزب البعث مع أنَّ لحزب البعث موقفاً علمانياً من المسألة الدينية كلها[4].

وقد **رفع العلواني السقف في الرجوع** والنظر في التاريخ الإنساني العام وتاريخ بني إسرائيل والتاريخ الإسلامي ليؤكد أهمية وتأثير الواقع الإنساني المعاش في سير الأحكام وفعاليتها.

وخاصة الجانب السياسي الذي له اليد الطُّولى على فروع الحياة ومجالاتها، وصورة الحياة الإسلامية في القديم أو الحاضر علامة صارخة لعلاقته بالدين وبصمته المحزنة لا تخفى على كل مُستبيِّن في مورثنا الاجتماعي والديني، وهذا الأمر **وَصَمَ مورثنا الفقهي بسمات التَّشدُّد** ونبذ

---

1 – الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ج3 (ط:1؛ لبنان-بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ / 1987م)، ص430.

2 – طه جابر العلواني، "الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش".(مرجع سابق)، ص35و36.

3– يوسف بن حمود حوشان الحوشان، مسائل العقيدة في كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري «عرض ودراسة»، رسالة: ماجستير في العقيدة، جامعة الملك سعود -كلية التربية – قسم الثقافة الإسلامية، إشراف:أ. د. عبد العزيز سيف النصر عبد العزيز العام الجامعي: 1417 هـ / 1418 هـ ، ص34

4 – طه جابر العلواني، تغير الفتوى بين الانضباط والفوضى.(لا.ط؛ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود،1431هـ/ 2010م)، ص 297.

التسامح والأمر يحتاج هنا إلى مراجعات وإعادة النظر في مسائل ليست وليدة اليوم بل هي امتداد لمعضلات قديمة، نخرت الجسد الإسلامي وأنهكته كسرطان قاتل.

ثانياً: الإكراهات الإيديولوجية سمة شوَّهت نسيج الحركات الإصلاحية اليوم:

ما قِيل عن عموم مسار الحياة الإسلامية وتاريخها العام وما تعرَّضت له من تشوهات إيديولوجية أثَّرت سلباً على مردود وفاعلية النسق الإسلامي العام. نفس الكلام يكاد ينطبق وبكل أسف على مستوى الجماعات الإسلامية اليوم وضغط الإكراهات الإيديولوجية الذي أوقعها في أخطاء في الفكر والممارسة ومنها الإساءة في استخدام الفتوى، حيث" أنَّ الفتوى تقوم على **ركنين: اعتماد على الأصل، واتصال بالعصر** أمَّا الاعتماد على الأصل فنحن **نعتمد على الشريعة** التي تقوم على الثوابت الكبرى وهي حفظ الضروريات السِّت، والمحافظة على قطعيَّات الشريعة وأحكامها وعلى الفرائض والقيم الأخلاقية، وشريعة الإسلام قد اتَّسعت في كل عصر ومصر عبر آليات الاجتهاد والتجديد[1]"غير أنَّ هذه الركنين لم يكن لهما وجود ولا أثر، عندما تتَّصدر المصالح والأهواء والتعصب مشهد الفتوى التي **يتألم العلواني في وصفه حالها ويأمل في صلاحه** "فسلاح الفتوى يجب أن يُنزع وأن يكون هناك ميثاق شرف بين الجماعات وقادة الرأي المفكرين والعلماء، على احترام حرية الكلمة وحرية التعبير[2]".

لأنَّ ما يجمعنا أكثر مما يُفرقنا هذا من جهة، ومن جهة ثانية فالواقع المزري للحياة الإسلامية العامة، يقتضي من الجميع تعطيل أو تأجيل كل المسائل الخلافية، على أن تُصهر جميع الجهود والطاقات في بوتقة واحدة في اتجاه واحد ومُوَّحَد هو النهوض بالأمة من جديد ومواجهة التحديات المحدقة بنا جميعاً دون استثناء.

وبتتبع **مسار الفتوى لدى هذه الجماعات الإسلامية** تلحظ ودون كثير عناء حجم الإساءة وقدر الاستهانة في استخدام الفتوى، إذ طفت على السطح فتاوى التظليل والتكفير والتفسيق

---

1 – محمد بن أحمد بن صالح الصالح، أثر الفتوى في المجتمع ومساوئ الشذوذ في الفتوى.(لا.ط؛ مكة:رابطة العالم الإسلامي، د.ت)، ص14.

2– طه جابر العلواني طه،" الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش".(مرجع سابق)، ص37.

بفضل الترويج الإعلامي، الذي فتح الباب على مصراعيه لكل غثٍّ وسمين من خلال ثورته وخصائصه الجديدة.

ومن الأمثلة التي تمثِّل انحرافاً لمسار الفتوى وتأثيرها السلبي على واقع الدعوة والأمة مايلي[1]:

- تحريم بعض الفتاوى **التعاطي مع الكتب التي تصطلح عليها كتب الظلال**، وهذا نزل إلينا من خلال بعض الوقائع التاريخية، وكذلك في عصرنا الحاضر تلعب بعض الجهات الرسمية الدور نفسه في مصادرة ومنع الأعمال التي لا تقبلها، وهذا الأمر في الحقيقة هو دعاية **مجانية لهذه الكتب الممنوعة**.
- ومنهج القرآن يركِّز على حماية الإنسان وعقله من خلال تعليمه وتدريبه فيحسن الاختيار، فالمهم اليوم هو الحصانة لا المنع لأنَّ تكنولوجيا البث توَّفر كل محضور وممنوع.
- يُكرِّس بعض خطاب الجماعات الإسلامية ظاهرة نفي الآخر[2] عن طريق تكفيره مثلاً؛ فمفهوم التكفير ونفي الآخر وسيلة سهلة لاستدراج العامة، فالتكفير أمر مفهوم عند العامة وسهل عليهم معرفته.
- والإسلام استوعب كل مخالفيه فكيف لا تتَّسع صدور أبنائه لآبائهم وإخوانهم وأخواتهم. "والتشريع الإسلامي ليس مُلكاً لطبقة بعينها، لأنَّ الشريعة سماوية منزَّلة لسعادة الجميع ولا محاباة فيها لأحد، ولا ظلم لأحد، وليس في وسع أحد أن يصنع لنفسه قانوناً يحمي به مصالحه على حساب شخص آخر[3]".

يرفض العلواني هذا الفكر الذي أساء لمسار الدعوة في الداخل والخارج، المتَّصف بالاندفاع والإقصاء والتحيِّز وهذه بعض صفاته ومخاطره وآثاره:

1- انظر: طه جابر العلواني،"الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش"،(مرجع سابق)، ص37و38و40 بتصرف.

2 - الآخر هنا: هو المخالف داخل النَّسق الإسلامي كأحد الجماعات الإسلامية مثلاً.

3- شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام. (ط:2؛ الجزائر/ دمشق-سورية: دار الفكر،1412هـ/1992م)، ص329.

- صورة المصادرة والإلغائية المجُحفة في حق كل فكر مخالف أو عقل مغاير لأنَّه دعوة للمعاندة وصدٌّ عن دين الإسلام، لأنَّ النفس الإنسانية مجبولة على طلب كل ممنوع وكما يُشاع بين الناس من أنَّ كل ممنوع مرغوب.
- العالم اليوم أضحى كتاباً مفتوح الصفحات واضح الكلمات، لا مكان فيه للستر والتَّستر أو السرية والاختفاء ولم يبق أمام الأفراد والمجتمعات سِواء طريقين لا ثالث لهما؛ إما الحصانة والتَّحصين أو التلاشي والاختفاء.
- دائرة الكفر والإسلام وبعض المصطلحات الشائعة والمتداولة مثل جماعة المسلمين وإتباع الرسول-صلى الله عليه وسلم-والتزام السنة والفرقة الناجية عند عامة الناس سهلة وواضحة وفي ذات الوقت مُريحة،ومن ثمَّ يسهُل استدراجهم بسهولة بمثل هذه المصطلحات والسيطرة على عقولهم والتأثير عليها. لهذا يرفض العلواني أن تُمثِّل جماعة إسلامية الأمة وتستبعد غيرها.

ثالثاً: حقيقة العلاقات العامة في الإسلام.

رسم الإسلام شكل العلاقة داخل النسق الإسلامي وخارجه بصورة واضحة جلية، تحفظ للجميع على حد سواء حقوقهم وتصون كرامتهم في ظل العيش المشترك، وعلى جميع الأصعدة وكافة المجالات ولعلَّ من أهمها؛ جانب الثقافة لحساسيتها وتشعبها وارتباطها بالمشتركات الإنسانية الأخرى.**فالعلواني يرى** بأنَّ نظرة الإسلام إلى سائر الثقافات مميزة وكذا موقفه من الآخر **إذ يقول:** "**الإسلام دين عالمي** يستوعب سائر الأنساق الثقافية والحضارية بعد التصديق والهيمنة عليها، فالإسلام في بدايته حافظ على كل الأنساق الموجودة في محيطه بعد أن تمَّ تزكيتها وترقيتها بمداخل[1]".وقد **أكَّد عمر الخطيب** ما ذهب إليه العلواني إذ يقول: "والإسلام **لا يرمي قط إلى القضاء على أعدائه**، ولا إلى الاستيلاء عليهم بالقهر، ولكن إلى

1 – انظر: طه جابر العلواني، "الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش".(مرجع سابق)، ص41و42 بتصرف.

تَجَنُّب خطرهم. فمتى تحقَّق هذا الغرض لم يبق للصراع في نظره مبرراً؛ لأنَّ هدفه إيجاد العلاقات العامة مع الناس قاطبة[1]"

وهذه مداخل تزكية وترقية الأنساق الثقافية والحضارية هي[2]:

- **التَّصديق**: وهو أن نُزيل كل ما خالف الصدق وغايره مما في تلك **الأنساق** من كل تحريف بشري وغيره بالزيادة أو النقصان.
- **الهيمنة**: أن تكون الصبغة الأساسية هي الصبغة الإسلامية وثقافة الإسلام.
- **استيعاب**: ما في تلك الأنساق الحضارية والثقافية من خير مثل تجربتنا الأولى مع الثقافة اليونانية.

وبالعودة للقرآن الكريم نجده قد دعا أهل الكتاب إلى التعايش على أصل مشترك لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴿٦٤﴾﴾[آل عمران: 64].وهذا الأصل جعله الله منطلقاً لصياغة التعايش، لأنَّ جميع الأنبياء جاءوا بالتوحيد ونبذ الشرك وتبني القيم العليا المشتركة وفي مقدمتها التزكية للإنسان والعمران للكون.

ومن خلال هذه المداخل **يؤكد العلواني على نقاط يجب الاهتمام بها في بناء الخطاب الإسلامي العالمي وهي:**

- أنَّ خصَّ الإسلام بالتصديق والهيمنة والاستيعاب للأنساق الأخرى، ليس من باب العصبية للإسلام، ولكن لكونه في حقيقته شامل لها في مضمونه ومحتواه.
- وأنَّ قيام هذا الأمر يُقلِّل من المصادمة بيننا وبين الغرب ويفتح لنا المجال من الاستفادة من مُخرجات الحضارة الغربية وخاصة في شقها المادي.

---

1 – عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية.(ط:15؛ لا.م: مؤسسة الرسالة، 1425هـ/2004م) ص271.

2 – انظر:طه جابر العلواني،"الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش".(مرجع سابق)،ص42إلى44 بتصرف.

- كما أنه يُلمِّح مرة أخرى لمبدأ **مقصد الفطرة الإنسانية السليمة**، فالإسلام دين للبشر كافة بجميع اختلافاتهم وفروقهم. فهو يستوعب كافة النفوس البشرية السوية ويهيمن عليها بكل سهولة ويسر. "**إنَّ طبيعة الإسلام نفسه وخصائصه وسابقته التاريخية في تكوين أمة واحدة** واتجاه الشعوب في العصر الحاضر إلى تكوين كتل تتألف كل منها من مجموعة من الشعوب تلتقي على صعيد عقيدة مشتركة ونظم مشتركة واقتصاد موحد أو متناسق، إنَّ هذه الأمور كلها تُؤكد إمكان الانتقال بالعالم الإسلامي في صورته الحاضرة إلى أمة واحدة، ودولة واحدة أو متحدة أو اتحادية وثقافة مشتركة ذات لغة مشتركة، وحضارة مشتركة[1]".

الفرع الثاني: الأصول المنهجية والمرتكزات القرآنية في بناء ثقافة التعايش.

القرآن الكريم وضع أساس واضح لبناء الأسرة الإنسانية الواحدة من لدن سيدنا آدم إلى قيام الساعة في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات:13] .في هذه الآية" دعوة اللَّه عباده للتعارف وحفظ الأنساب وتبادل الخيرات والخبرات، وإنَّما التميز بالتقوى والحرص على الطاعات، واللَّه عليم بعباده خبير بمن استحق منهم رفع الدرجات[2]".

وقد وضع القرآن الكريم الأسس والمرتكزات في بناء ثقافة التعايش السلمي، بما تمثَّلت في أصول منهجية لفقه التعارف وهي حسب رأي العلواني كما يلي:

أولاً: الوحدة والتنوع:

فمن عجائب هذا الإنسان الغريب الذي أحسن الله-تعالى-خلقه؛ الجمع بين نقيضين في ذات الوقت وحدة واختلاف الخلق؛ فهو إنسان واحد مختلف. قال أيضاً:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ

1- محمد المبارك، الوحدة الإسلامية.(ط:10؛ المدينة المنورة:الجامعة الإسلامية، د.ت)، ص41و42.

2- مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش.ج7 (ط:1؛لا.م:مأمون حموش، 1428هـ/2007م)، ص395.

بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ [النساء : 1] . وقال أيضاً:﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١١٩﴾] [هود : 118و119]

ومن خلال هذه الآيات الكريمات يستخرج العلواني ما جاء في القرآن الكريم بشأن الوحدة والتنوع الإنساني[1]:

- الإيمان بوحدة الأصل الإنساني.
- القرآن الكريم نبَّه البشرية وفسَّر لها قبل كل شيء اختلافها في الألوان واللغات وغيرها من أجل التفاعل وإحداث العمران، لابدَّ من وجود الاختلاف، بشرط ضبط هذا الجدل والتفاعل بين البشر وإخضاعه لنوع من القواعد والقيم، من أجل أن يُصبح جدلاً إيجابياً.
- فالإيمان بأنَّ كل ما يُظن أنَّه عنصر من عناصر الاختلاف، إنَّما هو أصل من أصول التعارف ووسيلة من الوسائل المساعدة له.
- إنَّ الاختلاف سنَّة ماضية في حياة البشرية.
- فلا وجود لما يروَّج له اليوم **بمصطلح ثقافة التعدد** على أنَّه ثقافة للتعايش، لأنَّ ثقافة التعدد **مصطلح مؤدلج**، ولأنَّه يُحكِمُ الحصار على بقية الثقافات الأخرى، للوصول إلى الواحدية أو التَّفرد الناجم عن تكريس ثقافة واحدة مما سبَّب محاصرة الثقافات الأخرى أو تنصل أصحابها منها.
- فثقافة التعدد أقصى ما يُمكن تقديمه هو الاعتراف بحقوق الآخرين، واحترام خصوصياتهم وهذا ما لم نشهده في عالم الغرب، وإن كان في خطابه يعترف بالتعدد والاختلاف.

1 – طه جابر العلواني، "الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش ".مجلة قضايا إسلامية معاصرة، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، السنة السابعة، شتاء 2003م/1423هـ، العدد:22،ص22 إلى26و28.

أما في النظام الإسلامي فالأمر مختلف فهو لا **يتوقف عند احترام الخصوصيات فحسب**، بل يتعداها إلى **حماية هذه الخصوصيات**، وإيجاد حالة التعارف المؤدية للتآلف من خلال نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ظل قاعدة؛ **المعروف ما تعرفه البشرية والمنكر ما تُنكره الفطرة** ."لأنَّ نبيَّنا-صلى الله عليه وسلم- عندما بُعث برسالة الإسلام للناس كافة، قام بواجب الأمر بالمعروف بنفسه وكلَّف بعض أصحابه بالقيام به، وقد وصف الله-عزَّ وجلَّ-نبيَّه محمد-صلى الله عليه وسلم- بأنَّه يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ **[الأعراف: 157]**[1]

وكأن العلواني يُؤسس من خلال استخراج هذه القواعد القرآنية إلى بناء الوحدة الإنسانية القائمة على التعايش السلمي كما يلي:

- الوحدة الإنسانية في القرآن الكريم مُرتكز كفيل بأن يُعيد توجيه بوصلة الإنسان المستبد والمتعالي تجاه أخيه الضعيف والمقهور، فيُنصفه ويحميه ويعينه.
- الاختلاف الإنساني الأمر يسير وفق قانون الدفع والتدافع، الضامن لإحداث الديناميكية والحيوية والنشاط الإنساني المفضي للعمران والتعمير والتسخير قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ **[الملك:15]**. "فشاء الله-عزَّ وجلَّ-أن يختار الإنسان لعمارة الأرض وكلَّفه بتأليف الأسرة الإنسانية التي تقف تحت سلطان العبودية له، وتُقيم حياتها على منهج الشريعة لتكون بذلك مظهراً لعدالة الله في الأرض، جهَّزه بملكات وصفات سامية، فأورثه العقل والتفكير وسخَّر له

1- سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنَّة.(ط:4؛ لا.م: لا.ن، 1417هـ / 1996م)، ص18.

كثيراً من الحيوانات والمخلوقات وغرس في كيانه شعور حبِّ الذات وأمدَّه بالقوة، هذه الصفات أنعم الله بها عليه ليستعين بها في أداء رسالته ولتُيسِّر له السبيل إلى تحقيق خلافته على الأرض، فينشئ فوقها الحضارة الإنسانية التي حمَّله القرآن مسؤولية إنشائها[1]".

- كما ينتقد العلواني ثقافة التعدد التي نادى بها الغرب فواقعهم يشهد بمحاربتهم لثقافات غيرهم ومُعادتها، ولعلَّ واقع الأقليات في البلاد الغربية وعدم اندماجهم في بيئاتهم الجديدة، دليل شاهد وقائم على الرفض الواقعي الغربي لغيرهم من بقية ثقافات العالم.
- أما إذا فتشنا عن هذا المفهوم-التعدد والتعايش-في النظام الإسلامي فإنَّنا نجده يستوعب ما جاءت به ثقافة الغرب ويتجاوزها في الارتكاز على قالب إدراك المعالم الإنسانية المشتركة واعتمادها في إحداث التوافق بين البشر.

ثانياً: غاية واحدة وعهد بالاستخلاف.

الإيمان بوحدة الغاية الإنسانية التي تتجه نحو جهة واحدة وهي الآخرة، وقبلها الاشتراك في الغاية من الحياة الدنيا وهي العيش الكريم، وكذلك الإيمان بوحدة البشرية في عهدها مع الله، فالبشرية كلها أخذت عهد الإيمان بالله من لدن آدم- عليه السلام- إلى قيام الساعة وكذا، الإيمان بأنَّنا جميعاً مستخلفون في هذه الأرض، للقيام بمهمة العمران والأمانة التي أُنيطت بنا كجنس بشري، فهي موجهة للبشر كافة مسلمهم وكافرهم[2].كل هذا من شأنه أن يُعزِّز الشعور بضرورة التعايش السلمي بين البشر كافة، وقد **استلهمها العلواني** من خلال استنطاقه لآيات القرآن الكريم، في مثل ما جاء في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾[الانشقاق:6] ،يقول **مأمون حموش**:" هو خلاصة هذه الحياة. والمراد جنس

1- انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في الإسلام.(لا.ط؛لا.م: دار الفكر، د.ت)، ص44بتصرف.

2 - طه جابر العلواني، "الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش". (مرجع سابق)،ص 26.

الإنسان، فيشمل المؤمن والكافر. والمعنى: إنَّك أيُّها الإنسان ساع إلى ربك سعياً، وعاملٌ عملاً، وسوف تلاقي ربك بعملك[1]".

وقال **العثيمين**: "الكادح: هو الساعي بجد ونوع مشقة وقوله: {إلى ربك} يعني أنَّك تكدح كدحاً يوصلك إلى ربك، يعني أن منتهى كدحك مهما كنت ينتهي إلى الله، لأنَّنا سنموت وإذا متنا رجعنا إلى الله –عزَّ وجلَّ–فمهما عملت فإن المنتهى هو الله –عزَّ وجلَّ–[2]".

أو قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف : 172] .

فهذا الإحساس يدفع الجميع نحو غاية واحدة مشتركة، كما يقوي الروابط الاجتماعية ويُحدث التضامن والتعاون والاتحاد والسعي المشترك لخدمة الفرد والمجتمع. كما يدعو العلواني كذلك لترسيخ هذه المبادئ وتفعيلها على أرض الواقع من خلال[3]:

- إنَّنا جميعاً مشتركون في قضية الابتلاء، مطالبون بأن نُحسَّن العمل، ولا يتمُّ ذلك إلا من خلال التعاون بالتعارف المفضي للتآلف
- تجاوز الثنائية التي أفرزتها المركزية الغربية الذات والآخر، كما يمكن تجاوز ما يُعرف بأساليب التفاهم والحوار مع الآخر، والتحفظ على هذه الفكرة فالبشرية أمة واحدة.
- إنَّ البشرية كلُّها أسرة واحدة ممتدة، ودعوة القرآن الكريم إلى الدخول في السلم كافة لكل من ألقى السلام وأبدى الرغبة فيه.

---

1 –مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش.ج8(مرجع سابق)،ص387.

2 – محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تفسير جزء عم، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان.(ط:2؛الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع، 1423 هـ – 2002 م)،ص111.

3– انظر: طه جابر العلواني، "الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش". (مرجع سابق)،ص26و27 بتصرف.

فالمنطلق لعيش البشرية في حالة من الوئام والمسالمة يتأتى من الإحساس بوحدة الأصل والمنشأ والعيش المشترك، فعن أبي هريرة أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال: «... أنتم بنو آدم وآدم من تراب...»[1]، فلا داعي للوقوف في وجه هذه السُّنة الكونية– سنَّة الاختلاف– ولا مجابهتها، بل **الواجب التعايش معها والتكيُّف مع ظروفها وملابساتها وفق ما يحقِّق للبشرية شروط العيش الكريم**. بهذا نحقِّق التعاون ونتجاوز التعايش الشكلي، المبني على مجرَّد الإحساس بمصالح مشتركة، بالعمل مسؤولية المجتمع الإنساني، كما هي سلوك فردي ومسؤولية فردية. فالاختلاف الإنساني من فطرة الإنسان وهي من أهم مقاصد الدين "و**الفطرة أول أصول الإسلام**، وأنه مما كرم الله به النوع منذ ظهوره في الأرض[2]. وهذا ما سمَّاه القرآن الكريم بالعهد والميثاق يمكن حينها للإنسان القيام بمهمته الأساسية في الحياة، **ويوضِّح البوطي** في بيان **المهمة التي أوجد الله الإنسان من أجلها** ليستخلفه في الأرض وينهض للقيام بها:" تتلخَّص في تنفيذ مبادئ العدالة الإلهية وما تقتضيه الحكمة الربانية فيما بين الناس في الأرض، وشاء الله–تعالى– أن يضع فيما بينهم موازين العدالة وشرائع الحكم وسبل الحكمة، وأن يُبصِّرهم بها ويعرِّفهم على أهميتها، وأن يهبهم قدرة التصرف والاختيار كما يشاءون، ثمَّ أمرهم بأن يوجهوا اختياراتهم باسمه إلى تنفيذ شرائعه فيما بينهم، وإلى أن يتَّبعوا حِكمته في تسخيرهم المكونات التي من حولهم والتي أخضعها لسلطانهم[3]".

الفرع الثالث: الإطار القرآني للتعايش.

انطلاقاً من تحديد الأصول والمرتكزات المتفق حولها من طرف البشر جميعاً، لسلامتها ووضوحها ومُوافقتها المنطق السليم، وفي حالة الأخذ بها بإنصاف، فإنَّ القرآن الكريم قد حدَّد

1 – سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب التفاخر بالأحساب، حديث رقم 511–، والترمذي في باب المناقب حديث رقم 3955، حسنه الألباني في الصحيحة.

2– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير. ج8 (لا.ط؛ تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، ص74.

3 محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل. ج3 (ط: إعادة؛ دمشق: دار الفكر،1424هـ/ 2003م)، ص161–162.

لنا المرحلة الموالية التي تقود إلى التعايش السلمي فيما **سمَّاه العلواني بالإطار القرآني للتعايش الإنساني الذي يقوم عنده على ما يلي**[1]:

- منطلق التوحيد القائم على التقوى والتعامل والسلوك العادل مع الجميع المستند لقوله تعالى:﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[المائدة : 8] .
- وحدة القيم وثباتها وعدم نسبيتها.
- الوحدة داخل النُّظم وتقاربها حتى يضمحل الخلاف.
- الإيمان بالحقيقة المطلقة التي يمتلكها فقط الأنبياء والرسل، وهذا من شأنه جعل الإنسان متواضعاً مما يُمَكِّنه من احترام غيره.

وفق هذا الإطار القرآني الفريد يرسم العلواني صورة للمجتمع الفاضل الذي يسعى البشر للعيش في كنفه، ولن يتم ذلك إلا في ظل تحقيق ما دعا إليه القرآن الكريم ووجه الإنسانية إليه:

- فمنطق العدل والمساواة بين البشر من أهم لوازم التوحيد، التي جاءت في القرآن الكريم في حالة الاختلاف قبل الاتفاق وفي حالة الحرب قبل السلم. كما أنَّ "هذا العدل الذي يدعو إليه الإسلام متفق مع عالمية الإسلام الخالدة، فقد جاء الإسلام لينشئ أمة مثالية، وقيماً ربانية، وموازين ثابتة للإنسانية كلها بعيداً عن التعصب لقبيلة أو أمة أو جنس أو لون، إنَّما هي آصرة واحدة، ورابطة فريدة، يجتمع عليها الأسود والأبيض والأحمر والأصفر من أجل تحقيق العبودية لله رب العالمين. ومن أجل العدل والمساواة[2]".

1 – انظر:طه جابر العلواني، "الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش".(مرجع سابق)، ص28بتصرف.

2– حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام.ج2 (ط:1؛ المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية:عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، 1424هـ/2004م) ،ص734.

- وحدة النُّظم ووحدة القيم إذ النُّظم نابعة ومُستمَدة من القيم، فالقيم الإنسانية موَّحدَة والنُّظم الإنسانية كذلك موَّحدَة أو متقاربة، لأنَّهما نابعتان من مصدر واحد هو النفس الإنسانية التي تَتَّصف بذات الخصائص والميزات المشتركة.
- وكذا القيَّم الإنسانية بين البشر جميعاً واحدة أو متقاربة في كلياتها، فعلى سبيل المثال يُشكلِّ الأمن أو الاستقرار أو البحث عن العيش الكريم، مطلباً للإنسان في كل وقت وحين، وكثير من المشتركات التي تجمع عالم البشر، من شأنها أن تُسهِّل التفاهم والتعاون وتُضيِّق من مساحات الخلاف والاختلاف بينهم ليحقِّقوا السلم والأمن والتعايش والتطور للجميع دون استثناء أو إقصاء.
- ومن هنا يتلمَّس البشر الكشف على ما في أيدي بعضهم البعض، بكل حب واحترام وتقدير، من أجل الوصول للحقيقة التي تتوزَّع بينهم فيختفي التفاضل والتفاخر بينهم. وحتى تتَّضح معالم هذا الإطار القرآني بصورة واضح جليِّة يُسقط العلواني تلك المبادئ النظرية على الواقع في أرقى صورة له وأفضل نموذج ميداني عرفته البشرية؛ نموذج المجتمع النبوي وعلى وجه الخصوص مجتمع المدينة المنورة، كما يلي[1]:
- **فالفترة المكية** حكمت العلاقات بين الرسول وأصحابه ومشركي مكة قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾[الكافرون: 1إلى6]، ولكن مشركي مكة قالوا لنا ديننا وعليك وعلى أصحابك أن تلتزموا به ،فنتج عن ذلك سلسلة الاضطهادات التي انتهت بهجرة الرسول إلى المدينة.
- **الفترة المدنية** وبعد الهجرة أصبح الرسول وأصحابه يمثلون الثلث من المدينة والثلث الثاني يمثِّله بقية العرب-الأوس والخزرج-أما الثلث الثالث فهم اليهود.

1 – انظر: طه جابر العلواني، "الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش".(مرجع سابق)،ص 29بتصرف.

- إذ تعتبر صحيفة المدينة وبتوجيه من الله-تعالى-أول دستور للتعايش، كما أنَّ السيرة النبوية كلُّها صيغة للتعايش.

فالقراءة السليمة للسيرة النبوية يقف عندها المسلم ومن ورائها الإنسان، على الدروس والعبر لمختلف مجالات الحياة وفروعها، كما يمكنه تمييز ما سمى به الرسول –صلى الله عليه وسلم- من مبادئ وأفكار من أجل خلاص البشرية ومنها:

- فكانت الحرية من النبي للمشركين، في حين لم تكن تلك الحرية والتسامح من جانب الكفار للرسول وأصحابه، وما وقع للمستضعفين من الصحابة مثل آل ياسر ومن أسلم من الرقيق دليل شاهد على مُصادمة الكفار لحرية الاعتقاد والدين الجديد.
- فمجتمع المدينة كان أخلاطاً غير مُتجانسة متعدِّد الخصائص والصفات، "وكان بالمدينة قرى وأسواق من يهود بني إسرائيل، وكان قد نزلها عليهم أحياء من العرب فكانوا معهم، وابتنوا الآطام والمنازل قبل نزول الأوس والخزرج[1]"
- وهذا أمر في حدِّ ذاته بالغ التعقيد وشديد الخطورة وفي منتهي الصعوبة في تحقيق الوفاق والعيش المشترك وفق ظروف زمانية ومكانية محددة، إلا أنَّ الرسول الكريم استطاع أن يُحقِّق التعايش السلمي للمنطقة ولساكنيها.

وعلى الرغم من أهمية هذه الوثيقة وسائر أحداث السيرة النبوية الشريفة" التي هي المثل الأعلى للإنسان الكامل في جميع الجوانب[2]. إلا أنَّ العلواني يُشير إلى أنَّه لا يمكن تكرار هذه الوثيقة في المجتمعات المعاصرة لأنَّها ذات ظروف تاريخية وشروط موضوعية، لكن يُمكن الاقتباس منها أو استخراج الدروس[3].ومن هنا نؤكد على خصوصية المجتمعات الإنسانية عبر المراحل التاريخية ولهذه الخصوصية تأثيراتها على الفعل الدعوي في جميع مراحله، ولكن وللأسف الشديد أُهمل

1- ابن النجار، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تحقيق: حسين محمد علي شكري. (لا.ط؛لا.م: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت)، ص28.

2 - مهدي رزق الله أحمد،السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية.(ط:1؛ الرياض:مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،1412هـ/1992م)، ص 15.

3-انظر:طه جابر العلواني،"الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش".(مرجع سابق)،ص30و31بتصرف.

هذا البُعد في ممارسات حركات الإصلاح الدعوي فجنت الفشل والإخفاق وعمقت أزمة الإنسانية.

الفرع الرابع: عالمية الخطاب القرآني أساس للتعايش الإنساني:

أولاً: مفهوم عالمية الخطاب القرآني.

يُعطي العلواني للعالمية مفهوماً واسعاً؛ إذ هي عنده[1]:

- نسبة إلى العالم على غير قياس، تشمل الإنس والجن
- وخاصية شديدة الأهمية وخاصة في هذه المرحلة من تاريخ البشرية
- ومنشأ هذه العالمية يعود للقرآن الكريم إنَّه نزل بلسان العرب في مكة، ثُمَّ في المدينة ثُمَّ خرج به العرب إلى حوض الحضارات القديمة، وقد كان السَّبب في الخروج إلهياً وليس ذاتياً. للدعوة إلى الإيمان بالله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾[آل عمران:110]
- فهو الخطاب المتجرِّد عن أيَّة مكاسب قومية أو ذاتية المتَّجه لخير الآخرين فتحقَّقت قابلية استيعاب الآخرين. فكانت الدولة العالمية الأولى.
- ولقد استطاع المسلمون أن يتجاوزوا ثنائية الشرق والغرب، كما استطاعوا استيعاب التعدديات الدينية والثقافية والحضارية كلها في إطار الدولة العالمية الأولى.
- كما عجزت البشرية عبر جميع مراحلها الفكرية والعلمية من العقل الإحيائي إلى العقل الطبيعي وصولاً إلى العقل العلمي الذي استطاع أن يقودها للتفكيك لكنَّه عجز على تمكينها من التركيب مما أوضعها في التوتر والقلق، ولا شك أنَّ الإسلام هو الحل.

1- انظر: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص 393إلى395بتصرف.

فكانت خاصية عالمية الخطاب القرآني أحد أهم الركائز الفكرية عند العلواني، وبفضل تفعيل هذه الخاصية المغيَّبة عن الفكر الإنساني عامة والفكر الإسلامي خاصة، **يمكن الوصول إلى التوافق والعيش المشترك وفق مايلي:**

- بأنَّ مشكلة الخطاب هي إحدى أكبر مشكلات الإنسان المعاصر اليوم وسبب من أسباب تفرقته.
- وبتتبع المراحل التي مرَّت بها البشرية في مجال العلوم والمعارف والمناهج واستقصاء مشكلاتها وتجاوزها.

وهنا يُشيِد العلواني بالحضارة الإسلامية في صورة منصفة دون تحيُّز أو مبالغة فيقول[1]:

- في ملمح خاصية العالمية بأن ينشر العرب الوحي بين جميع الناس الذين تقبلوه.
- والمعلوم أنَّ الأشياء التي تعود بالنفع على الناس، تلقى حسن استجابة لديهم.
- فقد وجد الناس هذا الخطاب بأبعاد إنسانية مُشتركة، ومتَّصف بالخيرية للجميع واستطاع أن يحقِّق الخير للجميع دون تمييز. ومن هنا وجب: "حين نتقدَّم إلى الناس بدعوتنا، لا بد أن نصوغ خطاباً يجمع عناصر القبول المختلفة، التي حواها الخطاب القرآني والنبوي، واستعمله المجدِّدون الموفَّقون من سلف هذه الأمة، وإنَّ من شأن هذا الخطاب إذا اتَّضحت معالمه، واستبانت مقاصده أن يُثمر ثمرات عظيمة[2]"

ثانياً: عقبات أمام عالمية الخطاب الإسلامي.

تقف أمام طريق العالمية عقبات داخلية وخارجية تجعل من تحقيقها أمراً صعباً، إلا في ظل تغيير على المستوى البيت الإسلامي الداخلي، وكذا تغير المناخ والمحيط الغربي الخارجي وأهم هذه العقبات حسب تقسيم العلواني هي:

1-عقبات العالمية في الداخل وهي كما يلي:

---

1 – انظر:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص 393و394بتصرف.

2 – محمد يسري إبراهيم حسين، فقه الأولويات في الخطاب السلفي المعاصر بعد الثورة.(ط:2؛ مصر: دار اليسر للنشر والتوزيع،1433 هـ / 2012م)، ص84.

- إستقرَّ في ذهن الأمة أن تقام دولة مثل دولة المدينة لتتولى هذه الدولة مهام دولة المدينة في العالم المعاصر.
- مما زاد ذلك بعداً عن تحقيق الهدف في العلاقات مع الغرب، وزاد من تعقيد المسار نحو
- العالمية وخاصة بعد مخططات سايكس وبيكو[1].

وقد **عكفت الأمة بطاقاتها** كلها على تحقيق هذا المسعى، وهذا الهدف **على قدر سموُّه وعلو قدره إلا أنَّه استنزف جميع الطاقات الفاعلة في الأمة**، كما أحدث اختلالا وعدم توازن في العملية الدعوية برمتها، وأدى إلى التَّمزق العربي ورفع من درجة الاستعداء للغرب؛ بتعزيز مكانة المورث وزيادة حالة الرفض والصراع، **وقد وضع العلواني حالة الرفع من درجة الاستعداء للغرب في العقبات الداخلية**، لأنَّه يبدو أنَّه نظر للعقبة من حيث تداعياتها وانسياق العقل المسلم وراءها إلى حد الإسراف؛ بمعنى أنَّنا أعطينا المسألة أكبر من حجمها، فأخذت منا الجهد والوقت وصرفتنا عن القضايا المصيرية والأهم في طريق العالمية المنشودة. **فالنظر والاعتبار من طرف العلواني كان على ردِّ الفعل والانسياق وراءه** بعيداً عن العقلانية وإعطائها الحجم المناسب. في حين كان المفروض أن نَستحضر ضرورة العالمية الإسلامية القادرة على القضاء على القلق الغربي، وتحقِّق الدولة الإسلامية العالمية.

2-عقبات العالمية في الخارج (مأزق الحضارة الغربية):

يطرح العلواني وجهة نظر رُبَّما أخذها من خلال دراسته للحضارة الغربية نظرياً وواقعياً؛ على أنَّها تُدرك عجزها وعدم قدرتها على إخراج نفسها والعالم من المأزق، فهي تُعاني من المسائل الجوهرية التالية[2]:

- في حين تشهد تطوراً وتقدماً تكنولوجياً عظيماً، في الوقت ذاته تشهد انهياراً في قيم الإنسان وهذه أصبحت معضلة ولغزاً مستعصيا حلّه.

---

1 - يوم 16/مايوأيار/1916وقَّع كلًّا من مارك سايكس الموظف السامي في الخارجية البريطانية وفرانسواجورج بيكو السكرتير الأول في السفارة الفرنسية بلندن اتفاقية تقاسم ما أصبح يعرف لاحقا بالشرق الأوسط إلى خمس مناطق بين فرنسا وبريطانيا...راجع: مجموعة من الباحثين، الحرب العالمية بعيون عربية،تحرير:رشيدخشانة.(ط:1؛ت،م الجزيرة للدراسات و الدار العربية للعلوم ناشرون،1437هـ/2016م)،ص2.

2 - طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص405و406.

- كل محاولات السيطرة على التاريخ لم تعد مُجديَّة، رغم المناداة بالسلم منذ فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وما قبل الحرب العالمية الثانية، لكن الحروب اندلعت ولازالت مُستمرَّة إلى يومنا هذا.
- كذلك كل مُحاولات السيطرة على الإنسان في ظل النظامين الاشتراكي المقبور والرأسمالي القائم باءت بالفشل وتبعها تمرُّد الإنسان، بحث مستمر عن الذات، عدمية، يأس، انتحار، صراع حضارات، نهاية التاريخ.
- النَّسق الحضاري القائم على الصراع وغلبة الأقوى وسيطرة الشركات الكبرى، أمر أخذ باستلاب الإنسان الغربي تمام الاستلاب.

أين الحرية؟ فهو عبيد الشهوة المادية المسعورة.

أين العدل؟ حروب واحتلال من غير أسباب ومجلس الأمن ضمير العالم الحي لا يحرِّك سكاناً إلا إذا أراد الأقوياء، وبعد أن تحصد آلة الحرب الأرواح البريئة.

أين المساواة؟ شمال يموت بالتُّخمة وأمراض السمنة وجنوب يموت بالجوع والعطش والمرض والحروب والمجاعات والأوبئة.

قَدَّمَ العلواني أمثلة كدليل على استلاب الإنسان الغربي من طرف حضارته الوضعية سواء القديمة منها أو الحديثة والمعاصرة ومنها[1]:

- اللاهوت المسيحي بعد أن استلبه الموروث الهيليني والروماني، لم يُعد قادراً على أن يمنح العقل الغربي رؤية كونية تتجاوز مفهوم الإله المتجسِّد ومن ثَمَّ قضى على نقاء التوحيد.
- ظاهرة القطيعة المعرفية بين العقلين الطبيعي والعلمي من جهة، وبين اللاهوت من جهة ثانية جعلت الوضعيين يُكرسون مفهوم تحييد الله.
- التفكيك والعجز عن التركيب وهذا بسبب النسق الحضاري الغربي المستمد تكوينه منذ تاريخ المرحلتين الهيلينية والرومانية، على أساس الصراع والاستعلاء على الآخرين.

1 – طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص406إلى408.

وهنا زاد كلا العقلَين الطبيعي والعلمي، الهوة بين الإنسان وبين الله مما زاد من تعميق المأزق الإنساني في التعامل مع الله والكون والحياة، وأصبح بذلك أكثر خطراً وأشد فتكاً من اللاهوت المسيحي المستلب.

كما ينبغي أن نطرح على النسق الحضاري الغربي سؤالاً جوهرياً ما مكانة الأخلاق في هذا النسق المستعلي وكيف يُمكن التوفيق بين الدعوة إلى الدين وبين مصالح المسيطِرين؟ **ويُجمل البوطي صورة للإنسان الغربي فيقول:**" ثم إنَّ إنسان الحضارة الغربية يكاد يعيش منفصلاً عن ماضيه من حيث هو ضياء كشَّاف وقوَّة واقعة، وعن مستقبله من حيث هو مخزن الآمال وباعث التخطيط. وتُحشر ذاته –من جرَّاء ذلك–بكلِّ طاقاتها وأهوائها ودوافعها، في نقطة الزمن الحاضر وحده، فإذا هي تعاني من تقوقع زمني خطير، إنَّما تشغلها عن الشعور بآلامه والضيق به سكرة نعيم آنيٍّ مكثَّف. ومآل ذلك بلا ريب، انفجار مدمِّر ينتشر على أوسع رقعة من ساحة المستقبل[1]"

الفرع الخامس: أسباب التفاعل بين عالمية الإسلام والغرب عند العلواني.

أولاً: التفاعل ليس سهلاً ولكنَّه ليس مستحيلاً.

التفاعل بين عالمية الإسلام والغرب في نظر العلواني ليس مستحيلاً ولكنَّه يُقرُّ بصعوبة الدرب لإيجاد هذا التفاعل للأسباب التالية[2]:

- ليس سهلاً لأنَّ الغرب يعيش نسقه الحضاري المستعلي، وسيقاوم بشدة أيَّ إصلاح وخاصة الإصلاح الديني وبالخصوص الإسلامي.
- ليس سهلاً لأنَّ النسق الحضاري الغربي لا يقبل دعوات أخلاقية وقيميَّة تُخِّل بنسقه المهيمن.
- وليس سهلاً لأنَّ أي دعوة إصلاحية تصدر عن عالم المسلمين بالذات، يَعُدُها الغرب طِبقاً لخلفيات ذاكرته التاريخية صادرة عن طرف معاد، يجب عليه تحطيمها مهما بذلنا لإقناعه أو ادعاء التقرب إليه.

1 – محمد سعيد رمضان البوطي، هذه مشكلاتهم.(ط:1؛ دمشق: دار الفكر، 1990م)، ص90.

2 – انظر: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص409بتصرف.

لأنَّ الغرب وللأسف الشديد قد رسم في ذهن الإنسان الغربي اليوم، من خلال الدعاية الغربية المغرضة الموجَّهة ضد الإسلام تحت إشراف النظام العالمي الجديد، صورة منفِّرة من كل ما هو إسلامي أو ما أُطلق عليه اسم الإرهاب وخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م. مما زاد من حجم الصعوبات والعقبات التي تقف أمام تفاعل عالميتنا بعالميته.

ثانياً: مسالك الوصول للتوافق بين العالميتين.

رغم وجود ذلك الكم الهائل من الصُعوبات المؤدية للتوافق بين العالميتين إلا أنَّ هناك مسالك مفتوحة للوصول لإحداث التوافق بين العالميتين ومن هذه المسالك حسب رأي العلواني[1]:

- الاتصال القوي مع مدارس التحليل الغربي –أيّاً كانت اتجاهاتها وتوجهاتها–من أجل تزويدها بالمنهج المعرفي القرآني.
- أن نَمنَحَ كل الطاقات الممكنة لحركة أسلمة المعرفة في مجالات توجيه العلوم الطبيعية، وإعادة بناء العلوم الاجتماعية الإنسانية.
- المدخل الجديد للعالمية الإسلامية المرتقبة؛ هو مدخل معرفي ومنهجي يستطيع أن يتحدى عالمياً مستوى السقف المعرفي والمنهجي العالمي الراهن، بواسطة الدراسات العلمية والبحوث في قضايا العالم المعاصر، من خلال الانفتاح والوصول إلى النخبة الغربية.

ويبدو **العلواني في طرحه لمسالك التوافق في صورة المفاوض القوي** إذ يظهر حالة الندية وتتلاشى عنده حالة الضعف والإحساس بالنقص، التي نشعر بها تجاه العالمية الوضعية، فمن أجل تجاوز أزمة التفكيك والتحليل والعجز إلى محاولة التركيب في الفكر الغربي، يعرض المنهج القرآني بكل ثقة واعتزاز ويقين، وما نتج عنه من إسلامية المعرفة والمدخل المعرفي المنهجي للعالمية الإسلامية ،فإنَّ هذا الأمر من شأنه أن يُحفِّز معظم الغربيين على الانفتاح على حضارتنا وخاصة من كانت صفاتهم المسالمة والإنصاف والموضوعية وعدم التحيز وما يُعرف على العموم بالتَّحضر وعدم التحيُّز.

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص410بتصرف.

وهنا **يظهر سؤال مُلحٌّ في ظل هذا كله؛ ما هو الدور الذي تلعبه الحركات الدينية من أجل الوصول إلى حالة التعايش السلمي بين الحضارتين؟** وقد حاول العلواني الإجابة عليه منطلقاً من تحديد أزمة الحركات الإسلامية وعلى ما يبدو أنَّها واضحة "في منهجية التعامل مع التراث إذ تستدعي التراث في حالة سكونيه، وتُهمل خاصية إطلاقية القرآن الكريم[1]" فيكون الناتج عن تفاعل تلك العناصر؛ **سياق مشوَّه منقطع عن ضرورة ومتغيرات الزمان والمكان في آخر المطاف صياغة نموذج مرفوضٍ داخلياً وخارجياً.**

كما يرى العلواني أيضاً من الأخطاء المنهجية التي وقعت فيها الحركات الدينية في هذا المجال، ما يُعرف[2]:

- بالعنف التكفيري.
- كما أنَّها ترى نفسها الأوَّلَى والأحق والأقرب إلى الشرعية .
- كرَّست جُل مجهوداتها باتجاه السلطة في الدوائر الجغرافية التي تعيش فيها.
- كما أخذت تقنع نفسها بعمليات الاستقطاب الكمي للأعضاء.

فقد كفَّرت بعض الجماعات الإسلامية سائر أشكال الحكم وجميع الأنظمة، وترجمت ذلك التكفير في شكل المقاومة المسلحة، واستغل الإعلام العالمي ذلك ليصنع سيناريوهات مشابهة من خلال التلفيق والتزوير والأحداث المصطنعة والمفتعلة، بمباركة من النظام العالمي الجديد وإخراج بعض من شارك فيه من أبناء الإسلام من الموالين للغرب وأتباعه، **ليكون العالم على موعد مع العرض الأول لفيلم المسلم إرهابي.**

كما كانت هذه الحركات في جُلها متغافلة عن مفاهيم العالمية وقواعد وسُنَّن التغيير وغيرها من مستلزمات العملية الدعوية المعاصرة.

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص411بتصرف.

2 – طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(المرجع نفسه)،ص411إلى413.

المطلب الثاني: المواطنة وفقه الأقليات وعلاقتهما في بناء التعايش السلمي.

في بداية هذا الفرع أُريد أن أسجل ملاحظة هامة في جانب المصطلح؛ بأنَّ ما يطلق بمصطلح المواطنة اليوم هو في الحقيقة تحديد لاسم الأقليات، وإلَّا فهما في الحقيقة من حيث المعنى مسمى لاسم واحد. فهما يطلقان على الأجنبي المقيم في غير بلاده.

الفرع الأول: المواطنة بين أنانية الإنسان وسماحة الإسلام.

أولاً–مفهوم وتأثيرات المواطنة اليوم:

المواطنة في نظر العلواني[1]:

- يُعدَّ مفهوم المواطنة مفهوماً جديدًا جدَّة الدولة الحديثة، فكلمة **مواطن** تعبير لم يظهر ولم يجرِ تداوله إلاَّ بعد الثورة الفرنسية سنة1789م أما قبلها فالناس ملل وشعوب وقبائل لا يعتبر التراب –إلا تبعاً لشيء من ذلك–وسيلة من وسائل الارتباط.
- لقد كانت **المواطنة** أساس الانتماء الذي أكَّد على **الوطنيِّة** هوية للدولة الحديثة. و**المواطنة** انتماء إلى تراب يحدُّه حدود جغرافية، فكل من ينتمون إلى ذلك التراب مواطنون يستحقون ما يترتَّب على هذه المواطنة من الحقوق والواجبات التي تنظم بينهم–بمقتضى هذه النسبة–لا بشيء آخر سائر العلاقات.

و"قد تعارف الناس على أنَّ من يملك حق المواطنة فهو عضو من الأمة مالكة الوطن ملكاً عاماً مشاعاً، ويتولى المفوضون منها بالإدارة السياسية، إدارة هذا الملك العام المشاع[2]"

وعلى أساس هذا المفهوم الذي أثَّر في التركيبة البشرية فتمُّ تصنيف الناس إلى مواطنين وأجانب وفق العلاقة التالية[3]:

- فالرابطة بينهم رابطة علمانيِّة دنيويِّة[4].

---

1 – طه جابر العلواني، حول فكرة المواطنة في المجتمع الإسلامي.(لا.ط؛لا.م:لا.ن،د.ت) ص1و2و4.

2 – عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة الميداني، كواشف زيوف.(ط:2؛ دمشق:دار القلم،1412 هـ /1991م)، ص257.

3 – طه جابر العلواني، حول فكرة المواطنة في المجتمع الإسلامي.(مرجع سابق)،ص2.

4 – يُلحق العلواني باسم العلمانية مصطلح الدنيويَّة.

- ولا بد من انصهار المواطنين –جميعاً–بكل أديانهم ومذاهبهم ومللهم ونحلهم وجذورهم العرقية في هذه الرابطة الترابية النفعية، وكذلك تنازلهم عن أيَّة خصوصيات تتعارض مع هذا الإطار.
- لتكون العلمانيَّة الدنيوية مضمونها الفكري.

وعلى هذا الأساس كانت الآثار السلبية التالية على العالم بأسره بما فيه العالم الإسلام:

- فلا مكان للدين ولا الخصوصية الثقافية في ظل فكر المواطنة هذا.
- فهي مبنية على مبدأ النفعية والنفعية فقط وعلى هذا الاعتبار فهي ملازمة للعلمانية الدنيوية.
- وهذا مفهوم خطير جداً وخاصة على الإسلام الذي يُناقض العلمانية الدنيوية في المبدأ والأساس. وفي ظل غلبة وتفوَّق المسكر الغربي وهيمنته على مجريات العالم وأحداثه فرض هذه المفاهيم والمبادئ في جملة ما فرضه على المجتمعات المغلوبة بما فيهم العالم الإسلامي.

أما المواطنة بمعنى الاعتراف لكل قاطن للدولة الإسلامية سواء كان من المسلمين أو كان من غيرهم بأنَّه مواطن فهذا لا يُنازع فيه أحد، وكل واحد من مواطني الدولة الإسلامية له حقوق وعليه واجبات فكل إنسان له حق في العيش الكريم، وله حُرمة سكنه وماله وعرضه، وله حق التَّكسب سواء عن طريق التجارة أو الصناعة أو الزراعة، وله الحق في أن يلقى معاملة عادلة لا ظلم فيها، وله حق التنقل والسكن في أي مكان يشاء، وله الحق في سِرِّية مُراسلاته، وله الحق في أن يبقى على دينه ولا يُكره على تغيِّيره، وله الحق في العبادة، وله الحق في أن يتناول ما يبيحه له دينه وإن كان محرماً في شريعة الإسلام[1].

غير أنَّ مفهوم المواطنة لم ينح في هذا الاتجاه، بل بلغ من شدَّة تأثيره على واقع التعامل بيننا وبين الغرب، أن تحوَّل إلى سلاح وآلة بين الإسلاميين والعلمانيين إذ يرى العلواني[2]:

1- شحاتة محمد صقر، شريعة الله لا شريعة البشر. (لا.ط؛ الإسكندرية: دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي، د.ت)، ص139و140.

2 – طه جابر العلواني، حول فكرة المواطنة في المجتمع الإسلامي.(مرجع سابق)،ص 1إلى3.

- حساسية مصطلحي المواطنة والهوية، واعتبارهما إحدى الإشكاليات المعاصرة للمشروع الحضاري الإسلامي منذ بدء احتكاكنا الفكري والثقافي والسياسي والعسكري بالغرب في القرن الماضي.
- وقد ظن **العلمانيون الدِّنيويون** في العالم الإسلامي، وجود أقليات غير مسلمة عصا موسى القادرة على لَقْفُ ومُصادرة كل ما ينادي به أصحاب المشروع السياسي الإسلامي أو تيار الأصالة واعتبار ذلك حجة لفكرهم.
- وقد اجتهد كثير من قيادات **المشروع السياسي الإسلامي** وغيرهم في مفهوم **الديمقراطيّة** وأعلنوا قبولهم لها دون تحفُّظ وشاركوا فيها. كما اجتهدوا في **التعددية السياسية** وأعلنوا قبولها كدِعامة من دعائم الديمقراطية. وأعلنوا قبولهم لفكرة **الحريات العامة**، كما أعلن بعضهم ذلك بدون تحفظ وقبلها بعضهم بتحفُّظ بسيط، لإقناع العلمانيين والتأصيل لكثير من دعائم المجتمع الغربي.

والحقيقة التي يجب أن نعرفها هي: "إنَّ من خلطوا بين الإسلام والحكومة الدينية، ومن يُنادون بالعلمانية في المجتمعات الإسلامية ليسوا أصحاب هذا الفكر فهم مقلدون لأوروبا. بل إنَّ تقليدهم هو إشهار علني لإفلاس العلمانية العربية، لأنَّ العلمانية الأوروبية كانت رد فعل لصكوك الغفران والحرمان ولمظالم الحكومة الدينية هناك، والذي تبنى حرق العلماء التجريبيِّين بتُهمة مُمارسة السحر الأسود، ومُخالفة الإرادة الإلهية، وكل هذه الخرافات ليست في الإسلام، ولا يجوز لمسلم أن يقول بها، أو أن يدعي أنَّه يملك هذه الصكوك[1]".

إذن فقضية المواطنة في نظر العلواني قد أثارت الكثير من المشكلات بيننا وبين الغرب الباحث على أبسط الأسباب لمعاداة الإسلام ومحاربته:

- فبعد دخول الفصائل الإسلامية في العصر الحديث معترك العمل السياسي، تحوَّل سؤال المواطنة إلى مشكلة كبرى وأداة من أشد أدوات الصراع السياسي في البلاد العربية، من طرف أنصار الفكر العلماني الذي مضى في فرض وحدة إلغاء الخصوصيات، في ظل

1- سالم علي البهنساوي، تهافت العلمانية في الصحافة العربية،(ط:1؛ المنصورة-مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1410هـ/1990م)، ص74.

وحدة التراب والوطن معتمداً في ذلك على التعدد ووجود الأقليات غير المسلمة في بلدانه.

- وفي ظل تنامي فوبيا الإسلام كردٍّ فعل عن الاعتناق الطوعي لأبناء الغرب للإسلام وبشكل مكثف، ومع ظهور وهيمنة فكرة العولمة على مجريات الفكر العالمي الإنساني، مما زاد من حدَّة وشراسة الفكر العلماني، لدى الغرب في شكل زيادة حجم المعاداة للإسلام، واتَّخذ مظهر علمانية العمل لدى المجتمعات العربية والإسلامية.
- وقد وقف أصحاب المشروع الإسلامي في مواجهة هذا المدِّ العلماني باعتبارهم خط الدفاع الأول للأمة المسلمة وفي محاولة للتكيُّف معها للحدِّ من خطورتها وتقديم خطوة استباقية لاحتوائها والسيطرة عليها، بلغ ببعضهم تبني بعض مُخرجات المدينة الحديثة مثل الديمقراطية والحريات العامة والمواطنة وغيرها. بدعوى أنَّ الإسلام يسعى لتأسيس مجتمع مدني محاولين بذلك عصرنة الإسلام ليحضى بالقبول لدى الغرب.

وهنا يأخذ العلواني بزمام المبادرة للوقف أمام هذاين الخطرين؛ الفكر الزاحف من الغرب وردَّة أصحاب الحق بإعادة البوصلة إلى مكانها بقراءة ما جاء في القرآن الكريم في هذه القضية، فهو القول الفاصل بين المختلفين[1]:

- إنَّ نصوص القرآن العظيم المتعلقة بموضوع المواطنة وفي شِقِّ ما عُرف بأهل الذمة، وما ورد تطبيقاً لها وتنزيلاً لأحكامها على الواقع تشير كلُّها –بوضوح شديد–إلى حرص الإسلام البالغ على مساعدة سائر أولئك الذين لم يقتنعوا بعد بالدخول في حظيرة الإسلام، على حماية خصوصياتهم الدينيّة والعرقيّة والمحافظة عليها.

وفي الحقيقة تاريخ أهل الذمة في الإسلام شاهد على سماحة الإسلام وتعايشه السلمي مع الجميع ، ومن الأمثلة على ذلك: "منح الرسول– صلى الله عليه وسلم– أهالي نجران من النصارى عهدا حوى احترام منشآت النصارى، ثم **قال لمعاذ بن جبل** عند توجهه إلى اليمن:

1 – انظر: طه جابر العلواني، حول فكرة المواطنة في المجتمع الإسلامي. (مرجع سابق)، ص4بتصرف.

لا يزعج يهودي في يهوديته[1]"، كما حكمت هذه النظرة العادلة قادة المسلمين في تعاملهم مع أهل الكتاب؛ فقد أعطى **عمر بن الخطاب**-رضي الله عنه- عهداً إلى نصارى بيت المقدس يحمي كنائسهم وصلبانهم وحقوقهم، وتتمتع الأقليات الدينية حتى يومنا هذا بحقوق متساوية في المواطنة؛ وفاء لتلك العهود النبوية[2].و**ينقل القرضاوي في فتح مصر** على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص- رضي الله عنه-:"**يقول لودفيج**[3]:إنَّه ما عدا فرض الجزية على المسيحي فإنَّ عَمراً لم **يُفرِّق في المعاملة بين المسلمين والمسيحيين** بل إنَّه أعلن حمايته لحرية الأديان جميعاً، ولإقامة شعائرها وكفل **المساواة المطلقة بين المسلمين والمسيحيين** على السواء، مساواة شملت كل حق لهم وكل واجب عليهم، **بما في ذلك وظائف الدولة**، بغض النظر عن الجنس والدين[4]". كما أنَّ الإسلام قد أهتمَّ بحقوق الإنسان أين كان وأين حلَّ وبأي عقيدة كان فقد:" تضمَّنت خطبة الوداع الكثير من حقوق الإنسان حيث نصَّت فيما نصَّت عليه؛ حرمة الدماء ويلحق بها حرمة الجراح ويلحق بها التعذيب البدني أو النفسي أو **تقييد الحريات**، ويلحق بها حرمة ترويع المسلم ويلحق بها حرمة القتل والتقاتل والتحريش والتحريض والفرقة[5]". فهذا دين الله" الذي يجب أن تخضع له النفوس، وتؤمن به القلوب -ولا حق لها في إتباع غيره-ومع هذا فقد ترك للرأي حريته وحكمه وقوله، وللإقناع سبيله، لم يمنع المخالف له من الاحتفاظ برأيه ولو خالف الحق والواقع والجمهور[6]".

ثانياً-ضوابط وشروط استعارة المفاهيم الحضارية من الأنساق المغايرة.

---

1 - علي حسنى الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة.(لا.ط؛ القاهرة:مطابع شركة الإعلانات الشرقية،1389هـ/1969م) ص 104بتصرف.

2- كامل إسماعيل الشريف، حقوق الإنسان والقضايا الكبرى.(لا.ط؛لا.م:لا.ن،د.ت)،ص98.

3 - ينقل القرضاوي شهادة لودفيج فون ميزس النمساوي وهو غير مسلم حتى تكون شهادته أكثر مصداقية فالحق ماشهدت به الأعداء كما يقولون.

4 -يوسف القرضاوي،الأقليات الدينية و الحل الإسلامي.(ط:1؛القاهرة:مكتبة وهبة،1417هـ/1996م) ص48و49.

5 - انظر:محمد أحمد الصالح، حقوق الإنسان في عصر النبوة.(لا.ط؛ السعودية: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،2001م)،ص30 بتصرف.

6 - عبد اللطيف بن علي القنطري الجزائري، المزدكية هي أصل الاشتراكية.(ط:1؛ الدار البيضاء: دار الكتاب، 1394 هـ /1974م)، ص65.

وهنا يضع العلواني شروطاً ومحتذراتٍ لقبول واستعارة المفاهيم الحضارية من الأنساق المغايرة، وبالضبط في موضوع المواطنة موضوع الدراسة هنا فيقول: "ولعلَّ من الملاحظات القليلة التالية ما ينبِّه إلى بعض مخاطر استعارة المفاهيم الحضاريّة من الأنساق المغايرة بحيث يتنبَّه المستعيرون إلى وجوب وضع الضوابط المناسبة، والمعايير الضرورية لهذا النوع من الاستعارة، لئلا تنهدم السدود بين الثوابت والمتغِّيرات[1]"وفي هذا بُعدُ نظر يبعث على التروي وعدم الاستعجال، العاصم من الوقوع في الزَّلل بالقبول أو الرفض؛ وهذا أمر منهجي ضروري يُقَوِّم مسارات أصحاب المشاريع الإصلاحية نحو القضايا الوافدة خصوصاً وفي مسار الدعوة عموماً. ومن أهم هذه الضوابط والملاحظات ما يلي[2]:

- إنَّ **العلمانيَّة الدنيويَّة** بعد ظهورها وبروزها كتيار فكري ومنهاج حياة يُقابل الدينيِّة بالتقاطع أحياناً،والتلافي والتحجيم والتجاوز أحياناً أخرى، **استهدفت فيما استهدفته إذابة الفوارق والخصوصيات بين الناس**؛ لأنَّ من شأن الخصوصيات والفوارق–دينية كانت أو عنصرية –أن تحدَّ من فاعليتها في إذابة الفوارق وإقامة النظم الشاملة القائمة على المصلحة واللذة والمنفعة الدنيوية لا غير؛ لأنَّها كرَّست هذه الأمور باعتبارها البديل عن القيم الدينية والخلقية.
- في حين نجد نصوص الإسلام ومنها ميثاق المدينة[3]، وتصرفات الخلفاء الراشدين والتابعين كلها تشير بوضوح على حماية الإسلام للخصوصية الإنسانية مصداقا لقوله تعالى:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:256] .في إطار إيجاد الصيَّغ والقنوات المستوعبة لحركة البشرية، وتحويل ذلك التنوع إلى وسيلة تعارف وتآلف بين أبناء آدم.

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، حول فكرة المواطنة في المجتمع الإسلامي. (مرجع سابق)، ص4بتصرف.

2 – طه جابر العلواني، حول فكرة المواطنة في المجتمع الإسلامي. (المرجع نفسه)، ص4إلى6.

3 – سبق الحديث عن ميثاق المدينة في بداية هذا المبحث.

- لا مانع من أن يجتهد علماء الاجتماعيات المسلمين، في سائر المجالات ليُسهموا في بناء المشروع الحضاري الإسلامي حتى **تتحقَّق المُواءمة بين الإسلام وغيره**، على أن لا يخرج هذا الاجتهاد عن إطاره. فهو اجتهاد بشري يعتريه النَّقص والخطأ، كما أنَّه لا يُلغي ما استقرَّ من أحكام أو فقه سابق، بل هو إضافة له وإنماء.

إنَّ مفهوم أهل الذمة وأحكامه من أكثر المفاهيم التي تعرَّضت لسوء الفهم قديماً وحديثاً، فقد أساء الكثيرون في الماضي فهم قوله تعالى:﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾[التوبة: 29] مما فتح الباب أمام تهجُّم العلمانية الدنيويَّة على المشروع الإسلامي والتَّجني عليه.

وهنا جملة من الأشياء يجب أن تُحدَّد وتُضبط وتُقاس وتُقارن، وفق عمليات مُمَنَّهجة للكشف عن حجمها وترتيبها في سلسلة العلاقات المشتركة لتحقيق التفاعل الإيجابي، لا أن تترك العلمية تسير بطريقة عشوائية، فالأمر هنا جد حساس ودقيق ومتداخل. ومن ذلك ما **انتقده العلواني** لجملة من المفاهيم عُدَّت إسقاطًا عمليًا وواقعياً لمفهوم المواطنة في الفكر الغربي وهي كما يلي[1]:

- ينتقد العلواني حالة الاطمئنان والتعايش السلمي السائد في الولايات المتحدة الأمريكية، ويسميه بمصطلح **صديقه المرحوم إسماعيل راجي الفاروقي** سلام النمور المبني على أنَّ حرية الفرد تنتهي عند بداية حرية الآخرين، والتسليم باحترام الخصوصية كجزء من احترام حقوق الإنسان، فهذا حسب رأي العلواني مفهوم خاطئ للحرية، كما لا يمكن تصور انعدام هذا التمايز، كما أنَّ تصور عدم تقنينه كفيل بإنهائه وأنَّه أفضل من تقنينه.
- كما ينتقد الفكر الماركسي الذي جاء لإصلاح الفكر والحضارة، الذي سقط وتفاقمت معه أمراض الحضارة الغربية.

1 – طه جابر العلواني، حول فكرة المواطنة في المجتمع الإسلامي. (مرجع سابق)، ص6 إلى8و11و12.

- ويُشيد بالنظام الإسلامي نظام الملّي؛ الذي جعل للأكثرية نظامها وللأقلية نظامها،في تناغم تام بشكل يسمح للأكثرية والأقليات بالنمو والازدهار،لتتحوَّل المزايا والخصوصيات المختلفة إلى وسائل تنوع إيجابية في الكيان الجماعي.
- كما ينتقد فقه المقاربات الذي عرفه الفكر الإسلامي في العصر الحديث الناجم عن الصدمة الحضارية وقد استطعنا تجاوزه لأنَّه حسب رأيه هو تقدم نحو الوراء.

وبالنظر لهذه الضوابط والملاحظات فهي تمثل تعبيراً عن **قدر كبير من الوعي تمتَّع به العلواني** في التعامل مع ما يُعرفُ **بالثوابت والمتغيرات** في الإسلام، **هذه من جهة** كما يدل **من جهة ثانية** على أنَّه **غير مُنبهر بمُخرجات الحضارة الغربية** وغير متأثِّر بها، كما أنَّه لم يقع فريسة لسيطرتها وهيمنتها، شأن العلمانيين والحداثيين وغيرهما من المستَلبين، مما يُدل على جديَّة بحثه حول الجمع بين الإسلام وحضارة الإنسان، اليوم من قبيل هيمنة الإسلام وقضائه على هذه النظم الغربية، ويعبِّر بصدق على صلاحية الإسلام غير المحدودة بالزمان أو المكان. كما ترسم هذه الملاحظات **صورةً ومَلمحاً للإنسانية العالية**، التي يتمتَّع بها العلواني في التسامح والتعايش السلمي وما يُعرف بالعلاقات الإنسانية أو الروح الإنسانية.

الفرع الثاني: فقه الأقليات ودوره في المُواءمة الحضارية بين الإسلام والغرب.

أولاً–مفهوم فقه الأقليات وتاريخه.

يؤرخ العلواني لفقه الأقليات كما يلي[1]:

- كوَّن ظاهرة الأقليات المسلمة لم تكن في الماضي ذات بال، لقوة الدولة المسلمة.
- فخروج المسلم من بلده إلى غيرها تحرسُه قوة الإسلام وعزة دولته، لذا لم تدع الحاجة للهجرة والإقامة في بلاد غير المسلمين."وجاء زمن ظن الناس فيه أن جميع الربع العامر سيعنو لراية النبي صلى الله عليه وسلم[2]".

1 – انظر: طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات–ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت)، ص2 بتصرف.

2– شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب. (لا.ط؛ مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2012م)، ص29.

- في حين اليوم وحال الأمة المسلمة المستقهرَة الضعيفة يجد المسلم الذي يعيش في بلاد الغرب لظروف وأسباب مُتعدِّدة، نفسه أمام جملة من الصعوبات والتحديات التي تُفرضُ عليه، وعلى الأمة المسلمة الوقوف معه لأجل تذليل تلك الصعوبات وقَلبِها إلى فرصة لتقديم الإسلام ونشره في بلاد الغرب.
- لذا وقف ثُلَّة من علماء الإسلام قد انتدبوا أنفسهم لمدِّ يد العون والأخذ بأيدي إخوانهم من المسلمين المقيمين في البلاد الأجنبية.

وقد كان العلواني أحد علماء الإسلام قد أبدوا اهتمامهم بهذا الفقه وهموم الأقليات المسلمة فكان ذلك الهمَّ يشغله منذ فترات طويلة، وحتى قبل هجرته إلى أمريكا يقول موضحاً ذلك: "حين **أُوكلت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود** أمراً بتهيئة المبعوثين السعوديين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أن أُعدَّ دراسة حول فقه الأقليات[1]". ومن هنا **أخذ العلواني على عاتقه هذه المُهمة** على أن يُهيئَ للمسلمين فقهاً وأحكاماً، ويُؤسِّس لهم به العيش بصورة تجمع بين تعاليم الإسلام ومدنية حضارة الغرب.

فما هو هذا الفقه الخاص بالأقليات الذي يسعى العلواني لتأسيسه؟ ويجيب العلواني عن ذلك بقوله[2]:

- إنَّه فقه يهدف إلى استيعاب وتجاوز حالة الانشطار النفسي والعقلي،التي تعيشها الأقليات المسلمة في الغرب خاصة.
- لتتحوَّل إلى شريك في المجتمعات في سرَّائها وضرَّائها.

وهذا الفقه في الحقيقة يجعل هذه الأقليات إيجابية ويدفع عنها السلبية التي تكسبها درجة من الفاعلية أثناء وجودها في بلاد الغرب، ليس فقط **بالرفع من درجة المناعة والمُمانعة** ضد مخرجات المدنية الغربية، بل **ليجعل منها رسولاً للإسلام وللسلم والمدنية والتحضر**.

1 – انظر: طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات–ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–. (مرجع سابق)، ص28 بتصرف.

2 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات–ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–. (المرجع نفسه)، ص30.

وأول **المنطلقات التي ينادي العلواني بها في عملية التأسيس**؛ هي إعادة تسمية دار الإسلام ودار الكفر، التي شاعت في المورث الإسلامي القديم، في إطار تجديد الرؤية في العلاقة بيننا وبين الغرب، وهو في ذلك مُعتمد على إشارات في التراث في حدِّ ذاته، ففي **تفسير الكبير للفخر الرازي** حين أطلق على **دار الإسلام** اسم **دار الإجابة** و**دار الحرب دار دعوة**، كما يتَّفق في ذلك مع كثير من المفكرين المعاصرين.وأنَّه يرى أنَّ التفات أمة الإجابة للأقليات المسلمة اليوم لم يتجاوز دوائر ضيقة عُرفت بفقه التوازن أو الضروريات[1].والواجب أثناء عملية التأسيس أن تسود النظرة الشمولية لكل أجزاء القضية وجميع ملابساتها.

ثانياً–مبررات وجود فقه الأقليات عند العلواني:

يُبرِّر العلواني لوجود فقه الأقليات بعدة مبرِّرات أهمها[2]:

- **الوعي العام بالشريعة:** فهو يرى من شيوع الإسلام وانتشاره وتيسيره الرجوع إليه، بالإضافة إلى شريعة التخفيف والرحمة لا شريعة الإصر والأغلال، تجعل عند العامة قواعد كلية مشتركة.
- **الشريعة والثقافة:** فالثقافات والأعراف والعادات تُؤَّثر على المجتهدين والقائمين على شؤون التقنين واستيفاء الأحكام من أصولها. والأقليات المسلمة تعيش في ظل ثقافات وعادات وأعراف سائدة، لم تُسهم مصادر التشريع الإسلامي في صناعتها.

1 – انظر: طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات–ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–. (مرجع سابق)، ص 4و5بتصرف.

2 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات–ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–. (المرجع نفسه)، ص 5إلى8و11و12و17إلى 22.

- **النظام العلماني**[1]: قد وضع مركزية الإنسان المزعومة، بديلاً عن مركزية الله –تعالى– فاسترضى غرور الإنسان وتملَّق شهوته، وأوهمه بتحرُّره من عبودية الله –تعالى –ووضع له **العلم** بديلاً عن الوحي.
- **الإسلام في الغرب**: وقد أكَّد وجود الإسلام ومعرفة الغرب بالإسلام حتى قبل الاستشراق والمستشرقين. قضية اكتشاف المسلمين لأمريكا قبل كولومبس سبق وأن تحدثنا عنها في المطلب الرابع من المبحث الثالث من الفصل الأول.
- **الوجود الإسلامي المعاصر في الغرب**: أكَّد العلواني على وجود المسلمين والعرب في الغرب بصفة مهاجرين وطلاباً ومواطنين في أوروبا وأمريكا، ويَعرِض الوجود الإسلامي ومساحة التسامح الأمريكي الكبير معهم، حتى أحداث أيلول/سبتمبر الأسود، وهنا حسب رأيه تهافت الأمريكيين للاطلاع على الإسلام وقراءة ماضيه، وبدأت تُطرح الأسئلة على المسلمين الموجودين في أمريكا حول دار الحرب والإسلام وقضية الجزية وقضية المرتد وغيرها.

ويتَّضح من مبرِّرات العلواني لتأسيس فقه الأقليات إدراكه لتفاصيل الواقع الإسلامي والعالمي مع إحاطته بالقراءة الدقيقة لنصوص الشريعة كما يلي:

- اليوم نسبة الوعي بالدين الإسلامي كبيرة سواء داخل المجتمع المسلم، أو حتى في أوساط المجتمعات الغربية، مما يُلفت الانتباه لقضايا الوجود الإسلامي وثقافته داخل وخارج المجتمع المسلم، من أجل حمايته وضمان حقوقه بما في ذلك تطويره والرفع من شأنه لخدمة الإسلام في الغرب.

---

1 – النظام العلماني: أي النظام السياسي المتميِّز بإقصاء النفوذ الكهنوتي عن الدولة. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ج1(ط:1؛ القاهرة: دار الشروق،1999م)، ص219.والنظام العلماني جاء في الغرب المسيحي كرد فعل لتسلط الكنيسة ورجالها، وهذه مسألة خاصة بالديانة المسيحية لا تنطبق على الإسلام، زيادة إلى أنَّ الديانة المسيحية ديانة عبادية، تقتصر تشريعاتها على تنظيم علاقة الإنسان بربه، وليست بشمولية الإسلام، باعتبار الإسلام هو خاتمة الأديان السماوية، فجاءت تشريعاته كاملة ومتكاملة وشاملة. علي بن نايف الشحود، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، ج70(لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت)، ص66.

- هناك علاقة جدلية بين الشريعة والثقافة، إذ الثقافة جزءاً من الشريعة، كما تمثل جزءاً من خصوصيتها كذلك فأي مساس بالثقافة هو في الحقيقة مساس بالدرجة الأولى بالدين والشريعة.
- هنالك خطر يتَّهدد دين المسلم المقيم في مثل هذه المجتمعات اللادينية.
- وجود الإسلام في الغرب وجود فعلي وتاريخي، وكذلك وجود إلزامي فالأرض كلها لله وكذلك إلزامي من باب نشر الإسلام والدعوة إليه.
- لقد كان تواجد المسلمين في بلاد الغرب بنسب ملحوظة، ولم يُشكِّل وجودهم في بدايته خطراً ولا تهديداً للغرب ولا للعلمانية، بحكم طبيعة ونوعية المهاجرين ونقص وعيهم بقضاياهم المصيرية، ولكن عندما حلَّت النُّخب مكان العامة أصبح لوجودهم في الغرب وزنه وثقله، فزالت تلك المهادنة والموادعة وحلَّت محلَّها المعاداة والمناهضة، فاختلق الغرب التهم والفتن وبثَّ الإشاعات والتلفيقات، لمعاداة الوافدين ودينهم ومنها أحداث11/سبتمبر/2001م،وحادثة صحيفة يولاندز بوستن الدنماركية ورسومها الكاريكاتورية، وحادثة مقر صحيفة شالي إيبدو .

بكل هذه المبرِّرات المنطقية تدعو الضرورة لوجود وقيام فقه للأقليات المسلمة وفي أقرب الأوقات وأسرعها، كما يُؤَّكد العلواني على أنَّ المسألة ليست من فراغ، ولا من باب التَّرف الفكري، بل هي نابعة عن التَّردي الفكري الذي أصاب الأمة حتى يومنا هذا، الذي انعكس بالتأثير السلبي على الأقليات المسلمة، كما يدعو إلى إصلاح البرامج التعليميَّة الإسلامية، حتى يستطيع فقه الأقليات العودة إلى الكتاب والسنة، كما يُؤَّكد على ضرورة البحث في كليات وعموميات الكتاب والسنة، والاعتماد على مقاصد الشريعة وغاياتها في مستوياتها المختلفة، لتعود للفقه قابليته ونماؤه وحيويته وحياته[1].وفي هذا إشارة واضحة إلى ضرورة القيام بمراجعات على مستوى فهم القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والفقه العام، وهذا كلُّه بفضل الجهد المبذول لبناء وقيام فقه الأقليات الذي تتعدَّى فائدته لذاته إلى عموم المسلمين في كل مكان.

1 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات–ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–.(مرجع سابق)، ص31 إلى34.

ثالثاً–التحديات التي تُوَاجه مشروع "فقه الأقليات"

بالعودة للواقع الإسلامي والغربي والتأمل فيها نجد جملة من التحديات والعقبات التي تُوَاجه قيام مشروع فقه الأقليات ومنها:

- كلمة فقه[1] لم تكن تُعرف بهذا المصطلح، بل كانت تُعرف بكلمة الفهم، كما كان يُطلق على الفقهاء اسم القراء.
- الوقائع التي حدثت بعد 9/11 جعلت الأقليات المسلمة في وضع جديد.
- كما أنَّ من أهم مطالب الأقليات في العادة هي حق المساواة في الحقوق المدنية والسياسية[2].
- كلمة الأقليات: مصطلح سياسي معاصر، يُقصد به مجموعة أو فئة من رعايا دولة من الدول، تنتمي من حيث العرق أو اللغة أو الدين إلى غير ما تنتمي إليه الأغلبية.
- موقع فقه الأقليات من الفقه العام؛ فهل هو جزء منه أم هو منفصل عنه؟ يُجيب العلواني في قوله: "لا يمكن إدراج فقه الأقليات في مدلول الفقه العام، كما هو شائع بالمعنى العام بل الأولى إدراجه ضمن الفقه بالمعنى العام الذي يشمل كل جوانب الشرع اعتقاداً وعملاً بالمعنى الذي قصده النبي–صلى الله عليه وسلم–في قوله: «من يُرد الله به خيراً يفقِّه في الدين»[3] أو الفقه الأكبر كما دعاه الإمام أبو حنيفة –رحمه الله– وأطلقه على الكتاب المنسوب إليه[4]"

تظهر التحديات التي تواجه قيام مشروع فقه الأقليات عند العلواني كما يلي:

---

1 – علم الفقه؛ هو الكفيل ببيان الأوامر والنواهي على أتم الوجود وأكملها. محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي، لوامع الدرر في هتك أستار المختصر، تصحيح وتحقيق: دار الرضوان، المقدمة بقلم حفيد المؤلف: الشيخ أحمد بن النيني. ج1(ط:1؛ نواكشوط–موريتانيا: دار الرضوان، 1436 هـ / 2015م)، ص84.

2 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات–ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–.(مرجع سابق)،ص35و37إلى40.

3 – رواه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، حديث رقم 71، ورواه مسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة حديث رقم 1037.

4 – انظر:طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات، (نظرات تأسيسية).(لا.ط؛ لا.م:لا.ن،د.ت)،ص2و3بتصرف.

- هناك مراجعات تبدأ من التسمية والمصطلح قبل الجوهر والمضمون، والأمر يحتاج إلى جهد منهجي تكاملي للتفكيك وإعادة البناء، فالتسمية والمصطلح يجب تجديدهما وفق لغة العصر وتنقيتهما من أثر المنشأ وتبعات التركيب التوظيفي لهما، حتى يصلحا للتعبير عن حاجيات العصر ومتطلباته
- المصطلحات السياسية من مثل الأقليات تحمل من الحساسية والهشاشة ما يجعل منها سبيلاً للتشويه والمناورة وسوء الاستخدام، وخاصة في مجتمعات الغاية تبرر الوسيلة فالممنوع والمرغوب سِيَّان.
- يبدو وضع الأقليات في العالم وعلى وجه الخصوص وضع صعب وغير مريح. وهذا أمر في غاية الصعوبة والاستشكال، لأنانية الإنسان عموماً ولطمع وجشع الإنسان الغربي خصوصاً المستَلَّب حضارياً بواسطة أنظمته المادية المنحرفة والمسبِّبة لمآسي ومعاناة الإنسان اليوم.
- ينبغي تجاوز مشكلة الأقليات التي حُصرت في مسائل الحلال والحرام والانطلاق لاقتحام جميع ميادين الحياة، لذا يضع العلواني فقه الأقليات في مقام الشمول والعموم فيربطه بالفقه الأكبر تجاوزاً للفِصام التشريعي، وهو في نظره فقه نوعي مُرتبط بظروف الجماعة، وفق مُعطيات خاصة ومُحددات منهجية.

ومن هنا ينتقد العلواني صيغة الأسئلة الفقهية في بناء فقه الأقليات، من البحث عن الرُّخص السلبية إلى منطق معرفة الواجب والفعل الإيجابي والفاعلية العمرانية. ومن ثَمَّ يدعو إلى ضرورة الاجتهاد لبناء فقه الأقليات الذي يتجاوز الفقه الجزئي الموروث[1].

رابعاً–ضرورة الاجتهاد لتأسيس فقه الأقليات:

نظراً لحجم التحديات التي يفرضها الواقع الداخلي والخارجي، التي تقف أمام المسلم المقيم في الغرب، ومحاولة لمسخ شخصيته والتأثير على حسن أدائه الفعال في المشاركة في بناء الإنسانية من جديد.

1 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات–ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–.(مرجع سابق)، ص42 إلى45و50.

يُوضِّح العلواني أسباب تجاوز الفقه الجزئي في التعامل مع الأقليات المسلمة لعدة أسباب منهجية وأسباب ذات الصلة بتحقيق المناط أما الأسباب ذات الصلة بتحقيق المناط فهي[1]:

- لم يتعوَّد المسلمون في تاريخهم بعد عصر الرسالة، اللجوء إلى بلاد غير إسلامية طلباً لحق مهدر أو هرباً من ظلم مفروض.
- لم تكن فكرة المواطنة كما نَفهَّمها اليوم موجودة في العالم الذي عاش فيه فقهاؤنا الأقدمون.
- لم تكن الإقامة في بلد غير البلد الأصلي، تكسب المقيم حق المواطنة بناءً على معايير ثابتة مثل الميلاد في البلد المضيف أو الزواج.
- لم يكن العالم القديم يعرف شيئاً اسمه القانون الدولي.
- كان منطق القوة هو الغالب على العلاقة بين الإمبراطوريات القديمة.
- لم يعش فقهاؤنا الوحدة الأرضية، التي نعيشها اليوم حيث تداخلت الثقافات.
- كان بعض الفقهاء الأقدمين والمتأخرين، يعبرون بفتواهم عن نوع من المقاومة ورد الفعل مثل فتوى علماء الجزائر في صدر هذا القرن[2] بتحريم حمل الجنسية الفرنسية.

وبالاعتماد على ما ترك لنا السابقون، من قواعد مهمَّة في مجال الاجتهاد مثل: قاعدة " لا يُنكَر تغير الأحكام بتغير الزمان[3]"، وما ذهب إليه أئمة الدين والاجتهاد مثل القول الذي نُقِلَ عن الإمام السرخسي: "إنَّما هو اختلاف عصر وزمان لا اختلاف حجة وبيان[4]".

وهذا هو منهج الرسول-صلى الله عليه وسلم-فقد جاء في الحديث «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم[5]». فهذا المنهج المعتمد وهو الأصل في التشريع الإسلامي، الذي يُراعي حاجات الناس وفق تغيير زمانهم ومكانهم

---

1 – طه جابر العلواني مدخل إلى فقه الأقليات-ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان-.(مرجع سابق)، ص52إلى 55.

2 – يقصد العلواني بالقرن؛ القرن العشرين، وبالضبط سنوات استقلال الجزائر عن فرنسا.

3 – أحمد محمد الزرقاء، شرح القواعد الفقهية.(ط:2؛ بيروت: دار القلم 1409هـ/1989م)، ص227.

4 – محمد بن أحمد السرخسي، المبسوط،ج10(لا.ط؛ بيروت: دار المعرفة ،1414 هـ / 1993م)، ص365.

5 – رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي -صلى الله عليه وسلم-ربه-عز وجل-في زيارة قبر أمه، حديث رقم 977.

وواقعهم، وقد ذكر العلواني تطبيقات عدة لهذا المبدأ في عهدي الصحابة والتابعين من مثل: إلغاء سهم المؤلفة قلوبهم والتغيير في قسمة الغنائم وعدم إقامة الحدود في الحرب وميراث الجد مع الإخوة والعديد من المسائل[1].

أما الأسباب المنهجية فهي[2]:

- لم يرتِّب بعض فقهائنا المتقدمين مصادر التشريع الترتيب الدقيق، الذي يعين على حسن الاستنباط منها لقضايا العصر، والترتيب المقترح هو القرآن الكريم ثم السنَّة النبوية مصدر البيان الملزم المتكامل مع بيان القرآن الكريم لنفسه.
- لم يأخذ فقهاؤنا عالمية الإسلام بعين الاعتبار محدِّداً مناهجياً، مما انعكس عليهم بالانطواء والتركيز على المحيط الجغرافي والاجتماعي.
- تأثر الفقهاء بالعرف التاريخي الواقعي السائد في عصورهم حول التقسيم الدولي للعالم، فركزوا على الموضوع وأهملوا المفهوم.
- لم تبرز القيم العليا الحاكمة ومقاصد الشريعة بقدر كاف، مما كرَّس الصفة الجزئية للفقه والطابع الشخصي له.

ومن بين ما يجب إعادة النظر فيه هو تقديم القرآن الكريم للناس كما نزل غضاً طرياً، وليس تقديم تفسيره من طرف البشر والذي شاع في العهود الأخرى حتى، كاد يطمس نور القرآن ويخفيه، وهذا الأمر هو منهج العلماء الذين أخذوه من الصحابة الكرام، قال أبو عبد الرحمن السلمي عن جماعة: «حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله —صلى الله عليه وسلم- أنَّهم كانوا يقرؤون من رسول الله —صلى الله عليه وسلم- عشر آيات ولا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عنه

1 -طه جابر العلواني مدخل إلى فقه الأقليات-ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان-.(مرجع سابق)، ص48إل 50..

2 - طه جابر العلواني مدخل إلى فقه الأقليات-ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان-.(المرجع نفسه)، ص50و51 بتصرف.

بهذا»[1].كما ذكر الطبري مجموعة من أقوال العلم تنفِّر من تفسير القرآن ومنها قول بن عمر- رضي الله عنه- قال: "لقد أدركت فقهاء المدينة وإنَّهم ليغلظون القول في التفسير منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيَّب، ونافع[2]".

"فالقرآن لا يحتاج إلى التفسير بالمعنى الاصطلاحي، ويكفي الأجيال التي جاءت بعد جيل التلقي تفسر القرآن بالقرآن، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، والذين تابعوا منهج رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وجدوه دائما يفسر القرآن بالقرآن، ويعين الناس على فهمه أدق فهم وأحسنه وأصلحه بهاتين الوسيلتين، تعليمهم العمل به، ولفت أنظارهم إلى أنَّ بعضه يبين بعضه، وآياته يفسر كل منها الآيات الأخرى[3]".

خامساً-أُسس فقه الأقليات عند العلواني:

ينطلق العلواني من حقيقة الدين[4] التي جاء ليُبيِّنها للناس؛ وهي العقيدة والإيمان والتوحيد ثمَّ الشرائع والمعاملات ثمَّ السلوك والأخلاق، وهذه الأحكام تتعلَّق بالأفراد والجماعات ولعلَّ الأقليات المسلمة أحدها[5].فحياة المسلم في محيط الأقليات المسلمة، جزء لا يتجزأ من الحياة الإسلامية العامة، فأيِّ تغيير يطرأ على حياة المسلمين، يكون له أثره على مجريات حياة الأقليات المسلمة، كما تشملهم أصول الدين وفروعه.

---

1 - أخرجه محمد الردواني في جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد، باب آداب العلم والسؤال والقياس والفتيا،حديث:252،وقال:رواه أحمد 5/ 410، والحاكم 1/ 557، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.وقال الهيثمي في المجمع 1/ 165: فيه عطاء بن السائب، اختلط في آخر عمره.

2- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر.ج1(ط:1؛بيروت:مؤسسة الرسالة،1420هـ/2000م)،ص85.

3 -طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن.(ط:1؛ عمان- الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1441هـ/2020م)،ص 15.

4 -يتصور الناس أنَّ الدين يعنى بعض الأحكام والعبادات وآدابها على طريق مخصوص اسم الدين، ولكن حقيقة الدين كما بينه الله- عز وجل- والنبي الكريم وصحابته الكرام أنَّ الدين هو ارتفاع الإنسان إلى الأعلى أي وصول الإنسان إلى الله. ينظر: محمد علي محمد إمام، كلمات مضيئة في الدعوة إلي الله، تقديم: الشيخ علي سعد أبو الخي. (ط:1؛ ميت غمر – مصر: مطبعة السلام، د.ت)، ص240.

5 - طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات- ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان-(مرجع سابق)،ص54إلى 55.

ومن أولى الأسس التي يرى العلواني وجودها لقيام فقه الأقليات هي:

- بناء أصول فقه لها وخلاصته كما يلي[1]:

- أنَّ هذا العلم لم يحظ بتطوير كبير، عبر العصور إلا على مستوى الجمع والتفريق والاختصار والشرح، والتعليق ونحوها أما الإضافات الجوهرية فلا تكاد تُذكر.
- باستثناء إضافة وحيدة هي: **مقاصد الشريعة** التي بدأت في القرن الثاني للهجرة على يد الإمام الشاطبي الذي بلور ومضات السِّيرة التي وردت في أصول إمام الحرمين والغزالي وغيرهما وتطورت في زماننا هذا على يد **ابن عاشور** و**علال الفاسي** و**الريسوني** و**يوسف العالم** وغيرهم.
- وعلى يدهم أصبح فاعلاً وكاد يستَّقل تماماً عن أصول الفقه وهذا ما لا يرجوه العلواني ولا يتمناه حتى لا يُفضي إلى حالة الجمود ويتحول إلى جمع للقواعد الفلسفية والكلامية والمباحث اللفظية اللغوية والعقلية.
- والهدف من تجديد علم أصول الفقه، إلى جعل الفعل الإنساني ينسجم مع غاية الخلق ومهمة الاستخلاف وفق اشتراك الوحي والعقل في تقيِّيم ذلك الفعل.
- ومُبررات تجديد هذا العلم من خلال خاصية الاجتهاد، الذي يُعتبر من خصوصيات الأمة الإسلامية.
- الشريعة الإسلامية أول الشرائع اعترافاً بالعقل الإنساني، وكونه مصدراً لتقييم الفعل الإنساني. فالعقل مناط التكليف والتمييز، والشريعة في العادة توافق التحسين والتقبيح العقلي.
- كما حاول الإسلام أن يجعل من الاجتهاد حالة عقلية، تُؤدي بالإنسان إلى التفكير المنهجي، ففي ظل مُناداة الكل-من المسلمين والعلمانيين -

1 - طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات-ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان-.(مرجع سابق)، ص58إلى 62.

بالاجتهاد تشتَّد حاجتنا إلى الاجتهاد، الذي يهيئ الإسلام والمسلمين للتحلي بشروط عالمية الإسلام وظهوره على الدين كله.

فالفعل الإنساني هو المستهدف بالإصلاح والعلوم وسيلة لذلك وليست غاية.

والاجتهاد الذي يعني الحركة والسَّير والتَّجدد والمواكبة والديمومة لمتابعة وتتبع حاجيات الإنسان المتنامية وتلبيها هو سبيل ذلك الإصلاح وطريقه.

فكل هذه الأسس من شأنها أن تُؤسس لفقه الأقليات وتجعل منه أداة دعوية ناجحة، يتعدى حجم النفع مصالحه الخاصة ليسع عالم الإنسان بأسره، كيف لا وهو وريث خير الأنبياء الذي أصلح الأكوان بصلاح الإنسان،" فما القول في أميٍّ نشأ بين أميين، قام بذلك الإصلاح الذي تغيَّر به تاريخ البشر جميعاً، في الشرائع، والسياسات، وسائر أمور الدنيا والدين؟ وامتدَّ مع لغته في قرن واحد من الحجاز إلى آخر حدود أوربا وأفريقيا من الغرب، وإلى حدود الصين من جهة الشرق حتى خضعت له الأمم، ودانت له الدول، **وأقبلت إليه الأرواح قبل الأشباح**، وكانت تتبعه في كل فتوحه الحضارة والمدنية، والعدل والرحمة، والعلوم العقلية والكونية على أيدي تلك الأمة الحديثة العهد بالأمية، التي زَكَّاها القرآن، وعلَّمها أن إصلاح الإنسان يتبعه إصلاح الأكوان[1]".

سادساً–الأصول التي يقوم عليها هذا الاجتهاد عند العلواني:

تقوم أصول الاجتهاد لفقه الأقليات عند العلواني على ما يلي[2]:

- الأصل في فقهنا للدين، وفقهنا للتَّدين أن يقوما على قراءة الكتابين والجمع بينهما وِفق أعلى مراتب القيم العليا الثلاثة؛ التوحيد–التزكية–العمران.
- ربط مستويات المقاصد العائدة إلى المكلَّفين، من الضروريات والحاجيات والتحسينات وربطها بالمقاصد العليا الثلاث، ليُفَتحَ الباب واسعاً أمام الفقهاء، لإدراج كل مُستجد تحت هذه المستويات.
- إعادة النظر في تحديد العلاقة بين الكتاب الكريم والسنَّة النبوية.

1 – محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، الطريق إلى الإسلام. (ط:2؛ لا.م: دار بن خزيمة، د.ت)، ص19.

2 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات–ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–.(مرجع سابق)، ص61إلى 68.

- هذه الأصول من أجل تقيِّيم الفعل الإنساني ثم إعطائه الوصف الملائم له كونه ينبغي أن يفعل أولا ينبغي أن يفعل.

وفق هذه الأصول يمكن أن نراجع تراثنا الإسلامي، بالحذف والتعديل فيزول حينها كل غثٍّ وسمين من مثل الأقوال المغلوطة والمتداولة، في بيان العلاقة بين القرآن الكريم والسنَّة المطهرة: "الكتاب أحوج إلى السنَّة من السنَّة إلى الكتاب أو أنَّها قاضية عليه[1]"

سابعاً–محدِّدات منهجية مساعدة في بناء فقه الأقليات.

يُعطي العلواني محدِّدات منهجية مساعدة على قراءة الكتاب الكريم ومن أهمها[2]:

- الكشف عن الوحدة البنائية في القرآن[3] واعتباره معادلاً للكون وحركته، واعتبار السنَّة النبوية متحدة مع القرآن بياناً له وتنزيلاً في واقع نسبي محدَّد.
- الاعتراف بحاكمية الكتاب وأسبقيته، وأنَّه قاض على ما سواه، بما في ذلك الأحاديث والآثار ومهيمن على كل ما عداه.
- الانتباه إلى أنَّ القرآن قد استرجع تراث النبوات وقام بنقده وتنقيته، وذلك لتوحيد المرجعية للبشرية.
- تأمل الغاية في القرآن الكريم وهي ربط الواقع الإنساني المرئي باللامرئي، وتُزيل فكرة العبث والمصادفة وعدم التعليل.
- الانتباه لأهمية البعدين الزماني والمكاني، وتأثيرهما في كونية الخَلق والإنسان.
- الانتباه إلى وجود منطق قرآني يخرج العقل الموضوعي من الشذوذ والشرود، إلى المنطق الاستدلالي البرهاني الذي يحتاجه المجتهد الفقيه.
- اعتبار عالمية الخطاب القرآني.

---

1 – الشاطبي، الموافقات، تحقيق عبد الله دراز، ج4(ط:1؛بيروت:دار المعارف،1425هـ/2004م)،ص26. والشاطبي، الموافقات، تحقيق، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،مج4 (ط:1؛الجيزة–مصر:دار ابن عفان)،ص 345.

2 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات– ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–(مرجع سابق)،ص69إلى 78.

3 – نقل بن هشام في جوابه لأبي علي أن القرآن كالسورة الواحدة، لهذا يذكر الشيء في السورة و جوابه في سورة أخرى نحو قوله – تعالى– انظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،(ط:6؛بيروت:دار الفكر،1985م)، باب حرف اللام،ص 328و329.

- الالتزام بالمفهوم القرآني للجغرافيا، فالأرض كلها لله والإسلام دينه، والأمم إمَّا أن تكون أمة ملَّة أو أمة دعوة.
- التدقيق في الواقع الحياتي بمركباته المختلفة باعتباره مصدراً لصياغة السؤال والإشكال الفقهي.
- دراسة القواعد الأصولية بكل تفاصيلها وفي مقدمتها مقاصد الشريعة، والقواعد الكلية من أجل صياغة وبلورة أصول فقه الأقليات المعاصر وفق المقاصد العليا الحاكمة.
- الإقرار بأنَّ فقهنا الموروث ليس مرجعاً نهائياً للفتوى، بل وجب الاستئناس به حرصاً على تواصل أجيال الأمة، فإنَّ سلفنا لا يملكون أجوبة لإشكالياتنا لأنَّهم لم يعيشوها.
- اختيار هذه الأصول في الفقه الذي نتداوله في الواقع العلمي، ومن ثَمَّ يُمكن أن يندرج فقه الأقليات وأصوله في فقه الموازنات وفقه الأولويات وفقه المآلات وفقه الواقع.
- لابد من مهارة في التعامل مع الكتاب والسنَّة، مبنيَّة على مقاصد الشريعة وتخريج الفروع على الأصول والقواعد الفقهية والجدل والفروق وعلم أصول الفقه إجمالاً، والحقيقة هناك قواعد مهمة جداً لفقه الأقليات.
- وقواعد عدَّة هذا كلُّه سوف يُيسِّر على الأقليات المسلمة أن تحيا حياة طيبة.
- أن كل ما خلقه الله، لله ملكاً وللعباد انتفاعاً.
- الأصل حل الطيبات إلا ما أُستثني.
- الأصل تحريم الخبائث إلا ما أُستثني.
- الأصل حاكمية الكتاب فلا يستقلُّ أي دليل بالتشريع خارج دائرة حاكميته.
- الأصل ختم النبوة بمحمد –صلى الله عليه وسلم–فلا نبي ولا رسول بعده.
- الأصل لا مبدل لكلمة الله مطلقاً فلا يصح دعوة لنسخ أو تبديل في القرآن.
- الأصل في الشريعة الإسلامية التخفيف فكل حرج مرفوع.
- الأصل في الإنسان الحرية فلا يفقدها إلا بمبرر شرعي.

وهناك أصول أخرى ألخصها فيما يلي[1]:

الأصل استحضار العهد مع الله-تعالى-قال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف: 172]،وكذلك الأصل الاستخلاف الإلهي للإنسان وتسخيره للمسخرات له قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة:30]

والأصل الائتمان الإلهي للإنسان و دلالته قوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[الأحزاب:82] ،والأصل عدم التكليف إلا بدليل، والأصل في التكليف الابتلاء قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:2]،والأصل الجزاء قال تعالى:﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾[النجم: 41]،

والأصل هو الحق والحقيقة؛ فلا عبث في أي حكم،

قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[آل عمران: 191]، والأصل في الإصلاح قال تعالى:﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[هود:88]،والأصل هو الغائية قال

1 -انظر: طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات- ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان-.(مرجع سابق)،ص79و 80 بتصرف.

تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات :56]،والأصل في الطيبات الحلّ قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[الأعراف :157]

إنَّ إطلاق كلمة نسبي على الواقع الذي تنزَّل فيه القرآن والسنَّة أثار غضب البعض، فكل التُّهم للعلواني بأنَّه قد انتقص وحطَّ من قيمة هذا الواقع وأصحابه، وهو في الحقيقة ما قال إلا صواباً إذ نسب للبشر النِّسبية التي من طبيعتهم لا غير، فهل في ذلك انتقاص أو حط من القيمة؟

وقد **اعتبر العلواني عالمية الخطاب** كمرتكز هام ونقطة للانطلاق نحو الإنسان أجمع مستندا في ذلك على طبيعة الخطاب الإلهي وتتبعه في مرحل الحياة النبوية، "فقد تتدرّج الخطاب القرآني من الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى عشيرته إلى أم القرى ومن حولها. ثم الشعوب الأمية كلها إلى العالم كله[1]".

لعل من أهم القواعد التي يُبني عليها فقه الأقليات ويُؤسس: "اعتبار المصالح ودرء المفاسد هذه القاعدة التي ارجع الإمام **العز بن عبد السلام**–رحمه الله–الفقه كلِّه إليه[2]".

يخلص العلواني إلى القول بأنَّ فقهنا المورث لن يُسعفنا في تأسيس فقه معاصر للأقليات المسلمة، بعد أن اتَّضح لديه ذلك من خلال جملة من الأسئلة المنهجية التي طرحها على الفقهاء عند بناء فقه الأقليات، فما هي هذه الأسئلة الكبرى التي ينبغي للفقيه طرحها عند

1 – انظر: الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر،ج1(مرجع سابق)،ص 14و15 بتصرف.

2 – جلال الدين عبد الرحمان السيوطي،الأشباه والنظائر،(ط:1؛بيروت:دار الكتب العلمية،1403هـ/1983م)،ص8.

بناء فقه الأقليات التي يجب أن يُجاب عليها؟ وقد وضع العلواني جملة من الأسئلة [1]كمقترحات يُمكن أن تُقبل أو تُعدَّل لتكون كأرضية لوضع الأسئلة الكبرى لبناء هذا الفقه الجديد.

ثامناً–حتمية الرجوع للتجربة الإسلامية الأولى.

بعد سَبْر العلواني للوقائع والواقع وخبره، والوقوف عند حالة من العجز للوصول لحلٍّ مشكلة الأقليات المسلمة حتى تنصهر في المجتمعات الغربية بصورة إيجابية، فإنَّه من باب الحتَّم والإلزام يرى ضرورة الرجوع إلى الوحي والتجربة الإسلامية الأولى ويضع مايلي:

- **المبدأ الأساسي في علاقة المسلمين بغيرهم السلم والمسالمة** مصداقاً لقوله تعالى:﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾[الممتحنة :8و9] [2].قال **ابن جرير الطبري** رحمه- الله تعالى-"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال أعني بذلك لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم إنَّ الله -عزَّ وجلَّ- عَمَّمَ بقوله﴿وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾[الممتحنة:8] جميع من كان ذلك صفته فلم يخصص به بعضاً دون بعض[3]".وقال ابن الجوزي: "وهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين، وجواز برهم كانت الموالاة منقطعة[4]" **وقال**

1- هي عبارة عن مجموعة أسئلة أشبه ما تكون تقنية أو إجرائية تعمَّدت عدم ذكرها لعدم ثباتها إذ تختلف من بيئة إلى أخرى لهذا لا تُعتمد كمرجع بل يمكن مقاربتها أو الاستئناس بها . طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات- ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان-(مرجع سابق)،ص80إلى84.

2 - طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات- ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان-.(المرجع نفسه)،ص84إلى 86.

3 - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر.ج23(ط:1؛لا.م:مؤسسة الرسالة، 1420هـ)،الباب 9،ص 323.

4 - أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي.ج4 (ط:1؛بيروت:دار الكتاب العربي، 1422هـ)،269.

القرطبي: "هذه الآية رخصة من الله –تعالى– في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم، ونقل عن **ابن العربي** في تفسير قوله –تعالى–:﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الممتحنة:8]أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة، وليس يريد به من العدل، فإنَّ العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل[1]".ووفَّق ما جاء في الآيتين **نكون قد حدَّدنا** "الأساس الأخلاقي والشرعي والقانوني الذي، يجب أن يُعامِل به المسلمون غيرهم، وهو البرُّ والقسط لكل من لم يناصبهم القتال أو العداء[2]".وهذا هو الأصل الأصيل في دين الإسلام الذي جاء للسلم والمسالمة والسلام لكل البشر كافة. "لأن القرآن نفسه صريح في الدعوة إلى علاقة حسن الجوار لمن لا يتعرض لنا بأذى من غير المسلمين[3]".

و**قول ابن عباس** –رضي الله عنه –: «ما قاتل رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قوماً قط إلا دعاهم»[4]، بل وهي مَكمن الخيرية التي أخبر الله–تعالى–في آية الخيرية. وهذا الباعث ما تقوَّى لدى القوم إلا بسبب ما هو مشاهد من انتشار لدين الإسلام في ديارهم سلمًا، لا عنوة كما يُشبِّهون على الناس[5].

---

1 – أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري.ج18 (لا.ط؛ الرياض– السعودية: دار عالم الكتب،1423هـ/2003م)،ص 59.

2 – انظر: طه جابر العلواني مدخل إلى فقه الأقليات–ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–(مرجع سابق)،ص85 85بتصرف.

3 – عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا وسيرة.(ط:1؛ القاهرة: مكتبة وهبة، 1414 هـ/1993م)، ص172.

4 – أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده،باب: مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، حديث رقم: 2463.وقال عنه الألباني قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين،باب 2641 – " لا تقاتل قوما حتى تدعوهم ". سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.ج6(مرجع سابق)،ص294.

5 – انظر: عمرو كامل عمر، حصان طروادة الغارة الفكرية على الديار السُّنية، تقديم: محمد موسى الشريف (ط:2، لا.م: دار القمري، 1435 هـ/2014م)، ص37بتصرف.

- **الأمة المُخرجة أمة إنقاذ وسلام** جاء قوله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران :110] [1]، هذه الآية شملت اثنين من خصائص أمة التوحيد هما: الخيرية والإخراج[2]. قال **أبو السعود** في تفسيره:" فهو صريح في أنَّ الخيرية بمعنى النفع للناس، وإن فُهِمَ ذلك من الإخراج لهم أيضا أي خرجت لأجلهم ومصلحتهم[3]". وقال **ابن أبي حاتم** في تفسيره: "قال خير الناس للناس كان قبلكم، لا يأمن هذا في بلاد هذا ولا هذا في بلاد هذا، فكلَّما كُنتُم أَمِنَ فيكم الأحمر والأسود، وأنتم خير الناس للناس[4]".

و**قال النحاس**: "والتقدير على هذا كنتم للناس خير أمة[5]"، و**يقول الصابوني**:(يقول ابن كثير المعنى أنَّهم خير الأمم، وأَنْفَعُ الناس للناس[6]". كما **للخطيب** معنى جميل يجب التَّمعنُ فيه إذ يقول: "من رسالة هذه الأمة ألاَّ تَحتجزَ الخير لنفسها، ولا تستأثر به حين يقع في يدها، بل تجعل منه نصيباً تَبَرُ به الإنسانية كلها وتشرك الناس جميعاً معها فيه[7]".

---

1 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات– ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–.(مرجع سابق)،ص86إلى 89.

2 – انظر: طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات– ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–.(المرجع نفسه)،ص85 بتصرف.

3 – أبو السعود،إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،ج2،(لا.ط؛بيروت:داراحياء التراث العربي،د.ت)،ص70.

4 – أبو محمد ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطي،ج3(ط:3؛ المملكة العربية السعودية:مكتبة نزار مصطفى الباز،1419هـ)،ص732و733.

5 – أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، ج4.(مرجع سابق)، ص 171.

6 – محمد علي الصابوني، مختصر تفسير بن كثير، مجلد1.(ط:7؛ لا.م: لا.ن،1402هـ/1981م)، ص308.

7 – عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج2.(لا.ط؛ القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ص549.

- **الانتصار والايجابية:** وقد امتدح الله-تعالى-به عباده المؤمنين الايجابية والانتصار لحقوقهم، ورفض البغي والظلم، وعدم الرضا بالمذلَّة والهوان قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾[الشورى:39] [1]. قال **بن تيمية** في تفسير آيات الشورى " .... وضد الانتصار العجز، وضد الصبر الجزع، فلا خير في العجز ولا في الجزع كما نجده في حال كثير من الناس، حتى بعض المتدينين إذا ظُلموا أو رءوا منكراً، فلا هم ينتصرون ولا هم يصبرون، بل يعجزون ويجزعون[2]".

من أهم صفات الخيرية الانتصار للحق والقضايا العادلة والايجابية في فعل الخيرات وترك المنكرات، الايجابية التي تُشعر بالنِّديَّة والمساواة وتنْبذ التَّخلي والإحساس بالدون والهوان فالمسلم عزيز في كل زمان ومكان.ومن هنا يرفض العلواني السلبية والانسحاب عند التواجد في المجتمعات الغربية ويرى أن:" أي انسحاب من التفاعل الإيجابي مع الوسط الذي يعيشون فيه، يناقض مدلول الآية[3] الكريمة الداعية إلى الإيجابية والانتصار[4]".فهو يعتمد في تأسيس فقه الأقليات، على خاصية الإيجابية والانتصار ورفض البغي والظلم.

تاسعاً-مفاهيم مغلوطة عطلت الفقه ومنعت من التعايش.

يدعم **العلواني ضرورة نشر الخيرية** في أوساط الإنسانية، وقد حشد لذلك زخماً من الأدلة كما صحَّح بعض المفاهيم والمصطلحات الملازمة والمرتبطة لهذا المعنى، والتي يَحْدُثُ في فهمها غلط كبير ومن أهم هذه المفاهيم مايلي[5]:

- ربط دار الإسلام بدار الكفر بالمعنى الجغرافي لهما، هو ضرب من التضيِّيق لآفاق الرسالة.

---

1 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات-ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان-.(مرجع سابق)، ص89إلى 90.

2 – ابن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق: د عبد الرحمان عيرة، ج6. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت)،ص59.

3 -آية39 من سورة الشورى سابقة الذكر.

4 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات-ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان-.(مرجع سابق) ،90.

5 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات-ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان-.(مرجع سابق)، ص87إلى 94.

- كذلك إعادة النظر في مفهوم الأمة، الذي ارتبط بالكم البشري والحيز الجغرافي، وإعادة ربطه بالمبدأ الإسلامي.
- **عبرة من الهجرة إلى الحبشة:** تُعتبر حادثة الهجرة إلى الحبشة تجربة إسلامية أولى ومثالاً على لجوء المسلمين إلى بلاد الكفر لحماية دينهم، ولهذا المثال أهمية خاصة لأنَّه وقع في عصر الاستضعاف الشَّبيه بحال المسلمين اليوم.
- تحمُّل شيء من الغبش أو بعض الأمور المشتبهات.

ويقصد العلواني بتحمُّل الأمور المشتبهات؛ بأن يقع أفراد الأقليات في أمور منافية للورع، من قبيل الإيجابية إذا تحقَّق بذلك خير كثير ولا يمسُّ بجوهر العقيدة وأساسيات الدين، وينقل كدليل على ذلك قول **ابن تيمية:**" فالواجب على المسلم أن يجتهد في ذلك حسب وسعه فمن ولي ولاية يقصد بها طاعة الله، وإقامة ما يمكنه من الواجبات واجتناب ما يمكنه من المحرمات، لم يؤاخذ بما عجز عنه، فإنَّ تولية الأخيار خير للأمة من تولية الفجار[1]".وكأنَّه يؤصل في خيار المشاركة الإيجابية مع قبول تنازلات يُمليها واقع الظلم المتَغَلِّب أوخيار السلبية والانسحاب وترك الأمة في أيدي الظلمة، وقال **ابن تيمية** كذلك:"وجود الظلم والمعاصي من بعض المسلمين وولاة أمورهم وعامتهم، لا يمنع أن يُشارَك فيما يعمله من طاعة الله[2]".

و**يقول العلواني** معلقاً على **كلام ابن تيمية**؛ ولو كان –رحمه الله–حياً الآن لأضاف: بعض الكافرين وولاة أمورهم وعامتهم تماشياً مع منطق الموازنة الشرعية الذي بناه[3].

وهذا كذلك عنده من باب مراعاة تغير الوقائع، ولأنَّ الرسول–صلى الله عليه وسلم–علَّل أمره لأصحابه بالهجرة للحبشة بقوله: «فإنَّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحداً»[4].

كما ذكر نفس الموقف **لابن حجر** في سؤال الإمارة رغم نهي السنَّة عن ذلك، إذا كانت

---

1 – ابن تيمية، السياسة الشرعية.(ط:1؛ السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة،1418هـ)، ص 176.

2 – ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج4.(ط:1؛ المملكة السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ/ 1986م)، ص113.

3 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات– ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان–.(مرجع سابق)،ص91.

4 – ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق عبد الرؤوف سعد،ج2،(لا.ط؛ بيروت: دار الجيل،1411هـ)،ص164.

صفوف المسلمين معرَّضة للهدر والضياع فقال: "من قام بالأمر[1] عند خشية الضياع، يكون كمن أُعْطِي بغير سؤال لفقد الحرص غالباً عمن هذا شأنه، وقد يُغْتَفَرُ الحرص في حق من تعين عليه لكونه يصير واجباً عليه[2]".

عاشراً–خلاصة نظرة العلواني لفقه الأقليات:

يضع العلواني جملة من النقاط يرى فيها أرضية للانطلاق من الجانب العملي لتطبيق فقه الأقليات ودفع به للمساهمة الحضارية المطلوبة وأهم هذه النقاط هي[3]:

- وجود المسلمين في غير بلدانهم المسلمة يجب التخطيط له باعتباره وجوداً مستمراً ومتنامياً.
- على أبناء الأقليات المسلمة أن لا يقيدوا أنفسهم باصطلاحات فقهية تاريخية، لم ترد في الوحي مثل دار الإسلام ودار الكفر.
- من واجب الأقليات المسلمة أن يشاركوا في الحياة السياسية والاجتماعية وما إليها، مما لم يمنع الشرع منه مشاركة إيجابية من أجل حقوقهم وعقيدتهم.
- كل منصب حصل عليه المسلمون أو أثَّروا فيه يُعتبر مكسباً لهم من حيث تحسين أحوالهم.
- إنَّ التفاعل الإيجابي للأقليات مع أهل البلد الأصليين، يقتضي منهم تشاوراً واتفاقاً في الكليات وتعاذراً في الجزئيات.
- يحتاج أبناء الأقليات المسلمة إلى ترسيخ الإيمان بالله، وتدعيم الثقة في الإسلام حتى لا يدفعهم التفاعل مع غيرهم إلى التنازلات في الدين.
- تحتاج الأقليات المسلمة إلى حسن التعبير عن حقائق الإسلام، كما فعل جعفر ابن أبي طالب في خطبته البليغة أمام النجاشي.

---

1 – المقصود بالأمر هنا حسب رأي الشيخ طه–رحمه الله تعالى–هو: الإمارة.

2 – أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني،ج13،(مرجع سابق)،ص126.

3 – طه جابر العلواني، مدخل إلى فقه الأقليات،(ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان).(مرجع سابق)،ص94إلى97.

المطلب الثالث: موقع حوار الحضارات في المواءمة الحضارية بين الإسلام والغرب.

الفرع الأول: ملاحظات ضرورية حول موقع الأمة المسلمة اليوم من مسألة حوار الحضارات

يقدِّم العلواني بعض الملاحظات الهامة التي تُظهر مكانة الأمة الإسلامية من حقيقة الحوار القرآني، وكشف حقيقة دعوة الغرب اليوم لقيام حوار بين الأمم والحضارات[1]:

- الحوار مفهوم بناه القرآن المجيد وجعله جزءاً من بنائنا العقلي والنفسي، فلم يعُد بإمكاننا الاستغناء عنه في جميع جوانب الفكر والتصور والسلوك. وهو حوار بين الحضارة الإسلامية العربية، وبين الحضارة الغربية المهيمنة على العالم اليوم.
- حضارة الإسلام **حضارة سلام** وأمن لا استعلاء فيها ولا استقواء، **حضارة جمع دون دمج** أو هيمنة، حضارة إصلاح وعمران حتى صارت حضارة عمرانية عديمة النظير، مبدأها التوحيد، إذ اِعتبرت الإنسان بوصفه إنساناً مجرَّداً عن كل وصف – وهو بذلك مركز الكون والمستخلف في الأرض، ومدار هذه الحضارة أن تُبنى على التوحيد والتزكية والعمران، وبهذه المكونات تُرفع الحضارة الإسلامية وتفوق سائر الحضارات الأخرى.
- بأنَّ الحضارة الإسلامية الآفلة، قادرة على الدخول في صراع مع الحضارة الغربية اليوم ومن باب أولى يرفض ما أُطلق عليه ودعا إليه بعض الجاهلين – بحسب وصفه–من حوار الحضارات.
- اصطحاب المشكلة التاريخية لعلاقة المسلمين بالغرب.
- غير أنَّ مفهوم الحوار في الفكر الإسلامي وحتى في الفكر الغربي، مبني على قواعد وآداب يجب مُراعاتها حتى يكون هذا الحوار حواراً ناجحاً.
- في حين يأخذ الحوار شكلاً مغايراً لدى السياسيين الغربيين؛ فهم يرونه بأنَّه لي ذراع

1 – طه جابر العلواني، علاقتنا مع الغرب بين الدعوة إلى الحوار وواقع الصراع (من طرف واحد)،(لا.ط؛لا.م: لا،ن،د،ت)،صو4إلى14.

الخصم[1]. فلا ينبغي للضعيف أن يتوهَّم أنَّه يكون طرفاً في حوار وهو في حالة ضعف، فلابد له أولاً من تجاوز حالة الضعف، والغرب يعرف أهمية التوازن وقيمته ويعرف أنَّه الضمان الأوحد للسلام العالمي. وقد شكَّل هذا الوضع الراهن حالة فريدة وخطيرة، فلا يُمكن أن يُقيم العرب والمسلمون **حواراً فلسطينياً إسرائيلياً**، ولا حواراً عربياً إسرائيلياً، ولا حواراً عربيا أمريكياً ولا حواراً إسلاميا أمريكيا.

- إنَّ فكرة الحوار قد راجت في العالم الإسلامي وقد تبنَّاها كثير من القادة، كما روَّجت لها منظمة المؤتمر الإسلامي[2] ،فظنوا أنَّ خصومة الغرب لهم خصومة مبنية على جهل الغرب بهم، وأنَّ الحوار سيبني جسور التعارف والتآلف والتعاون، وبذلك ينتهي الصراع، ونسوا أو تناسوا الاستعداد الدائم لدى الأطراف المتحاورة لقبول نتائج الحوار وحوارات السلطة الفلسطينية مع الحكومة العبرية مثال عن ذلك.

و**يظهر العلواني** من خلال هذه الملاحظات دقيقًا وعمليًا وفق منهج منظم واضح لا لُبس فيه، والمتتبِّع لهذه الملاحظات وتفاصيلها يظهر له مدى ما تميز به **عقل العلواني** من شمول وإحاطة في طرح القضايا والإلمام بتفاصيلها، ويبدو أنَّ هذه الصفة قد اكتسبها من الغرب الذي عاش فيه واحتك به، فهم في الحقيقة لا يتكلمون في موضوع إلا بعد مناقشة جميع مستلزماته وجوانبه، لذا يتَّسم عملهم بالدقة والإتقان في مقابل عملنا الذي يتصف بالفوضى والابتسار. وكانت ملاحظات العلواني وفق ما يلي:

---

1 – طه جابر العلواني، علاقتنا مع الغرب بين الدعوة إلى الحوار وواقع الصراع.(مرجع سابق)،ص11.

2 – هي منظمة إقليمية تضمُّ الدول الإسلامية، التي تدين بدين الإسلام، والغرض الأساسي من إنشائها توحيد جهود المسلمين للدفاع عن مصالحهم، وقد تأسست المنظمة في الرباط بالمغرب في 12 رجب 1389 هـ/أيلول 1969م. راجع: محمد خلدون أحمد نورس مالكي، تعدد الخلفاء ووحدة الأمَّة فقهاً وتاريخاً ومستقبلاً،(جامعة دمشق، رسالة دكتوراه – قسم الفقه الإسلامي وأصوله، 1431 هـ / 2010م)، ص323.ويبلغ عدد أعضاء هذه المنظمة أكثر من 45 دولة مسلمة. راجع: عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده.(ط:3؛الرياض:دار التدمرية، 1424هـ/2004م)،ص234.

- فكرة تبناها ودافع عنها باستماتة ألا وهي؛ مركزية الحوار المستمَّد من توجيه القرآن الكريم، للإجابة عن السؤال الجوهري الذي مفاده حوار بين مَن ومَن؟ وقد أجاب عليه.
- التوحيد هو مبدأ حضارة الإسلام المتَّجه حسب تعبير محمد الفاضل بن عاشور نحو "الحقيقة الذاتية للإنسان[1]".
- رفعه من شأن الحضارة الإسلامية رغم أفولها وغيابها عن المشهد الحضاري اليوم، ونقده للحضارة الغربية رغم هيمنتها على مشهد الأحداث الإنسانية، وهذا موقف قوي يُحسب له في دفاعه المستمر عن حضارة الإسلام، وعدم انبهاره بالحضارة الغربية التي عاش فيها دهراً طويلاً.
- مما يلاحظه **العلواني في مسألة الحوار بيننا وبين الغرب**؛ وجوب نسيان ما كان بيننا من حروب وصراعات في القديم، بل الواجب الانطلاق من جديد من دون خلفية مُسبقة، فنحن أبناء اليوم والذي يهمنا حاضرنا ومستقبلنا ولا علاقة لنا بمآسي الماضي. وفي هذا مخرج للبشرية من صراعاتها الوهمية وصمَّام أمانها الأوحد والوحيد، لو تَمَّ تحكيم العقل والعلم والأخلاق لتجنَّبت الإنسانية كل مآسيها وتلافت كل مظاهر الدمار والخراب الذي نشهده في كل حين بأسباب لا قيمة لها.
- كما ينتقد كل الدعوات العالمية المنادية بالحوار بين الحضارات، إذ هي في نظره ادعاء مزعوم لا دعوة حقيقة، لعدم تحقق شرط التوازن والتكافؤ بين أطراف الحوار. بل هي عودة حضارية للهيمنة والسيطرة من جديد بعيداً عن أشكال الاستدمار التقليدية والمستهجنة لدى الضمير العالمي والمستفزَّة له، لهذا يرى أنَّه لا حوار إلا من خلال التوازن في القوى، وحتى تعود التوازنات الحضارية إلى وضعها الصحيح من جديد، ويبدو أنَّ الطريق أمام عودتها لا يزال بعيد المنال في الوضع الراهن.

1 - محمد الفاضل بن عاشور، روح الحضارة الإسلامية.(ط:2؛ فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية المعهد العالمي للفكر الإسلامي الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي،1413هـ/1992م)، ص19.

- ولم يقتصر رفض العلواني للدعوات الصادرة عن الغرب، بل رفض حتى الدعوات الصادرة من الداخل الإسلامي، من مثل ما دعا إليها كثير من الأكاديميين والمفكرين، وروَّجوا له غافلين عن الشروط الأساسية لبدء أيِّ حوار، وهنا ذكَّرهم بحوارات العرب اليوم ودعاهم للتَّأمل فيها، فهي أشبه بحوار الطرشان التي لا تُغني ولا تُسمن من الحق شيئاً. فمن خلالها نستطيع قياس درجة الاستعداد لقبول نتائج الحوار وفاعليته الحقيقة.

الفرع الثاني: نحو أبعاد معرفية لحوار الحضارات.

أولاً–حقيقة الدعوة لحوار الحضارات اليوم:

من أهم المشكلات أنَّ مَنْ يُثير قضايا الحوار، يقع خارج البيئة الفكرية والاجتماعية العربية والإسلامية، وهي مختلفة مع تلك التي يتحرك في إطارها الباحث والمفكر العربي والمسلم، **وقد صرَّح العلواني بذلك في قوله:** وقد ارتبطت قضية الحوار بين الحضارات في طرحها الأخير، بما أُثير حول مقالة [1]صموئيل هنتجون[2]. والحوارات الناجحة ينبغي أن تنبع عن الذات الحرَّة والإرادة المستقلة.

ويُشير العلواني إلى نقاط بعد ذِكِّر الملاحظة الأولية في تأثير الفكر الإسلامي بفكر صموئيل وهي:

- **حوار الحضارات حوار أم صراع؟**: بعد حرب أكتوبر/ رمضان 1973م برزت فكرة الحوار العربي الأوروبي[3].وأهمُّها دراسة **روجيه غارودي** ودراسة **حامد ربيع** ودراسة أخرى **أحمد صدقي الدجاني**[4].غير أنَّ نداءات الحوار الإسلامي المسيحي لم تلق اهتماما.

يعود ذلك إلى **سببين أساسيين** هما[5]:

---

1 – يقول صومويل هنتجون: الصراعات ستكون بين شعوب تنتمي إلى كيانات ثقافية مختلفة. انظر: صومويل هنتجنتون،صدام الحضارات،ترجمة طلت الشايب.(ط:2؛لا.م:لا.ن،1999م)،ص46.

2 – انظر:طه جابر العلواني، علاقتنا مع الغرب بين الدعوة إلى الحوار وواقع الصراع.(مرجع سابق)،ص15بتصرف.

3 – طه جابر العلواني، علاقتنا مع الغرب بين الدعوة إلى الحوار وواقع الصراع.(مرجع سابق)،ص16و17.

4 – ملخص دراستهم هو: دعوتهم للغرب عن التخلي عن غطرسته لأجل إقامة حوارات ناجحة مع غيره. راجع: طه جابر العلواني، علاقتنا مع الغرب بين الدعوة إلى الحوار وواقع الصراع.(المرجع نفسه)،،ص16و17و18.

5 – انظر: طه جابر العلواني، علاقتنا مع الغرب بين الدعوة إلى الحوار وواقع الصراع.(المرجع نفسه)،ص17و18بتصرف.

السبب الأول: أنَّ الغرب الآن يُطلق مقولة حوار الحضارات[1]، وهي تتضمَّن في جوهرها صدام وصراع الحضارات ويُمهِّد لذلك وقد كشفت أحداث سبتمبر عن ذلك.

السبب الثاني: أنَّ حوار الحضارات – في طرحه الأخير-يتَّسق مع المعطيات التاريخية والسياسية والاستراتيجية للعالم الغربي بعد انتهاء الشيوعية، وبعد تطهير البيت الأوروبي من الانقسام الأيديولوجي، ما بين شيوعية ورأسمالية والتحول إلى صناعة عدو جديد والمقصود حضارة الإسلام.

فالاسم حوار والمقصد حرب واستعمار، كما أنَّ صناعة العدو وتوهمه في المنظور الغربي تدفعه المصالح الاستعمارية والإيديولوجية، وقد أسهمت تكنولوجيا الإعلام في ذلك بشكل كبير، على غرار ترويج الفكر الداعشي والخلافات المزعومة بين بعض الدول كعداوة أمريكا لإيران. يقول عبد الكريم الخطاب: "كنت قد كتبتُ مقالاً في مايو 2006م، حول حقيقة العلاقات السرية بين أمريكا وإيران، محذراً ومُبينا للمخدوعين أكذوبة العداء المعلن بين البلدين، في وقت كان فيه العرف السائد في الإعلام بجميع أشكاله أنَّ البلدين يعيشان حالة عداء كبيرة خاصة في الساحتين العراقية واللبنانية، فالشعارات الإيرانية البراقة بالموت لإسرائيل وأمريكا تجد رواجها عند المغمورين، والعقوبات الأمريكية ضد إيران تجد سوقها لدى الساسة الخليجيين[2]".

- **حوار فكري أم تفاوض سياسي:**

---

1 – فكرة الحوار بين الإسلام والغرب، أو **حوار الحضارات** تناولها كثيرون من قبل، ومازالت الدعوة إليها تتجدَّد واللقاءات تعقد بين الحين والآخر لكن ذلك لم يقلل من أهمية الموضوع إذ أن أحداث السنة الأولى من الألفية الثالثة، وما تلا تلك الأحداث، بيَّنت للكثيرين أن نمط العلاقات بين عالم الإسلام وعالم الغرب أخذ منحناً جديداً، فالموقف بين الجانبين تجاوز حالة التوتر ودخل مرحلة الحرب الفعلية الشاملة، وهى حرب إعلامية ونفسية وسياسية وقتالية، قام ويقوم بها جانب واحد، بينما غرق الطرف الآخر في ردود الأفعال الناتجة عنها. ومع تطور المعركة واختلاط دخانها بدخان الإعلام صار التحرك كله يجرى في ساحة معتمة تسلَّلت وتتسلَّل إليها قوى جديدة متغايرة الأهداف متعارضة، مما يزيد المسرح حلكة وظلاماً. راجع: يوسف العاصي إبراهيم الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم(الجذور-الممارسة – سبل المواجهة). ج4 (ط:2؛ مصر: صوت القلم العربي،1431 هـ / 2010م)،ص72.

2 – عبد الكريم الخطاب،" أمريكا وإيران.. ماذا يحدث خلف الكواليس؟"موقع طريق الإسلام (https://ar.islamway.net/article/14757)،تاريخ التصفح:2013/2/3م.

يطرح العلواني سؤالاً حول معنى ومُراد ومقصد الحوار فيقول: "أيُّ حوار حضاري يطلب العرب والمسلمون اليوم؟ أهو حوار يقصد به الوصول إلى الحقيقة والانصياع لها بعد إقرارها؟ أم هو عمل يُحقِّق مصالح معينة لطرف ويفرضها بمنطق وحق القوة وليس بقوة الحق؟[1]".هذا السؤال الذي يجب أن نطرَّحه على أنفسنا بكل صدق وصراحة، ويبدو أنَّ العلواني قد سبقنا للإجابة عليه قبل أن نَبحث له عن إجابة، فيقول: "وهنا يضطر المسلمون إلى النزول إلى الحوار الإسلامي بدل الحوار الإسلامي الغربي، وبعد توحيد الصفوف حتى يصبحوا ندّاً للغرب من ثَمَّ ينتقلوا، إلى الحوار الإسلامي الغربي[2].لأنَّ في **الحوار الداخلي معرفة حجمنا الحقيقي**، فليس من المعقول مِمَّن يجهل حجمه أن يفتح صدره للعدو يُعرَف حجمه ومقدار قوته، وهذا من المنطلقات الصحيحة لأصحاب الحروب الناجحة.

ثانياً–أهم القضايا الأساسية لحوار الحضارات:

يقرِّر العلواني أنَّه يُمكن الحديث عن حوار وفق قواعد معرفية مستقيمة، إذا تَمَّ التركيز على القضايا التالية[3]:

- إنَّ هدف الحوار هو الوصول إلى الحقيقة والانصياع لها عند اكتشافها. الحقيقة ولا غير الحقيقة مقصد الحوار الصادق والحقيقي.
- ينبغي تحديد قواعد وأُسس الحضارة بما في ذلك تحديد الموقف من الآخر، المنضوي تحت حضارة أخرى
- الاختلاف بين الحضارات سُنَّة من سُنن الله في الكون فلا داعي لتذويب الفوارق والاختلافات قال الله–تعالى–:﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[هود: 118و119].

1 – طه جابر العلواني، علاقتنا مع الغرب بين الدعوة إلى الحوار وواقع الصراع.(مرجع سابق)،ص18.

2– انظر: طه جابر العلواني، علاقتنا مع الغرب بين الدعوة إلى الحوار وواقع الصراع.(المرجع نفسه)،ص18بتصرف.

3 – طه جابر العلواني علاقتنا مع الغرب بين الدعوة إلى الحوار وواقع الصراع.(المرجع نفسه)،ص19إلى21.

- الاختيار حق مكفول للفرد وللأمة.
- إنَّ الفواصل الحقيقة بين الحضارات تكمن في النظم المعرفية، لا المنجزات وعليه يتمُّ التحاور حول الأسس لا الثمرات.
- التعايش والتعاون والمحاورة هي وسائل لتحقيق الأمن والسلام، على اعتبار أنَّ الإنسان مكرم وتُلْزَمُ كل أمة باحترام كرامة الإنسان.
- رسالة الإسلام رسالة عالمية وعند المحاورة يجب أن تَحْضُرَ هذه الخاصية بقوة حتى تشمل جميع الجماعات المسلمة.
- لم يعرف تاريخ الإسلام مفهوم صراع الحضارات وإبادتها ولا حصار المجتمعات أو تجويع الأطفال والنساء، لكنَّه اقتصر هذه المظاهر في البعد العسكري عند الحروب فقط.
- إنَّ حوار الحضارات يعني الاعتراف بوجود حضارات متعددة، وعليه وجوب إعادة النظر في المناهج والنظريات والعلوم الناتجة عن حضارات عالمنا المعاصر كلها.

بدون هذه القضايا المعرفية يُوكَل الحوار إلى رجال السياسة، ويُستبعَد رجال القرطاس والعلم ومن ثَمَّ لا يُمكن أن نَحلُم بوجود حوار حقيقي فعَّال مُنصف للجميع، وعليه وجب:

- الضبط المنهجي والمبدئي للقواعد والأسس لجميع أطراف الحوار دون استثناء كفيل بأن يضع الحوار في سكَّته الحقيقة. **فالاتفاق حول الأُسس والتفاهم حولها**، يكون نتاجه ثمار جنيَّة تصل للقاصي قبل الداني. ومن بين هذه الأسس حرية الاختيار الشرط الأساسي لحرية الإنسان ضمن حركته الطبيعية المتعدِّدة والمختلفة. ووفق شروط صارمة تُراعي كرامة الإنسان وتحفظ له إنسانيته. وكذلك الوفاء بشروط هذا الاتفاق وأسسه، وقد "**حثَّ الإسلام بصورة خاصة على المحافظة على العهود، وأوجب الوفاء بها،** وحرَّم الخيانة فيها والعمل على نقضها، وأرشد إلى أنَّ القصد منها إحلال الأمن والسلم محل الاضطراب والحرب، وحذَّر أن تكون وسيلةً للاحتيال على سلب الحقوق والوقيعة بالضعفاء[1]"

1 – محمود شيت،خطاب بين العقيدة والقيادة.(ط:1؛ دمشق:دار القلم/ بيروت: الدار الشامية، 1419 هـ/1998م)، ص124.

- لا يُوجد في الكون منذ أن خلق الله الإنسان، من ينبذ التعايش والتعاون والمحاورة في قرارة نفسه وفي مصارحته لنفسه؟
- الإسلام يشمل جميع الحركات والجماعات الإسلامية؛ التي تعمل بصدق وإخلاص لأجل إعلاء كلمة الله-تعالى-واختلافهم يُساق ويندرج للتعاون لا التضاد، فهم فرع لدائرة للاختلاف الإنساني العام." إنَّ التعدَّد في المخلوقات وتنوعها سنَّة الله في الكون وناموسه الثابت، فلكل شيء في هذا الخلق طبيعته وخصائصه وصفاته التي تقارب غيره أحياناً، وتتنافر عنها في أحايين أخرى، وهكذا فطبيعة الوجود في الكون أساسها التنوُّع والتعدد[1]".

1- منقذ بن محمود السقار، الحوار مع أتباع الأديان – مشروعيته وآدابه.(لا.ط؛ لا.م: رابطة العالم الإسلامي، د.ت)، ص13.

المبحث الثاني: إسلامية المعرفة في فكر العلواني.

1- المطلب الأول: الجذور التاريخية لأزمة الأمة الإسلامية.

2- المطلب الثاني: الفكر ومكانته في المنظومة الإصلاحية للعلواني.

3- المطلب الثالث: التعريف بمشروع أسلمة المعرفة.

4- المطلب الرابع: علاقة أسلمة المعرفة بالعلوم.

المبحث الثاني: إسلامية المعرفة في فكر العلواني.

تمهيد:

منذ أن برز التحدي الأوروبي وأدركت الأمة عجزها عن استيعابه، ومحاولات المسلمين لم تكد تتوقَّف عن مواجهة ذلك التحدي وإعادة البناء الإسلامي[1]. كما كان لسبب تدهور أوضاع المسلمين وانتشار ظاهرة التقليد والجمود الفكري والعلمي، وبروز ظاهرة التغريب والغزو الثقافي انعكاسا كبيرًا في هبوط الهِمَم، وانخفاض مستويات الدافعية عند الفرد المسلم؛ الذي لم تَعُد له القدَّرة على الإسهام في بناء الحضارة وسيرورة العلوم، الأمر الذي جعل من التَّحضر وعلومه تتحوَّل إلى اتجاهين متعاكسين إما إلى موروث من الأجداد أو إلى وافد مستورد من الغرب. ولجملة هذه الأسباب جميعاً نشأت أسلمة المعرفة. وكأنَّها حلقة من حلقات الرَّد والمواجهة ضد السيطرة الغربية على المسلمين بحسب تعبير العلواني.

المطلب الأول: الجذور التاريخية لأزمة الأمة الإسلامية.

الفرع الأول: تشخيص أزمة الأمة الإسلامية.

يذهب العلواني في تشخيصه لأزمة الأمة إلى كوِّنها[2]:

- أزمة فكرية، كما يُؤكد على أنَّ ما يُنَادي إليه اليوم لا يخرج أن يكون، حلقة من سلسلة طويلة من حلقات الإصلاح الفكري، التي بدأت بمشكلة الإمامة العظمى وقيادة الأمة، أو مسألة الخلط بين عالمي الغيب والشهادة الذي أدى إلى الخلط بين القدر وحرية الفعل الإنساني.
- ومن هنا يدعو إلى المراجعة[3] التي تقتضي التفريق بين ما هو دين ووحي معصوم، وبين ما هو اجتهاد بشري قابل للخطأ والصواب.

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، "لماذا أسلمة المعرفة؟"، مجلة أسلمة المعرفة، أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي العدد1،السنة1، ص13بتصرف.

2 –راجع: طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(لا.ط؛ الجزائر: دار الهدى،د،ت)، ص31إلى36.

3 – المراجعة؛ يعني بها محاولات الإصلاح والنهوض والتجديد.

- ويُثني على الجهود الكبيرة التي بُذِلَتْ في وضع مناهج لضبط النقل، أو مناهج للتفكير وإعمال العقل. من مثل **الإمام الشافعي** و**الإمام أحمد** و**عبد الرحمان بن مهدي** و**الأشعري** و**إمام الحرمين** و**الغزالي** و**ابن رشد** و**ابن حزم** و**ابن تيمية** و**صولاً إلى ابن خلدون** و**غيرهم**.
- ورغم تلك الجهود المبذولة فمن أهم مصادر الأزمة الاهتمام بالسياسة وتغييب الفكر والثقافة.
- كما أنَّه يرى جملة تلك الجهود الإصلاحية، قد آلت في نهاية المطاف إلى مشروعين سبق ذكرهما في التمهيد-المشروع الإسلامي الحركي، والمشروع التغريبي اللاديني-كما ثبت فشلهما في تحقيق النهضة للأمة المسلمة وقد تعرَّض لأسباب فشلهما. فيطلب الكشف عن موطن الخلل التي أوصلت الأمور إلى ما وصلت إليه، وذلك يستلزم إعادة تشكيل وبناء العقل المسلم.

ففي النظر لأزمة وسبيل معالجتها **يحسن العلواني التشخيص** الذي هو من أولى أولويات المعالجة، ثم يعرض العلاج وفق مايلي:

- في أولى عمليات الإصلاح من الضروري التفريق بين الدين والاجتهاد، وهذه في الحقيقة نقطة منهجية فاصلة فإذا تمَّ الاتفاق حولها، فأنَّها تُمهِّد الطريق أمام الخطوات الإصلاحية الباقية.
- لا ينسى الجهود الإصلاحية المبذولة عبر التاريخ الإسلامي، فهو يدين بالفضل للتراكمية التي أسهمت من جيل إلى جيل للوصول إلى حالة التَّرقي اليوم، وفي الوقت نفسه يُرجع الفضل في حفظ وحدة الأمة الإسلامية لكل تلك الجهود. وهذا كله يسمح بوجود **استعدادات للانخراط ضمن المنهجية الجديدة للإصلاح المنشود**؛ الناتج عن المراحل الإصلاحية المتعاقبة وفق سلسلته الممدودة عبر أجيال الأمة الإسلامية، بجميع المحاولات الفردية والجماعية، وقد ضرب لذلك أمثلة عن رجالات كل مرحلة حتى نقف على حقيقة تلك التكاملية والتراكمية، فنقضي بذلك على تلاغي وتلاعن الأجيال الذي كرَّس البدايات المنفصلة والمبتورة للفعل الدعوي. لندرج كل

جهد دعوي سابق أو لاحق ضمن حديث النبي-صلى الله عليه وسلم-الذي قال فيه: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة من يُجَدِّد لها دينَها»[1]

- كما أنَّه يقرُّ باستمرار النَّبض وتواصله في جسد الأمة؛ الدَّال على الإحساس بالأزمة، غير أنَّه يرى فيه كثيرًا من المثالب، ولعلَّ أحدها وأهمها؛ طغيان الجانب السياسي في المعالجة والحل على حساب الفكر والثقافة.
- يدعو إلى استكمال الخطوات المنهجية للإصلاح المنشود، ومن باب الحَتْمِ والضرورة والإلزام؛ تقصّي الأسباب الحقيقة للفشل والكشف عن ملابساته.

ويَنْتَقِل العلواني لزيادة البيان والتوضيح لعمق الأزمة، وفي عملية تشريحية وفق حركة كرنولوجية، تشمل في خط أفقي مسحي تاريخنا الحاضر، لذكر ونقد حركات الإصلاح السياسي في البلاد الإسلامية، من حركة **ابن عبد الوهاب** وصولاً إلى **جمال الدين الأفغاني** و**الكواكبي ومحمد عبده**-رحمهم الله جميعاً- إلى حركات المقاربات والمقارنات، والتي انتهت كلها بالفشل والإخفاق، في الوصول لتحقيق خطوات الإقلاع ولنترُك الكلام **للأفغاني**- رحمه الله تعالى- يحدِّد ويشخِّص أزمة الفكر الإسلامي الحديث فيقول: "إنَّ الشرق بعد أن كان له الجاه الرفيع، والمقام المنيع، والسلطة العظيمة و... إلى أن أَعْرَضَ الشرقيون عن الاستنارة بنور عقولهم... فقد ظهر من كل ما ذكرته من سير الشرقيين قدحاً في حالاتهم...، حتى خربوا بأيديهم ديارهم...، وكان الواجب على أحفادهم الذين احترقوا بنارهم...، أن يعتبروا بالمصائب التي جلبتها إليهم غفلات أسلافهم....وقد تمكَّن منهم القنوط، وغلب عليهم اليأس وفترت هِمَمُهُم وضَعُفَت عزائمهم.. وقَسَتْ قلوبهم عن الإذعان للحق فلا حول ولا قوة إلا بالله[2]".

ويعلِّق **العلواني** على مقالة **الأفغاني** فيقول:" نُشرت هذه المقالة قبل ما يَقرُبُ من قرن وربع القرن، ترى هل يستطيع النَّاظر فيها من أبناء عصرنا هذا، أن يلحظ تغيراً مُهِمًا في حال الأمة

---

1 - أخرجه المنذري في مختصر أبي داود. باب ما يذكر في قرن المائة، حديث: 4291.قال الألباني: حديث صحيح، في صحيح وضعيف الجامع الصغير، باب 2755حديث: 2755.

2 -راجع: جمال الدين الأفغاني، سلسلة الأعمال المجهولة، تحقيق دعلي شلش.(لا.ط؛ لندن: رياض الريس للكتب والنشر،1987م) ص93و98و99

اللهم إلى الأسوأ؟[1]". فالمسألة واحدة في كلِّ عصر ومصر، لا تختلف إلاَّ في الأسماء، أما المسبب فواحد في جميع الحالات؛ إذ يعتبر غياب العقل أو تغييبه وإبعاده عن حسن أدائه لوظيفته، أمرًا بالغ الخطورة والفتك في دنيا الأفراد والجماعات الإنسانية أيًّا كانت مسلمة أو كافرة. "واعتبر الإسلام العقل ولم يُلغه، فمن مظاهر اعتباره للعقل وعدم إلغائه له أنَّه حثَّه على التفكير فيما يدركه ويشاهده[2]".

ويرى **العلواني** أنَّ السَّبب الأهم في إخفاق وفشل محاولات الإصلاح والتجديد، يعود إلى كون هذه الأخيرة لم تكن لها خطة إصلاحية شاملة فيقول بأنَّها: "عالجت أموراً وفاتتها أمور، وأنَّ التجديد والإصلاح لم يأخذا مداهما الشامل ليحيطا بأسباب الأزمة المختلفة. كما أنَّ معظم حركات الإصلاح قد انشغلت بمعالجة مظاهر الأزمة وما تنعكس عليه، من آثار يومية ومباشرة، أما جذورها ومنابعها فلم تأخذ حظَّها من البحث والدراسة ثم المعالجة[3]".

ومن هنا تظهر **الضرورة المُلحَّة لوجود نظام إصلاحي جديد**، يقفز ويتجاوز تلك المحاولات بعد حسن قراءتها والاستفادة من جوانبها الإيجابية وتبرز الحاجة واضحة إلى محاولة إصلاحية معرفية منهجية، تستطيع رصد سائر أسباب الأزمة ومنابعها، إضافة إلى آثارها وانعكاساتها، محاولة بذلك تقديم منهاج جديد سليم للأمة[4]".

الفرع الثاني: موقف الأمة المسلمة من المشروع الغربي.

أولاً–العلوم في الفكر الغربي:

تقوم العلوم السلوكية الغربية على علم النفس وعلم الاجتماع، وهما الأساس وتأتي العلوم الاجتماعية الأخرى وكأنَّها تطبيق واختبار لفرضياتها ومنطقاتها سواء كان الأمر في مجال

---

1 – طه جابر العلواني، طه جابر العلواني، "لماذا أسلمة المعرفة؟"، مجلة أسلمة المعرفة. (مرجع سابق)،ص18.

2 – أحمد بن علي الزاملي عسيري، منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة –كلية أصول الدين –جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1431هـ)، ص51.

3 – انظر: طه جابر العلواني، "لماذا أسلمة المعرفة؟"، مجلة أسلمة المعرفة.(مرجع سابق)،ص19بتصرف .

4 – انظر: طه جابر العلواني، "لماذا أسلمة المعرفة؟"، مجلة أسلمة المعرفة.(المرجع نفسه)،ص19بتصرف.

التربية أو الاقتصاد أو الإعلام[1]. فعلوم الإعلام والسياسة والتربية وغيرها من علوم السلوك كلها منبعها الإنسان واجتماعه.

ثانياً–سمات الفكر الغربي في هذه العلوم:

للفكر الغربي سمات سلبية كثيرة أهمُّها[2]:

–محدودية مصادر المعرفة[3].

–محدودية وسائل اختباره لمعرفة العقلية.

–وقوعه في خطيئة القياس مع الفارق.

–المحدودية والانحصار في النظرة والميدان زمانا ومكانا.

ثالثاً–الأمة الإسلامية بين رفض المشروع الغربي والانصهار فيه.

يمكن أن ننطلق من المظهر المهيمن والطافي على السطح، والذي يظهر بكل جلاء ووضوح في التفوق الغربي وهيمنته على المشهد الفاعل اليوم في دنيا الناس، إذ شكَّل الفلك الذي تدور حوله جميع الأجناس بما فيهم الأمة المسلمة، وقد **لخص العلواني الأسباب** التي أدَّت إلى الإيمان بالثقافة الغربية وهيمنتها عل المشهد العام للحياة اليوم[4]:

- الغلبة وأثرها في المغلوب.
- الترويج الإعلامي والتعليمي.
- توقف العقل المسلم عن الإبداع واندفاعه إلى التلقي والتقليد.

وهذه الأسباب ملموسة ومحسوسة في الواقع الإسلامي المعاش، لا تحتاج إلى تدليل لإثباتها، إذ بيَّن **ابن خلدون** في مقدمته نظرية **ولع المغلوب بالغالب** فعنون أحد فصولها بعنوان" في أنَّ

1–انظر:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص 223 بتصرف.

2– انظر:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(المرجع نفسه)،ص 223 و 224بتصرف.

3 –أمَّا الإسلام فإنَّه ينظر إلى العلم باعتباره يشتمل على جميع أنواع المعارف الإنسانية، سواء كان مصدرها العقل –كالرياضيات–أم الحسّ والتجربة، بالإضافة إلى العقل –كالطب–أو النقل والسماع –كاللغة–أو الوحي والنقل –كعلوم الدين–.راجع: إسحاق بن عبد الله السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه.ج2(ط:1؛ قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1434هـ /2013م)، ص839.

4 – طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص22.

المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيِّه ونحلته، وسائر أحوله وعوائده[1]".أما الترويج الإعلامي والسياسات التعليمية، فلم يعد خافياً على الجميع أثرهما في تغيير سلوك الشعوب والتأثير عليه وتوجيهه، أمام التوقف التام للعقل المسلم عن الإنتاج والإبداع فقد حصل منذ فترات طويلة وللأسف الشديد، ومن خلال جملة هذه الأسباب والمسببات **خضعنا** واستسلمنا **لمسوغات الثقافة الغربية** ومخرجاتها دون تمحيص أو تمييز.

وأمام النجاح الباهر للمشروع الغربي في شقه المادي ، وكذا نجاح ثقافته الغربية في بلاده، وما أحدثه من قفزة نوعية قلبت دنيا الناس من عوالم الكهنوت والأساطير والخرافات، واستلاب العقل ومسخ الكينونة،إلى عالم يفيض بالإدراك والعقلانية والحسَّ والمشاهدة والتجريب، يسيطر في ذلك بكل جدارة واستحقاق سلطان العقل ومنطق العلم وسلطة الدليل والبرهان، مما أفرز حضارة متمدِّنة أبهرت العيون واشرأبَّت لها الأعناق في مختلف البقاع في لهفة واشتياق، وقد كان لعالم أمة الإسلام نصيبه، من هذه اللهفة والتَّطلع للوافد الجديد، **فكيف كان الاستقبال وكيف كانت الحفاوة بين أفراد أمة تمتلك رصيداً حضارياً مرموقاً؟**

وهنا قسَّم العلواني أبناء الأمة المسلمة، أمام هذا المشروع الغربي إلى **صنفين** في نظره، **لم يستطيعا** حلَّ المشكلة، **فصنف ذهب** إلى التاريخ الإسلامي يستنطقه دون أن يتمكَّن من حسن قراءته، و**صنف** فضَّل الحل الأسهل وهو تقليد الغرب، وهم الذين آمنوا بفكرة المشروع اللاديني أو العلماني القائم على:" علميَّة الفكر والثقافة الغربية وعالميتها، وأن الثقافة والفكر لا دين لهما ولا وطن[2].

ويُرجِعُ العلواني فشل المشروع التغريبي في بلاد الإسلام إلى سببين هما[3]:

- طبيعة العقلية المسلمة نفسها؛ فهي بمكوناتها والمتمثِّلة في التكوين العقلي والنفسي، بالإضافة لتراثه وتاريخية فكره ولغته، وقفت حاجزاً منيعاً فلم يستطع فهم هذا المشروع،

1- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة. تحقيق: عبد محمد الدرويش،ج1(ط:1؛ دمشق: دار يعرب،1425هـ/2004م)، ص283.

2 -راجع:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص 22و23.

3- انظر:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص 24و 25 بتصرف.

- قضية المفاهيم والمصطلحات التي لم يحسن المستشرقون عرضها، فرفضها العقل المسلم مثل عرضه للاشتراكية على رأسها فكر ماركس وانجلز، ولو **عُرضت كنظرية لأبي ذر الغفاري** -رضي الله عنه-لقبلها العقل، وقس على ذلك مسائل ومفاهيم كثيرة.

وكذلك من بين **الأسباب** التي ساهمت في فشل هذا **المشروع التغريبي** في البلاد الإسلامية؛ حركة المقاومة والمواجهة التي ظهرت في البلاد الإسلامية كردٍّ فعل على ذلك، وهذا السبب له علاقة بالسبب الأول الذي ذكره العلواني، فهما يندرجان ضمن مكتسبات مناعية صانت الجسد الإسلامي منذ نشأته، وعبر عمليات التطعيم المتكرِّرة في مراحل زمانية مختلفة أكسبت هذا الجسد حماية ومناعة، جعلته يصمد أمام هذه الأسقام ويقاومها بطرق مختلفة، كما كان للعرض المستفزِّ للعقل المسلم بمصطلحاته الصادمة التي ذكر بعضها العلواني مثل الاشتراكية وغيرها دور في حدوث الممانعة وفشل مشروع التغريب.

كما **يرى العلواني** أنَّ المشروع الإسلامي لم يعطِ البعد الفكري حقَّه من الاهتمام، بالإضافة إلى عقلية التقليد الجماعي والغفلة عن السُّنن والتغافل عن عالمية الإسلام، كما كان للمواجهة الخارجية دور في ذلك. لهذه الأسباب كلها تظهر ضرورة ملحَّة ل:"إصلاح مناهج الفكر وإسلامية المعرفة، دون إغفال أو إهمال النظر في المشروعات الإصلاحية السابقة بتقويمها والإفادة منها[1]".

المطلب الثاني: الفكر ومكانته في المنظومة الإصلاحية للعلواني.

الفرع الأول: مكانة الفكر في السياقات الإنسانية.

لعلَّنا أدركنا من خلال المطلب السابق من هذا المبحث المكانة التي يحتلُّها الفكر، في كل عملية إصلاحية عرفها التاريخ الإنساني، وهو أمر أساسي ومحوري عند المشروع الإصلاحي النهضوي للعلواني، و**لنتتبَّع العلواني** في نقله وسرده مبيِّنا وموضحاً لنا المكانة الحقيقة للفكر في المشروعين الإسلامي والغربي[2]:

1- انظر:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص 26و27بتصرف.

2- راجع:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص 38 إلى 42.

- يعرض العلواني مكانة الفكر عند الفلاسفة وتخبطهم في إعطائه مكانته وحسن توظيفه، بسبب غياب الوحي أو كما يسميها هو استصحاب قيم الوحي.

لينتقل بعد ذلك إلى فترة الرسول الكريم والرعيل الأول، حيث مثَّلت تلك الفترة وأعطت للبشرية المثل الأعلى والنموذج الأمثل في صياغة العقل وسياجه بالاحتياطات والتدابير الوقائية العاصمة من كل زلل. وبالمقارنة بين المشروعين نجد أنَّ أي غبش أو عدم وضوح في المنهج الفكري، يؤدي إلى الانحراف في مسار الحياة بجميع مجالاتها وتخصصاتها، إذ الفكر سيد الموقف وأزمة الإنسان تكمن في فكره وعقله، فمعالجة الأزمة الفكرية اليوم أمر ضروري لتحقيق التَّدافع نحو الكمال والشهود الحضاري للأمة المسلمة.

ويرى العلواني أنَّ **مُنطلق الإصلاح الإسلامي**، إنَّما يبدأ من إصلاح مناهج الفكر وإدراك أضرار الغياب الثقافي، إذ في وقت قريب عُدَّ الحديث عن الفكر الإسلامي وإصلاح مناهجه، أمراً مستنكراً ومستهجنا ومستهانا به.[1]

لذا سعى **العلواني** وأصحابه من **رواد المعهد العالمي للفكر الإسلامي** بتخصيص كل جهودهم في إطار هذا المشروع الحضاري، الساعي لمعالجة الأزمة الفكرية القديمة المتجدِّدة، ضمن نسق تراكمي تكاملي له جذور موصولة بمحاولات سابقة وليست مبتورة ولا بدعاً؛ إنَّه[2]:

- قضية التجديد والبعث الحضاري.
- إنَّها النظر في مشروعات عمر بن عبد العزيز–رضي الله عنه–والإمام الشافعي والإمام أحمد والأشعري والغزالي وابن حزم وابن رشد والعز بن عبد السلام وابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب والشوكاني والدهلوي والأفغاني ومحمد عبده ومحمد إقبال وحسن البنا وسيد قطب والمودودي ووصولاً إلى مالك بن نبي وابن باديس وسائر قادة الفكر والإصلاح الإسلامي، عبر التاريخ الإسلامي، ثُمَّ تقويم كل هذه المشروعات. فالفكر لا ينطلق من فراغ ولا يتجه إلى فراغ، بل هو تفاعل بين المنطلق والغاية،

1– انظر:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص 16بتصرف.

2– انظر:د طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص 37بتصرف.

والوحي والعقل، والواقع والمثال، واللغة والزمان والمكان والإنسان والحركة والتاريخ والحاضر والمستقبل والقدر والحرية والحياة كلها.

وهذه **المكونات الحيوية** لكل عنصر منها مكانته ومقداره ودوره الحيوي، من أجل ضمان التفاعل الإيجابي لإنتاج الدواء الفعَّال، وهنا تكمن العبقرية والبراعة لهذا المشروع النهضوي المنشود، بالإضافة إلى استبعاد النظرة الإقصائية لأي تجربة إسلامية، مهما كانت هذه التجربة فهي تحوي على جوانب إيجابية؛ أقلُّها إشعار أصحابها بأنَّهم أصحاب مشروع له قيمته، أو تجنب الأخطاء التي وقعت فيها وعدم تكرارها من ثمَّ بعث روح الاستعداد لديهم للانخراط في المنظومة الإصلاحية الجديدة، وكسر كل الحواجز النفسية النابعة من نفس مستعلية لا ترى الحق إلا فيما تلتزم به هي وتعتقد. من ثَمَّ تحقيق ما أراده رجال الفكر والإصلاح من مشاريعهم من مثل **مبغى محمد إقبال** من إصلاح الفكر الديني في الإسلام، بأن تعود القوة للمسلم وأن يرى قوته هذه ليست في إتباع فلسفة من فلسفات الغرب، بل في فهم الإسلام فهماً صحيحاً، على نحو ما فهمه الأوائل، لا على ما صار إليه الأمر في عهد الركود[1]".

الفرع الثاني: ملامح المنهج الجديد وأهم مقوماته عند العلواني:

يقوم المنهج الجديد عند العلواني على ما يلي:

أولاً: بعث إنسانية الإنسان بوصفه إنساناً، ودعوته للاشتراك مع كل إنسان، وفق عناصر الربط بالعقد الاجتماعي المفتوح، لتعاقد الناس كلهم تعاقداً بريئاً من العنصريات والطبقيات والإقليميات[2].

وهذا في الحقيقة أول الدعائم وأهمُّها، وبه يتحقَّق التعايش السلمي للإنسانية جمعاء، انطلاقًا من حرية الاعتقاد، إلى الاحترام المتبادل والتعاون والتضامن، فالإسلام ضمن للإنسانية حرية الاعتقاد التي كانت ولازالت أساس الخلافات الإنسانية قديمًا وحديثًا قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ٢٥٦﴾[البقرة : **256**].وهنا أُلفت الانتباه لقضية هامة في **حديث العلواني**، تكاد تكون مهملة في المشاريع الإصلاحية اليوم أو باهتة وغير واضحة؛ ألا وهي ضرورة إبراز

1 – محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.(ط:10؛مصر:مكتبة وهبه،د.ت)، ص342.

2 – انظر: طه جابر العلواني، "لماذا أسلمة المعرفة؟"، مجلة أسلمة المعرفة،(مرجع سابق)1،ص19بتصرف.

الجانب و**البعد الإنساني في الإسلام** والتركيز عليه؛ وهو الأساس فالإسلام دين للإنسان في كل زمان ومكان، يُلبي كل حاجياته ويتلقف كل خصوصياته، كما أنَّه قاسم مشترك بين البشر جميعاً وصالح لهم بكل اختلافاتهم ومميزاتهم، كما أنَّه يعتبر من المظاهر البارزة للحضارة والمدنية الجديدة اليوم وأحد إفرازاتها الإيجابية من حيث المبدأ والنظرية، فالواجب إحياء هذا البعد وبعثه من جديد والعناية به حتى يفتح للدعوة مجالات كانت موصدة في وجهها ويُقرِّب المسافات مع الآخر، كما يُوَّفر الجهد ويستثمر الوقت، فيدخل الناس في دين الله أفواجاً.

ثانياً: يجب إدراك عدة قضايا وترسيخها في الفكر والممارسة وهي[1]:

- الشعور بأنَّ الحقائق كلَّها المتصلة بالمادة، والمتصلة بما وراءها في متناول الإنسان، يستطيع أن يتوصَّل إليها بمداركه العديدة المتدرجة، فالمدركات الغريزية وراءها المدركات الحسية، ثمَّ المدركات الحسية وراءها المدركات العقلية، ثمَّ المدركات العقلية تؤدي إلى المقدمات المفضية إلى تلقي المدركات الغيبية الآتية من طريق الوحي وإلى التسليم بها والإذعان لها.
- على **حركات الإصلاح** والتَّجديد عدم **الانطلاق** في مراجعتها، من **مسلمات دون مناقشتها** وحسن قراءتها، فالواجب عليها أن تراجعها بدقة.
- المنهجية في القراءة وإعادة البناء للمدارك الإنسانية، بقراءة الوحي والكون، حتى نتجنَّب الخلل والمشكلات ومنها؛ علاقة القرآن المجيد ببيئة الخطاب الأول وعلاقته بالعلوم.
- بالرجوع إلى القرآن المجيد وتلاوته تلاوة تستنطقه بإجابة شافية، لا إلى اجتهاد لا مستند له إلا القياس على أقوال الماضين والتَّخريج على مذاهبهم.

بهذه الخطوات المنهجية يعالج العلواني الانطلاقة العرجاء للحركات الإصلاحية والتي أشاعت ترديد **مقولة الإمام مالك الشهيرة**، من غير فهم ولا استيعاب دقيق لمغزاها ولا **لمراد الإمام مالك منها: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها**[2]"،والواضح من مقصود الإمام

---

1 – راجع: طه جابر العلواني،" لماذا أسلمة المعرفة؟"، مجلة أسلمة المعرفة،(مرجع سابق)،ص21و22.

2 – عبد العزيز الراجحي، شرح صحيح ابن خزيمة.ج9(لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت)، ص22.

مالك منها؛ هو الأصول والمصادر من قرآن وسنَّة ،ومقاصد الشرع العليا؛ وهذه لا يمكن الاختلاف حولها فهي صلاح حال كل مسلم في كل عصر ومصر .و**ليس الاصطحاب الكلي لموروث القدامى دون تمحيص** وتقويم أو نقد فالواجب التأكيد على نسبية الاجتهاد البشري في مقالبة إطلاقية القرآن الكريم .فالأقسية والأقوال الماضية لا يصلح بها حال الآخر، ما لم تَمُرْ عبر فلترة النَّسق الجديد؛ المبني على الاعتبارات الزمانية والمكانية والملابسات الناجمة عن ذلك وتأثيرها على الإنسان وبيئته ومخرجات التفاعل المستمر والدائم بين العلم والعقل. وكذلك اعتبار نسبيَّة التجربة الإنسانية، انطلاقاً من المرحلة النبوية المباركة إلى ما بعدها من المراحل، **والوصول إلى هذه النتيجة المنطقية حال القراءة الصحيحة**. وخلال هذا الترابط المنطقي والتلازم الذي وصل إليه الإنسان، عبر مراحل بناء وتشكيل العقل وتقدُّمه بفضل تطور العلم ومراحله المختلفة يمكن **رأب الصدع التاريخي بين عالمي الغيب والمشاهدة**، وخاصة في وجود الوحي كطرف ثالث مهم ورئيسي تفاعل مع العقل والعلم في تآلف وتناسق، "إذ لا يوجد دين من الأديان يؤاخي العقل والعلم في كل ميدان إلا الإسلام[1]"، ليكون خراج ذلك حلاً لأزمة الإنسانية اليوم والقضاء على معاناتها، ويمكن حينها الإجابة عن التحديات التي تطرحها الحضارة العالمية الراهنة.

ويُجمل العلواني خطة فكره في نقاط واضحة والمتمثلة في مايلي[2]:

1-إنَّه لا يعتبر تجديداً للدين أن تجدِّد تراث أسلافنا.

2-كما لا يعتبر تجديداً تقليد الغرب ومتابعته في خطواته.

3-إعادة تشكيل العقل المسلم ووَصْلِ ما انقطع بينه وبين الكتاب والسنَّة.

4-إسلامية المعرفة قاعدة من أهم قواعد تجديد الدين، وإنتاج المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر.

5-إسلامية المعرفة تمثل البعد الغائب عن مشاريع الإصلاح والتجديد.

---

1 – عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله، كمال الدين الإسلامي.(ط:1؛ المملكة العربية السعودية:وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1418هـ)، ص82.

2 – انظر:طه جابر العلواني،" لماذا أسلمة المعرفة؟"، مجلة أسلمة المعرفة.(مرجع سابق)، ص22بتصرف.

وسيتم التعريف التفصيلي بمشروع أسلمة المعرفة وكل متطلباته في المطلب التالي

المطلب الثالث: التعريف بمشروع أسلمة المعرفة.

الفرع الأول: مفهوم إسلامية المعرفة.

هي مركب كلمتين **إسلامية** و**المعرفة**:

- **فالإسلامية** نسبة للإسلام بكونه رسالة إلهية حمل قواعدها جميع الرسل وختمت بمحمد-صلى الله عليه وسلم-وللإسلام بالمعنى المعرفي الشامل، نظريَّته في المعرفة ومصادرها ومناهجها ومقاصدها ووظائفها في الحياة. فلفظة أسلمة مصدر "أسلم" لا بمعنى انقاد، بل بمعنى جعل الشيء مسلماً أو إسلاميا وبالإضافة للمعرفة تفيد جعل معرفة غير إسلامية[1].
- **والمعرفة:** هي إدراك شيء بتفكر وتدبر لأثره[2] وهي أخصُّ من العلم.

وتعني إسلامية المعرفة **بمفهوم إجرائي**: "بتحويل المعرفة إلى إسلامية إما باستمدادها من مصادر المعرفة الإسلامية، أو توجيهها لتحقيق مقاصد إسلامية أو ضبطها بالضوابط الإسلامية أو نحوها أو **علم العلوم والمعارف**[3]".

ويعرِّف **عماد الدين خليل** أسلمة المعرفة بقوله: "نعني بها ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتركيباً وتوصيلاً ونشراً، من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان[4]".

وهنا يظهر بأنَّ **عماد الدين خليل** قد وضع **النظرة الفلسفية لها**، باعتباره أحد رجال الفكر والتأصيل المعاصرين، ويؤكد على أنَّ مفردة كلمة **إسلامية** كلمة شاملة؛ تشمل الدين الإسلامي وتتَّسع إلى دائرة الإيمان فيه فيقول: "إن مفردة إسلامية قد تَمْتَدُّ خارج دائرة الدين

---

1 – انظر: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص 195إلى197بتصرف.

2– الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق :صفوان عدنان الداودي. (ط:1؛ دمشق بيروت :دار القلم، الدار الشامية، 1412 هـ)،ص331.

3 –انظر: طه جابر العلواني نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص 197بتصرف

4 – عماد الدين خليل، مدخل إلى أسلمة المعرفة.(لا.ط؛ دمشق– بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1427هـ/2006م)، ص9.

الإسلامي، لكي تَحتَضن وتَمَسُّ كل ما يتحرَّك في دائرة الإيمان الأصيل بوحدانية الله[1]".فهي على هذا الاعتبار ذات مدلول واسع وشامل، شمول جوانب حياة الإنسان وخاصة فيما ما يتعلَّق بمفهوم الغيب عند المسلم، وربَّما هذه إحدى الميزات التي تفرِّقها عن مفهومها في المناهج الوضعية التي تعتدُّ على عالم المشاهدة دون عالم الغيب، وقد قصرت بعضها **معنى المعرفة** على كل **محسوس** و**ملموس**[2] لا غير، وهذا المفهوم مناقض تماماً لحيثيات العلاقة القائمة بين الإنسان والكون الذي يعيش فيه ويستعمره لصالحه ويستفيد من خيراته وقدراته.

فالإنسان وُجِدَ في هذا الكون وهو يتحرك فيه، فالواجب عليه أن يتفاعل مع مكوناته في حركاته وسكناته تفاعلاً إيجابياً كما يوضح ذلك **عماد الدين** بقوله: "إنَّ **تعامل الإنسان مع الوجود** مِنْ حوله كشفاً وتنقيباً وتعلماً وتعليماً، ونشراً وتوصيلاً... أيْ نشاطه المعرفي عموماً.. لا بد أن يتشكَّل في إطاره الإيماني الصحيح، **لكي ينسجم مع الناموس**[3]"، وكأنَّه يقول إذا لم ينسجم نشاطه المعرفي في إطار تشكيل الإيمان الصحيح فلن يكون له انسجام مع القانون والكون والوجود ويفقد بوصلته فيضل ويتيه ويحتار ويتخبَّط.

وهنا يتفق **عماد الدين** مع **العلواني** في مسألة **شمولية الرؤية الإسلامية الإصلاحية**، كإحدى الجوانب الأساسية لأسلمة المعرفة وأبرز مقوماتها فيقول عماد الدين خليل:" إنَّ إسلامية المعرفة ها هنا، لا تعني فقط الدعوة لتحقيق الوفاق بين معطيات العلوم الإنسانية وبين المطالب الدينية على مستوى التطبيق، وإنَّما تعني قبل هذا وبعده **احتواء كافة الأنشطة المعرفية الإنسانية** على المستويين النظري والتطبيقي معاً، من أجل جعلها تَتَحَقَّقُ في دائرة القناعات الإيمانية وتَتَشَكَّلُ وِفْقَ مطالبها وتصوراتها الشاملة أسوة بالعلوم الأخرى[4]". فهي شاملة للعلوم الإنسانية بكافة

---

1 – عماد الدين خليل، مدخل إلى أسلمة المعرفة.(مرجع سابق)، ص9.

2 – وفي مجال العلم بالذات نجد دفاعهم المستميت حول أهمية علمنته، وربطهم مستقبل العلم بالعلمنة فضلاً عن غيره، وفي المقابل لهم جهد بارز في محاربة مشروعات التأصيل الإسلامي ومعاداة جهود المسلمين في أسلمة المعرفة. راجع: حسن بن محمد حسن الأسمري، النظريات العلمية الحديثة –مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها. ج2 (ط:1؛ جدة–المملكة العربية السعودية: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، 1433هـ / 2012م)،ص1148.

3 – عماد الدين خليل، مدخل إلى أسلمة المعرفة.(مرجع سابق)،ص10.

4 – عماد الدين خليل، مدخل إلى أسلمة المعرفة.(المرجع نفسه)،ص11.

أنشطتها وتصوراتها الشاملة لكافة علوم المعرفة، وضبط علاقتها بالقناعات الإيمانية؛ فيكون النتاج معرفة تُلبِّي حاجة الإنسان وتُرضي فضوله، مُجيبة على أسئلته الملحَّة وتفك لغز مشكلاته الوجودية تجاه ذاته والحياة والكون بأسره.

أما **أبو القاسم حاج حمد** فيعرف أسلمة المعرفة بقوله هي:" فكُّ الارتباط بين الإنجاز العلمي الحضاري البشري والإحالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن ناظم منهجي ديني غير وضعي[1]"،وهنا مفهوم الأسلمة يأخذ بعداً معرفياً وظيفياً عميقاً بعيداً كل البعد عن سطحيات المصطلح وعمومياته، بل **يغوص** إلى **معنى الأجرأة** وكشف الآلية كما يوضح ذلك بقوله: "فهناك استيعاب وتجاوز يؤدي لمفهوم متخلف، فأسلمة المعرفة **تعني أسلمة العلم التطبيقي** و**القواعد العلمية أيضاً**، وذلك بفهم التماثل بين قوانين العلوم الطبيعية وقوانين الوجود المركبة علَّة أساسها القيم الدينية الأخرى نفسها[2]".وهذا كلام في منتهى الدقة والإيضاح، يُزيل كل لُبس ويرمي بعرض الحائط بأهم مقولات المناهج الغربية[3]؛ التي تنَّفي التَّديُّن عن العلوم التطبيقية وتجرِّدها لذاتها وتفصلها في كينونة مستقلَّة بذاتها، فاتحة بذلك باباً واسعاً للتمرُّد عن الغيب ومبوبة للإلحاد[4] والمادية، **والأصل نشأة كل العلوم** و**المعارف من**

1-محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية.(ط:1؛بيروت:دار الهدى،1424هـ/2003م)،ص 31.

2- محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية.(المرجع نفسه)،ص 31.

3 - في حين يرفض المدافعون عن علمنة العلم مشروع إسلامية المعرفة، وهو رفض مُفسَّر في ظل التصور العلماني عن الدين وعلاقته بالحياة، ولذا يكتفي أكثرهم بلمز هذا المشروع وغمزه والسخريَّة منه؛ وذلك أنَّهم إذا لم يُقرّ بأثر للدين يتجاوز الشأن الفردي والشخصي لمن أراده، فمن باب أولى عدم نظرهم حتى في مشروع إسلامية المعرفة؛ أي: أنَّهم لم يكلّفوا أنفسهم النظر في حقيقة المشروع والآمال المعقودة عليه، ومن ثَمَّ مناقشتها لمن أراد الاعتراض؛ والسبب أنَّ الأصل الذي يعتمد عليه مشروع إسلامية المعرفة مرفوض عند المدافعين عن العلمانية، وهذا الأصل هو أنَّ الإسلام ليس شأناً شخصياً فردياً، وإنَّما هو أوسع من ذلك، كما أنَّ الوحي هو المصدر الأعلى المعتبر عند المسلم. **حسن بن محمد حسن الأسمري، النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها –دراسة نقدية. ج2 (مرجع سابق)**،ص1205.

4 – فقصص الأنبياء مثلاً سننظر إليها في ظل المناهج الغربية الجديدة على أنَّها مجموعة من الأساطير القابلة للتفكيك والنقد وإعادة القراءة وُظفت دينياً لأغراض سياسية وإيديولوجية معينة. **راجع: أبو سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي، العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام.(ط:1؛ القاهرة: جمهورية مصر العربية، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، 1433هـ – 2012م)**، ص194.

قوانين الوجود الغيبي، لأنَّ هذه العلوم في الحقيقة وليدة صنعة الإنسان الذي يستمِّد قوَّته من فطرية التَّدين الثابتة من تاريخه عبر جميع مراحله المتعاقبة، في حالتي الحضور والأفول أو في مرحل الضعف أو القوة، ولا يختفي أو يرحل إلَّا بعد أن يُحدِّد علاقته بالغيب ويضبطها من خلاله.

1-**ويرى العلواني إمكانية إطلاق إسلامية المعرفة على إحدى الأمور الأربعة التالية أو عليها كلِّها**[1]:

2-مجموعة من المسائل الكليَّة النظرية المتعلِّقة بقضايا العلوم والمعارف من حيث؛ المنهج والنشأة والمصدر والمقصد، وقد تندرج فيها بعض القضايا التفصيلية أو الجزئية.

3- تصور الإنسان لتلك المسائل أو تصديقه بها، بإقامة الدليل والبرهان على سلامتها.

4-المَلَكَةُ التي تحصل للعالم بهذه الكليات بحيث يستطيع استحضار تلك المسائل عند الحاجة.

5- يستطيع العالم بإسلامية المعرفة القيام بعمليات معرفية في إطارها، كما يستطيع الاستنباط أو النقد أو التحليل أو توليد معرفي، أو الموازنة وسواها.

وهو في الحقيقة يميل إلى إطلاق **مصطلح إسلامية المعرفة** على **كل هذه الأمور مع بعضها البعض**.

كما اتَّفق هؤلاء الذين تعرضوا لمفهوم وتعريف أسلمة المعرفة بأنَّها لا تعني بحال من الأحوال إضافة عبارات دينية لمباحث العلوم، بل هي: "**إعادة صياغة منهجية ومعرفية للعلوم وقوانينها**[2]"، ضمن البعد الكوني المتضمن الغائية الإلهية في الوجود والحركة، أو ما يعرف بالنموذج المعرفي -كما يسميه المسيري-ويعرفه بقوله: "النموذج الذي يحاول أن

1 - طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص 198.

2- طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(المرجع نفسه)،ص 199.

يصل إلى الصيغ الكلية والنهائية للوجود الإنساني. وهذه **النماذج المعرفية** كلها تدور حول **ثلاثة عناصر؛ الإله** –**الطبيعة** –الإنسان[1]".

إلَّا أنَّ **كل هذه التعريفات** في نظر **العلواني** هي: "لتَبيِّين وتوضيح القضية وليس لتضعها في إطارها الجامع المانع. فهو يفضل أن لا تُحصر وتضبط في هذه المرحلة وهو في ذلك بعيد النظر لأنَّها مازالت في بدايتها[2]". وربَّما ضبطها في هذه المرحلة يكون السبب في فشلها لمصادمتها أثناء التطبيق مع مجريات العلوم والمعارف، فكأنَّي به يقول دع ضبط التعريف حتى يستوي التطبيق مع النظرية ويكون حينها من السهل أن نصوغها في شكل جامع مانع.

كما تمثِّل إسلامية المعرفة في نظر العلواني كذلك[3]:

- الجانب التنظيري لرسالات السماء من لدن آدم–عليه السلام–حتى خاتم المرسلين – عليه السلام.
- تأخذ شكلها النهائي ومنهجية القرآن المعرفية ومنهجية السنَّة في تطبيق قيم القرآن وتنزيلها على الواقع المعاش .
- من خلال القراءة في الكتابين المسطور والمخلوق؛ الوحي والكون.

فهي قراءة في التاريخ الإنساني منذ نشأته وصولاً إلى زمن خاتم الرسالات بأخذ العبر والعظات والدروس من الأخطاء والممارسات، يصاغ النموذج النهائي من خلال منهجية الكتاب والسنة وتطبيقاتهما على واقع الحال، بوسيلة حسن التدبر في الكتابين الوحي والكون.

الفرع الثاني: أهداف ومقاصد إسلامية المعرفة.

أولاً–أهدافها:

تسعى إسلامية المعرفة وتهدف إلى مشروع شمولي ونهوضي متكامل، يحدث الصدمة والثورة في الفكر والمنهج والممارسة، وقد **وضع له العلواني جملة من الأهداف** لعلَّ أهمَّها مايلي[4]:

1– عبد الوهاب المسيري، العلمانية والجزئية والعلمانية الشاملة.ج2(ط:1؛ القاهرة: دار الشروق،1423هـ/ 2002م) . ص445.

2– راجع:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص199.

3– راجع:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(المرجع نفسه)، ص 199و200.

4– انظر:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(المرجع نفسه)، ص 201بتصرف.

- البداية بالبحث والكشف والقراءة الصحيحة لمسار الفكر الإسلامي، إذ تكشَّفت التجارب الإسلامية من خلال رصد حركتها في النشأة والتكوين ثُمَّ في الممارسة والتنفيذ ووصولاً إلى مرحلة التخلِّي والأُفول، بأنَّها تُهمل أمر القراءة ولا تُلقي لها بالاً وتستهين بها، فأنَّى لها أن تُدرك صحَة مسارها لاعوجاج الانطلاقة وانحراف التَّوجُّه.
- إعادة تشكيل هذا العقل المسلم بمنهج سليم يمكِّن من تمييز الأفكار وغربلتها وفصل الحي منها عن الميت وإعطائها صفتها وخصائصها لتمييز سائر الأفكار الظاهرة والكامنة في المنهج والمنتَج.

فالعلواني يُدرك أهمية القاعدة التراثية القائلة: "**الحكم على الشيء فرع عن تصوره**[1]"، إذا لا مكان لهذه القاعدة الفقهية المشهورة في منظور المراجعات في فكر الإصلاح الإسلامي، والكل ينطلق من حالة غرور طاغي واعتداد بالنفس، ينسى فضل الأولين ويستهين بتجاربهم ومحاولاتهم.

كما يحذر من الدراسات المشبوهة وخاصة الدراسات الاستشراقية والحداثية والعلمانية "فعلى الرغم ممَّا **اتَّسمت به بعض الدراسات الاستشراقية الحديثة من اتزان** وموضوعية؛ إلَّا إنَّ تلك الدراسات المرتبطة بدوائر العداء للإسلام والصراع الحضاري مع الأُمَّة الإسلاميَّة بخاصة والشرق بعامَّة تحاول -بصفة مباشرة وغير مباشرة- **إلغاء النسق الفكري الإسلامي**، وتحاول تشكيل العقل المسلم، وفق النسق الغربي،وقد انتهجت في ذلك الوسائل والأساليب ومن بينها ؛إنجاز دراسات تظهر تفوق الغرب، وخطره أنَّ أوروبا مركز الكون كله،وأن الثقافات والحضارات والآداب العالمية ليس لها قيمة إلَّا إذا اتفقت تمامًا مع الثقافات والحضارات والآداب الأوروبية.[2]"

---

1 – محمد الصالح ابن عثيمين، شرح الأصول من علم الأصول. تعليق:نشأت بن كمال المصري أبو يعقوب.(لا.ط؛ مصر:دار البصيرة، د.ت)، ص603.

2 – إسحاق بن عبد الله السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه.ج2(ط:1؛ قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1434هـ/2013م)، ص873.

وبعد **تأكيد العلواني** على هذه النقطة المنهجية والضرورية والأساسية، ومن خلالها وأثنائها تتفرع جملة من الأهداف التي تشكل معها وفي مجموعها هدفاً واحداً؛ تمثَّل في معاودة الانطلاق والإقلاع من جديد بصورة ناجحة **وهذه الأهداف هي**[1]:

- تدريب الباحثين على كيفية استيعاب القضية في بعدها المنهجي والاستفادة منها في تخصُّصاتهم العلمية من أجل الجمع بين العلم والقيم.
- التأصيل لقضية إسلامية المعرفة وإبرازها باعتبارها قضية معرفية منهجية، ربَّما حملت أسماء أخرى عبر التاريخ الإسلامي لكنَّها تتَّفق في أنَّها تهدف إلى إعادة المعرفة إلى حظيرة المنهجية المعرفية الإسلامية. وعلى هذا يمكن اعتبار جهود العلماء المعرفية في القديم من تدوين العلوم وقواعدها حلقة من هذه الحلقات.
- العمل على تجديد أو **إعادة بناء النظام المعرفي الإسلاميِّ** من داخل الإسلام وذلك بتجديد النظر في الوجود من حيث هو وجود بوصفه مصدراً للمعرفة، ولإعادة الربط بين الحس والعقل في التعامل مع الوحي والكون.
- إزالة ما ران على **المنهجية المعرفية القرآنية** والإسلامية نتيجة الآثار الضارة للقراءات المنفردة، والصراع الموهوم بين الشريعة والحقيقة.
- تقديم مناهج تفصيلية مشتَّقة من **المنهجية المعرفية القرآنية** ذاتها للتعامل مع القرآن المجيد والسنَّة المطهرة والتراث الإسلامي والإنساني.

فبهذه الأهداف يتَّضح **عند العلواني** أهم النقاط الواجب تفعيلها في منظومة الإصلاح في الفكر الإسلامي والغربي **على حدٍّ السواء كما يلي:**

1-راجع:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص201إلى203.

- مسألة القيم أو الغيب أو الدين هي الحلقة المفقودة في **مناهج البحث عند الغرب**[1]، وجعلت هذا الأخير عاجزاً على تلبيَّة حاجة الإنسان وتناغمه مع ذاته والكون، دون الوصول لحالة الرضا والتوافق رغم نجاحاته المادية المبهرة.
- على أنصار الفكر الإسلامي **التأكيد على مسألة القراءة** والمراجعة الجادة من خلال تكريس مبدأ الخبرة التراكمية ووأدء التلاغي المضني.
- التحلِّي بالشجاعة والجرأة **لحذف وإزالة ما تعلَّق بتعطل العقل المسلم** وتسبَّب في سيادة القراءات الفردية وأذكى نار الصراعات الوهمية بين الشريعة والحقيقة[2]، **مما** يجعل هذه المسألة ذات خطورة في انحراف الأمة ووهنها. وهو بذلك يقف على **سبب تخلُّف الأمة** ويضع يده على موضع الجرح فيها ويُعطي وجهاً جديداً وقراءة جديدة للعقل المسلم من أجل تجديده وبنائه وفق مقتضيات العصر.
- المناهج القرآنية هي أشبه ما تكون **بالماهية والموضوع في الفلسفة**؛ وهما واحد فمن **منهجية القرآن** نحدِّد **طريقة تعاملنا معه** وهو الأساس كما نحدِّده بعد ذلك مع **السنَّة النبوية** وكذا **التراث الإنساني** و**الإسلامي** مع مراعاة الفوارق والخصائص والمميزات بينهما. فيكون المنهج المشتقُّ في غاية التكاملية والملامسة الحقيقة والواقعية للإنسان فتسهل الاستجابة ويحصل الإتباع.

---

1 – بانتهاء القرن الثامن عشر وظهور فجر القرن التاسع عشر الميلادي تميز الفكر الأوروبي بالاتجاه نحو التفكير الوضعي، والسيادة الطبيعية على الدين والعقل معاً، فكانت الوضعية كنظرية فلسفية في دائرة المعرفة، هي المذهب السائد في الفكرالأوروبي، لمعارضة الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا ومعارفها الدينيَّة، فما لا يقع تحت الحواس ينبغي –بنظرهم– أن يكون خارجاً من دائرة الإيمان، لأنَّه غير قابل للتفسير، ولا يخضع للتجربة الحسيَّة، إذ يرى المذهب التجريبي الذي عُرف به الفيلسوف الاسكتلندي هيوم، والذي نشأت عنه الفلسفة الوضعية؛ أنَّ تحصيل الإنسان للحقائق الكونية ومعرفته بها لا يكون إلا بالتجربة الحسيَّة وحدها. أي إلغاء ما وراء الحسِّ وبالتالي رفض الغيبيات وما أتى به الوحي.**عثمان جمعة ضميرية،عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، مراجعة:ناصر بن حمد الراشد.(ط:1؛جدَّة: مكتبة السوادي للتوزيع، 1408هـ/1988م)، ص38.**

2 – والجدير بالذكر أنَّ التفريق بين الشريعة والحقيقة، وبين الظاهر والباطن من خواص التشيُّع إلا أنَّه لا توجد طائفة شيعية إلا وتؤمن بذلك، وكتب الفرق والكلام شاهدة على هذا.**راجع: إحسان إلهي ظهير الباكستاني، التَّصوُّف .. المنشأ والمصادر.(ط:1؛ لاهور–باكستان: إدارة ترجمان السنَّة، 1406هـ / 1986م)، ص244.**

وقد **لخص العلواني الهدف في إعادة صياغة وتشكيل العقل المسلم المُستنير** من خلال **تنقية عالم الأفكار** وإعادة قراءة التراث وتقويمه، ومن ثَمَّ بناء النسق المعرفي والثقافي الإسلامي، وهذا **الأمر يتحقَّق** من خلال العمل على **محور المنهج** الذي يتحكَّم ويوَّجه حركة الفكر الإسلامي، ومن خلال **الفكر ذاته** الذي يندرج تحته كل اجتهاد بشري أو إنتاج معرفي عقلي وهذا كله لا يتحقَّق إلا **بالتربية** و**الثقافة** في بناء الجانب الإنساني والاجتماعي وفق **نسق معرفي تربوي**، مع الحرص على **العناية بالمدنية** و**العمران** في مجال الإبداع والإنجاز التي تتم في إطار وسائل الإنسان المادية[1].والأمر يحتاج إلى مراس وتربية" فإنَّ العملية التربوية هي التي تُكسب الإنسان إنسانيته بمقدار ما تستثمر ما وهبه الله له من إمكانات تربوية تتمثَّل في قدرته الهائلة على التعليم واكتساب كم هائل من المعارف والمعلومات والحقائق والاتجاهات والميول والقيم والعادات والمهارات فإنَّ هذا بدوره قد أدى إلى تراكم الخبرة ونمو المعرفة العلمية وتقدم البشرية وتزايد التلاقح الحضاري بين المجتمعات الإنسانية فكرياً وتطبيقياً[2]".

والطريق لتحقيق هذا الهدف يجب أن يُتَّبع فيه مايلي[3]:

- إثارة اهتمام مثقفي الأمة بهذا الإنتاج من خلال استدعائه إلى الساحة العقلية بمختلف المنبهات الحضارية
- تربية وإعداد كوادر ذات كفاية عالية.
- تقديم خطة معرفية ثقافية واضحة للتطبيق عبر مراحل زمانية مدروسة.

وهذه جملة الوسائل المساعدة في تحقيق الهدف عند العلواني؛ وهي عبارة عن نقاط نظرية وعملية في ذات الوقت ومنها[4]:

- دراسة أطروحات حركات التغيير والتأكيد على أهمية الجوانب الفكرية بالتعاون مع المؤسسات القائمة ذات الأهداف المشابهة.

1- راجع:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص 53 و54.

2 - سيعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية.(ط:3؛ مصر:دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع1433هـ/ 2012م)، ص26.

3-راجع:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص 54و 55.

4- راجع:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص 54و 55.

- إيجاد المنح الدراسية الموجهة للدراسة في المراكز العلمية بإعطاء الأولوية لهذه الأهداف.
- محاولة الاتصال بلجان المناهج في وزارات التربية والتعليم والثقافة والإعلام لإقناعهم بأهمية تلك الأهداف.

فمثلاً أطروحات أو خطابات حركات التغيير أمر يحتاج للدراسة والمتابعة" لأنَّ الخطاب الإسلامي المعاصر ليس تياراً واحداً، وهو في جوهره غير متجانس ينقض فيه كل تيار شريعة الآخر، وتجمعه مظلة الإسلامية الفضفاضة، ولابد للخروج من هذا المأزق من تحديد الخط بوضوح[1]". وغيرها من بقية الوسائل المساعدة تمثل في الحقيقة نقاط عملية يمكن التعديل والحذف والزيادة فيها حسب الخصوصية.

وبعد هذا العرض المفصَّل لهذه الأهداف والتي يظهر مدى صعوبة تنفيذها وتحقيقها في الواقع لحجم التحديات الهائل في مقابل حالة ضعف الإمكانيات، و**باعتراف العلواني** و**أصحاب المشروع معه** إذ يقول: "وهذا العمل والجهد عمل أكبر من جهد فرد أو مجموعة أو مؤسسة أو معهد[2]"، مما يدل على تواضع أصحاب المشروع ومعرفتهم بحجمهم الحقيقي وهذا أمر مطلوب من أجل أن لا يتهور الإنسان أو يغترَّ فيندفع نحو الأسوء لنفسه أو للدعوة، والتجارب المحزنة لبعض المشاريع الإسلامية المتهورة شاهدة على ذلك في الكثير من البلاد الإسلامية. "وللشجاعة حد متى جاوزته صارت تهوراً ومتى نقصت عنه صارت جبناً وخوراً وحدها الأقدام في مواضع الأقدام والأحجام في مواضع الأحجام كما قال معاوية لعمرو بن العاص أعياني أن أعرف أشجاعاً أنت أم جباناً تُقدم حتى أقول من أشجع الناس وتجبن حتى أقول من أجبن الناس فقال: شجاع إذا ما أمكنتني فرصة ... فإن لم تكن لي فرصة فجبان[3]"

لذا لخص وبلور العلواني خطواتهم الأولى من تحقيق هدفه في الإصلاح في قمة الأدب والتواضع وهي كما يلي[4]:

---

1 – انظر:هبة عبد الرؤوف عزت وآخرين. الخطاب الإسلامي إلى أين؟.(ط:1؛دمشق: دار الفكر،1427هـ/ /2006م)، ص 487بتصرف.

2– انظر:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص 55بتصرف.

3 –ابن قيم الجوزية، الفوائد.(ط:2؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1393 هـ /1973 م)، ص140و141.

4– راجع:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص 55.

- محاولة بلورة القضية وتوضيحها ووضع الخطط الواضحة والمدروسة.
- تقديم نماذج مقنعة ومفصلة تحمي القضية من آفات الرفض أو التجاهل أو الغموض ومراعاة سيطرة ذهنية السهولة والسقوط الحضاري.
- الرصد والتَّتبع والتحليل والتفسير والتوجيه والنقد والتقويم والتسديد.
- التوعية بالخطة وجوانبها ووسائلها وتوسيع دائرة المشاركة فيها.

وطرح جملة من الاقتراحات العملية من أجل الإسراع في هذا الأمر وتكون مفيدة[1]. **كما يشير إلى نقطة تنظيمية هامة جداً وهي:** تسخير المؤسسات المتخصصة بدور العقل المفكر والمخطط بدل أن تنوء هي بالحمل كلِّه[2]. فيقول **بضرورة تكوين ما يشبه مراكز بحث مهتمة بالتنظير** والتخطيط والمتابعة والمراقبة شأن مراكز البحث الموجودة في العالم الغربي من باب حفظ الجهد والتخصص والتفرغ فيكون العمل أجود وأتقن، **هذا من جهة ومن جهة ثانية فيها دعوة للمشاركة** من طرف الجميع، و**هذا ملمح تشاركي نبيل** بعيد، ولعلي أتجاوز موافقتي له في الرأي وأذهب إلى أبعد من ذلك بإرجاع بعض أسباب فشل العمل الإسلامي اليوم لكون القائم بالعمل هو في حد ذاته المنظِّر لعمله والممارس له، وفي العادة يطغى ويهيمن التنفيذ والممارسة على المراجعة والتنظير، فتكون العجلة والارتجال والعشوائية والإخفاق والفشل الملازمة لكل جهد مبذول.

وفي سؤال **حول إسلامية المعرفة**، ما الذي **تستطيع هذه الأخيرة أن تقدِّمه** للصحوة الإسلامية وللأمة والعالم؟ **يقول العلواني أنَّ هذا السؤال مشروع** ومُهِمٌ كما يلي[3]:

- القرآن العظيم وحده يملك التصور المنهجي والمعرفي البديل على مستوى كوني، لكن الأمة الإسلامية التي لا تعاني، من أزمة المأزق الحضاري لدى الغرب إلا بمقدار ما ينعكس عليها من معاناة الآخرين، لكنَّها في ذات الوقت، تعاني من أزمة التخلف

1 – راجع: طه جابر العلواني، مجلة أسلمة المعرفة، العدد1، السنة1،ص26 إلى28.

2– انظر: طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي .(مرجع سابق)،ص 55بتصرف.

3 – انظر: طه جابر العلواني، مجلة أسلمة المعرفة.(المرجع نفسه)،ص29و30 بتصرف.

المزدوج الفكري المعرفي والحضاري كذلك، فهي بذلك لا تستطيع أن تدرك عظمة القرآن المجيد ولا إمكاناته الكامنة فيه.

- إنَّ إسلامية المعرفة تُدْرِكُ أن من غير الممكن المحافظة على أمة القرآن بمنطق ماضوي سكوني، أمام محاولات استحواذ المركز الدولي الغربي المهيمن، الذي يرى في النسق المعرفي الإسلامي أو بقاياه نقيضا لنسق التطور الحضاري الوضعي
- كما أنَّ إسلامية المعرفة إذ تخوض معركتها في الداخل الإسلامي، تعمل في نفس الوقت على صياغة خطاب الإسلام العالمي.

إذا فهي معركة ذات أوجه متعددة وجهات مختلفة، بين ابن جاهل وعدو مكابر، وعليه فمهمَّة إسلامية المعرفة تتجلى على الصعيدين الداخلي المقسم والمفتَّت والخارجي الذي عجزت ثقافة الغربية على استيعاب الوحي عبر مراحلها المتعدِّدة مع الحداثة وما بعد الحداثة في إطار نظريتهم التفكيكية[1].لذا فالمهمة عسيرة وشاقة ومكلِّفة تحتاج إلى تضافر كل الجهود العاملة في المجال الدعوي دون استثناء. وهذا أمر مفصلي لضمان صلاح العملية التجديدية الذي يجب أن نتحمَّل ألمه، كما يتحمل المريض ألم العلاج حتى يتعافى ويشفى.

ثانياً–مقاصدها:

وهي ملخصة في النقاط التالية[2]:

- إعادة الربط بين المعرفة والعلم والقيم وإرجاع العلم إلى دائرة القيم، بالرغم من أنَّ العالم الغربي قد بدأ يشهد في بعض جوانبه الدعوة إلى ربط القيم بالعلم–ما بعد الحداثة–تمثل اتجاهاً في ذلك بعد فشل الحداثة التي تبنت الفصل التعسفي بين العلم والقيم.
- التّفاعل والجدل بين القراءتين، بما يُحقِّق الانسجام في الكون بين الإنسان وسائر المخلوقات.

1 – وقد قام بعض مفكري الإسلام بتفكيك هذا التفكيك الحداثي مثل عبد الوهاب المسيري. راجع: أحمد عبد الحليم عطية، ما بعد الحداثة والتفكيك.(لا.ط؛القاهرة:دار الثقافة العربية.2008م)،ص196إلى201

2– راجع: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص243إلى245.

- حل الإشكاليات والنهايات الفلسفية الجامدة، التي سقطت فيها المعرفة الغربية المعاصرة والتي يسودها مفهوم النهاية(end) في سؤالها المركزي ما غاية الكون وأين نهايته؟ وقد تبنَّت المعرفة الغربية الماركسية التي حاولت وضع النهاية في المرحلة الشيوعية وبإخفاقها اتَّجهت الحضارة الأوروبية نحو النظام الحالي الليبرالي الرأسمالي متصوراً أنَّه نهاية التاريخ. في حين **ترى أسلمة المعرفة خلاف ذلك** بأنَّ **النهاية مفتوحة معرفياً** لا حدود لها في الدنيا والخطاب البشري من خلالها يتجاوز النهاية إلى الاهتمام بعملية العمران لحضارة الإنسان حتى آخر يوم في حياته.

وقد تكشَّف للعلواني السبب الحقيقي وراء الجنوح والرجوع للقيم إذ أملاه في الحقيقة وفرضه معاناة الرجل الغربي المتأزم، حيث ضاق ذرعاً بحالة الضياع الذي يعيشه يومياً ومنعكساتها، على مُجريات حياته عموماً وعلى مستوى صحته النفسية خصوصاً، فتطلَّع في لهفة لكل حلٍّ يخرجه من الحالة التي هو فيها وكانت الرجوع للقيم إحداها. وهذا جزء من المحرج الوحيد بعد فشل نموذج القراءة المنفردة في العالمين الإسلامي والغربي.

و**لتأكيد هذه الحقيقة يذكر العلواني** حديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-«إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[1].

وقد هتف العلواني ونادي بأعلى صوته في جموع الأمة من أجل الاستنفار الثقافي العالمي:

- باتجاه عالمية شاملة لبناء حضارة الإنسان، وتعمير الأرض وتحقيق السعادة وإنقاذ البشرية، من حافة الهلاك والدمار[2].
- إعادة تشكيل العقل المسلم المستنير، القادر على القيام برسالته وممارسة دوره في الاجتهاد والتجديد والعمران الإنساني، وتأهيل المسلم لدور الاستخلاف، وبناء القدرة لديه على التسخير، وذلك من خلال جولاته الفكرية والثقافية، واكتشاف سُنن الله في

1- أخرجه الأمام أحمد في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم 12981، صححه الألباني في الصحيحة رقم 9.

2 - انظر: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص245بتصرف.

الأنفس والآفاق[1].ولكنها صيحة في وادٍ، حيث لا تسمع حيا ولا حياة لمن تنادي فالأمة في فترة لا تسمح لها بتلقُّف هذه الصرخات المنفردة حتى يقوى الهتاف بها من كل الجهات.

الفرع الثالث: محاور إسلامية المعرفة.

لأسلمة المعرفة محاور تقوم عليها وهي:

المحور الأول: بناء النظام المعرفي الإسلامي[2]:

- ويعني به إعادة كشف وبناء النظام التوحيدي للمعرفة القائم على جناحين:
  - تفعيل قواعد العقيدة معرفياً وتحويلها إلى طاقة معرفية مبدعة تقدم إجابة شافية عما يطلق عليه الأسئلة الكلية أو النهائية.
  - الكشف عن الأنساق المعرفية التي سادت في الإسلام ومدارسه الفقهية في مختلف عصوره من أجل تحديد العلاقة بين الأزمة الفكرية التي عاشتها الأمة وبين تلك الأنساق، تمهيداً لتشكيل نماذج معرفية في مختلف العلوم الاجتماعية والتطبيقية قائمة على عقيدة التوحيد.

وهنا يحضر الدور الأساسي للعقيدة الإسلامية بعيداً عن الجدليات الكلامية، التي أنهكت العقل والكيان المسلم في مهاترات كلامية تُعنى بالمبنى وتبتعد عن المعنى، "لذلك اعتبر علماء الحديث ظهور الجدل الكلامي لوناً من الردَّة، وعلَّلوه بقلة الفقه في الدين وذهاب العلماء[3]".

فالعقيدة من خلال منهج القرآن كما **يصفها بديع الزمان النورسي**: "ولقد شبَّهها في كلمات أخرى من رسائل النور لبيان الفروق بين الذين **يستلهمون نهجهم من القرآن الكريم** ذلك المنهج الأقوم والذين **يسلكون نهج علماء الكلام** بمثال هو: إنَّه لأجل الحصول على الماء هناك من يأتي به بواسطة أنابيب من مكان بعيد يحفره في أسفل الجبال. وآخرون يجدون الماء

1- طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي. (مرجع سابق)،ص 53.

2- راجع: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص 203و204.

3 - راجع: مصطفى محمد حلمي، منهج علماء الحديث والسنَّة في أصول الدين. (ط:1؛بيروت:دار الكتب العلمية، 1426هـ)، ص32.

أينما حفروا ويفجرونه أينما كانوا. فالأول سير في طريق وعر وطويل والماء معرَّض للانقطاع والشحَّة. بينما الذين هم أهل لحفر الآبار فإنَّهم يجدون الماء أينما حلُّوا دونما صعوبة ومتاعب. **فعلماء الكلام يقطعون سلسلة** من الأسباب بإثبات استحالة الدور والتسلسل في نهاية العالم، ومن بعده يثبتون وجود واجب الوجود. **أما المنهج الحقيقي للقرآن الكريم** فيجد الماء في كل مكان ويحفره أينما كان. فكل آية من آياته الجليلة كعصا موسى تفجر الماء أينما ضربت[1]"

كما يكون المراد في حسن القراءة للتجارب التاريخية، قراءة التفكيك المنهجي للبُنيات المشكِّلة لحركة الوعي المرحلية، لإعادة البناء للنماذج القائمة والسائدة حينها، والمفضية في تكاملها وفي تواصلها المعرفي وفق التسلسل الزمني لبناء النموذج المعرفي المنشود الناظم لعلاقة مختلف العلوم بالتوحيد.

المحور الثاني: بناء منهجية معرفية قرآنية.

هي نابعة من النظام المعرفي الإسلامي، لكنَّ غيابها الطويل وتناسي التعامل معها كل ذلك يدعو إلى ضرورة ملحّة إلى بناء هذه المنهجية من جديد، وهي قادرة على التفاعل مع ظواهر بناء وتشكيل العقل المسلم ومعالجة قضاياه التاريخية والمعاصرة لأنَّها، **قائمة على المنهج الذي يقوم على الكشف المعرفي**، لا على مجرَّد السعي للتميز ومخالفة المنهج الغربي المعاصر،

يجعل هذا الأخير يحقِّق التناغم بين مكونات النسق المعرفي الإسلامي **بعيداً عن فكر المقارنات** و**المقاربات** و**المقابلات** و**التقليد** و**التلفيق** قادراً على الاجتهاد معتمداً على منهجية متكاملة. وهي خطوة ضرورية وأولية ومقدمة لازمة مثل المحور الذي سبقها لبناء بقية المحاور الأخرى[2].

المحور الثالث: بناء منهج التعامل مع القرآن الكريم.

- فإذا كان الاكتفاء في مرحلة التدوين الرسمي للعلوم والمعارف النقلية؛ هيمنة العقلية البلاغية اللغوية التي اعتبرت الفهم الذي يتولَّد عنها في مجال التفسير كافياً ومقبولاً

---

1 -بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي. (ط:1؛استنبول: مطبعةسوزلر،1992م)،ص ص27.

2- راجع: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص 204و205بتصرف.

لتلك الفترة الزمانية والمكانية لأمتنا، فإنَّ الأمر اليوم لم يعد مقبولاً بهذا الشكل، في مرحلة سادت فيها عقلية الإدراك المنهجي للأشياء ونقد وتوظيف الأطر العلمية المختلفة في مجال العلاقات الحضارية المتشابكة، من أجل تخليص القرآن من كثير من أنواع التفسير والتأويل والإسقاطات الإسرائيلية، والربط الشديد لأسباب النزول بالمناسبات من باب ربط القرآن بالإطار الزماني والمكاني المعين مما يتعارض مع عالمية الإسلام وخاتمية النبوة[1].

- فمهمة إسلامية المعرفة يقوم بها من أوتي القرآن وحظاً وافراً من العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة[2].

الأمر هنا عنده يقتضي إعادة بناء وتركيب علوم القرآن وتجاوز الكثير من الموروث في هذا المجال. في مثل قضايا كثيرة ومنها مسألة الإسرائيليات في التفسير" لقد كان لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسِّرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء في التفسير، ذلك لأنَّ الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة، بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم إن صدقاً وإن كذباً، بل ودخل هذا النوع من التفسير كثيرًا من القصص الخيالي المخترَع، مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها، لاعتقاده أنَّ الكل من واد واحد[3]".

فالأمر بهذا الشكل هام ومهم من أجل إعادة بناء مناهج التعامل مع القرآن المجيد، فإذا أخطأنا التعامل معه في الحقيقة لن تستطيع التفاعل معه التفاعل الإيجابي؛ الذي نصبو لتحقيقه ونجد الخلل الذي تئن منه الأمة الإسلامية اليوم ونجيب على التساؤل الملح؛ القرآن موجود فلماذا لم يجد لنا حلاً رغم التراكم المعرفي الهائل–الموروث الإسلامي–وأين الخلل في ذلك؟

المحور الرابع: بناء مناهج التعامل مع السنَّة المطهرة.

يستند **العلواني** في دعوته لبناء منهج التعامل مع السنَّة المطهرة على مايلي[4]:

1– راجع: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص 206و207.

2 – طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(المرجع نفسه)،ص203.

3 – محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون. ج1 (لا.ط: القاهرة: مكتبة وهبة، د.ت)،ص130.

4 – راجع: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص208إلى110.

- مرحلة وعصر الصحابة كانت تعتمد على الاتصال المباشر بالرسول-صلى الله عليه وسلم-ومتابعته والتأسي به فيما يقول أو يفعل:" خذوا عني مناسككم"[1]و"صلوا كما رأيتموني أصلي"[2] والإتباع والتأسي يعتمدان على التحرُّك العملي في الواقع للرسول صلى الله عليه وسلم.
- السنَّة من خلال الكم الهائل من الأفعال والأقوال والتقريرات للرسول -صلى الله عليه وسلم -تكشف لنا عن خصائص الواقع الذي كان فيه الرسول-صلى الله عليه وسلم-وهو في الحقيقة مغاير للواقع الذي نحياه اليوم من هنا لا مكان للنزوع للتقليد والمحاكاة في الجزئيات والتفاصيل كما يظن كثيرون، فمنهج التأسي والإتباع غير التقليد.
- وكمثال على ذلك حديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-الذي ينهى فيه عن النحت والتصوير الذي يعتبره بعض العلماء من أشدِّ الناس عذاباً يوم القيامة، فهذا النَّهي ليس موقفاً مطلقاً عن النهي عن الجماليات المجسَّمة، فهل يتعارض مع فهم سيدنا سليمان الذي كان له جند من الجن يصنعون له ما يشاء من تماثيل، كما أنَّه لا يتنافى مع التساؤلات المعاصرة التي تصرَّح بعدم وجود الرغبة والشعور به لعبادة المصورات.
- وقوع السُّنة في نفس مشكل التعامل مع القرآن في هيمنة الإدراك اللغوي وفي بعض الأحيان اللجوء إلى التأويل الباطني والتفسير الرمزي الذي زاد الأمر اضطرابًا ولُبساً والواجب الوصول إلى المنهج القرآني النبوي لتنضبط على هدى منه سائر التفاصيل والجزئيات.

ويُفهم من كلام العلواني:

- ما نجم عن الفهم الخاطئ لمعنى الإتباع للسنة المطهرة، كأنَّنا نقول بإمكانية تكرار وقوع التجربة الإنسانية كما هي، وهل يمكن إعادة التجربة الإنسانية كما هي بنفس جميع تفاصيلها وجزئياتها، الأمر مستحيل وغير ممكن لسبب واحد فقط؛ هو فعل البيئة المتَّصفة بالحركة والتغيير في الإنسان وفعاله، ومن هنا نقول بعدم المطابقة الكلية للفترة

1- رواه مسلم في كتب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، حديث رقم:1297.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، حديث رقم:631.

النبوية المباركة لما بعدها إلا من خلال حضور الفعل النبوي الفاعل وتكيِّيف مع المتغير. وهذا فهم في منتهى الروعة وحسن التدبر والفهم لحقيقة الإسلام المبنيَّة على العموم والعالمية والصلاحية المطلقة.

- الفتوى الجزئية بالحِلِّ أو بالحرمة خطأ منهجي، إذ الواجب النظر في مستجدات العصر وطبيعة الإنسان الجديد، ووفق الإطار المنهجي الذي أشار إليه الرسول –صلى الله عليه وسلم–:«لولا قومك حديثو عهد بكفر لفعلت وفعلت»[1].

- مشكلة التعامل مع السنَّة هي نفس مشكلة التعامل مع القرآن الكريم تكمن في القصور العقلي، وتعطيل آلية التفكير المنهجي أمام هيمنة وسيطرة النظرة الماضوية الممتدَّة في العمق إلى اليوم، وهذا الكلام لا يعني بحال من الأحوال إسقاط الماضي أو تجاهله أو إلغائه فبين الهيمنة والإلغاء وبين الإفراط والتفريط يجب أن نكون.

المحور الخامس: قراءة التراث الإسلامي قراءة سلمية.

يُصدر العلواني أحكاماً من شأنها تصحيح النظرة للتراث وكيفية التعامل معه كما يلي[2]:

- التراث ليس فكراً متجاوزاً للزمان والمكان وإنَّما هو فكر نسبي في زمانه ومكانه وإنسانه.
- إنَّ استمداد التراث من الوحي يجعل نسبة الحقيقة فيه أكثر من ذلك الفكر المنفصل عن الوحي، إلا أنَّ ذلك لا يعفيه من النسبيَّة لكونه صادرًا عن اجتهاد بشري موصوف بالنقص والخطأ والنسيان.
- إعادة قراءة التراث بعيداً عن تحكم الأساليب الثلاثة التالية؛ دائرة الرفض المطلق، دائرة القبول المطلق، دائرة التلفيق والانتقاء العشوائي.

- لو فُهمت هذه **المقولة للعلواني** حول التراث ووُضعت في سياقاتها المعرفية، لتجنَّبنا كل تلك المعارك الوهمية الطاحنة وسَلِمنا من كل الانزلاقات الخطيرة، التي أهلكت الحرث والنَّسل وأتت على الأخضر واليابس.

1- رواه ابن ماجه في كتاب المناسك باب الطوال بالحجر حديث رقم 2955، صححه الألباني في الصحيحة حديث رقم 43.

2- راجع:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص 210و211.

- وعليه فالمعادلة بين الوحي والتراث تحتاج إلى توازن بين طرفين غير متساويين؛ بين وحي إلهي مطلق الصلاحية والاستيعاب، وبين قراءة بشرية نسبيِّة نسبيِّة فعل الإنسان الضعيف الناقص.
- كما لا يُقبل منطق الرفض أو القبول أو الانتقاء من غير تمحيص فذلك لا يُحدث القطيعة مع ما يجب مقاطعته، والإنسان من فطرته الجنوح في العادة إلى أسهل الطرق وأيسرها وما لا يكلفه الجهد والتمحيص، اختيار إحدى هذه الطرق والركون إليها، أمر سهل ويسير أمام طريق الموازنة والاختبار والكشف والتمييز، حيث يغيب الانفعال ورد الفعل ويحضر التَّعقل والإدراك والفهم والتَّبصر.
- دعوة العلواني لقراءة جديدة للتراث تؤازرها عدة دعوات من" كثير من المؤلفين ضرورة تقديم خطاب عقلاني مناسب يحفظون به الدين الإسلامي من سياط النقد الغربي، ويحمون شباب الإسلام من التفلُّت عن الدين، فكان لا بدَّ من إعادة قراءة التراث الإسلامي[1]".

المحور السادس: التعامل مع التراث الغربي:

بنفس التَّجاوز المنهجي مع التعامل مع التراث الإسلامي يُطلب تجاوز الأساليب الثلاثة السابقة في التعامل مع التراث الغربي[2].بهذه المحاور وفي إطار عملها المشترك والمتوازن، يمكن القول بأنَّه يُمكننا الخروج من الأزمة الإنسانية الخانقة، بصياغة المشروع الحضاري المنقذ للبشرية جمعاء.

الفرع الرابع: مهمة أسلمة المعرفة وموقف الناس منها.

أولاً–مهمة أسلمة المعرفة:

في الحقيقة فكرة أسلمة المعرفة فكرة جماعية ومشروع لأصحاب المعهد العالمي للفكر الإسلامي بتصريح **العلواني** نفسه حيث يقول:" تستطيع القول إن كتاب **إسلامية المعرفة** في

1 – فهد بن صالح العجلان، معركة النص.ج2(ط:1؛ لا.م: مركز البيان للبحوث والدراسات، 1434هـ)، ص19.

2– انظر:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص 211بتصرف.

جوهره كان محاولة أولية لبيان المبادئ العامة لخطة العمل، واتجاه الحركة والفكرة التي قدمها المعهد في ذلك الكتاب[1]".

وقد طرح خطة العمل كما يلي:

1-منطلقاتها:

تنطلق أسلمة المعرفة من الإيمان بكونية الرسالة الإسلامية الخالدة لكل زمان ومكان، مع كون الأزمة أزمة فكر، مع الإيمان بقدرة الأمة المعصومة عن الرِّدة والضلال العام على صناعة الأفكار المعاصرة في ضوء توجيهات القيم وسنن التسخير[2]. وهي تنطلق من ضرورة رفع الوضع النفسي للأمة الموسوم بالانهزامية، وتجاوز عُقد النقص التي وقع فيها المهاجرون الأوائل في رحلاتهم نحو الغرب وإحساسهم بالضعف أمام التفوق الغربي، فأصحاب مشروع الأسلمة رغم وجودهم في أمريكا موطن الحضارة والتحضر، إلا أنَّ معنوياتهم عالية ومرتفعة، وهذه أول المنطلقات التي يجب على الأمة المسلمة الشعور به حتى تستطيع أن تنهض وتحدث الإقلاع الحضاري من جديد.[1]

فقد: "نظر المسلمون المتعلمون في ذلك الوقت إلى مجتمعاتهم التقليدية، وهي مهزومة وتسيطر عليها القوى الغربية، فقرروا أنَّهم والإسلام متحجرون ومتخلفون ويعيشون خارج العصر... ولحسن الحظ أن الإسلام ولأسباب ليس أقلها حيويته المستمرة أنتج ردود فعل أخرى على تحدي العالم المعاصر، وبسبب الثقة الجديدة بالنفس عند المسلمين أصبح التساؤل الأول هو: هل من الضروري أن يتكيف الإسلام مع القرن الجديد؟ ثم إذا كانت الإجابة بالإيجاب يأتي التساؤل بعد ذلك حول: كيف وإلى أي مدى يتم هذا التكيف؟[3]".

2-مرتكزاتها:

مرتكزات مناهجية متبصَّرة تنطلق من المصدرين المقدسين القرآن والسُنَّة باعتبارهما أساس المعرفة والثقافة والفكر مروراً بالميراث الثقافي والحضاري الإسلامي بإخضاعه للمعايير

1-طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص 51.

2- انظر:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(المرجع نفسه)، ص 52بتصرف.

3 - انظر:بسطامي محمد سعيد خير، مفهوم تجديد الدين.(ط:1؛جدة -المملكة العربية السعودية:مركز التأصيل للدراسات والبحوث، 1433هـ /2012م)، ص191بتصرف.

والمقاصد والغايات الإسلامية، دون إهمال الكسب البشري العام في إطار مجال التبادل المعرفي وفي إطار الواقع الإسلامي المعاصر من أجل حسن استشراف المستقبل[1].

ثانياً: إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم وموقف الناس منها:

يحدد **العلواني** مفهومها منذ بدايتها على أنَّها رؤية منهجية معرفية وهذا ينفي عنها مايلي[2]:

- كونها حقلاً علمياً دراسياً أو تخصُّصياً.
- كونها إيديولوجية أو نحلة جديدة.
- تسعى لتحقيق إدراك فعل الزمان في الأفكار.
- وسبيل ذلك هو المراجعة المنهجية المستمرّة.

ولذا وقف الناس أمامها على **موقفين متباينين** يتوسطهما **موقف ثالث**؛ فمنهم[3]:

- من قبلها ورأى بأنَّها مثلَّت نقلة فكرية نوعية فتبنتها جهات أكاديمية وحاولت العمل بإنتاجها.
- في حين لم يستطع البعض استيعابها وقد وصفوها بعدة أوصاف كما يلي:
  - توهم البعض بشكلها الإجرائي على أنَّها مذهبية جديدة.
  - وظن البعض بأنَّها محاولة فصيل إسلامي لاستلاب المعرفة والفكر والثقافة وتحويلها إلى أداة لسلطة سياسية في إطار ما تتوثَّب إليه الحركات الإسلامية كوسيلة للتسلط، فنظروا إليها على أنَّها خطاب إيديولوجي.
- وفريق ثالث من أهل الاستلاب الفكري ظنوا أنَّها جزء من حالة الرفض الواعي أو اللاّوعي للحضارة الغربية من خلال محاولة تديِين كل شيء.

ونلاحظ أنّ هذا الرفض لمشروع الأسلمة ناتج عن عدم القراءة لمحتواها والتَّعرف عليها وكعادتنا في الحكم على الأشياء، نُصدر عليها الحكم دون إطلاع أو معرفة، في حين الواجب على الإنسان قبل الحكم على الأشياء أن يأخذ الوقت الكافي للتعرف عليه.

1- انظر:طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي.(مرجع سابق)، ص 52و53بتصرف.

2-راجع:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص 227 بتصرف.

3- انظر:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(المرجع نفسه)، ص 228 بتصرف.

وكذلك ضم نظرة الفريق الثالث للفريق الثاني الرافض للأسلمة ولكن من زاوية مغايرة.

فالمتتبِّع لفكر العلواني يجد أنَّ أساس أسلمة المعرفة عنده يقوم[1]:

- على الجمع بين القراءتين قراءة الوحي والوجود.
- وغياب القراءتين يؤدي إلى انقسام الأمةإلى لاهوت مُستلب للإنسان والكون **أصحاب قراءة الوحي وحده** وإلى وضعية إلحادية وهي **أصحاب قراءة الكون وحده.**
- بالإضافة إلى مشكلة المناهج التعليميِّة في البلاد الإسلامية المتأثرة بالمركزية الغربية، فالفصل قائم بين كليات الشريعة وكليات العلوم الأخرى ممَّا أدى إلى الفصام بين الدين والحياة العلمية والعملية.

وهذه **إحدى التحديات والعقبات الكبرى** أمام **تطبيق الأسلمة**، إذ الأمر يعد تحدي الرهان بحكم المركزية الغربية[2] المتفوقة والمهيمنة في هذه العلوم المستحدثة، ليس على مستوى العقل الغربي فحسب، بل بتسليم العقل الإسلامي لها وإيمانه بها واعتبارها من مسلمات العلم التي لا تحتاج للمناقشة والجدل، **فعلى أي صعيد سوف تواجه الأسلمة؟ وأي الخصوم تبدأ به إذن؟** فالرهان صعب والمعركة فاصلة، وهذه العلاقة بين الأسلمة والعلوم هو ما سيُكشف عنه في المطلب الرابع لجلاء وبيان مدى حجم هذا التحدي الذي ينتظر الأمة لتحقيق مشروع الأسلمة.

ثالثاً–حجم معركة إسلامية المعرفة وخطورتها:

يرى العلواني أنَّ إسلامية المعرفة المعركة اليوم معركة شرسة فهي[3]:

- لا تقلُّ خطراً ولا جهداً، عن جهد أسلافنا في مواجهة الغزو الفكري، في القرنين الثامن والتاسع عشر.

1- راجع:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص 232إلى238.

2 –**المركزية الغربية** ترى عبر دعاتها أنَّ ثقافتهم هي الممثِّل لنهاية التاريخ وقمَّة التطور العقلي، فإنَّها تلقى في المقابل من المتغربين من يتمثَّل هذا المرض الإيدلوجي، ويكون من أقوى الدعاة له في بيئتنا.**حسن بن محمد حسن الأسمري، النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها.ج2(مرجع سابق)،ص 1292و1293.**

3 – طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص240.

- أمام غزو **العلم التجريبي التطبيقي**[1]، أعاد صياغة العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية كلها.
- فإمَّا أن نتحوَّل إلى موقف الدفاع اللاهوتي العاجز، وإمَّا أن نتحوَّل إلى إسلامية المعرفة لمواجهة العلوم الطبيعية، برؤية قرآنية كونية جامعة أو ما يُعرف بعالمية قرآنية.
- فحقيقة مسألة أسلمة المعرفة ليست ترفاً نظرياً أو مصطلحات فلسفية؛ إنَّها فهم لأطوار الزمان على ضرورة التغيرات الكمية والنوعية. وإنَّها فهم للقرآن منهجاً، ضمن وحدته البنائية الكاملة، بشكل الجمع بين القراءتين. بل إسلامية المعرفة هي؛ مقدمة منهجية معرفية لبديل حضاري عالمي.

ونحن الآن لا خيار أمامنا سواء سلك أحد الطريقين لا ثالث لهما، في حين يأخذ العلواني بأيدينا لتلمس الطريق الصحيح طريق إسلامية المعرفة في وجه طغيان العلم التجريبي الجارف.

رابعاً–فمهمة إسلامية المعرفة مهمة مجابهة ونهوض

وتتَّضح مهمة الأسلمة الأساسية ومعركتها الحقيقية في:[2]

- الوقوف أمام الغزو العلمي التجريبي التطبيقي، كما كان الوقوف في القرنين الثامن والتاسع عشر، أمام الغزو الثقافي، والمطلوب تطهير العلم من الانحرافات التي أُسندت إليه ونفى ما يعرف بالكهنوت تجاه العلوم الكونية، ولا يجب الاقتداء وتقليد غيرنا في تجاربه.
- فالحقيقة هذه العلوم التجريبية أنَّها مازالت تتعثَّر في انطلاقتها مقيّدة إلى الجزئي ولم تأخذ بُعدًا كونياً يحتويها والبعد الكوني كامن في وحي القرآن لقواه تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ

1 -راجع: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص240.

2- راجع: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(المرجع نفسه)،ص 239إلى241.

﴿٥٧﴾ [غافر:56و57]،فإسلامية المعرفة هي قرآنية، فهو المتصدِّر أمام التدافع الديني لقيادة هذه المعرفة.

- فالقرآن هو القادر على المواجهة والتحدي والأخذ بزمام المبادرة وعرض نفسه وبقوة كحل وحيد وبديل لخروج الإنسانية من أزمتها المعرفية الراهنة، وعليه فالمعركة الحضارية الحالية تمثل اختباراً لنا في فهمنا لمنهجية القرآن وقدرتنا على الهيمنة الحضارية به على مختلف مناهج العلوم.
- وبالقدَّر الذي نتعامل فيه مع المنهجية القرآنية، بمنطق سليم وفهم صحيح، من خلال الآليات والأدوات الضرورية وحسن التَّحكم فيها، وتجانسها مع مكونات الواقع وفرضياته، يمكن النجاح في المعركة وإدارة الحرب لصالحنا.
- فقد أفسحت الثورة التِّقنية المجال لحواس مجهرية وإلكترونية أعطت مفهوماً جديداً للظواهر، فلم تعدُّ الذَّرة حبة رمل مرئية بل تحولت ذرة مجهرية، فتحوَّل معناها مما يبصر إلى مالا يبصر لقوله تعالى:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾ [الحاقة:38و39].

وخلاصة القول[1]:

- إنَّه لن يخرج العالم من أزمته الفكرية والحضارية إلا بإدراك البعد الكوني بمعناه الغيبي، وهي مهمة القراءة الأولى، فالمهمة كبيرة متسعة باتِّساع هذه الكونية وبدايتها الجمع بين القراءتين وغايتها أسلمة المعرفة.
- **ومن أهم المشكلات العلمية أمامنا حينها**؛ أنَّ العقل العلمي المعاصر رافض لكل الكتب الدينيِّة وكل ما جاءت به من أخبار عن الكائنات غير مرئية أو من أخبار الماضين وقصصهم، فهو يُعتبر مناقضاً للتاريخ الوضعي ومرفوضاً لدى العلم الموضوعي المعاصر.

وهذه إحدى أهم المشكلات والعقبات والتحديات ،التي يجب أن تتعامل معها المنهجية القرآنية بصورة ترضى فضول العلم الموضوعي من خلال الأدلة والبراهين؛ والأمر هنا ليس بالسهل ولا

1-انظر: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص 241إلى243بتصرف.

بالسير بل هو في منتهى الخطورة والصعوبة لغياب البعد الكوني والغيبي في المنظومة الغربية. وهذا الحل الغيبي موجود فقط في القرآن الكريم و" هو الحل الأوحد للخروج بالناس من المآزق التي دخلوا فيها، ولا يعرفون الخروج منها، وهو الحل الأمثل لكل المشكلات والأزمات التي يعاني منها الناس مسلمين وغير مسلمين على حد سواء[1]".

المطلب الرابع: علاقة أسلمة المعرفة بالعلوم.

الفرع الأول: إسلامية المعرفة وعلاقتها بالعلوم المختلفة.

حصر العلواني العلوم الموجودة والمتداولة في كونها ثلاثة علوم هي؛ العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والإنسانية-يمكن دمجهما-والعلوم النقليَّة أو الشرعية. مع اعتقاده بأنَّ علاقة أسلمة المعرفة بالعلوم الشرعية علاقة وطيدة ممَّا يجعل العلوم الشرعية تأخذ صلاحيات إضافية لكي تُهيِّمن على غيرها.وهنا ويطرح سؤالاً منهجياً ما علاقة إسلامية المعرفة بكل هذه الأنواع؟ هل هي علاقة واحدة أو علاقات مختلفة؟ وكيف تكون في الحالتين؟[2] وينطلق في تحديد هذه العلاقة وحيثياتها، من كون إسلامية المعرفة تمثِّل **علم العلوم** والذي يعني أنَّ العلوم والمعارف هي ذاتها موضوع وميدان البحث من خلال دراسة وتحليل النظم والأنساق المعرفية ومراجعة نظريَّاتها المعرفية ومصادرها ونماذجها ومناهجها وفلسفتها وتاريخها انطلاقا من منهجيَّة معرفية محدَّدة[3].

- وهنا يَفتح العلواني الباب على مصراعيِّه، لأجل الحديث حول مسلمات ما عرفته الإنسانية في الآونة الأخير من مخرجات العلوم ونظرياتها وخاصة في مجالاتها النفسية والاجتماعية، لتُعاد عملية التأسيس للعلوم من جديد وفق منظور جديد.
- والأكيد أنَّ هذه العلاقة من خلال هذه النظرة ستكون مختلفة، وتَحكُمُ كل نوع من هذه العلاقات مكونات ومحدِّدات مُعيَّنة يجب تحديديها بدقة منهجية متناهية، لتنَتُّج بعد ذلك شبكة من النتائج والعلاقات المحدِّدة لكيفية التواصل التكاملي والمنسجم في خط واحد نهايته العمران كأدنى هدف إنساني مشترك.

---

1 – مناهج جامعة المدينة العالمية الناشر، الخطابة كتاب المرحلة: بكالوريوس.(لا.ط؛ المدينة المنورة:جامعة المدينة العالمية، د.ت)، ص293.

2 – انظر:طه جابر العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة.(مرجع سابق)، ص29 بتصرف.

3– انظر:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص 195بتصرف.

- ويعود الفضل في تحقيق هذه النتائج الإنسانية المشتركة، لوجود البعد الغيبي المشترك بين مشروع الأسلمة والعلوم الشرعية، إذ هو العنصر الحركي الذي يبعث الرُّوح في تفعيل مشروع الأسلمة والدَّفع به قُدماً في وجه عالمية الحضارة الغربية وكبح جنوحها وجنونها.

الفرع الثاني: العلاقة بين الوحي والتَّدين:

الوحي أو الدين أمر يختلف عن التَّدين ولكن بينهما شبكة علاقات يريد العلواني الكشف عنها، وقد اختصر **عبد المجيد النجار** الجهد على العلواني في تحديد مفهوم الدين والتَّدين بدقة فيقول:" **الدين هو التعاليم الإلهية** التي خُوطِبَ بها الإنسان على وجه التَّكليف، و**التَّدين هو الكسب الإنساني** في الاستجابة لتلك التعاليم، وتكييِّف الحياة في التصور والسلوك[1]".ويبدو الفرق واضحاً بين الدين والتَّدين، وبتعبير مختصر في مفهومنا كمسلمين **الدين هو الوحي الإلهي** أو الشرع، و**التَّدين هو تطبيق الإنسان للوحي** الإلهي في واقع الحياة. ومن أهم العلاقات التي يسعى **العلواني** لإحيائها من خلال مشروع أسلمة المعرفة، وبالضبط تحديد اتجاه النظر للكتاب والسنَّة وإعادة صياغة التعامل معهما من جديد لضبط أحكام التَّدين وفق مايلي[2]:

- بجعلهما-القرآن والسنَّة-مصدرين أساسيين للأحكام الشرعية، واعتبار الكتاب الكريم المصدر المنشئ لهذه الأحكام، واعتبار السنَّة المصدر المبيِّن على سبيل الإلزام لهذه الأحكام.
- ثم القيام بمراجعة التراث، فأيُّ شيء يتعارض مع المصدرين الأساسين السابقين يرفض.

وعلوم الشريعة مصنِّفة ومقسمة إلى علوم مقاصد وعلوم وسائل[3]،فالتفسير وعلم الحديث والأصول والفقه علوم مقاصد واللغة وما يتبعها علوم وسائل ومنها علوم القرآن وعلوم السُّنة التي جاء بها أسلافنا كانت عبارة عن استجابتهم لجدلية النص والواقع،

---

1 – انظر: عبد المجيد النجار، في فقه التَّدين فهماً وتنزيلاً،(مرجع سابق)،ص 14 بتصرف.

2– انظر: طه جابر العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة.(مرجع سابق)،ص32و33 بتصرف.

3 – قسَّم طه العلوم الشرعية إلى حوالي إحدى عشر علماً.راجع: طه جابر العلواني، مقدمة في أسلمة المعرفة.(المرجع نفسه)،ص 30.

وهي علوم لخدمة النص كي تربط بينه وبين الواقع.

- وعلوم الوسائل-يجب مراجعتها فمنها ما يحتاج إلى إضافة ومنها ما يحتاج إلى تعديل، وهذا ما يسمى إسلامية المعرفة؟ نعم نُؤسلمُ كل هذا، ولكن بأي معنى؟
- تتمُّ المراجعة بعملية منهجية تَتِمُّ من خلالها مراجعة أنواع من المعرفة ومحاولة الكشف عن مدى ارتباطها بالكتاب والسنَّة، على مستوى فهمنا المعاصر، وعلى مستوى ضرورات تعاملنا مع الكتاب والسنَّة كمصدر منشئ ومصدر مبيِّن.

ويمكن أن نجمل العلاقة بين الوحي والتَّدين في نظر العلواني ب:

- الخطوة الأولى الهامة جداً هي التفريق بين الوحي والتَّدين.
- إعادة الاعتبار للقرآن والسنَّة في جميع دوائرهما.
- كلامه حول مراجعة التراث وممارسته له ميدانياً، فتح عليه باباً من المعارضة من مثل رفضه لبعض مسائل الإجماع مثل ما حدث في مسألة الردَّة[1]وبعض الإشكاليات في التعامل مع السنَّة المطهرة.
- وأنَّ العلوم التي أنشأها أسلافنا خدمة للدين انطلاقاً من جدلية احتكاك واقعهم بالنص، وهذه الجدلية بين النص والواقع متغيرة تبعاً لتغير الواقع والأحداث، رغم ثبات النص وخلوده إلا أنَّ تغيير أحد طرفي المعادلة يغيِّر المعادلة ونتائجها.
- كمايصحِّح العلواني معنى الكلام الذي جعل البعض يسخر منه ويقول ماذا تريدون أن تؤسلموا؟ أتؤسلمون الحديث؟ أتؤسلمون التفسير؟ أتؤسلمون السُّنة؟ بأنَّ معنى الأسلمة هنا ليس ما هو في أذهانكم من إلغاء لعلوم القرآن والسنَّة تماماً، وإنَّما التعامل معهما بجدلية النص والواقع، وإعادة بنائهما وفق منظور عالمية الخطاب القرآني.

الفرع الثالث: علاقة إسلامية المعرفة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية:

ترتبط إسلامية المعرفة بالعلوم الاجتماعية عند العلواني ارتباطاً وثيقاً[2]:

1- راجع رأي العلواني حول المسألة بوضوح وبكل تفصيل في كتابه لا إكراه في الدين.

2 - انظر:طه جابر العلواني، مقدمة الأسلمة.(مرجع سابق)، ص33و34و36بتصرف.

- فالعلوم الإنسانية والاجتماعية موضوعها الإنسان فرداً أو مجتمعاً، وأنَّ القرآن الكريم مرجع أساسي للإنسان فرداً ومجتمعاً، من هنا فالعلاقة وثيقة بين الأسلمة والعلوم الاجتماعية والإنسانية.
- وكمثال على ذلك يبين العلواني علاقة إسلامية المعرفة والعلوم الطبيعية، إذ يرى بأسلمة العلوم الطبيعية من كيمياء وفيزياء ورياضيات، لأنَّ الإنسان الغربي الذي أنشأها وأوجدها، نشأ في ظل أفكار أساسية أهمها، أنَّ الإنسان أعلن موت الإله[1] كما أعلن مركزية الإنسان وسيطرته على كل شيء، وبدأ يتعامل مع الطبيعة وكأنَّه مالكها وقاهرها ونَسيَّ الاستخلاف والأمانة قال-تعالى-عنها:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:72].
- يعطي العلواني في نظرته للعلوم التجريبية وجهتها الحقيقية، دون طغيان أو تعدٍ وربط العلوم بغاياتها، وِفْقَ رؤية إسلامية وتحديد الممدوح منها والمذموم، فإسلامية المعرفة تفرض على رجل المخبر الكشف عن العلم النافع والعلم الضار، وربط كل دروب المعرفة بالمنظومة القيميَّة أو الربط بين غاية المعرفة ومقاصدها. ونخرج عن المقولات السائدة الفن للفن والعلم للعلم.

وكأنَّ العلواني في تحديد العلاقة بين أسلمة المعرفة والعلوم يعود بالنظر إلى المبدأ الذي نشأت منه هذه العلوم، فإذا كان المنشأ خاطئاً أو منحرفاً، فبالتأكيد سينعكس هذا التصور الخاطئ

---

1 – إنَّ المنظومة المعرفية الغربية المادية الحديثة بدأت بإعلان موت الإله باسم مركزية الإنسان، وانتهت بإعلان موت الإنسان باسم الطبيعة، والحقيقة المادية، وهذه هي الواحدية المادية: أن تصبح كل المخلوقات خاضعة تماماً لنفس القانون المادي الصارم وأن يسود منطق الأشياء على الأشياء وعلى الإنسان، وهذا هو حجر الزاوية في المشروع المعرفي الغربي، ثمَّة قانون واحد وثقافة واحدة وإنسانية واحدة تكتسب وحدتها من كونها جزءاً من النظام الطبيعي، ولذا فإنَّ ثمَّة نموذجاً واحداً للتطور، ويلاحظ أنَّ حركة البناء الفكري المادي تتَّجه دائماً نحو تصفية الثنائيات التي نجمت عن الثنائية الدينية الخالق والمخلوق وعن الثنائية الهيومانية الإنسان والطبيعة.**علي بن نايف الشحود،موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة 1-29. ج.15(مرجع سابق)، ص100.**

على مجريات هذه العلوم وتطبيقاتها، وهذه الزاوية التي ينظر بها مشروع الأسلمة ويقصدها في ضبط العلوم، وعليه فالعلاقة بينهما قوية، لكون الاتفاق حاصلاً في المنشأ والمقصد والإنسان هدف مشترك بينهما.

لهذا كله فمشروع الأسلمة؛ هو مشروع شامل شمول حياة الإنسان، يسعى لتلبية حاجياته وِفْقَ متطلبات عصره وزمانه، ووِفْقَ النظرة الصحيحة للكون وللإنسان وللغيب عموماً.

الفرع الرابع: إسلامية المنهجية والعلوم السلوكية[1]:

يعتبر العلواني الفكر كالثمرة للشجرة لها كل هذه الجذور والمكونات، كما يعتبر فساد الفكر اضطراباً للحياة كلِّها وحينها تنهار التوازنات الاجتماعية ويُهيمن الصراع كوسيلة واحدة لسير الحياة والنتيجة واضحة بعد ذلك[2]. وقد ربط **مالك بن نبي** صلاح المجتمع وفساده بصلاح الأفكار أو فسادها **فيقول:**" إن أهمية الأفكار في حياة مجتمع معين **تتجلى في صورتين:** فهي إما أن تؤثر بوصفها **عوامل نهوض** بالحياة الاجتماعية، وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها **عوامل ممرضة،** تجعل النمو الاجتماعي صعباً أو مستحيلاً[3]".

ولعل أهم الأفكار للإنسان وخاصة للمسلم ما ارتبط بعالم العقيدة والإيمان، الذي يحدث نقلات نوعية في حياته ويقلبه رأساً على عقب، ومسألة القضاء والقدر خير شاهد وأفضل دليل على ذلك[4]:

- فكيف صنع المعجزات في عصر الصحابة والتابعين في حين كان وسيلة للتواكل والكسل والقعود مع فكر الأزمة اليوم.

---

1 – يمكن تعريف **العلوم السلوكية** على أنَّها فرع من العلوم الحديثة التي تهتمُّ بالدراسة العلمية للسلوك الإنساني، وذلك عن طريق البحث المعمق فيه وطبيعته الحقيقة...فهي تهتمُّ بجميع الحقائق والمعلومات عن سلوك الأفراد وأفعالهم، أكثر من اهتمامها بوصف ما يجب أن تكون عليه سلوك هؤلاء الأفراد وتصرفاتهم. وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، يركِّز غالبية العلماء السلوكيين على دراسة سلوك الإنسان. **ليلى مازن وعنايات إبراهيم، العلوم السلوكية، مراجعة: عائشة المناوي.(لا.ط؛ مصر:كلية التجارة–جامعة عين شمس،د.ت)،ص13.**

2– راجع: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص 213و 21.

3 – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تحقيق: إشراف ندوة مالك بن نبي.(ط:4؛ دمشق–سورية: دار الفكر، 1984م)، ص14.

4–راجع: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص 214إلى216.

- وكيف صنعت علاقة السَّببيَّة بالقدرة الإلهية عند الرعيل الأول الذي جمع بين القوة والبساطة؛ فهم يأخذون بالأسباب ويحمدون الله على ما تحقَّق من نتائجها بالسلب أو الإيجاب مع التفتيِّش داخل أنفسهم عن أسباب الإخفاق والفشل ديدنهم في ذلك وحاديهم قوله-صلى الله عليه وسلم-:«أعقلها وتوكل»[1].
- ولما وصل الأمر لعصور الأزمة **تعثَّر المفهوم** واضطرب **عند الكلاميين** فسُجنُوا بين حقيقة السَّبب وماهيِّة العلَّة فتاهت الأمة في ذلك وابتعدت عن المعين الصافي، وكانت النتيجة؛ مسلمًا ممزَّقًا في التعامل مع الأخذ بالأسباب فانتشرت الخرافة وشاع الدجل والتواكل وفقدان الموضوعية.

فإذا كانت قضية العقيدة والاعتقاد **أهم القضايا الإنسانية**، ومسألة القضاء والقدر ومفهوم التَّوكل أحد أبرز جوانب ظهور الاختلاف فيها، إلا أن منشأها مرتبط بكل ما يُطرح في أزمة **علاقة العقل بالنقل** "في زمن الأزمة حيث تعارض العقل مع النقل بسبب ما انعكس عليهما من علمي الكلام والفلسفة. في حين لم **يعرف أهل الصدر الأول من الإسلام مثل هذه الحالات من الانفصال**، وقد شهدت العلاقة بين العقل والنقل تكاملًا لأنَّ العقل قام بدوره واجتهد لمعرفة صدق الرسول- صلى الله عليه وسلم-وتأمَّل وتدبَّر وجادل وناقش واطلب الدليل -المعجزة-ثم آمن بعد ذلك، فلم يعد له بعد ذلك في كل الأمور الغيبيَّة إلا الاطمئنان وطريق معرفة حقائق النقل فقط فلم يُبدد طاقاته في قضايا الغيب[2]".

وحتى نحدَّد الفاصل الزمني بين الجيلين جيل الأمة وجيل الأزمة، من أجل تمييز معارفنا من أي الجيليِّن كانت، فيسهل قراءتها وتمييز أهلها. فقد **حدَّدها العلواني وبين انعكاساتها كما يلي**[3]:

---

1 - سنن الترمذي، باب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-حديث رقم 2517، صححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم 1068.

2- انظر:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص 216 بتصرف.

3- انظر:طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(المرجع نفسه)، ص 217و218بتصرف.

- بداية الأزمة في أعقاب الخلافة الراشدة وبالضبط عند ظهور اختلافات بين القيادات السياسية ورجال الفكر والفقه ثم أخذت تتطوَّر إلى أن بلغت الأزمة قمتها في عصرنا هذا.
- ومن أهم الحقول التي انعكست عليها الأزمة الفكرية حقل المعرفة والتربية التي تقوم على أساسها الشخصية الإنسانية من خلال مكوناتها الأساسية العقلية والنفسية. و**العقلية** الإنسانية تكوِّنُها **الثقافة** و**المعرفة** و**التجارب** أما الجانب **النفسي** فتُكوِّنه **الفتوى** و**الآداب** و**المواقف**.
- فأيُّ خلل في **التكوين الثقافي** ينعكس على **العقلية**، وأي اضطراب أو تغيير في **الفتوى** و**الآداب** ينعكس على **النفسية** كذلك.

فالعمليات الإنسانية متكاملة ومتداخلة ومتشابكة ومتأثِّرة ببعضها البعض في شكل معقَّد، وهذا ما قصدته العلوم السلوكية بالدراسة والتوجيه، وقد أثبت الدراسة الحديثة الشكل المعقد للسلوك الإنساني والعمليات الإنسانية، وهي من أهم خصائصه "أنَّه سلوك من متنوع، بمعنى أنَّ السلوك الإنساني يظهر في صور متعدِّدة ومتنوعة حتى يمكنه أن يتواءم ويتوافق مع المواقف التي تواجهه، وهو سلوك مرن، بمعنى أنَّه يتعدَّل ويتبدَّل طبقاً للظروف والمواقف المختلفة التي توجهه، مع الأخذ بعين الاعتبار نسبية هذه المرونة من شخص إلى آخر بحسب المقومات الشخصية وعوامل البيئة المحيطة[1]".

ومن بين فروع **العلوم السلوكية** جملة من العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تجاوزت العشرين علماً، في مجال التربية والاجتماع والاقتصاد والسياسة والإعلام، وكلُّها **وليدة الفكر الغربي** تلبي حاجياته، **دون النظر إلى حاجيات غيره** وهي تحتوي على ما يتعارض مع عقيدتنا الإسلامية فهل أدركنا ذلك؟ في حين **قامت إسرائيل** في مجال **العناية بالعلوم الاجتماعية**، فبعد قيامها **أنشأت جمعية للعلوم** و**المعارف الاجتماعية**، ووَكلَّت لها دراسات من أجل القيام بدراسات متنوعة في مجالات هذه العلوم، وحساب مخاطر توجيهاتها على فكر الكيان الصهيوني وتنقيته بما يتلاءم مع العقلية اليهودية، **في حين لا يوجد في العالم الإسلامي مركزاً واحداً**

1 – انظر: ليلى مازن وعنايات إبراهيم، العلوم السلوكية.(مرجع سابق)،ص21بتصرف.

للدراسات النقدية في هذه العلوم من منظور إسلامي، فضلاً عن مراكز تطرح البديل الإسلامي لها[1].

الفرع الخامس: إسلامية المعرفة والعلوم الشرعية.

يُحدِّد **العلواني** في حركة كرنولوجيا مختصرة تاريخ انفصال المعرفة الشرعية عن عموم المعرفة كما يلي[2]:

- منذ عصر الترجمة والتصنيِّف والتدوين وقع انفصام وانقسام المعرفة إلى معرفة شرعية ومعرفة أخرى.

وقد زاد الاستعمار من هذا الفصام وعمَّق جذوره وعزل الإسلام عن نظام التعليم وأبقى مدارس سميِّت بالمدارس الدينية أو المعاهد من أجل الإمعان في الغفلة وزيادة عزل الإسلام في أماكن محدودة بما فرضه من مناهج ميَّتة أفضت إلى الحجر على العقل المسلم، وغلق باب الاجتهاد، واستطاع بذلك تقسيِّم الأمة إلى فرقتين طائفة **قوية مُستغرَبة** وطائفة **قليلة مُستضعفَة**، يقاوم بحسب تكوينها وطبيعة دراستها واستمرَّ الصراع وطال أمره. وكان نتاج ذلك الصراع المرير: "حصر الإسلام في نطاق ضيِّق يتقوقع فيه على نفسه حتى يبقى نصوصاً تتلى وحديثاً يقرأ. لا روح في ذلك ولا عمل يدفع إلى التقدم والعلم[3]".

وهنا تبرز ضرورة ما **أسماه العلواني بأسلمة المعرفة**[4]:

- للقضاء على **ازدواجية التعليم**؛ لتُنتج مُتخصِّصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية، **متشبعين بأحكام الشريعة الإسلامية العامة** إضافة إلى **الأحكام المتعلقة بمهنهم** و**تخصُّصاتهم**.
- وهذه الازدواجية تحقيقها مطلوب ولكنَّها **تحتاج إلى جهد كبير** وعلى نطاق واسع من خلال المؤسسات المتخصِّصة.

1- انظر: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص 218و219 بتصرف.

2-انظر: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(المرجع نفسه)، ص 219و220بتصرف.

3 - انظر: طه عبد الفتاح مقلد، الإعلام والدعوة إلى الله. (لا.ط؛ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية،1395هـ/ 1975م)، ص90بتصرف.

4- راجع: طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص 220 إلى223.

- كما تنقَّى الدراسات الإسلامية وتُعدَّل برامجها ومحتوياتها ويستمرُّ الجهد إلى أن يُصبح ذلك اتجاهاً وتياراً يُقَوِمُ خطوات الأمة نحو نهضة حقيقة متينة الجوانب راسخة البنيان.
- والمؤتمر الثاني لإسلامية المعرفة بباكستان والمؤتمر الثالث في ماليزيا والمؤتمر الرابع بالسودان. تمثل محاولات من أجل رأب الصدع الحادث بين أسلمة المعرفة وبقية علوم الإنسان.

المبحث الثالث: التكامل المعرفي في فكر العلواني .

1- المطلب الأول: مفهوم التكامل المعرفي وتاريخه في الفكر الإسلامي .

2- المطلب الثاني: الملمح العام للتكامل المعرفي عند العلواني وعلاقته بالمقاصد العليا للقرآن .

3- المطلب الثالث: من خصائص التكامل المعرفي .

المبحث الثالث: التكامل المعرفي في فكر العلواني.

المطلب الأول: مفهوم التكامل المعرفي وتاريخه في الفكر الإسلامي.

الفرع الأول: تعريف التكامل المعرفي.

أولاً–التكامل لغة:

وسأقتصر على تعريف التكامل في اللغة دون تعريف المعرفة لاعتبار المقصود بالبحث هنا التكامل.

نجد تعريفات عديدة لمصطلح **التكامل** تحت الجذر اللُّغوي **ك.م.ل** خلال اشتقاقاته المختلفة:

- فنجد في **لسان العرب**: "كَمَلَ الشيء، يَكمُلَ وكَمِلَ كَمَالاً وكَمُولاً، وتَكَامَلَ الشيء وأكملته أنا وأكملت الشيء، أي أجملته وأتممته، وأكمله هو واستكملته، وكَمَّله: أتمَّه وجَمَلَه[1].
- ونجد في **كتاب العين**: "كَمُلَ الشيء يَكمُلُ كَمَالاً، ولغة أخرى: كَمُلَ يَكمُلُ فهو كَامِلٌ. والكَمَالُ: التمام الذي يجزأ منه أجزاءه، تقول: لك نصفُه وبعضُه وكَمالُه. وأكملتُ الشيء: أجملتُه وأتممتُه. وكَامَلَ: اسم فرس سابق كان لبني امرئ القيس[2].
- وجاء في **القاموس المحيط**: الكمال: التَّمام، وتَكَامَلَ وتَكَمَّل وأكْمَلَه واسْتَكْمَلَهُ وكَمَّلَهُ أتمَّه وجملَّه[3].
- لم يرد مصطلح التكامل بهذه الصيغة في القرآن الكريم، لكنَّنا نجده بصيغته الفعليّة **كَمُلَ** وجميع اشتقاقاتها قال–تعالى–:﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ٣﴾ [المائدة:3]

1–ابن منظور، لسان العرب. ج11(ط:1؛ بيروت: دار صادر، د.ت)، باب كمل، ص598.

2 – الفراهيدي الخليل بن أحمد، العين، تحقيق د مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. ج5(لا.ط؛ بيروت – لبنان: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، باب كمل، ص378و379.

3 – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة.(ط:8؛ بيروت – لبنان:مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،1426هـ/2005م)، ص 1054.

وقال تعالى:﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾[البقرة:185]فكل هذه التوظيفات الاشتقاقية تفيد معنى التَّمام.

ثانياً–التَّكامل المعرفي اصطلاحاً:

في البداية يجب أن نعرف أنَّ هناك عدة زوايا يمكن أن ننظر من خلالها للتكامل، بحسب تعدُّد جوانب الحياة وبحكم شيوع التكامل في الجوانب؛ فهناك تكامل سياسي وتكامل اقتصادي وتكامل اجتماعي وتكامل ثقافي ولكنَّها في مجموعها تشكِّل في نمطها العام نوعاً من التَّضام أو التَّآلف أو الجمع؛ "وجَمَعَ الشيء المتفرِّق فاجتَمَعَ[1]".وعلى هذا الأساس فالتكامل السياسي على سبيل المثال، يُراد منه تحقيق جمع وتضام وتآلف لقوى وأطراف فاعلة ومحركة لدواليب القرارات السياسية؛ لأجل جعلها كتلة واحدة تتحرَّك في اتجاه واحد نحو تحقيق هدف واحد أو هدف مشترك، وهكذا يكون التكامل مع بقية فروع مجالات الحياة بحسب الفروق والاختصاصات، والذي يهُّمنا في دراستنا هنا هو التكامل المعرفي وفق النظرة الإسلامية خاصة.

الفرع الثاني: التكامل المعرفي في الفكر الإسلامي:

أولاً–التكامل المعرفي عند علماء السلف (بداية التأسيس):

أول ما نلاحظه من صور التكامل وبكل وضوح وجلاء في كتب الأقدمين سمة الموسوعية التي تقترب لمعنى التكامل كالشمولية وكذا مصطلح الجمع، "ففي تاريخ الثقافة الإسلامية، وجدنا مثل هذه اللمسات المميَّزة عند أولئك العلماء الذين اشتغلوا بالفلسفة والمنطق والفقه وباقي العلوم والمعارف الإسلامية، ويبرز من هؤلاء الذين ما يزال العالم يتذكرهم، **فالكندي** الذي جمع بين الرياضيات والفلسفة، و**ابن سينا** الذي جمع بين الطب والفلسفة، و**ابن رشد** الذي جمع بين الطب والفلسفة والفقه، و**الخوارزمي** الذي جمع بين الرياضيات والفقه، و**البيروني** الذي جمع بين الطب والجغرافيا ومقارنة الأديان، إلى جانب آخرين أيضاً عرفتهم الثقافة الإسلامية في عصور

1–زين الدين أبو عبد الله الحنفي الرازي، مختار الصحاح. تحقق: يوسف الشيخ محمد.(ط:5؛ بيروت–صيدا: المكتبة العصرية –الدار النموذجية،1420هـ / 1999م)، ص60.

ازدهارها[1]".فظهرت عدة كتب هي أشبه بالموسوعات من أمثلتها: **مفاتيح العلوم** للخوارزمي، **مقاليد العلوم في الحدود والرسوم** للسيوطي، **التوفيق على مهمات التعاريف** للمناوي، **أبجد للعلوم** للقهوجي، **الكليات** لأبي البقاء الكفوي، **كشاف اصطلاحات الفنون** للتَّهانوي، **جامع العلوم الملقّب بدستور العلماء** للأحمد نكري[2].

ومن أمثالتها كذلك **كتاب التعريفات** لصاحبه **الشَّريف الجرجاني** "فلقد كان-رحمه الله تعالى- إلى جانب **إلمامه الواسع بالعلوم النقلية** من لغة وحديث وفقه، **متضلعاً في المنطق**؛ فقد بدأ حياته متكلِّماً يدافع عن الدين الحنيف بأسلوب أهل النظر، وانتهى الأمر به إلى التصوُّف، وهذا ما أهَّله لوضع **موسوعته** التي اشتملت على مصطلحات علوم مختلفة تضمُّ **الفلسفة** و**الفقه** و**المنطق** و**النحو** و**البلاغة** و**العروض** و**غيرها من العلوم**[3]"، وابن **تيمية** الرجل الموسوعي: "فقد كان الرجل موسوعياً يمثل ظاهرة أو مدرسة هو ضميرها والمعبَّر عن اتجاهها[4]". فهذه النماذج يمكن **أن نقرِّبها للتكامل المعرفي** أو كصورة أولية له، وفي حقيقة الأمر هناك نماذج عديدة يمكن أن نتبيَّن من خلالها التكامل المعرفي عند علماء المسلمين فهذا **ابن خلدون** مثلا يرى أنَّ التكامل المعرفي في التخصصات الكثيرة في متناول الجميع، وطرائق التعليم ومناهجه تسهِّل هذا، وليس شرطاً أن يُتْقِن طالب العلم علوماً كثيرة فيقول: "اعلم أنَّه مما أضرَّ بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته، كثرة التآليف واختلاف الإصلاحات في التَّعليم وتعدُّد طرقها، ثم مطالبة المتعلِّم والتلميذ باستحضار ذلك، وحينئذ يسلم له منصب التحصيل، فيحتاج المتعلِّم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرَّد لها، فيقع

---

1 - انظر: كي الميلاد، التكامل المعرفي بين العلوم في رؤية علماء الطبيعيات المسلمين المعاصرين،(مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد6، العدد22، 1431هـ/2010م)، ص12و13بتصرف.

2- محمد حاج هنّي،" التكامل المعرفي وتجلياته في الصناعة المعجمية العربية"".مجلة المعيار، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد 27،40/11/2015م، ص60 إلى69.

3-انظر:حاج هنّي محمد،" التكامل المعرفي وتجلياته في الصناعة المعجمية العربية".(المرجع نفسه)، ص72بتصرف.

4-طه جابر العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة.(ط:2؛ الرياض:الدار العالمية للكتاب الإسلامي،1415هـ/1995م)، ص17و18.

القصور –ولابدَّ –دون رتبة التحصيل[1]".وفي ضرورة التكامل المعرفي خاصة في التحصيل **يقول أبو حامد الغزالي** مؤكدًا: "للمتعلِّم ألا يدع فنّاً من فنون العلم، ونوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً، يطِّلع به على غايته ومقصده وطريقه، ثم إن ساعده العمر وأتته الأسباب طلب التَّبحر فيه، فإنَّ العلوم كلَّها متعاونة مترابطة بعضها ببعض ويستفيد منه في الحال حتى لا يكون معاديًا لذلك العلم بسبب الجهل به فإنَّ الناس أعداء ما جهلوا[2]".

وعلى سبيل المثال لا الحصر نأخذ علم التفسير في مجال العلوم الشرعية؛ فالمفسر والمتصدِّر لشرح القرآن العظيم وتبيِّنه للناس، يحتاج للإلمام بعلوم كثيرة جمعها **السيوطي** في حوالي خمسة عشرة علماً: "يجوز تفسيره لمن كان جامعاً **للعلوم التي يحتاج المفسر إليها** وهي خمسة عشرة علماً: **اللغة** و**النحو** و**التَّصريف** و**الاشتقاق**، و**المعاني** و**البيان** و**البديع**، و**علم القراءات**، و**أصول الدين**، و**أصول الفقه**، و**أسباب النزول** و**القصص**، و**علم الناسخ** و**المنسوخ**، و**الفقه**، و**الأحاديث**، و**علم الموهبة**[3]"

وهذا **الخطابي** يؤكد على حقيقة تكامل الفقه مع الحديث وعدم استغناء أحدهما عن الآخر، إذ لا قيام لأحدهما في غياب الآخر، وهذا أمر في غاية ما يكون في كمال المعرفة وصلاح الدعوة **فيقول**:"ورأيت أهل العلم في زماننا قد حصلوا حزبين وانقسموا إلى فرقتين **أصحاب حديث** وأثر و**أهل فقه** ونظر، وكل واحدة منهما لا تتميَّز عن أختها في الحاجة ولا تستغني عنها في درك ما تنحوه من البغية والإرادة، لأنَّ الحديث بمنزلة الأساس الذي هو الأصل، والفقه بمنزلة البناء الذي هو له كالفرع، وكل بناء لم يوضع على قاعدة وأساس فهو مُنهار، وكل أساس خلا عن بناء وعمارة فهو قفر وخراب[4]".

وهذا ما دفع **بالتهانوي** صاحب **كشاف اصطلاحات الفنون**، الذي جمع فيه العديد من العلوم، وقد **قسَّم معجمه** إلى **فنين**، فن في **الألفاظ العربية** وفن في **الألفاظ الأعجمية**، وقد بلغ عدد

1–عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون. تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ج2(مرجع سابق)، ص 344.

2– أبو حامد الغزالي، ميزان العمل. تحقيق الدكتور سليمان دنيا.(ط:1؛ مصر: دار المعارف، 1964م)،ص 48.

3 – انظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.ج4 (لا.ط؛ مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م)،ص213إلى215.

4 – أبو سليمان الخطابي، معالم السنن.ج1(ط:1؛حلب: المطبعة العلمية،1351هـ/ 1932م)،ص3.

المصطلحات الواردة فيه من الفنّين ثلاثة آلاف وخمسة وأربعين مصطلحاً، التي تنتمي لغات العالم القديمة والحديثة مثل الفارسية والفرنسية والانجليزية[1]. ويخلص من هذا الكلام بأنَّ سمات المعرفة القرآنية **الكمال** و**الشمول**، وذلك يعني أنَّ الخطاب شامل للطبيعة وما وراء الطبيعة فهو كتاب ميتافيزيقي وفيزيقي[2]وإنساني وأخلاقي وعملي، إلى جانب وضعه الخطوط الرئيسة للوجود كله، وبذلك فهو **كتاب كوني يشمل مرحلة النشأة، ومرحلة الفناء النهائي له**[3].وعليه **فالتكامل سمة مركونة في العقل الإنساني**، وخصوصاً لدى العقل المسلم الذي ينطلق من نظرة أوسع للمعرفة المستمدَّة عنده من علاقاته مع العلم والغيب والوحي.

ثانياً–من مجال وأبعاد التكامل المعرفي في الفكر الإسلامي.

1– علاقة المعرفة بالعقل والوحي في الفكر الإسلامي:

يُؤَكِّدُ المنهج الإسلامي في المعرفة إمكانية المعرفة، وأنَّ حقائق الأشياء موجودة وجوداً يقينيّاً ولقد: "أجمع علماء الكلام على أنَّ **أول واجب** على **المكلَّف**، هو **النظر المؤدي** إلى **معرفة الله**، ومن ثَمَّ فالنظر **يَتَوَلَّدُ عنه العلم**، بل إنَّ العلم متوقف عليه، ومرتبط به، فهو يكثر بكثرته، ويقل بقلته. ولا يُفهَمُ من هذا أنَّ العلم الناتج عن النظر هو العلم الإلهي فقط، وإنَّما **مطلق العلم**؛ لأنَّ موضوع النظر هو الطبيعة، وما بعد الطبيعة، أو هو حسب اصطلاح المتكلمين، الوجود بقسميّه[4]"وهو" الوجود الجائز، ويشمل كل ما هو موضوع للعلم الطبيعي، من الجواهر، والأعراض، ونظريات الفلسفة الطبيعية الراجعة إلى الحياة، والحركة، والقوة، والهيولى، والصورة. والوجود الواجب، ويرجع إليه مبدأ الوجود الجائز، بإثبات واجب الوجود، وصفاته،

---

1 –محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: دكتور دحروج (ط:1؛لبنان:مكتبة لبنان ناشرون،1996م)،ص 1و2.

2 – تعني كلمة ميتافيزيقيا:ما بعد الطبيعة. وتعني كلمة فيزيقيا: علم الطبيعة. إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الميتافيزيقا. (ط:1؛مصر: نهضة مصر للنشر والطباعة،2005)،ص18.

3–انظر: علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي الإسلام.ج1(ط:7؛القاهرة:دار المعارف، د.ت)،32بتصرف.

4 – رائد جميل عكاشة، التكامل المعرفي وأثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية.(ط:1؛ بيروت – لبنان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1433هـ/2012م)،ص215.

وأفعاله التي منها صدور التكليف عنه بطريق الوحي[1]".**فالنظر** و**الوحي** يكمِّل الواحد منهما الثاني و**يتداخلان** في تمازج **مفضٍ إلى كشف العلاقة مع الوجود بجميع أجزائه**، في الكيان الإنساني وهو يتَّجه للكشف عن الحقيقة ووفق منظور الثقافة الإسلامية التي: "أوجدت تكاملاً معرفياً بين الحسِّ والعقل، فالإدراك الحسِّي طريق إلى الإدراك العقلي، والإدراك العقلي مُتولِّد من الإدراك الحسِّي، و**هذا التكامل بين الحسِّ** و**العقل** هو الذي أوجد الانسجام والتآلف بين **الفكرة** و**العقيدة** و**السلوك**[2]". وممَّا رأيت في **عملية التكامل المعرفي** أنَّه يعالج بشكل فعَّال، **القطيعة** و**التنافر بين العلوم**، كما أنَّه **يُؤسِّس لوعي تكامليٍّ** على أساس أنَّ المعرفة تشكِّل نسقاً متكاملاً مع بعضه البعض. ومن الأسباب التي ساهمت في التَّداخل بين العلوم "هو مركزية و**محورية النَّص القرآني** في **الثقافة الإسلامية**، حيث تمخَّض عن هذه المركزية للنَّص القرآني، أن قامت **شبكة متكاملة** و**متداخلة من العلوم**؛ من **فقه** و**أصول** و**حديث** و**سنَّة** و**تفسير** و**قراءات** وغيرها من العلوم الشرعيَّة[3]"."فما من **علم** إلاَّ، وكان **القرآن الكريم**، هو المحور **الذي يتحرَّك حوَّله** هذا العلم، وهذا الأمر ينطبق على مختلف فروع المعرفة الإنسانية التي ظهرت في الثقافة العربيَّة الإسلامية، مما جعل **البحث** في أي **ميدان من ميادين العلوم الإسلامية يشكِّل ميداناً فسيحاً** وفضاءً واسعاً ومحوراً متشابكاً ،ومتداخلاً بين عدد من العلوم، وهو مما انعكس أثره إيجاباً على تطور المعرفة في الثقافة العربية الإسلامية[4]".

2- مجال وأبعاد التكامل المعرفي في الفكر الإسلامي:

بالنظر في الأبعاد التي يندرج فيها التكامل المعرفي فهو بُعْدٌ **يمسُّ جميع المناحي** ويلمس كل الزوايا في مجال الفكر الإنساني ويتصل بكل مكونات نشاطاته الحياتية لذا تعدُّ قضيَّة التكامل المعرفي: "**قضيَّة فكرية منهجية**، من حيث ارتباطها بالنشاط الفكري والممارسة البحثية وطرق

1- محمد الفاضل بن عاشور، ومضات فكر.(لا.ط؛ تونس: مطبعة الشركة التونسية،1982م)، ص154.

2 - رائد جميل عكاشة، التكامل المعرفي وأثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية. (مرجع سابق)، ص230و231.

3 - انظر:محمد بن عمر، "التَّداخلية بين العلوم في التراث العربي الإسلامي: الدواعي والأسباب والتجليات".مجلة المعيار، قسنطينة-الجزائر:جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر، العدد:40,2015/11/27م، ص26و27 بتصرف.

4 - انظر:محمد بن عمر، "التَّداخلية بين العلوم في التراث العربي الإسلامي: الدواعي والأسباب والتجليات".(المرجع نفسه)، ص27بتصرف.

التعامل مع الأفكار. ولكنَّ **الغرض من معالجة قضية التكامل المعرفي** ومنهج هذه المعالجة سوف يحدِّدان **الحقل المعرفي الذي يمكن أن تصنَّف فيه هذه القضية**. فقد **يصنَّف** التكامل المعرفي، في **الحقل الفلسفي** أو **في فرع** أو **أكثر** من **فروع الفلسفة**؛ علم الوجود[1] أو علم المعرفة[2]، أو علم القيم، ويأخذ في هذه الحالة بُعداً نظرياً تجريدياً. وقد يُصنَّف أيضاً في واحد من حقول النشاط الحضاري للمجتمع، عندما يكون الغرض توفير الموارد الضرورية وتحويلها إلى نشاط سياسي، أو اقتصادي أو اجتماعي لتيسير سبل الحياة العملية للناس وعندها يأخذ الموضوع بُعداً اجتماعياً تطبيقياً. لكن النظر إلى **موضوع التكامل المعرفي ربَّما يقتصر على زاوية التعامل مع الحقول المعرفية المتعدِّدة**، ومستوى الحاجة إلى كل منها في تصميم برامج المؤسسات التَّعليميَّة ومناهجها، فتأخذ القضية بعداً تربوياً تعليمياً... وهكذا[3]" وعلى هذا الأساس **يُحدِّد محمد فؤاد جلال مجال المعرفة** بقوله:"... المعرفة تتعدى أن تكون **علاقة** بين الكائن الحي وبيئته، وعلى هذا الأساس يجب أن يُنظر إليها.[4]" **وقوله كذلك**: "المعرفة ما هي إلا حلقة من سلسلة التَّفاعل الذي يحدث بين الكائن الحي وبيئته نتيجة لحياته[5]". فعملية **المعرفة عملية ذات علاقة وطيدة بالفاعلية الإنسانية** وحركته في الكون وعليه فهي فعل إنساني محض، وكلَّما كانت هذه المعرفة شاملة ومتكاملة، كان الطريق الذي يسلكه الإنسان نحو الحقيقة سهلاً ويسيراً.

---

1 – علم الوجود:أو الأنطولوجيا؛ أحد مباحث الفلسفة، وهو علم الذي يدرس الوجود بذاته، الوجود بما هو موجود، مستقلاً عن أشكاله الخاصة، ويُعنى بالأمور العامة التي لا تختص بقسم من أقسام الوجود، الواجب والجوهر. والعرض، بل تعمم على جميع الموجودات من حيث كذلك، وبهذا المعنى فإنَّ علم الوجود معادل للميتافيزيقا أو ما بعد الطبيعة. **سلطان علي الشهري، علم المعرفة وتطور المعرفة العلمية.(لا.ط؛لا.م:مركز نماء للبحوث والدراسات،1441هـ/2019م)، ص16.**

2 –علم المعرفة:أو الابستمولوجيا، وهو البحث في إمكانية المعرفة، ومصادر المعرفة، وأدواتها، والعلاقة بين الباحث وموضوع البحث، وهي ثلاثية محاور نظرية المعرفة.**سلطان علي الشهري، علم المعرفة وتطور المعرفة العلمية.(المرجع نفسه)، ص16.**

3 – ليلى فيلالي،" علوم الإعلام والاتصال والدراسات الإسلامية في إطار استراتيجية حضارية لتحقيق التكامل المعرفي". مجلة المعيار، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد 40،2015م، ص718.

4– محمد فؤاد جلال، التربية القومية.(لا.ط؛ القاهرة: مكتبة الآداب د.ت، 1955م)، ص17.

5–محمد فؤاد جلال، التربية القومية.(المرجع نفسه)، ص22.

ثالثاً–التكامل المعرفي عند مفكري الإسلام اليوم:

يتركَّب مصطلح التكاملية المعرفية من كلمين؛ التكاملية والمعرفية ومن هنا تأخذ تعريفها بالجمع بين معنى الكلمتين.

يُحدِّد **الطيب برغوث** معنى **المعرفة بقوله:** "المعرفة تعني حركة البحث عن سُنن الله الناظمة لحركة الوجود البشري والكوني؛ كشفا لها أولاً ومعرفة بالآليات السُّننية الذاتية لعملها ثانياً[1]"

كما يعرِّف **الطيب برغوث التكاملية المعرفية بقوله:**" التكاملية المعرفية تعني انفتاح الحقول المعرفية المختلفة على معطيات السُّننية لبعضها البعض، والاستفادة من ذلك في التطوير الذاتي لكل حقل معرفي على حدة ابتداء، ثم تطوير وإغناء ميزانية المعرفة البشرية ثانيا، مما يتيح للإنسان إمكانيات وخيارات معرفية واسعة، للفهم والتفسير والاستشراف، ورفع مستوى فاعلية إنجازاته الفكرية والاجتماعية والحضارية[2]"

كما يعرِّف **الطيب برغوث** التكاملية المعرفية: "إذا كانت المعرفة هي علاقة فهم ووعي بالوجود الكوني والإنساني، في تكوينهما البنيوي السّنني المنتظَم، والغايات المستهدفة من ذلك التكوين السّنني البنيوي المنتظَم، فإنَّ **التكاملية المعرفية** على هذا الأساس، **تعني:**

- **أولاً:** حركة أو عملية انفتاح الحقول المعرفية المختلفة المؤسِّسة لهذا الفهم والوعي على بعضها البعض، واستفادة كل منها من معطيات الآخر، من أجل تطوير القدرات الذاتية لكل حقل معرفي على حدة.
- **ثانياً:** وتطوير الحقول المعرفية القطاعية أو النوعية الكلية.
- **ثالثاً:** والوصول عبر ذلك كله إلى تكامل معطيات كل هذه الحقول المعرفية القطاعية أو النوعية الكلية.
- **رابعاً:** لتحقيق تنمية شاملة لميزانية المعرفة الكلية للإنسانية[3]"

---

1 –الطيب برغوث، "التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سني كوني متوازن".مجلة المعيار، الجزائر:جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد 27،40/11/2015م، ص187.

2– الطيب برغوث، "التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سني كوني متوازن". مجلة المعيار.(المرجع نفسه)، ص 188.

3 – الطيب برغوث، "التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سني كوني متوازن". مجلة المعيار.(المرجع نفسه)، ص154.

وفي هذا الإطار المرحلي وبالاعتبار المنهجي للمراحل الأربعة والعناية الكافية بكل مرحلة ومتطلباتها؛ يُبصر الإنسان تكامل الحقيقة وتناغمها مع ذاته والوجود.

وبهذه **النظرة الشاملة** والمتكاملة المحقَّقة من خلال **منهجية التكامل المعرفي** يكون الطريق لتحقيق[1]:

- التَّنمية الشَّاملة الفعَّالة المتكاملة المطِردة، التي تمسُّ ملكات الفرد وبنيات المجتمع، وتحقِّق **شحذ الإرادة** والفعالية الحضاريتين للمجتمع بشكل متصاعد.
- من خلال **التجديد الشمولي التكاملي المتوازن**.
- الآتي والنابع من التكاملية المعرفية المستوعِبة لكل المعارف العلمية السُّننية.

لتُجمَع كل هذه العمليات الحيوية وتُصاغ في قالب واحد ضمن إعادة صياغة وتشكيل العقل المسلم المعوَّل عليه اليوم لإعادة الحياة إلى حاضرة الدين، ليقيم الإنسان الدنيا ويعلي من شأن الدين.

أما **طه عبد الرحمان** الذي يُعَدُّ من أبرز الباحثين والمفكرين الذين اشتغلوا بمرجعية التَّداخلية في العلوم، واعتبروها من أبرز الآليات في مقاربة التراث العربي الإسلامي، وقد نحا في تقويم التراث الإسلامي العربي منحى يتَّصف إجمالاً **بوصفين أساسيين؛ أحدهما أنَّه منحى غير مسبوق،** لأنَّه يأخذ بالنظرة الشمولية التكاملية إلى التراث وليس بالنظرة التجزيئية التفاضلية؛ فبعد أن بيَّن كيف أن الاختيار التجزيئي في تقويم التراث يُنبنى أساساً على النظر في مضامينه من دون الوسائل التي تَمَّ بها إنشاء هذه المضامين وتبليغها، اشتغل باستخراج الآليات الإنتاجية التي تحكَّمت في بناء التراث وزودت أجزاءه بأسباب التداخل والتكامل فيما بينها، مستخدماً في ذلك **مفهومين متفردين** هما **مجال التداول والتقريب التداولي**. أما **الأمر الثاني** أنَّه **منحى غير مألوف،** لأنَّه توسَّل فيه بأدوات مأصولة وليست بأدوات منقولة[2]فيقول في ذلك: "وبعد أن أنهينا الكلام في

---

1 – الطيب برغوث، "التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سني كوني متوازن". مجلة المعيار،(المرجع نفسه)، ص 151و152.

2 – انظر: طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث.(ط:2؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، د.ت)،ص غلاف الكتاب بتصرف.

دعوى التقويم التفضيلي إجمالاً على فساد النظرة التجزيئية إلى التراث بسبب توسلها بآليات منقولة غير مناسبة، وبالدليل تفصيلاً ...في نظرة معارضة لهذا الاتجاه التفاضلي، وهي النظرة التكاملية[1]".

المطلب الثاني: الملمح العام للتكامل المعرفي عند العلواني وعلاقته بالمقاصد العليا للقرآن.

الفرع الأول: ملمح عام للتكامل المعرفي.

التكامل المعرفي أحد ميزات المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر عند العلواني الذي يمكن أن يكون بديلاً للمشروع الحضاري الغربي. وهذا المشروع يتميز بالنظرة الشمولية والرؤية الموضوعية لتنزيل الإسلام على الواقع البشري المنطلق من التوحيد والمؤدي إلى العمران والإعمار والتزكية. أو ما يُعرف عند العلواني "**بالمقاصد القرآنية العليا الحاكمة**"[2].

وينطلق **العلواني** في **بناء مشروعه التكاملي** من خلال **ثلاث قضايا** أساسية هي: **الغيب** و**الكون** و**الإنسان**، ومن ثمَّ يرى ضرورة تحديد العلاقة فيما بينها جميعاً، إذ الإنسان يكون شبه مشلول إذا لم يفهم ويُدرك طبيعة العلاقة بينهم، لذا **يقول**: "لو **اختلَّت العلاقة** بين **الغيب** و**الإنسان** لا يستقيم **أمر الدين** و**الدنيا**، ولو **اختلَّت العلاقة** بين **الغيب** و**الطبيعة** و**الإنسان** **يحدث الخراب** نفسه[3]".وعلى سبيل المثال نضرب مثالاً على المستوى الحضاري، حيث قامت الحضارة الإسلامية على عقيدة التوحيد، فظلت متماسكة عندما وازن المسلمون بين أطرافها، أي بين الإيمان بالله-غيباً- وبين إعداد العدة بالأساليب العسكرية المعروفة آنذاك-إنسان وكَون- فاجتاح المسلمون الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية بفضل إيمانهم بالله- تعالى- على هذه الصورة، إذ أيقنوا أنَّه ناصرهم، فلم ترهبهم قوى الأعداء الظاهرة الملموسة ولم يخفهم الفارق المشاهد في القوى والعتاد والعدد، لأنَّهم أيقنوا أنَّ الله من وراء الغيب يؤيدهم ويشد أزرهم[4]".**هذا التفوق**

1 – طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث،(مرجع سابق) ص71.

2–طه العلواني، التوحيد والتزكية والعمران.(لا.ط؛لا.م:لا.ن،د.ت)،ص19.

3– طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(مرجع سابق)،ص 40.

4 – انظر: مصطفى محمد حلمي، منهج علماء الحديث والسنَّة في أصول الدين.(مرجع سابق)، ص96.

الذي حقَّقته الحضارة الإسلامية في الجانب العسكري، هو جزء من حالة التفوق العام المحقَّق في حياة الأمة بعد فهم العلاقة بين القضايا الثلاث؛ الغيب والكون والإنسان. وكذلك **المعرفة الإنسانية** هنا مستمدَّة من **جدليَّة العلاقة بين هذا الثالوث**، في سيِّر الإنسان بخطوات محدَّدة ومعلومة مع الغيب وكذا الكون، وهذه الأشياء الثلاث من صميم علاقتها ببعضها البعض، وجود التَّوازن بينها من جهة، ومن جهة ثانية معرفة الإنسان وتمييزه بين مصادر معرفته لها؛ بين المصدر الداخلي الذاتي وبين المصدر الخارجي[1]، **يقول العلواني** حول مسألة التوازن: "فإذا آمنتُ بالله أدركتُ أني مخلوق، وأنَّ الكون من حولي أيضاً مخلوق. النبوة مصدر معرفة لي، تدلُّني على خالق، تنبهني إلى كثير من الأمور، مرجعية بالنسبة لي، وأنا أحتاج إلى مرجع إلى مصدر[2]". **فالإنسان وإن كان مزوَّداً بقدرات** وملكات ذاتية تجعله **يُحسن العلاقة ويُوظفها للتلاحم مع الكون** والغيب إلَّا أنَّه يبقى **في حاجة** ماسة **لمصادر خارجية** تُعينه للوصول لربط العلاقة بصورة منهجية صحيحة؛ فكانت النبوة وكان الوحي طريق الإنسان ليُتمَّ وضع يديِّه على جوهر الحقيقة وكُنهها. وهذه المعرفة تتَّسم عنده بسمة الكلية التي أوجدتها العقيدة والإيمان **إذ يقول في ذلك**: "وجزء أساسي من **وظيفة الإيمان** والعقيدة بعد بقاء التصور وتحديد مكوناته، أن **يُقدِّم ما نُسميه بالرؤية الكلية للكون وللإنسان وللحياة**. هذه الرؤية الكلية هذا الذي يسميه البعض نموذجاً. أو النموذج الكلي عند كُانت أو الرؤية[3]". فهذه الرؤية أحد أطرافها الفاعلة في تأسيسها وتكوينها؛ **فخلوّ المعرفة الغربية** من **الوحي** و**العقيدة** جعلها **فقيرة** وعاجزة **أمام تساؤلات الملحَّة** لإنسان اليوم. وطريق حصول هذه المعرفة حسن القراءة للعلاقة بين هذه الثلاث، ومؤدى ذلك فهم علاقة العلم بالوحي الذي جاء به الدين الخاتم حيث "ننبه هنا إلى أمور قصدها الشارع من توظيف العلم وعلاقة العلم بالوحي؛ **الأمر الأول**: تحقيق **الوظيفة الكونية** وهي أن نجعل هذا الكون آية دالة على خالقه، وأن نجعله مفتاحاً يلج منه الإنسان إلى الإيمان بعالم الغيب، وما لم يجعل الإنسان هذا الكون آية دالة على خالقه فإنَّه بذلك يكون قد فاته المعنى الإلهي من معرفته

1- طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(مرجع سابق)،ص 42و43.

2- طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(المرجع نفسه)،ص 43و44.

3 - انظر: طه جابر العلواني، مقدمة في إسلامية المعرفة.(المرجع نفسه)،ص44بتصرف.

بالكون؛ لأنَّ الخلق في حدِّ ذاته آية دالة على وجود الخالق، **أما الأمر الثاني**: وهي تحقيق **الوظيفة الاجتماعية** للكون، بمعنى أن يحسن المرء تسخير هذا الكون وتوظيفه لتحقيق منافع الإنسان ودفع الضار عنه[1]".

الفرع الثاني: التكامل المعرفي وعلاقته بالمقاصد العليا للقرآن الكريم.

لقد علمنا بأنَّ المنظومة المعرفية عند **العلواني** تعمل على الربط والجمع بين الأطراف الثلاثة وهي: **الله** و**الإنسان** و**الكون**، والتي تُقابلها أهم عناصر المقاصد العليا الحاكمة عنده وهي مقاصد قرآنية عليا؛ **التوحيد** و**التزكية** و**العمران** على الترتيب، **فبتوحيد** الله-عزَّ وجلَّ- و**تزكية** الإنسان ووفق حركة **عمرانية** للكون؛ تَتِمُّ الحقيقة والمعرفة والربط بين الغيب والوحي والروح والجسد والمادة في تناغم ووفاق تام، وعليِّه ففي تصوُّره لا **يتحقَّق النموذج الأمثل** لهذه المنظومة المعرفية إلَّا بالجمع بينها وتحديد العلاقة الجامعة والمتكاملة، بين جميع عناصرها **وأي قراءة منفردة أُحادية حتماً في رأيِّه تُؤدي إلى فساد** وخلل في الفهم والتصور والسلوك في مجريات الدين والدنيا كما هو الشأن في حضارة الغرب التي أنكرت الأديان بما حملته من فلسفات مادية، فكانت بذلك سبب شقاء الإنسان وسرِّ تعاسته "فحين حملت أوروبا إلى الشرق الفلسفات التي قامت على إنكار أسس الدين وإنكار القوة المصرفة لهذا العالم، القوة الواعية التي أخرجت هذا العالم من العدم إلى الوجود وبيدها زمام الكون (الإله، الخلق والأمر) وعلى إنكار عالم الغيب والوحي والنبوات، وإنكار الشرائع السماوية، وإنكار القيم الروحية والخلقية، منها ما تبحث في علم الحياة والنشوء والارتقاء، ومنها ما تتَّصل بالأخلاق، ومنها ما تدور حول علم النفس، ومنها ما موضوعها الاقتصاد والسياسة، ومهما اختلفت هذه الفلسفات في ألوانها وأهدافها وأُسسها، فإنَّها جميعاً تلتقي على النظرية المادية المحضة إلى الإنسان وإلى الكون والتعليل المادي لظواهرهما وأفعالهما[2]".

---

1 – انظر: محمد السيد الجليند، الوحي والإنسان – قراءة معرفية.(لا.ط؛ القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، ص134و135بتصرف.

2 – أبو الحسن الندوي،ردَّة ولا أبا بكر لها.(ط:2؛ القاهرة: مكتبة السداوي للنشر والتوزيع- مكة المكرمة: المكتبة المكية، 1413هـ / 1992م)، ص6.

يفصل **العلواني** القول في حقيقة **المقاصد العليا للقرآن** وبيان أهميتها في بناء المنظومة المعرفية وتكاملها **فيقول التوحيد**[1]:

1- هذا **التوحيد** بكل أبعاده، وما اقتضاه واستلزمه وتناوله وامتَدَّ إليه، أو انطوى عليه، ولم يكن شيئاً كامناً في الضمير لا علاقة له بمجريات الحياة ولا بمكونات الحضارة و**العمران**، كما آل إليه لدى الملايين من المسلمين، بل هو **جوهر العمران** وأساس البناء الحضاري، لذلك كان للتوحيد انعكاساته على سائر جوانب الحياة، بدءاً بالفكر والتصور والاعتقاد، مروراً بالمعرفة وتحديد شبكة النُظم والعلاقات المتنوعة وقواعد السلوك والأخلاق، وانتهاءً **بإقامة العمران** وانتظام الخلق كلِّه في فلك التسبيح ومدار التنزيه ومسيرة التقديس والعبادة لله الواحد القهار.

2- إنَّ من المحال أن **يتزكى** الإنسان **تزكية تامة** بدون **التوحيد**، كما أنَّ من المحال أن **تُعمَّر** الأرض من دون **التوحيد** كذلك.

3- يبرز **التوحيد** في التصور الإسلامي بعبارة المقوِّم الأساس من مقومات ذلك التصور، ولاشك أنَّه المفهوم الأساس والدعامة الكبرى فهو بمثابة أصل الشجرة وجذعها، أما فروعها فبقية المقومات والأركان التي تتكامل شجرة الإيمان بها.

4- إنَّ التوحيد قد حدَّد للبشرية مرجعيتها المتجاوزة المنزَّهة المقدَّسة المتعالية. وحدَّد لها بكل دقة ووضوح مركز الكون أو الحي القيوم الذي لا يمكن أن يكون للكون قيوم أو مركز سواه قال تعالى:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام :102] .

فالتوحيد هو رأس الأمر وأساسه وعليِّه تُبنى كلاً من **التزكية** و**العمران**، فهو منشأ المنظومة القيميِّة وله أهمية فهو أساس في التصور الإسلامي، وعلى سبيل المثال نأخذ **المعرفة وعلاقتها بالتوحيد**، إذ يرى العلواني أن للتوحيد تجليات على عالم المعرفة الإنسانية، ومحرك أساسي لها كما يلي:

---

1 – طه جابر العلواني، "التوحيد والتزكية والعمران(1) ".مجلة قضايا إسلامية معاصرة، بيروت: الفلاح للنشر والتوزيع العدد16و، 1422هـ/2001م،ص 148و154و171.

- **التوحيد محرِّك قوي للمعرفة**[1]:
  - إنَّ التوحيد من أهم المحركات الموضوعية المؤثِّرة في اتجاه وإفراز الدواعي والقوى المحرِّكة للمعرفة وتحديد مضمونها وتفسير الغامض والمبهم منها، والإجابة عن أسئلة ما هو؟ أي شيء هو؟ وماذا؟ وكيف؟ ولماذا؟ بل وتحديد ما يمكن التساؤل عنه ومالا يمكن أو لا يحسن السؤال عنه.
  - مثل حقيقة الإنسان ومكانته ودوره في الحياة، وعلاقته بالطبيعة، وحقيقة الحياة، وحقيقة الموت، والتاريخ، والصيرورة، والزمن، وعلاقة الخالق بالمخلوق، والحق والباطل، وغيرها من الأمور.
  - ويبني على أساسها علاقاته بالواقع الاجتماعي بجوانبه المختلفة. ولذلك فإنَّ وصول البشرية إلى منهج معرفي سليم تعزِّزه وتتضافر معه نماذج معرفية تتَّصل وتنبثق مع نظام معرفي كامل، أمر في غاية الأهمية فإنَّه لا يمنح الإنسان القدرة على إدراك وفهم ما حوله والإجابة عن **الأسئلة الكلية النهائية**، وتفسر سائر ما يعرض له في الحياة، ويفتح أمامه سائر الآفاق المعرفية مثل **التوحيد**. فالتوحيد هو المفتاح الذي يفتح مغاليق سائر تلك الأمور وسواها.

وعليه **يؤكد العلواني** على أنَّ:

1-التوحيد هو المستَند في تحقيق الكمال المعرفي، وهي مَقولة يكرِّرها العلواني دائما، كما أنَّها تمثِّل ملمحاً واضحاً في دقَّة استجلاء الحقيقة الكونية وحقيقة الإسلام، وأي فهم بعد ذلك ينتج عن هذين المسلكين يا ترى؟ الأكيد يكون ذلك الفهم، فهم الخلاص المفقود.

2-من أساسيات فكره في تنشئة المعرفة، ما يُعرف بالجمع بين القراءتين. وهي من إفرازات فهم التوحيد وما يستند عليه من الدعامتين السابقتين كذلك.

1- طه جابر العلواني، "التوحيد والتزكية والعمران(2) ".مجلة قضايا إسلامية معاصرة، بيروت:الفلاح للنشر والتوزيع، العدد18، 1422هـ/2002م، ص152و153.

3-كما يؤكد العلواني على فشل كل الفلسفات الإنسانية تجاه أهم قضايا المعرفة، التي عجزت على التوفيق بين الدعامتين السابقين وخلاصتهما التوحيد.

4-ومن هنا تظهر عند الضرورة الملحَّة لوجود نظام معرفي توحيدي يقدِّم للبشرية سبيل الخلاص الحقيقي.

- **مصادر المعرفة في التوحيد:**
  - حصر مصادر المعرفة بمصدريين اثنين لا ثالث لهما هما: الوحي والوجود[1].
  - النظر إلى المعرفة نظرة تكامل، وكما أنَّ المصدرين الوحي والوجود يكمِّل كل منهما الآخر فإن الوسيلتين **العقل** و**الحس** متكاملان أيضاً في معارف متكاملة لا يمكن تجزئتها.
  - ودليل ذلك ما جاء في نصوص القرآن الكريم إذ قال تعالى:﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[الذاريات: 21-22] وقال كذلك:﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[يونس:101] وهذا ربط عجيب بين العالمين، عالم الغيب وعالم الشهادة، وبين المصدريين الوحي والوجود ! وهو ربط لا يسمح بوضع حدود فاصلة قاطعة فكل منهما يكمِّل الآخر[2].

فيؤكد **العلواني** على بناء المعرفة على دعامتي الوحي والوجود في نسق متكامل من خلال دور التوحيد في بناء المنظومة المعرفية "فلباب التوحيد بوصفه مبدأ المعرفة، هو الإقرار بأنَّ الله- تعالى- هو الحق، وأنَّه واحد أحد لا شريك له، ويستبطن هذا الإقرار وجوب ردِّ أمر البت في كل خلاف وفي كل شك، إليه سبحانه وتعالى، وبأنَّه لا دعوى تستعصي على المعايرة والبت القاطع فيها، فالتوحيد إقرار بأنَّ الحقيقة قابلة لأن تُعرف، وأنَّ بوسع الإنسان أن يصل إليها، ويتشكَّل التوحيد بوصفه مبدأ منهجياً **من ثلاثة مبادئ معرفية: أوُّلها**:رفض كل ما لا يتماشى مع الحقيقة و**الثاني**:

1- طه جابر العلواني، "التوحيد والتزكية والعمران(2) ".مجلة قضايا إسلامية معاصرة، (مرجع سابق)، ص153و154.

2- طه جابر العلواني، نحو منهجية معرفية قرآنية.(مرجع سابق)، ص279.

نفي التناقضات النهائية و**الثالث**: الانفتاح على الدليل الجديد وعلى دليل المخالفة[1]".وهذا صميم ما جاءت به إسلامية العلم والمعرفة "إنَّ إسلامية العلم والمعرفة قضية منهجية تقوم على **اكتشاف العلاقة بين القرآن** و**الكون**، أي بين **الوحي** و**الوجود** للربط بين عالمي **الغيب** و**الشهادة**، لنثبت أنَّ في عصر العلم . **استيعاب القرآن الكريم للكون** وقوانينه وحركته، وللإنسان ومعارفه وحياته في إجمالية ثقافية حضارية رائعة لازمة لتقدِّم البشرية في المستقبل في إطار المبادئ الأربعة التالية:

1-القرآن الكريم يحث على العلم النافع وإسلامية المعرفة.

2-المنهج القرآني لبحث وتحصيل العلم والمعرفة.

3- الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنَّة لإثبات صدق النبوة وعالمية الرسالة.

4-الإشارات القرآنية للقضايا الكونية المطروحة للبحث العلمي في المستقبل[2]"

ولا يعمل التوحيد بصورة كاملة في إحياء المنظومة المعرفية الإنسانية العامة إلا من خلال تكامله مع القيمتين الأخريين: **التزكية** و**العمران**.

فالتزكية قد نأخذ معناها العام ومقصدها من: "ما عُرف في بعض نظم التصوف **بالمنظومة الثلاثية؛ التخلِّي**، و**التحلِّي**، و**التجلِّي**، فإذا كان **التخلِّي** يعني ضرورة الإقلاع عن الآثام، وكان **التحلِّي** ضرورة الأخذ الصفات الفاضلة، فإن ممارسة **التخلِّي** و**التحلِّي** إلى مستوى معين يمكن أن يدخل فيه **المريد السالك** حالةً من الشفافية الروحية، والرفعة الوجدانية، يسمونها **التجلِّي**، حين يستشعر السالك فيها **تجلِّي** الحضرة الإلهية عليه[3]"، ويستبعد هنا بعض **شطحات أهل التصوف** في مسألة **التجلِّي** ومبالغاتهم وسلوكياتهم المنحرفة، مُستبقياً على معنى الحضور لوجود الله في حياة الإنسان واستشعار معيَّته الدائمة. "فالتزكية هي التربية الروحية والأخلاقية، فالروح

---

1 - إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة:السيد عمر. (ط:2؛ القاهرة-جمهورية مصر العربية: مدارج للأبحاث والنشر، 1435هـ/2014م)، ص99و100.

2 - علي بن نايف الشحود، المفصَّل في الرَّد على شبهات أعداء الإسلام،(مقالة لمنصور محمد حسب النبي، إسلامية العلم والمعرفة منهج حضاري لمستقبل البشرية). ج6 (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت)،ص60.

3 - فتحي حسن الملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية.(مرجع سابق)، ص98.

تزكو بالعبادات وبمكارم الأخلاق، وتعليم الكتاب والحكمة هي التربية العقلية، وسعادة الإنسان وكماله متوقفان على تربية جسمه وعقله وأخلاقه وروحه[1]".

- **فالتزكية** ليست حالة **فردية** كما أنَّها ليست **خاصة** ولا **جزئية** بل؛ هي حالة تشمل **حياة المجتمع** كما تشمل **حياة الفرد** وتشمل **العقل** و**الجسم** كما تشمل **الروح**: "فالنفس الإنسانية التي يتحقَّق لها الفلاح بالتزكية، وتُلْقَى في مهاوي الخيبة والخسران **بالتدسية**، هي الذات الإنسانية جسماً وعقلاً وروحاً، وهي الفرد الإنساني والجماعة الإنسانية[2]"

قال تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[الشمس: 09-10] .

فبالتزكية:

- يتمكَّن الإنسان من الوفاء بالعهد، والقيام بحق الأمانة، وأداء مهام الاستخلاف واجتياز اختبار الابتلاء[3].
- والتزكية هدف العمران ووسيلته، فهي ليست مسألة مشاعر وخلجات وخواطر نفسية، مقصورة على المستوى الإصلاح الفردي، بل تدخل في صميم البناء الاجتماعي والعمران البشري.[4]
- إنسان التزكية القادر على تحقيق التوحيد، وإقامة العمران.
- إنَّ إنسان التزكية قد يُضحي بحياته، وقد يفارقها شهيداً، وهو يحاول أن يحفظ للحياة قيمتها، وللعمران مقوماته الحقيقية ولو بالتعالي على الدنيا وأهوائها[5].

---

1 – محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب.ج4(لا.ط؛ لا.م: بيت الأفكار الدولية، د.ت)، ص 3626.

2–فتحي حسن الملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية. (مرجع سابق)، ص98.

3– انظر:طه جابر العلواني، "التوحيد والتزكية والعمران(1) ".مجلة قضايا إسلامية معاصرة، (مرجع سابق)، ص152 بتصرف.

4 – فتحي حسن الملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية.(مرجع سابق)، ص98.

5 – طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران.(مرجع سابق) ص86و91.

وعليه **فالقيام بتزكية الفردوالمجتمع** هي جزء هام من مشروع حيوي شامل ومتكامل يسري في جسد الفرد والمجتمع لتوحيد الله –تعالى–وبالتوحيد والتزكية يتسنى للإنسان القيام الصحيح بإعمار الكون وتسخير الأرض فما هي حقيقة هذا **العمران** و**مستلزماته؟**

إنَّ العمران: "هو قيمة تحدِّد فقه العمل في الحياة الدنيا، ولاسيَّما عمل المجتمع، المتعلِّق بنظم الإدارة والرعاية لشؤون الناس بتيسير سبل الحياة لهم، ورفع الحرج والمشقَّة عنهم[1]" و"كما **يتجلَّى فقه العمران** في الجوانب المادية لحياة المجتمع، من أبنية وطرق، وزراعة وصناعة، **يتجلَّى كذلك في الجوانب المعنوية لحياة المجتمع** في استتباب الأمن، وإقامة العدل، وممارسة الشورى[2]".

"فقد جاءت أحكام الشريعة الإسلامية داعية إلى الأخلاق الحميدة التي أساسها المحبة، فالعبادات جميعاً ما هي إلا رياضة لترويض النفس على الخلق الحسن. وغاية الخلق القويم الصلة بالذات الإلهية العليا وبناء حياة الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية الراقية، وفي المفهوم الإسلامي لا قيمة لأي عمل مهما عظم إن لم **يتحقَّق فيه شرطان هما:** الإخلاص والمتابعة وهما من **سمات الخلق الحسن.** وتكمن **أهمية التربية الخلقية** في الإسلام في سعيها إلى **تكوين خير فرد** و**خير مجتمع** و**خير حضارة**[3]".فلا يمكن **لقيام العمران المادي في ظل خراب وفساد العمران المعنوي،** بل أذهب بالقول إلى أبعد من ذلك؛ بأنَّ أساس قيام وبقاء واستمرار العمران المادي معتمد بالأساس على قيام وصلاح العمران المعنوي، فما قيمة علو البنيان إذ افتقد روح الإنسان، لذلك ربط الله–تعالى–في طلبه من الأقوام السابقة استعمار الأرض بالتوبة والاستغفار فقال تعالى:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود: 61]

فهذا العمران أو الحضارة كما تُعرف اليوم أو كما يُسميها **مالك بن نبي:** "فالصيغة صادقة بالنِّسبة لأي **ناتج حضاري،** وما إذا درسنا هذه المنتجات حسب طريقة الجمع المستخدمة

1– انظر:فتحي حسن الملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية.(مرجع سابق)، ص121بتصرف.

2 – فتحي حسن الملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية.(المرجع نفسه)، ص121.

3– عاطف السيد، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها.(لا.ط؛ لا.م: د.ن، د.ت)، ص134.

في الحساب، فستنتهي حتماً إلى **ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية:**

حضارة=إنسان+تراب+وقت[1]"،وحتى تكمل المعادلة يضيف لها **مالك بن نبي** عنصراً رابعاً ضرورياً ومهماً؛ هو **القانون** أو **الروح** ويضرب لذلك مثالاً بمكونات الماء[2]؛ فتصبح **المعادلة على الشكل التالي: حضارة=إنسان+تراب+وقت+الطاقة الروحية**[3].أما بالعمران "فهو حق الأرض التي كانت الملائكة تخشى عليها من خلافة من يفسد فيها ويسفك الدماء فيعمُّها الخراب بدل العمران[4]"ولنترك الكلام لأبي النظرية العمرانية؛ **ابن خلدون**-رحمه الله تعالى- ليحدِّد لنا **المعنى الدقيق للعمران** حيث يلخصه في حركة التاريخ البشري بجميع تقلباته ومراحله ومحطاته: "اعلم أنَّه لما كانت حقيقة التاريخ أنَّه **خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم**، وما يعرض لطبيعة ذلك **العمران** من أحوال مثل **التَّوحش** و**التأنُّس** و**العصبيات** و**أصناف التغلبات** للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من **الملك** و**الدول** و**مراتبها**، وما ينتحله البشر **بأعمالهم** و**مساعيهم** من **الكسب** و**المعاش** و**العلوم** و**الصنائع**، وسائر ما يحدث في ذلك **العمران** بطبيعته ومن الأحوال...[5] ".

و**هذه القيم الثلاث العليا** أو أعلى المقاصد الشرعية تعمل مع بعضها في تناسق وتناغم تام:"...هذه **القيم الثلاث** التي لا يمكن أن ينفصل أي منها عن الآخرين: **فالتوحيد** غاية **التزكية** وهدفها، ووسيلتها في الوقت ذاته. و**العمران** ثمرة للتوحيد والتزكية معاً لا يوجد على حقيقته وبشروطه بدونهما[6]"

1- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي.(مرجع سابق)، ص44.

2- فالماء في الحقيقة نتاج الهدرجين وللأكسجين. راجع: مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي.(المرجع نفسه)، ص45و46.

3-فتحي حسن الملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية.(مرجع سابق)، ص124.

4- انظر:طه جابر العلواني، "التوحيد والتزكية والعمران(1) ".مجلة قضايا إسلامية معاصرة.(مرجع سابق)، ص152 بتصرف.

5 - عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي.ج1(ط:7؛القاهرة:مكتبة نهضة مصر،2014م)، ص329.

6 - طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران.(مرجع سابق)، ص87.

الفرع الثالث–التكامل المعرفي الإسلامي ملاذ أزمة المعرفة الإنسانية اليوم.

وبعد رصد لمسار البشرية تجاه المعرفة ينتهي العلواني إلى تمييز التصور الإسلامي وتفوقه على جميع النظريات التي عرفتها البشرية قديماً وحديثاً: "فالتصور الإسلامي إن بدا في بدايته وظاهره تصوراً دينياً غير أنَّه **جمع في خصائصه ومقوماته مزايا أهم التصورات التي عرفتها البشرية**؛ فالنظر العقلي أول وجب يواجه الإنسان بمسؤولية القيام به ليصل إلى المعرفة[1]".

هذه المعرفة المتكاملة مبنية على المنظومة المقاصدية العليا، من خلال مكوناتها الثلاث المشكلة في مجموعها وحدة متكاملة لمنظومة القيم، التي تعمل بكل تناسق وتكامل لتحقيق التكامل: "لذلك فإنَّ قيم الإسلام الحاكمة، ومقاصده العليا: **التوحيد وما ينبثق عنه، والعمران وما يتفرع عنه** لا يقوم أي منها بدون **عقلية قويمة ونفسية مستقيمة** .وما أسمته الفلسفة بقيم الحق وقيم الخير وقيم الجمال كل أولئك لا يمكن أن يتحقَّق شيء منه في واقع الحياة بدون وجود إنسان التزكية، وبناء الشخصية المزكاة عقليّاً ونفسيّاً، وإلا فلن يوجد الإنسان المعمر البنَّاء الذي يهوى التضحية، ولا **العالم الذي يعشق العلم والمعرفة**، ولا الناسك الذي يستمسك بالتقوى ويتزين بها، ولا **الفنان الذي يملأ الدنيا فناً وثقافة**، فيوحي للناس بلون الحياة التي لابد أن يحيوها، و**يهذِّب مشاعرهم ويرقي نفوسهم ليتعلموا كيف يحيون حياة الخليفة** في الكون فيحبون ما فيه، و**يعشقون عمارته، ويكرهون الإفساد فيه**، ويقاومون محاولات التخريب التي قد يمارسها المفسدون.[2] " و**أما العمران** فهو من مستلزمات التوحيد" ولما كان إعمار الكون في الرؤية القرآنية ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية؛ أفاض القرآن الكريم في إبراز مهمة الإنسان في هذا الكون، باعتباره –أي الكون–الساحة التي على الإنسان أن يقوم بمهمته الاستخلافية في نطاقها، فيكون العُمرانُ –وفق هذه الرؤية– قيمةً معيارية تقاس بها **قيمة** الحياة في عُمُر الإنسان الفرد، أو عُمُر الجماعة أو الأمة، و**قيمةً** معيارية تقوَّم بها الجهود والإنجازات الحضارية **العمرانية** للفرد أو الجماعة

1– طه جابر العلواني، "التوحيد و التزكية والعمران(1) ". مجلة قضايا إسلامية معاصرة،(مرجع سابق)،ص153.

2 – طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران.(مرجع سابق)،ص 85و86.

أو الأمة [1]".مع جعل التوحيد **أهم العناصر الثلاثة** ومصدرًا لهما" إنَّ من المحال أن يتزكى الإنسان تزكية تامةً **بدون التوحيد**. كما أنَّ من المحال أن تعمَّر الأرض بدون التوحيد كذلك[2]"

هذا هو الشيء الجديد الذي يقدِّمه النظام الإسلامي للبشرية" وهذا هو الجديد الذي **يملك أصحاب عقيدة التوحيد** أن يتقدموا به للبشرية اليوم، كما تقدم أسلافهم بالأمس فتلقته البشرية يومها كما تتلقى الجديد، ولم تستطع مقاومة جاذبيته لأنَّه يمنحها مالا تملك، فهو شيء آخر غير كل ما لديها من تصورات وعقائد، وأفكار وفلسفات، وأنظمة وأوضاع.. بكل تأكيد..[3]"

إنَّ ما يميز **المعرفة** و**العلم** في التصور الإسلامي هو ذلك الأمر الذي جعلهما يتفوقان على وجودهما في الفلسفات والنظريات الأخرى؛ إنَّه الإيمان" إنَّك لا تستطيع أن تولِّد من الأوكسجين والهيدروجين وحدهما ماءً، وإذا ولَّدت قطرات فلن تولِّد بحاراً ولا أنهاراً ولا محيطات أو بحيرات، لأنَّ هناك **عنصراً آخر يرتبط بعالم الأمر الإلهي** ليجعل من العنصرين **ماءً لا تستطيع إيجاده،** وكذلك العلم وحده، والمعرفة وحدها لا يوجد أي منهما ولا يوجدان مجتمعين «إيماناً كاملاً ويقيناً صادقاً» بل لابد من تضافر عناصر أخرى معهما تبني النفس وتحرك جوانبها المختلفة بمحركات إدراك الجلال والجمال والإعجاب بصنع الخالق وحسن تدبيره وجزيل إنعامه[4]"و**المعرفة** إحدى أهم محدِّدات **الفعل الإنساني**، بل هي **المحدِّد الجوهري** له ووفقه يتم **التَّمايز والتَّفاضل** بين البشر، لذا عُرِفَ **العلواني** بنظرته المنفردة الجامعة بين الوحي والكون والمنبعثة أساساً من التصور العام للمنهجية القرآنية، التي تسعى **لتقويم الفعل الإنساني عبر نسق المعرفة**، لتظهر المكانة والحاجة لمنظومة المقاصد الحاكمة القرآنية؛ التوحيد- التزكية- العمران-" **فالتوحيد**؛ حق الله على العباد والدعامة الأساس لفقه الدين والتدين قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ**

---

1 - محمد المنتار" علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية". مجلة التفاهم ،مسقط-سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العدد 43السنة الثانية عشر شتاء 2012م/1435هـ،ص23.

2- طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران.(مرجع سابق)،ص15.

3- سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته.(لا.ط؛ القاهرة: دار الشروق،1988م)،ص206.

4- طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران.(مرجع سابق)،ص 86.

ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ [النحل:36]

وأما **التزكية**؛ فهي أهم نتائج التوحيد، وأهم ما يبرز أثر التوحيد فيه، وأهم المؤهلات التي تجعل الإنسان قادراً على الوفاء بالعهد الإلهي، والقيام بحق الاستخلاف، والتمكن من حمل الأمانة، والنجاح في اختبار الابتلاء، والتمكن من إحياء الأرض وعمارتها ماديّاً ومعنويّاً. وأما **العمران**؛ فهو نصيب الكون المسخر وغاية الاستخلاف، والمقصد الأسمى منه ومن التسخير، وبه يسير الكون والإنسان والحياة –كلُّها –والأحياء– أجمعون–في قافلة تسبيح موحدّة للواحد الأحد قال تعالى:﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ [الإسراء: 44]" [1]

وقد **وضَّح العلواني** حقيقة الارتباط بين التوحيد والعمل وأثر ذلك: "وهذا الارتباط الوثيق بين التوحيد والعمل هو الذي يعطي التوحيد باعتباره –واسطة العقد في منظومة القيم العليا الحاكمة القرآنية–القدرة الهائلة والمرونة التامة في تقويم الفعل الإنساني، أياً كان إلى جانب القيمتين الأخريين: التزكية والعمران[2]"، فمن كان يعتقد بأنَّ التوحيد إقرار باللسان فقط، دون أن يكون هناك عمل يوافق التوحيد وينسجم معه "كما أنَّ **الإيمان في الرؤية القرآنية** يوضِّح حدود و**أبعاد الدور الإنساني** في هذا الوجود. وفي الوقت نفسه يحقِّق قُدرة **كبيرة على صياغة المفاهيم الضرورية لبناء فاعلية الإنسان**، وتشكيل دافعية العمران والتسامي فيه، وإيجاد المنطلقات المعرفية والثقافية السليمة لدى الإنسان[3]".وقد **زاد طه عبد الرحمان في تأكيد الباعث الإيماني** ودوره في التَّفعيل فقال: "إنَّ الإيمان يورِّثه النظر الملكوتي الذي هو عبارة عن تدبُّر في الآيات؛ والحال أنَّ الإيمان الحاصل بطريق النظر لا يكفي ،بل قد ينقلب إلى مجرد اعتقاد

1- طه جابر العلواني، ابن رشد الحفيد الفقيه الفيلسوف"يوم دراسي مراكش.(لا.ط؛ مراكش–المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة جامعة القاضي عياض،24 مايو 2006م)، ص15.

2 – محمد المنتار،" علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية". مجلة التفاهم.(مرجع سابق)، ص18و19.

3 – محمد المنتار،" علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية". مجلة التفاهم.(المرجع نفسه)، ص19

مَثَله في ذلك مَثَل أي اعتقاد غير ملكوتي؛ وحتى يتوقى ذو النظر الملكوتي هذا الانقلاب، لابد من أن يشتغل بتفعيل إيمانه بقوة[1]".

المطلب الثالث: من خصائص التكامل المعرفي:

الفرع الأول: إبراز خصوصية الرؤية القرآنية:

لكل أمة منظومتها الفكرية تجاه الحياة والكون والإنسان والأشياء، وهذه النظرة هي التي تُحدثُ التمايز والتفاضل بين الفلسفات والنظريات الإنسانية، ومنظومة القرآن الكريم تتميز بنظرة حضارية ورؤية كونية منهجية مميزة حيث: "أرسى القرآن الكريم منذ تنزله أُسس واقع إنساني حضاري جديد، يتجاوز الواقع القائم، من خلال منظومة القيم القرآنية في التوحيد، والتعارف والمساواة، والحرية، والتكريم، والفضيلة، والمروءة، والأخوة الإنسانية، والحق، والخير، والعدل، والجمال[2]".ولقد "جاء عن **الشيخ الغزالي** أنَّ القرآن الكريم يركِّز في أن يقدِّم إلينا برسالة حياة شاملة، لا تدع جزءاً منها إلا وتمتدُّ إليه، وأنَّ الوحي الإلهي يجري خلال هذا النسق القرآني كما تجري الدماء في العروق.. **ومن أقواله في ذلك**: إن الرؤية القرآنية لا يمكن إلا أن تكون حضارة كاملة.. تعاليم القرآن كلها متماسكة في عصارة واحدة تجمعها من أولها إلى آخرها[3]".

وقد **تفرَّد القرآن الكريم في بناء هذه المُثل**، ونجح في قيام نسق إنساني مثالي فريد **جعل البشرية** تختار فيه و**ترنو الوصول إليه**، ولعلَّ صورة المجتمع المدني مثال على ذلك. فهذه "**الرؤية القرآنية** الكلية **رؤية توحيدية** إعمارية خيرية حضارية؛ وهي رؤية علمية سُننيَّة تسخيرية تهدف إلى جعل عناصر الفطرة الإنسانية السَّوية في بؤرة الوعي الإنساني، **حتى تهدي مسيرة الحياة الإنسانية** وترشدها، ليحقق الإنسان ذاته السَّوية في أبعادها الفردية والجماعية، ويستجيب في وسطية واعتدال لحاجتها ومتعها على مدى أفق الوجود الإنساني بكل أبعاده الروحية والإبداعية

---

1 – طه عبد الرحمان، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري.(مرجع سابق) ص213.

2–محمد المنتار،" علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية". مجلة التفاهم،(مرجع سابق)،ص24و25.

3 – انظر: عادل بن محمد أبو العلاء، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور.(ط:العدد129؛ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 1425هـ)، ص44بتصرف.

العمرانية[1]" **نظرة مبنية على حماية الفرد من سطوة المجتمع**، كما تراعي **مصالح المجتمع من المطامع الفردية للفرد**، وفق نظرة معتدلة تسمو بالروح وتدفع للإبداع والعمران والتشيِّيد.. وفي بيان حقيقة العلم والمعرفة في المنظور الإسلامي وغايتهما ما يكشف خاصية التكامل المعرفي في النظرة القرآنية إذ **يقول عبد المجيد النجار**:

- المنظور الإسلامي ليست غايته الوقوف عند حدِّ معرفة حقيقة العلم بالكون ومادته وقوانينه، إنَّما تتعدَّى ذلك للعلم بدلالته الغيبية، من وجود الخالق الذي خلقه واتصافه بالعلم والحكمة والتدبير من خلال مظاهر النظام والدِّقة والعظمة فيه
- وهنا يتضح بأنَّ **العلم في المنظومة الإسلامية ما هو إلا وسيلة** وليس غاية؛ وسيلة **للوصول للحقيقة المطلقة المتعلقة بالذات** المهيمنة على دواليب الوجود وترتيب علاقاته المختلفة، بخلاف النظرة الغربية التي تعزم كل العقد على العلم غاية ووسيلة، فنجد مثلاً قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ ﴾ [النحل: 66-67]،فهي دعوة للعلم بهذه المظاهر الكونية للوقوف على حقيقتها التي فيها للإنسان، كما أنَّها دعوة للعلم بها في **سبيل العلم بما وراءها من الصانع الذي صنعها**[2].
- وهذه صفة منهجية يتَّجَّه بها العقل في البحث عن الحقيقة لبناء حياته عليها اتجاهاً يتقصَّى فيه مادة النظر تقصيّاً كاملاً بقدر الطاقة.
- وتتَّصف هذه النظرة بالشمول التي تكسب الفكر سداد الرأي، ولأنَّ التَّقصي في مادة البحث بقدر ما يكون أوسع يكون الوصول إلى الحق أضمن؛ إذ الحقيقة تتكشَّف للذهن

1 – محمد المنتار،" علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية". مجلة التفاهم،(مرجع سابق)، ص25.

2– انظر: عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي. ج1(ط:2؛بيروت:دار الغرب الإسلامي،1427هـ/2006م)،ص 97و98بتصرف.

بقدر ما يستكشف هو من العناصر الدَّالة عليها، وتنحجب عنه بقدر ما يقصِّر في ذلك ويضيِّق في نظره من تلك العناصر[1].

فقد **انتقد عبد المجيد النجار** وهو في معرض بيان نظرة القرآن الكريم لحقيقة العلم أو المعرفة، النظرة الغربية التي جعلت منه غاية ما يطلبه الإنسان وأسمى ما يسعى إليه، فهو المنطلق والمسلك والمنهج والمقصد، فهي نظرة قاصرة وغير شاملة في مقابلة نظرة الفكر الإسلامي الذي من خصائصه سداد الفكر النابع من شمولية النظر.

وفي تفحُّص لنظرة القرآن الكريم اتجاه الكون والإنسان وطرق المعرفة والعلائق المختلفة المتشابكة في هذا الكون، وهي النظرة الصحيحة ونظرة أهل الفكر الراجح من أهل الإسلام والعلواني واحد منهم يعرض عبد المجيد النجار هذه النظرة ثم يشرع في سياق التَّدليل على ما يقول، فيضخ جملة من الآيات الكريمات التي تحث وتدعو الإنسان، من خلال هذه النظرة الشمولية لربط العلائق بعضها ببعض، والإجابة عن التساؤلات المصيرية الكبرى في حياته فيقول[2]:

- وقد وجَّه القرآن الكريم العقول لتتَّخذ لنظرها مدى واسعاً لا يحدُّه حدٌّ، يشمل المادة وما وراء المادة، ويشمل الماضي والحاضر والمستقبل، ويشمل الأمم والشعوب مجتمعات ومذاهب وأديانًا، ولم يحجر في نظره سوى عناصر قليلة معدودة لا يصل فيها عقل الإنسان إلى طائل.
- ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ١٠١﴾ [يونس:101] وقال كذلك:

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾ [الأنعام: 11] كما قال أيضا:

﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾[البقرة: 111].

1- عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري ج2(ط:2؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي،1427هـ/ 2006م)، ص 150.

2- عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري ج2.(المرجع نفسه)، ص150و151.

- فهي دعوة للنظر في المادة الكونية وفي الأحداث التاريخية، وفي تراث الناس من المذاهب والأديان.

ومن هنا تتحدَّد علاقة الإنسان بالغيب الذي هو جزء من متطلبات المعرفة الإنسانية عبر تاريخ البشرية في الحاضر والقديم، بل هي مطلب رئيسي للنسق المعرفي، التي يبني عليها الإنسان علاقاته المختلفة مع الحياة برمَّتها، وأهم قضايا الغيب تحديد علاقة الإنسان بربه، وهنا يحتاج الإنسان استقراء واستنطاق الكتابين-المنطوق والمنظور-وإلى تضافر أدلتهما وبراهينهما في نسق معرفي تكاملي حتى تتكشَّف الحقيقة وتتناغم مع القضايا الكبرى "للغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله[1]"فيرى عجزه على إدراكه من كمال إنسانيته الموسومة بالضعف والنقص والعجز قال تعالى :﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ [النمل: 65] وقال أيضاً:﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾[الجن: 26]، في حين يجب أن يكون حاضراً حتى لا يغيب عنه "الغيب المقيَّد؛ ما علَّمه بعض المخلوقات؛ من الملائكة أو الجن أو الإنس وشاهدوه، فإنَّما غيب عمَّن غاب عنه، ليس غيباً من شهده، والناس كلهم قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا..[2]".فإنَّ" من الأشياء ما يغيب عن حسِّ بعض البشر ويُدركه بعضهم، ومنه ما يغيب عن الحس و يُدَرك بالعقل، كالعلم بحصول الكسوف والخسوف ونحوهما مما يستنبط من استقراء السُّنن الكونية، فهذا ليس من علم الغيب- مع غيابه عن الحسِّ- لأنَّه يمكن إدراكه، وهو ما سمي بالغيب النِّسبي أو المقيَّد[3]".

كما أنَّ **ابن حزم** يقول: "فالعلوم كلها متعلق بعضها ببعض، محتاج بعضها لبعض[4]"

أما**طه عبد الرحمان** فيقول مصرحاً علناً:

1- تقي الدين بن تيمية، مجموع الفتاوى المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.ج16(لا.ط؛ المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،1416 هـ/1995م)،ص110.

2- تقي الدين بن تيمية، مجموع الفتاوى.ج16.(المرجع نفسه)،ص110.

3-هاني بن عبد الله بن محمد الجبير، من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية.(لا.ط؛ الرياض: مجلة البيان، 1429هـ)، ص10.

4-ابن حزم، رسائل بن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس ج4.(مرجع سابق) ص90.

- إنَّ العلاقة التداخلية والتكاملية، كانت هي الصفة البارزة، والمسيطرة على جميع العلوم التي نشأت وتطورت، ونمت في أحضان الثقافة العربية الإسلامية[1].
- نقول نحن بالتداخلية، والتكاملية، بين العلوم، ويقول خصمنا بالتقاطعية، والتفاضلية في علوم[2].

يقول **عبد المجيد النجار**: "العلم بالكون عنصر أساسي في شهادة العلم، وفي حقيقته مكمِّل للعلم بالدين، إذ هو ليس إلا وجهاً آخر له وذلك باعتبار أنَّ الكون أثر من آثار الله المنظور، كما أنَّ الوحي أثر من أثاره المقروء، فهما كتابان لله: مقروء ومنظور، ومن النظر في الأول يأتي العلم بالدين، ومن النظر في الثاني يتأتى العلم بالكون، وكلاهما يؤدي إلى العلم الأكبر وهو العلم بالله انطلاقاً من آياته المسموعة والمنظورة[3]".

-المعرفة لها تأثير بالغ في تاريخ الإنسانية يقول: يتأثر التاريخ الإنساني في سيره تأثيراً قوياً بنمو المعرفة الإنسانية[4].

ومن بين خصائص النظام المعرفي عند الفاروقي- وهو واحد من أفراد المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها العلواني- الشمولية والكلية حيث يرى:" أنَّ الإقرار بوحدانية الله يلزم عنه منطقياً، أن تكون أوامره متَّسعة للبشر كافة وكل ما ذكرنا من الأمة لتجسيد فعلي للمعرفة هي **إجماع في ثلاثة: الرؤية** و**الإدراك** و**العقل** ،والتي يفترض أن يُشارك المسلمون في هذا الإجماع، و**تقتضي الشمولية**

---

1 - عمار صويلة،" تجليات التكامل المعرفي في أعمال طه عبد الرحمن وفكره". مجلة المعيار، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد 27،40/11/2015م، ص688.

2-صرَّح بذلك في كتابه تجديد المنهج في تقويم التراث في عدة مواضع ومنها موضع الذم للنظرة الجزئية"...كما يقع في النظرة التفاضلية حيث يظن أنَّه يأخذ بالنظرة التكاملية "طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث. (مرجع سابق)، ص422. ومنصورة، "التَّداخلية بين العلوم في التراث العربي الإسلامي" منتديات منصورة والجميع يوم 2016/6/2 الساعة13:56.

3-عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي.ج1.(مرجع سابق)، ص96و97.

4- كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، ترجمة: عبد الحميد صبره.(ط:3؛ لندن: لا.ن،1957م). ص5.

التي يتضمنها **التوحيد** تشكيلاً جديداً، وبما أنَّ الأمة الإسلامية مجتمع جديد لم يستند في تنظيمه على القبلية والعرقية وانتظمت أنفسهم على أساس ديني[1]".

ويبين إسماعيل الفاروقي خاصية كلية الإسلام وشموليته بقوله: "فإنَّما كُليَّة الإسلام جلية هي الأخرى بحقيقة أنَّ الإسلام يضع على كاهل المسلم، بالنسبة لأي مجال من مجالات السلوك الإنساني دون تشريع معين خاص بها، عبء التشريع المنظم لها على نحو يجعله موافقاً للشّرع، ويجعل تطبيق الشرع شاملاً لكل ما يواجهه من مشكلات يومية[2]".

وهذه الكلية والشمولية عند الفاروقي تدور حول محور التوحيد والعقيدة من هنا كانت العقيدة هي:

- "التي تقدِّم للإنسان **النظرة الكلية الشاملة للكون** و**الإنسان** و**الحياة**، وعلاقة كل منها بالله –جلَّ شأنه–خالق الكون والإنسان والحياة، وعلاقة الكون والحياة بالإنسان، ودور الإنسان في هذه الحياة وما بعد هذه الحياة، فتنحل العقدة الكبرى ويجاب على الأسئلة النهائية، وتُقدَّم للإنسان مجموعة من المسلمات التي تصلح أن تكون الأرضية المطلوبة لبناء مناهج التعليل والتحليل والقياس والكشف والنقد المعرفي وسائر ما يحتاجه البناء المعرفي الكامل[3]"
- وتفتح أمام القدرات الإنسانية الموجهة سائر مجالات الكشف والبحث العلمي في تفاصيل الكون وكشف أفاقه، ومن يضمه من عناصر، وإدراك معنى الحياة وأسرارها، والإنسان ومكوناته العقلية والنفسية والجسمية...تحفظ للإنسان طاقاته العقلية والكشفية أن تبدَّد وتضيع في المتاهات الفلسفية والكلامية حول قضايا الغيب[4].

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تتعدى العقيدة بالإنسان في منظور العلواني إلى أن يخترق الآفاق.

1–محمد نجاح، "خصائص النظام المعرفي عند الفاروقي "موقع الجريدة الالكترونية العمق المغربي (https://al3omk.com/60346.html) 2017/02/03-01:52.

2–إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة: السيد عمر.(مرجع سابق)،ص187.

3 – طه جابر العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة.(مرجع سابق).ص29.

4– طه جابر العلواني، ابن تيمية وإسلامية المعرفة.(المرجع نفسه).ص29.

بهذه النظرة الشاملة إحدى العوامل الأساسية الكفيلة بإحداث الشهود الحضاري المُرتقب للأمة الغائبة فيقول: "تسديد الفكر، بمعنى إصلاح المنهجية التي يفكر بها المسلم لتكون قائمة على الشمولية والواقعية والتوحيد والنقدية، مما يضمن له بأكبر الأقدار إصابة الحق في النظر والعمل[1]".

الفرع الثاني: التكامل المعرفي يجمع بين القراءتين:

من الخصائص المميزة للتكامل المعرفي عند **العلواني** الجمع بن القراءتين، "قراءة غيبية عبر الوحي في الكون هي **تنزُل الكلي الإلهي إلى الجزئي البشري** والطبيعي، وبما تتيحه قدراتنا البشرية النسبيَّة على تفهم تنزُّلات **الكلي المطلق**، وقراءة الكون هي تطلع من **الجزئي** من مفردات الكون وأفراد الإنسان باتجاه **الكلي** وفق قدراتنا النسبية أيضا على فهم الظواهر، فلا يحدث الانفصام المزعوم بين الوحي والمعرفة الموضوعية[2]"،إذ يعتبر "العلم بالكون عنصرًا أساسيًا في شهادة العلم، وفي حقيقته مكمِّل للعلم بالدين، إذ هو ليس إلا وجهاً آخر له وذلك باعتبار أنَّ الكون أثر من آثار الله المنظور، كما أنَّ الوحي أثر من آثاره المقروء، فهما كتابان لله: مقروء ومنظور، ومن النظر في الأول يأتي العلم بالدين، ومن النظر في الثاني يتأتى العلم بالكون، وكلاهما يؤدي إلى العلم الأكبر وهو العلم بالله انطلاقاً من آياته المسموعة والمنظورة[3]".ولأنَّ **ما يفقده الإنسان في إحدى القراءتين تتكفَّل به القراءة الأخرى**، فيكون التكامل في الكشف والوصول للحقيقة التي تحلق بجناحين، تعلو إلى سماء الغيب وتطوف بأرجاء الكون والوحي، لتحُطَّ بعد ذلك على الأرض والإنسان والطبيعة، لتنشر السلم والوئام بهم. أما حين يحدث **الفصام بين القراءتين**-كما هو حاصل اليوم-فإنَّ مناهج المعرفة البشرية تصل إلى **نتيجتين خطيرتين**[4]:

- **النتيجة الأولى**: فالذين يتعلَّقون فقط **بالجانب الغيبي في القراءة**، أي القراءة الأولى ويسقطون الجانب الموضوعي من حسابهم، فيتحولون بالدين إلى **لاهوت يستلب**

1- عبد المجيد النجار، مشاريع الإشهاد الحضاري.ج3(ط:2؛بيروت:دار الغرب الإسلامي،1427هـ/ 2006 م). ص274.

2- طه جابر العلواني، التوحيد و التزكية و العمران.(لا.ط؛لا.م:لا.ن،د.ت)، ص 76و77.

3-عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي.ج1(مرجع سابق)،ص96و97.

4- طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران.(مرجع سابق)، ص 77.

الإنسان والكون و**ينفي الأسباب** وقوانين الحركة وصيرورتها وكافة السُّنن الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية التي يتفاعل معها الإنسان، لينتهي الفكر الإنساني إلى **فكر سكوني جامد** يحسب خطأ على الدين.

- **النتيجة الثانية**: أما الذين يتعلقون فقط **بالجانب الموضوعي في القراءة الثانية**، فإنَّهم **ينفون البعد الغيبي** الفاعل في الوجود وحركته، فينتهون تدريجياً إلى **الفكر الوضعي في المعرفة** الذي يُؤثر على النسق الحضاري بدوره بذلك التأثير السلبي وذلك هو الوجه السائد للفكر الغربي الآن، والذي بدأت مدارس فكرية غربية كثيرة تحاول الخروج عليه والتَّنصل منه بعد أن خبرت ويلاته و**أدى إلى تقسيم البشرية**.

وهما **نظرتان في طرفي النَّقيض** أشبه ما يكون بالحالة العقلية والمعرفية التي كانت سائدة في التاريخ الأوربي الحديث؛ إذ كان الانتقال من الفكر الكنسي الكهنوتي المستلِب للعقل والحرية والاختيار، إلى الفكر المادي العلماني الوضعي المقصي لكل معنى للغيب والإله والمعتمِد على ذاته العاجزة وعقلها القاصر، فقد كانت" **فرنسا على سبيل المثال بعد ثورتها المشهورة** هي أول دولة تقيم نظامها على أساس الفكر العلماني، ولم يكن هذا الذي حدث من ظهور الفكر العلماني والتقيد به . بما يتضمنه من إلحاد، وإبعاد للدين عن كافة مجالات الحياة، بالإضافة إلى بُغض الدين ومعاداته، ومعاداة أهله . ولم يكن هذا حدثاً غريباً في بابه؛ ذلك لأنَّ الدين عندهم حينئذ لم يكن بمثل وحي الله الخالص الذي أوحاه إلى عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم –عليه السلام–وإنَّما تدخلَّت فيه أيدي التحريف والتزييف، فبدلت وغيرت، وأضافت وحذفت، فكان من نتيجة ذلك أن تعارض الدين المبَدَل مع مصالح الناس في دنياهم، ومعاملاتهم، في الوقت نفسه الذي تعارض مع حقائق العلم الثابتة، ولم تكتف الكنيسة . الممثِّلة للدين عندهم . بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل، حتى جعلت ذلك ديناً يجب الالتزام والتقيَّد به، وحاكمت إليه العلماء المكتشفين والمخترعين، وعاقبتهم على اكتشافاتهم العلمية المناقضة للدين المبَدَل، فاتهمهم بالزندقة والإلحاد، فقتلت من قتلت، وحرقت من حرقت، وسجنت من سجنت[1]".**مما أفضى**

1 – أبو بكر محمد زكريا، الشرك في القديم والحديث. ج1(ط:1؛ الرياض –المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 1421هـ / 2000م)،ص781.

هذا كلُّه إلى: "الإخفاق في تشكيل رؤية تكاملية للمعرفة يمكن أن تستفيد منها البشرية، وتُساهم في إعادة التوازن إلى حياة الإنسان المعاصر بسبب الاختلال الذي حدث نتيجة الفصل بين هذه العلوم[1]".و**الحقيقة التي لا يتطرق إليها الشك** هي **وحدة العلوم** و**تكاملها**، سواء ما تعلَّق منها بأمور الدين أو ما تعلَّق منها بأمور الدنيا، أو ما تعلَّق بهما معاً، إلا أنَّ الواقع الإنساني فصل بين القراءتين وما ميَّز بينهما "**لهذا نُعاني** و**تُعاني البشرية كلها** الكثير من **جراء الفصل القائم** في مناهجنا التربوية ونُظمنا التعليمية بين علوم الدين والعلوم الكونية، ولم نتوصل بعد إلى الصيغة التي تُؤهل الطالب ليجمع بين العلمين في كل واحد[2]".

ويُرجع **العلواني** سبب هذه **المعاناة** إلى[3]:

- إفرازات الحضارة الغربية التي ارتضينا مناهجها في الفصل القائم بين كليات الشريعة وكليات العلوم الحديثة، أو العلوم الاجتماعية فضلاً عن التطبيقية.
- المباعد بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- حيث طوَّرت المناهج الوضعية علاقتها بهذه العلوم الإنسانية والاجتماعية وصاغتها وفق القراءة الثانية فقط، واستبعدتها من مجال العلوم الشرعية التي أوغلت بدورها في الفقه ووسائله.

فقد أرجع العلواني سبب معاناة الإنسانية اليوم إلى إفرازات الفكر العلماني الأوربي، القائم على الفصل بين الحياة والموت وبين الدين والدنيا. ولهذا الفصل خطورته وتجسَّد هذا التباعد في زيادة الهوة بين دمج القراءتين وخاصة في جانب استبعاد الدين من مجريات الحياة؛ إذ يلعب الدين والتَّكليف دوراً حاسماً في الفاعلية نحو العمران، الذي هو مطلب عقلي.

"إنَّ **التَّكليف يقتضي القدرة على الفعل العمراني** والحضاري، والقدرة على تفعيل الإيمان؛ والتي دونها يتهاوى صرح التَّكليف والالتزام الأخلاقي. وبانهياره تتحطَّم الغاية التي من أجلها خلق الله

---

1 – أنيسة زغدود، "التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال". مجلة المعيار، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد 27،40/11/2015م،ص547.

2– طه جابر العلواني، التوحيد و التزكية و العمران .(مرجع سابق)،ص 77.

3 – انظر: طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران.(المرجع نفسه)، ص 77و87بتصرف.

الكون[1]".فمن سلامة العقل وكمال الإنسان في بناء الحضارات وقيامها، ضرورة تفعيل الدين والتَّكليف لبلوغ العمران المنشود، ومن هنا **يخلُص العلواني** إلى القول بأهمية الجمع بين القراءتين في المنظور المعرفي: "**فقضية الجمع بين القراءتين** مسألة منهجية في المعرفة وتقود إلى نتيجة حضارية، فالذي يجمع بين القراءتين لا يستغني عن الله لأنَّه يُدرك دوماً افتقاره إليه، فلا يستبد ولا يبتغي علواً في الأرض ولا فساداً[2]"، و**لأنَّ الفاعلية الحضارية** لا يُتَصور انقداح زنادها إلَّا بامتلاك رؤية ناظمة عن الوجود والكون والحياة والأحياء: "فتُحيل إلى مجموع الحقائق الأساسية **التي تُقدم للإنسان المسلم تصوراً خاصاً للوجود**، يَتعامل معه على أساسه. كما أنَّها تُقدم له تفسيراً مطابقاً لهذا الوجود بما فيه الحياة الإنسانية والتاريخ الإنساني، والعمران البشري وحينها تعرف المعرفة المعاصرة حلاً نهائياً لأزمتها، فتسير بالإنسان بكل ثقة وثبات نحو الله والعمران. [3]"

الفرع الثالث: التكامل المعرفي فكرة جماعية:

إذا كان **العلواني** أحد رواد التكامل المعرفي ومن أبرز الدَّاعين له، ففي الحقيقة نستطيع القول بأنَّ فكرة التكامل المعرفي **هي فكرة جماعية** وشائعة بين جمهور العلماء والمفكرين منذ القديم، **فمحمد إقبال** مثلاً: "قد جمع بين مصادر الثقافة العربية الإسلامية ومصادر الثقافة الغربية وثقافته الهندية الأم. فالقارئ لكتابه **تجديد التفكير الديني في الإسلام** يجده تناول مصادر الإسلام، ويتحدَّث عن علماء المسلمين المتقدمين وعن المتكلمين كالأشاعرة والمعتزلة وعن فلاسفة المسلمين وعن المصلحين **كابن تيمية** و**الأفغاني** و**محمد بن عبد الوهاب** و**عن الفلسفة اليونانية** و**فلسفة النهضة الأوروبية** و**الفلسفة الحديثة** فكتابه زاخر بأسماء: **سقراط** و**أفلاطون** و**الغزالي** و**ابن رشد** و**ابن خلدون** و**جلال الدين الرومي** و**شاه ولي الله الدهلوي** و**ديكارت** و**كنط** و**هيجل** و**برغسون** و**بيكون** و**نيتشه** و**ستيوارت ميل** و**نيوتن** و**اينشتين** و**داروين** و**فرويد** و**وليم جيمس** و**ماكدونالد** و**شوبنهاور** وغيرهم كثير[4]"، وهنا **إشارة لمعنى التكامل**

1- محمد المنتار،" علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية". مجلة التفاهم،(مرجع سابق)، ص33.

2-طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران.(مرجع سابق)، ص 78.

3- محمد المنتار،" علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية". مجلة التفاهم،(مرجع سابق)، ص26.

4- أنيسة زغدود، "التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال". مجلة المعيار،(مرجع سابق)،ص565.

والجمع كما أنَّ في هذا الكلام معنى كبير وعميق مضمونه ومحتواه ،ضرورة بناء النسق المعرفي الجديد من خلال الدراسة لكل المعارف السابقة وعدم تجاهل أي موروث إنساني سابق بعد تصفيته وإعادة صياغته وفق الخصائص الإنسانية العامة والمشتركة، التي تحترم الخصوصية وتدفع بها للاندماج والتعايش السلمي العالمي، وهذا الأمر لا يتأتى إلا من خلال النظرة المنهجية الجديدة التي تعتمد المراجعة والنقد، أشبه بمحاول **إقبال** وغيره فالدارس لكتابه يجد **إقبال الموسوعي الشمولي**: "**المفكر** و**العالم** و**الفيلسوف** والذي ينتقد كل شيء تقريباً، **فهو على سبيل المثال ينتقد سقراط** و**أفلاطون** و**الغزالي** و**ابن رشد**[1]".

ومن قبله **ابن رشد** فقد جاء في وصف كتبه قوله: "والكتب هذه جميعها تحوي نوعاً من التقارب والتكامل بيَّن اتجاه فقيهنا في كتبه الفقهية والفلسفة[2]"

وقد تبنى العلواني نظرة الإصلاح من خلال البعد المعرفي المنهجي التكاملي الجماعي من نظرة منطلقها **نظرة رجال المعهد العالمي للفكر الإسلامي**؛ والتي عبروا عنها في ملتقياتهم وندواتهم وكتبهم ومختلف محطاتهم، جاء في دورة تكوينية للمدربين حول: "منهجية التكامل المعرفي" حيث نظَّم المعهد العالي الإسلامي حيدر آباد بالتنسيق مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي هرندن، فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية دورة تدريبية خلال الفترة ما بين(3-7يناير 2012م) في حرم المعهد العالي الإسلامي بحيدر آباد (الهند)،حيث بيَّن **فتحي حسن ملكاوي** الأستاذ المدرِّب أنَّ "جهود الإصلاح في تاريخ الأمة وواقعها المعاصر وتقويم هذه الجهود برؤية منهجية متكاملة تتضمَّن **ثلاثة معايير** حدَّدها **المرحوم إسماعيل الفاروقي** وهي:

1-تشخيص واقع الأمة وإدراك الأزمة الفكرية والمنهجية.

2- والاهتمام بالإصلاح التربوي سبيلاً إلى الإصلاح العام.

---

1 -محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف عدس.(لا.ط؛ القاهرة: دار الكتاب المصري وبيروت: دار الكتاب اللبناني،2011م)، ص8إلى 13.

2 - عبد القادر بن عبد الله،" تكامل العقل والإيمان عند ابن رشد "نشرة المحرر مدونة مصطفى المتوكل الساحلي المغرب، الاثنين19 أغسطس2013م-16:44 مساءً.

3- ومدى استحضار البعد العالمي والإنساني في الإسلام، بوصفه رحمة للعالمين[1]".

كما طرحت الدورة لنقطة هامة جداً في مجال بناء النسق المعرفي التكاملي؛ ألا وهي مسألة المنهجية التي تُعرَّف ب[2]:

- علم يتعلَّق بمناهج التفكير في موضوع معين والبحث فيه والتعامل معه.
- وتتضمن بالضرورة التصور والتخطيط المسبق والرؤية الكلية لعناصر ذلك الموضوع. كما تتضمَّن مناهج تفصيلية تحدِّد طريقة الوصول إلى أهداف محددة خاصة بموضوع يختاره الباحث المنهج، من خلال إجراءات عملية وأساليب تنفيذية.

وكشف **علاقتها بالنظام المعرفي** ورؤية العالم؛ وهي رؤية جوهرية في بناء المنهج والمنهجية عند العلواني بالاعتماد والارتكاز عن المعرفة القرآنية، التي عبَّر عنها في أكثر من موضع، ولعلَّ كتابه نحو منهجيّة معرفية قرآنية؛ وهي محاولات كما سمَّاها في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة حيث ينطلق في منهجيته:"من محورية القرآن الكريم لكشف أسراره، لوضع **مكانة العقل في منظومة التفكير في مكانها المطلوب**، حتى يتسنى للإنسان المواءمة بين جدلية الغيب والإنسان و الطبيعة، وفق أساسات العلم و القراءة، ليصوغ وفق ذلك المجموع المتكامل الخطاب القرآني المتناسق والموسوم بالعالمية والموضوعية الجادة والمتكاملة والعميقة[3]"

يمكن أن نقف في الختام على الفائدة من قيام النظام التكاملي، في تصحيح المفاهيم على المستوى الفردي والجماعي وعلى مستوى داخلي أو خارجي، يحدِّد **طيب برغوث** فائدة النظرة التكاملية بقوله[4]:

- امتلاك الإنسان لمنظور معرفي سُنني كوني كلي متكامل ومتوازن، يحلِّل ويفسِّر ويستشرف على ضوئه، الصيرورات الحضارية لحركة التاريخ البشري عامة، ولحركة نهضة مجتمعه وأمته

1-قمر شعبان الندوي، "منهجية التكامل المعرفي"، عرض لندورة تكوينية للمدربين من تنظّم المعهد العالي الإسلامي حيدرآباد بالتنسيق مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي هرندن، فرجينيا بالولايات المتحدة الأميريكية (مجمع البحث العلمي- الهند)،تاريخ النشر:2012/02/03م.

2- قمر شعبان الندوي، "منهجية التكامل المعرفي"، عرض لندورة تكوينية للمدربين،(المرجع نفسه).

3- طه جابر العلواني، نحو منهجيّة معرفية قرآنية.(مرجع سابق)،ص غلاف الكتاب.

4- الطيب برغوث، "التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سني كوني متوازن".(مرجع سابق)، ص185و188.

خاصة، ويتفاعل معها بما يدفع بها للسير نحو المداولة الحضارية الصاعدة، وينأى بها عن السير نحو المداولة الحضارية المتقهقرة.

- الإسلام ببنيته المعرفية والمقاصدية السُّننية المتكاملة، خير من يقدِّم للبشرية منظومة شاملة ومتكاملة في الوعي بهذه الخريطة أو الشبكة السُّننية الكونية الكلية المتكاملة، التي تفسِّر وتحكم الصيرورات الحضارية لحركة التاريخ البشري، وتسير بها نحو المداولة الحضارية الصاعدة.
- فالتكاملية المعرفية ضرورية للحياة الفردية والاجتماعية، ولعلاقتهما بالطبيعة والكون.

ويقرِّر بكل وضوح وجلاء ضرورة التكاملية المعرفية، مؤكداً على أهميتها في بناء نسق إنساني يتفاعل مع الحياة والوجود تفاعلاً إيجابياً.

خلاصة الفصل:

يواجه المشروع الإسلامي بجميع فصائله مشكلة الوصول إلى الآخر، ناهيك على اتصافه بالندية أمامه حتى يتمكن من التعايش معه، ومنها هنا يكشف لنا العلواني عن الأسس المعرفية لفقه التعايش، والتي من خلالها يمكن تجاوز عوائق وتحديات هذا التعايش، وذلك بفضل عالمية الخطاب القرآني المستوعب للآخر والموضِّح لدوائر الصراع العالمي وكيفية فك هذا الصراع بأقل الخسائر وأفضل النتائج. ومن أهم دوائر الصراع بين الإسلام والغرب الرؤية النقدية للحضارة الغربية، والتي وقف عندها العلواني مبيِّناً حالة ضعفها ومكامن النقص والتناقض فيها، وهذا منطلق نفسي كبير يجعل أهل الإسلام لا يشعرون بالندية فقط، بل بسمو حضارتهم ورقيها أمام المدنية الزائفة للحضارة الغربية. وقد أقام على صحة كلامه أدلة كثيرة ومنها حالة الأقليات المسلمة المقيمة في الغرب ومشكلاتها المتعدِّدة وعلى رأسها تحديات الخصوصية وإثبات الذات. كما أنَّ مشروع حوار الحضارات الموؤود في مهده دليل آخر، وشاهد على عجز الحضارة الغربية لتحقيق التواصل وانسداد الأفق أمام تعايش سلمي عالمي. ليبقى أمام البشرية حل واحد ووحيد أن تجرب الإسلام علَّها تحقِّق من خلاله ما عجزت عن تحقيقه الديانات والحضارات.

الخـــاتمـــة

الخـــــــاتـــــمة

الحمد لله المنعم المتفضِّل على أن بلغني مرحلة التَّمام والختام، كما أتوجَّه له بالسؤال بأن يتقبَّل مني هذا العمل وأن ينفع به المسلمين وبعد:

فقد خلُصت إلى جملة من النتائج والتوصيات التالية:

أولاً–النتائج:

تمخَّضت هذه الدراسة بعد معالجة كل قضية فيها عن النتائج الآتية:

1- طه جابر العلواني شخصية إسلامية تتَّسم بأهم الصفات الدعوية الناجحة اليوم، وقد تميَّز بما يلي:

- كمال الصفات الخُلقية والدعوية والعلمية مما جعلته يُسهم بصورة ملموسة ومحسوسة في تطوير مسار الدعوة الإسلامية في العصر الحديث.
- يمتاز بشخصية تعتزُّ بذاتها، وتثق بنفسها وترفض بأي شكل من الأشكال العيش بشخصيات الآخرين، وهذه صفة مهمة جداً لكل صاحب مشروع تغييري.
- يبدو أنَّه قد صقل شخصيته المميزة من خلال أمرين هامين؛ التجربة الشخصية والمَلَكَة العلمية.
- شخصية العلواني جمعت بين الأصالة والمعاصرة؛ فهو الأصولي الأزهري وهو الرجل المتمدِّن الذي ألف أمريكا وبلاد الغرب، فانعكس هذا المزيج على شخصيته وفكره ومنهجه.
- كما زانته صفة البحث الدؤوب عن السبل الأفضل لخدمة الإسلام، لتفيؤه بين الخطابة والتدريس والعمل السياسي والحزبي والعمل الأكاديمي والعمل الجمعوي.
- فشخصية العلواني بكل هذه الصفات تستحق الدراسة بعناية من طرف المختصين والباحثين.

2- من أهم القضايا التي عالجها العلواني مفهوم الحاكمية وذلك كما يلي:

- الحاكمية مفهوم أُسيء استعماله عند الحركات الإصلاحية.
- حيث وقع خلط عندهم بين حاكمية الكتاب والحاكمية الإلهية.
- فحدَّد العلواني المقصود بالحاكمية بأنَّها تعني؛ تدبر القرآن بالقراءتين لاستخلاص القواعد العامة المشتركة بين البشر دون خلط بين الفعل الإنساني والفعل الإلهي أو جبر أو تناقض.
- مفهوم الحاكمية عنده يُحيل القرآن إلى كتاب مفتوح يقرأه كل البشر دون تسلُّط لفئة بسم الإله، فيكتسبُ الإنسان بذلك حرية ومسؤولية.
- من متطلبات حاكمية القرآن الكريم الانطلاق من وحدته البنائية بكل سوره وآياته إذ يعتبر جملة واحدة.
- حاكمية القرآن جعلته يُهيِّمن على الأحداث الماضية وفي ذات الوقت يستوعب مجريان ومتغيرات الزمان والمكان، ممَّا وسمه بصفة الصلاحية لكل زمان ومكان.

3- دعوة العلواني إلى ضرورة التدبر في القرآن الكريم بقراءتين؛ قراءة الوحي وقراءة الكون حتى يمكن للإنسان فهم مراد القرآن الكريم فتتحرَّر طاقته كما يلي:

- وهي فكرة تقوم على أنَّ الكون كتاب الله المخلوق المادي المجسَّم، وأنَّ القرآن كتاب الله المنزَّل.
- وأنَّ الكتابين في كل منهما مؤشرات تهدي إلى الآخر.
- من متطلبات حاكمية القرآن الكريم الانطلاق من وحدته البنائية بكل سوره وآياته وأجزائه وأحزابه وكلماته يعتبر كأنَّه جملة واحدة.

4- ضبط العلواني محدِّدات ومعالم منهجية القرآن المعرفية كحل لأزمة الإنسانية والتي منها:

- حاكمية القرآن.
- الجمع بين القراءتين.
- الوحدة البنائية.

5- قراءة السُّنَّة والسِّيرة مع استحضار أبعاد هيمنة القرآن وتصديقه واستيعابه وتجاوزه، حتى نستطيع صيانة العلوم والمعارف جميعها دينية ودنيوية.

6- من أهم خصائص بناء الأمة في مفهوم القرآن الكريم عند العلواني:

- بناء المرجعية بالقرآن والتأكيد الدائم على ضرورة الالتزام بها.
- مع بناء ضمير التزام الجمع في ضمائر أبنائها كافة، وترسيخ الإرادة الجماعية الشاملة وصيانته بآلية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

7- من أشد المشكلات التي هدَّدت الكيان الإسلامي في الماضي والحاضر؛ إشكالية التعامل مع السنَّة المطهرة كما يلي:

- أساس مشكلاتها في تحديد مفهومها فبين المفهوم والمصطلح نشأ الخلاف وتجذَّر. وعلى اعتبار كونها مفهوما يصف محددات هذا المفهوم؛
- إنَّها البيان التطبيقي للقرآن الكريم عند العلواني.
- ما صدر عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-من أقوال وأفعال وتقريرات؛ منها ما هو جبليٌّ طبيعيٌّ، وما هو تطبيق للقرآن الكريم وتوجيهاته، ومنها ما هو صادر وفقاً للوظائف التي كان يؤديها-صلى الله عليه وسلم-من إمامة وقضاء وإفتاء وتعليم وتوجيه وتشريع.
- ولا شك أن بعض هذه الأقوال والأفعال والتقريرات ذلك يُعَدُّ من قبيل النِّسبِيِّ المرتبط ببيئته وبعضه يُعَدُّ في دائرة الخصوصيات له ولبعض الأصحاب، وبعضه تشريع مطلق دائر حول القرآن الكريم يستمِّد اطلاقيته منه.
- في هذا التقسيم إعلاء ورفع لمكانة السنَّة.
- لا يجب أن نتعامل مع سنَّة الرسول-صلى الله عليه وسلم-بمقياس واحد.
- اختلاف المقياس نتعامل مع سنَّة الرسول-صلى الله عليه وسلم-يُفضي إلى إعادة صياغة المنظومة الإسلامية برُمَّتها وخاصة في دائرة التشريع منها.

8- يذهب العلواني بعد رحلة تدبر في القرآن الكريم، إلى أنَّه احتوى على منظومة قيم عليا حاكمة تتكون من محاور ثلاثة:(التوحيد والتزكية والعمران):

- هذه المنظومة تشمل كل قضايا الدين وتنضوي تحتها جميعا.
- وهي الضابطة للأحكام الجزئية، والقادرة على توليدها عند الحاجة في سائر أنواع الفعل الإنساني القلبي منها والعقلي والوجداني والبدني.
- ليتحقق ربط الجزئيات بالكليات، ولتهتدي كينونة الإنسانية بهداية الله في الأفاق والأنفس.

9- عالج العلواني مشكلة التراث التي رأى أنَّها:

- أثقلت كاهل الفكر الإسلامي، وأخرَّت العقل المسلم عن أداء دوره في تفعيل منظومة الإصلاح.
- حدَّد العلواني معنى التُراث بأنَّه ذلك التُراث البشري النِسبِّي لا المصدر الموحَى المطلق.
- وجب نقد فقه التَّدين لا الدِّين.
- ضرورة مراجعة التراث المراجعة المنهجية الدائمة والمستمرَّة وفق مداخلها ومنطقاتها ومتغيرات الواقع.
- القضاء على الأسباب التي وقفت أمام عمليات الاجتهاد والمراجعة.
- طريق تحقيق المراجعة يبدأ من تحديد أزمة الأمة وتشخصها.

10- أسَّس العلواني ودعا إلى فقه التعايش السلمي بين الإسلام والغرب وفق الأصول التالية:

- الدعوة والتأسيس لأصول التعايش هي حقيقة قرآنية تستند إلى الحرية في الاعتقاد الذي جاء في قوله تعالى:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[البقرة : 256] وهذا يُشكل أحد الأسباب الرئيسية للخلاف والتنازع بيننا وبين الغرب.
- الدعوة إلى التعايش السلمي والمواءمة بين الحضارات ومَدِّ جسور التواصل، أصل من أصول الإسلام.

- الإسلام ينظر للأمم الأخرى على أنَّها أمم دعوة وأساس الدعوة المحبة والمسالمة.
- سعى العلواني لتبيين الأصول المنهجية والمرتكزات القرآنية في بناء ثقافة التعايش السلمي المبني على ما يلي:

✓ توضيح سنَّة الاختلاف بين البشر المبني على التَّعدد لا التضاد والتكامل والتعارف والتعاون لا التخالف والتدابر والاقتتال.

✓ من أهم مرتكزات هذا التعايش منطلق التوحيد القائم على التقوى.

✓ التعامل بالسلوك العادل مع الجميع.

✓ ووحدة القيم وثباتها وعدم نسبيتها.

✓ الحافظ على كل الأنساق الموجودة في محيط الإسلام بعد أن يتمَّ تزكيتها وترقيتها بمداخل بالتَّصديق والهيمنة والاستيعاب.

✓ محاربة كل أنواع التهميش والاحتقار وكل أشكال الازدراء التي مارستها الحضارات الإنسانية في وجه كل وافد جديد.

11- يرفض العلواني في مسألة إقامة المسلم في بلاد الغرب المعنى المتداول للمواطنة المبني فقط على:

- مبدأ النَّفع والمفهوم المادي البحت.
- المتَّصف بالعلماني المتجاوز للخصوصيات.
- والداعي للاندماج الكلي والذوبان والانصهار من غير شرط ولا قيد.

وعليه يدعو العلواني إلى:

✓ تأسيس فقه عام يرفع من شأن الأقليات المسلمة.

✓ ويزيد من مردوديتها في خدمة الإسلام خارج أرضه.

✓ ويعطي للمواطنة مفهوماً جديداً أكثر إيجابية ومن منطلق قوة وعزة.

12- يرفض العلواني ما يسمى اليوم بحوار الحضارات ويرى:

- لأنَّ الحوار يقوم على التوازن بين القوى وهذا أمر غير موجود في الواقع.

- فميزان الغلبة اليوم لدى الغرب والعرب والمسلمين يمثلون الحلقة الأضعف وسط كيانات النظام العالمي الجديد.
- بالإضافة إلى عدم جديته من طرف مدَّعيه إذ هو مطيَّة فقط للسيطرة وبسط النفوذ بشكل ناعم.
- وإلا فلا يرفض الإسلام الدعوة للحوار والتفاهم والنقاش لأنَّه دين مبني على الحجة والبراهين فلا يخاف من مقارعة الدليل وأتون البرهان.

13- شخَّص العلواني لأزمة الأمة على أنَّها أزمة فكرية، لذا دعا إلى مشروع أسلمة المعرفة كأحد الحلول لأزمة الأمة وفق شروطها.

14- دعا العلواني لضرورة التكامل المعرفي، لحل مشكلة انفصام المعرفة وخاصة في التوفيق بين عالم الحس عالم الغيب.

ثانياً: التوصيات: أوصي بما يلي:

1- ضرورة العناية بشخصية العلواني ودراسة جوانبها المختلفة، وتسليط الضوء أكثر على النقاط البارزة في فكره وخاصة التي أحدثت ضجَّة، من أجل بلورتها في شكل إصلاحي منهجي تستفيد منه الأجيال القادمة في عمليات الإصلاح والمراجعة.

2- ضرورة البحث الدائم والقراءة المستمرّة لكل طاقاتنا الفكرية والعلمية، مهما كان موقعها أو مجال تخصُّصها فقد أثبت نموذج العلواني أنَّنا نهدر طاقاتنا ونهمِّشها، كما لهذا البحث والتنقيب تشجيع بطريقة غير مباشرة للإبداع والإنتاج وحثٌّ للعقول المعطلة للعمل والمشاركة في البناء المشهود والمأمول.

3- ضرورة البحث في شخصيات علماء الغرب الإسلامي، والقراءة الجيدة في تراثهم وآثارهم بحثاً عن الذات، وإبراز مكان الجمال فيها وذلك:

- لكونها شخصيات مرجعية معرفية تؤسس لشخصية الفرد في مجتمع الغرب.
- إنشاء مخابر تعنى بالتعريف بهم وبجهودهم، وتمحيص تراثهم المخطوط.

- إقامة مؤتمرات وندوات للتعريف بهم في إطار مشروع الإسلامي المستوعب للغرب.

4- من خلال بعض مراجعات العلواني تتَّضح الحقيقة المرَّة؛ بأنَّ تاريخنا وللأسف ليس كلُّه محلَّ فخر واعتزاز، بل هناك نقاط سوداء تُشوِّه بياضه الناصع، والواجب قراءة جيدة لهذه النقاط السوداء؛ قراءة مُتفحصة وناقدة وباصرة منها نأخذ العِبرة ويمكن بها أن نُكفكِفَ بها العَبرة.

5- كذلك من خلال مراجعات العلواني، تتَّضح أهمية التجربة النبوية في مجال الإصلاح والدعوة، ومن ثَمَّ ندعو لضرورة العودة لقراءة هذه التجربة بعيون عصرنا وزماننا.

6- في زمن البث التكنولوجي الحي والمباشر، وفي زمن الحرب الناعمة التي تُدار رحاها في بيوتنا وساحتها عقولنا، لم يعد هناك من بُدٍّ لصد المدَّ الغربي الزاحف سواء حماية العقل المسلم وسياجه وتعليمة وتدريبه ليدحض كل زيَّغ ويحارب كل انحراف.

7- الرجوع إلى القرآن الكريم سبيل الخلاص الفردي والجماعي، بالقراءة المتدبِّرة والعناية به شكلاً وقالباً، فالله ما لزمه فرد أو جماعة بالقراءة والتدبر، إلا وأغدق عليه العطاء بكل جود وسخاء فهو معين لن ينضب وخير لن ينقطع.

ويمكن إجمال القضايا التي طرحها العلواني من خلال منهجه الدعوي، في وحدة قيامه على عناصر الغيب والكون والإنسان وهي عناصر تتَّصف بالشمول، كما يمكن ملاحظة ضرورة قيام المخابر المتخصِّصة لأجل تحقيق مشروع العلواني، فهو حقيقة مشروع أمة بأكملها.

وفي الختام هذا جهد المقلِّ المعترف بالتقصير والخطأ في حضرة العلم وأهله، وإن حالفني الصواب فبتوفيق من الله وحده، وإن جانبت الصواب فعذري أنِّي تلميذ أتعلَّم وهذه إحدى محاولاته، لأَنطَرِحَ بها على بساط السَّمع والإصغاء لتصويبات ساداتي المناقشين موفَّقين ومأجورين، ودعوتي بعد ذلك للباحثين بعدي بأن يُتمِّموا بحثي بالتصويب والمناقشة والإضافة، حتى يخرج في أفضل حُلَّة ويستكمل جوانب النقص فيه، وبعد هذا كله أسأل الله لنا جميعاً التوفيق والقبول والسَّداد، وأن ينفع بعلمنا البلاد والعباد إنَّه ولي ذلك والهادي إلى سواء القصد والسبيل.

الفهارس

فهرس الآيات

طرف الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾	30	البقرة	346/325
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾	43		242
﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾	61		296
﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾	106		184/285
﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾	111		432
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾	121		231
﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾	284		287
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	286		287
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ﴾	256		302 371/330/
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾	246		187
﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ﴾	247		187
﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ﴾	129		191،190
﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾	185		409
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾	256		301

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾	31		231
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ﴾	33		184
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾	64		308
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾	103	آل عمران	215
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾	164		191
﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾	191		347
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	110		350/318
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾	1		310،309
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾	63	النساء	223
﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾	79		280
﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	32		76
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	3		408
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾	8		315
﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾	16،15		214
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ ﴾	48		197
﴿ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾	14		216

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾	99	المائدة	231
﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾	29		296
﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	11		432
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾	102	الأنعام	420
﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾	56		215
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	38		224
﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾	79		231
﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا ﴾	129		225
﴿فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾	126		296
﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ ﴾	155 إلى 158	الأعراف	188و189/ 209و210
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾	157		347/311
﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾	172		346/313
﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾	156و157		193
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم ﴾	38	الأنفال	232
﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾	29	التوبة	331

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾	101	يونس	432/422
﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	1	هود	164
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا﴾	61		425/225
﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾	88		347
﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ﴾	119،118		360/310
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	09	الحجر	174
﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	13		232
﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ ﴾	101	النحل	286،285
﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾	67/66		431
﴿ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴾	89		241
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا ﴾	36		429،428
﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا ﴾	73إلى83		222،221
﴿ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾	77	الإسراء	232
﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾	44		429
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ ﴾	88		290
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	107	الأنبياء	214
﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ﴾	75	الحج	184

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾	63إلى 77	الفرقان	222
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	192 إلى 195	الشعراء	162
﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾	65	النمل	433
﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ ﴾	39	الأحزاب	99
﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ ﴾	72		401/ 346
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	28	سبأ	198
﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا ﴾	36	يس	214
﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾	26	ص	187و186
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾	57/56	غافر	397و396
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴾	39	الشورى	351
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾	9	الحجرات	293/94و93
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾	13	الحجرات	309
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	56	الذَّاريَات	225/347
﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾	22و21	الذَّاريَات	422
﴿ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴾	41	النجم	346
﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾	4	الرحمن	231
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾	75و76	الواقعة	155

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾	25	الحديد	225
﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾	21	الحشر	156
﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾	8و9	الممتحنة	349/348
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾	2	الجمعة	231
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	2	الملك	346
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾	15	الملك	311
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾	38و39	الحاقة	397
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾	26	الجن	433
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾	16و17	القيامة	162
﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾	6	الانشقاق	312
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	17	الغاشية	198
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾	9و10	الشمس	424
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	1إلى5	العلق	154
﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾	6 و7		157
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾	1إلى6	الكافرون	316

فهرس الأحاديث والآثار:

الحديث	الصفحة
عن ابن عمر-رضي الله عنهما -أتاه رجلان في فتنة ابن الزُّبير فقالا: «إِنَّ النَّاس قد ضُيِّعُوا...»	70
قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-: «استَفتِ قلبك يابِصَةُ ...»	204
قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-: «إنَّك مهما أنفقت من نفقة فإنَّها صدقة، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك»	226و227
قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-: «الإيمان بضع وستون...»	228
أن أنس – رضي الله عنه-قال: «أن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام ...»	232
قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-قال: «... أنتم بنو آدم وآدم...»	314
حديث أنس -رضي الله عنه-لما سأله عاصم: «إنَّ فلاناً يزعم أنَّك قلت بعد الرُّكوع! فقال: كذب»	262/260
حديث معاوية يقول سمعت الرسول-صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ هذا الأمر في قريش ...»	259و260
قول عثمان بن عفان-رضي الله عنه-: «إنَّ ناساً يتحدَّثون عن رسول اللهِ -صلى الله عليه وسلم-أحاديث لا أدري ما هي؟»	259
قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-: «إنَّما أنا بشر وإنَّكم تختصمون إلي...»	230
قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس...»	365
عن أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-قال: «أي سماء تظلني ...»	168

حديث معاذ بن جبل الذي جاء فيه أنَّ النبي-صلى الله عليه وسلم -لما بعثه إلى اليمن قال: «أرأيت إن عرض لك قضاء كيف تقضي؟ ...»	240
قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-: «أعقلها وتوكل»	403
حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-: «أنَّ رسول الله-صلى الله عليه وسلم-سنَّ الجَزُورَ والبقرة عن سبعة»	232
قال الرسول الله -صلى الله عليه وسلم: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم..»	386
حديث معاوية-رضي الله عنه-فإنِّي سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-يقول: «إنَّ هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد...»	259و260
قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-: «تعافوا الحدود بينكم ...»	166
قال أبو عبد الرحمن السلمي عن جماعة: "حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله —صلى الله عليه وسلم-»	340و341
قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-: «خذوا عني مناسككم»	390
قال رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-: «خيركم خيركم لأهله...»	126
قال رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-: «صلوا كما رأيتموني أصلي»	242/390
قال الرسول الله -صلى الله عليه وسلم: «كيف أصبحت يا حارث؟»	59
قال رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-: «لو حدث في الصَّلاة شيء ...»	230
قال الرسول الله -صلى الله عليه وسلم: «اللهم أحيني مسكينًا ...»	192
قال رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-: «لولا قومك حديثو عهد بكفر ...»	391
قول بن عمر-رضي الله عنه-: «لقد أدركت فقهاء المدينة...»	332
قول أبي سفيان للعباس: «لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً! ...»	191

أنَّ رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل....»	273و274
عن علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–: « لا تقسروا أولادكم على آدابكم»	217
قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «من يُرد الله به خيراً يفقِّه في الدين»	337
قال أنس بن مالك–رضي الله عنه–: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال ...»	128
قال الرسول – صلى الله عليه وسلم–«ما أنا بقارئ»	154
قول ابن عباس –رضي الله عنه –: «ما قاتل رسول الله –ص–قوماً ...»	350
قال رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم–: «ما من مولود إلا يولد ...»	128
قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «نعم الرَّجل عبد الله ...»	353
قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «نهيتكم عن زيارة القبور ...»	339و340
قال رسول–الله صلى الله عليه وسلم –: «هون عليك فإنَّما أنا ابن امرأة ...»	191
قال رسول–الله صلى الله عليه وسلم –: «يأتي على الناس زمان...»	217
عن أبي ذر قال: قال لي رسول–الله صلى الله عليه وسلم –: «يا أبا ذر...»	70و71
قال أبو الدرداء: «يا رسول الله، هل يسرق المؤمن؟ ...»	61

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب طه جابر العلواني.

2 -ابن تيمية وإسلامية المعرفة. (ط:2؛ الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي،1415هـ/ 1995م).

3 -ابن رشد الحفيد الفقيه الفيلسوف "يوم دراسي مراكش ". (لا.ط؛ مراكش-المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة جامعة القاضي عياض، 24مايو 2006م).

4 -الاجتهاد والتقليد في الإسلام. (ط:1؛د.م:دار الأنصار،1399هـ/1979م).

5-أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم للخلاص منها،(لا.ط؛ لا.م: دار الشروق،2005م).

6-إشكالية التعامل مع السنة النبوية. (ط:1؛ بيروت-لبنان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1435هـ/2014م).

7 -إصلاح الفكر الإسلامي، (لا.ط؛ الجزائر: دار الهدى، د.ت).

8-أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة. (ط:1؛ مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،1425هـ/2004م).

9 -تجربتي مع الحياة السياسية في العراقية، تحقيق: عثمان علي.ج1(ط:1؛ بيروت: منتدى المعارف،2015م).

10-التعليم الديني بين التجديد والتجميد. (ط:1؛ مصر: مكتبة دار السلام،2009م).

11-تغير الفتوى بين الانضباط والفوضى. (لا.ط؛ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود،1431هـ سعود،1431هـ/2010م).

12-تفسير القرآن بالقرآن. (ط:1؛ عمان-الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1441هـ /2020م).

13-التوحيد والتزكية والعمران. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

14-الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون. (ط:1؛ القاهرة، مكتبة الشروق الدولية 1427هـ/2006م).

15-حاكمية القرآن. (لا.ط؛ لا.م: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996م).

16-الحاكمية والهيمنة. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن ،د.ت).

17-حكم الردة وعقوبة المرتد.(لا.ط؛ المملكة العربية السعودية: هيئة حقوق الإنسان،د.ت).

18-حول فكرة المواطنة في المجتمع الإسلامي. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

19-خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية. (لا.ط؛ الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1409هـ/1979م).

20-العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات.(لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

21-علاقتنا مع الغرب بين الدعوة إلى الحوار وواقع الصراع.(لا.ط؛لا.م:لا. ن، د.ت).

22-مدخل إلى فقه الأقليات،(ندوة تطور العلوم الفقهية في عمان).(لا.ط؛لا.م:لا.ن،د.ت).

23-مدخل إلى فقه الأقليات، (نظرات تأسيسية) (لا.ط؛لا.م:لا.ن،د،ت).

24-مقاصد الشريعة. (ط:1؛ بيروت-لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع،1421هـ/ 2001م).

25-المقاصد الشريعة العليا الحاكمة. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

26-مقدمة في إسلامية المعرفة.(ط:1؛بيروت- لبنان،دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/ 2001م).

27-من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف.(ط:1؛عمان-الأردن:مركز معرفة الإنسان للدراسات والأبحاث والنشر والتوزيع،1438هـ/2017م).

28-نحو التجديد والاجتهاد مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية أولا: الفقه وأصوله. (ط:1؛مصر: دار تنوير للنشر والتوزيع،1429هـ/2008م).

29-نحو منهجية معرفية قرآنية. (ط:1؛ دمشق: دار الفكر،1430هـ/2009م).

30-نحو موقف قرءاني من النسخ. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، 2006م).

31-الوحدة البنائية للقرآن المجيد.(ط:1؛القاهرة:مكتبة الشروق الدولية،1427هـ/ 2006م).

ثالثاً: كتب التفسير.

32-ابن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق: د عبد الرحمان عيرة.(لا.ط؛ لا.م: د.ن، د.ت).

33-أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري. (لا.ط؛ الرياض-السعودية: دار عالم الكتب،1423هـ/2003م).

34-أبو زهرة، زهرة التفاسير. (لا.ط؛ مصر: دار الفكر العربي،1987م).

35-أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير،تحقيق عبد الرزاق المهدي.(ط:1؛بيروت:دار الكتاب العربي،1422هـ).

36-أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي. (ط:1؛ دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، 1412هـ).

37-أبو محمد ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطي. (ط:3؛ المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز،1419هـ).

38-سيد قطب، في ظلال القرآن. (ط:32؛ القاهرة: دار الشروق،1423هـ/2003م).
39-الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر. (ط:1؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م).
40-عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن. (لا.ط؛ القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت).
41-فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب. (ط:3؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي،1420هـ).
42-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري. (لا.ط؛ الرياض-المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب، 1423هـ/ 2003م).
43-مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش. (ط:1؛ مأمون حموش، 1428هـ/2007م).
44-محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر. (ط:1؛ د.م: مؤسسة الرسالة،1420هـ).
45-محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تفسير جزء عم، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان. (ط:2؛ الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع، 1423 هـ /2002 م).
46-محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون. (لا.ط: القاهرة: مكتبة وهبة، د.ت).
47-محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم. (ط:1؛ الفجالة-القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع).
48-محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير. (لا.ط؛ تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م).
49-محمد علي الصابوني، مختصر تفسير بن كثير، (ط:7؛ لا.م: لا.ن،1402هـ/1981م).

رابعاً: كتب الحديث.

50-ابن أبي شيبة، كتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت. (ط: 1؛ الرياض: مكتبة الرشد، 1409هـ).
51 -ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. (لا.ط؛ بيروت: دار المعرفة، 1379هـ).
52-ابن ماجه، السنن تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (لا.ط؛ لا.م: دار إحياء الكتب العربية د.ت).
53-أبو داود، السنن، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط -محَمَّد كامِل قره بللي. (ط:1؛ لا.م: دار الرسالة العالمية، 1430هـ/2009م).

54-بن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري. (لا.ط؛ المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية،1387هـ).

55-أبو يعلى مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد.(ط1،دمشق،دار المأمون للتراث،1404هـ/ 1984م).

56-أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط:1؛ لا.م:مؤسسة الرسالة،1421هـ/ 2001م).

57-البخاري، في صحيحه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.ج14(ط:1؛ لا.م: دار طوق النجاة،1422هـ).

58-البزار، مسند البزار (البحر الزاخر)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون. (ط:1؛ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، من 1988م إلى2009م).

59-البيهقي، أبوبكر، الخلافيات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، تحقيق: فريق البحث العلمي بشركة الروضة، بإشراف محمود بن عبد الفتاح أبو شذا النحال. (ط:1؛ القاهرة-مصر: الروضة للنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م).

60-الدارمي، مسند الدارمي، تحقيق: مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني.(ط:1؛لا.م:لا.ن، 1436هـ/ 2015م)

61-السيد أبو المعاطي النوري، المسند الجامع. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

62-السَّخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، تحقيق: علي حسين علي.(ط:1؛مصر: مكتبة السنَّة،1424هـ/ 2003م).

63-صالح أحمد الشامي، الجامع بين الصحيحين. (ط:2؛ دمشق: دار القلم،1432هـ/ ت2011م).

64-عبد العزيز الراجحي، شرح صحيح ابن خزيمة.(لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

65-علي بن حسام الدين المتقي الهندي ،كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال.(لا.ط؛لا.م :لا.ن، د. ت)،ص352.

66-المازري،المعلم بفوائد مسلم، تحقيق محمّد الشَّاذلي النَّيفر. (ط:2؛ تونس: الدَّار التُّونسيَّة للنشر، 1988م).

67-محمد بن إسماعيل البخاري صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط:1؛ لا.م: دار طوق النجاة،1422هـ).

68-محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: د. علي حسين البواب. (ط:2؛ لبنان-بيروت: دار ابن حزم، 1423هـ -2002م).

69-مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (لا.ط؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

70-المنذري، مختصر صحيح مسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. (ط:6؛ بيروت – لبنان: المكتب الإسلامي،1407هـ /1987م).

71-النسائي، سنن النسائي. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت) .

72-النَّووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ط:2؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ).

خامساً: كتب التخريج.

73-ابن الأثير، في جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط -التتمة تحقيق بشير عيون. (ط:1؛ د.م: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، 1389 هـ /1969م)

74-علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

75-الألباني، صحيح الترغيب والترهيب. (ط:1؛ الرياض-المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،1421هـ/2000م).

76-الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. (ط:1؛ الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1416 هـ/1996م).

77-الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. أشراف: زهير الشاوش. (ط:2؛ بيروت: المكتب الإسلامي، 1405 هـ -1985م).

78-الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته. (لا.ط؛ لا.م: المكتب الإسلامي، د.ت).

79-الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة. (ط:1؛ الرياض -المملكة العربية السعودية: دار المعارف، 1412 هـ / 1992م).

80-محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي حسين البواب (ط:2؛ لبنان-بيروت: دار ابن حزم، 1423هـ/2002م).

81-محمد بن محمد الردواني، جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع. (ط:1؛ الكويت: دار ابن حزم وبيروت: مكتبة ابن كثير، 1418هـ/1998م).

82-الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق وتخريج: حسين سليم أسد الدّاراني (لا.ط؛ دمشق: دار المأمون للتراث، د.ت).

سادساً: المعاجم والقواميس.

83-إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية. (لا.ط؛ لا.م: دار الدعوة، د.ت).

84-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (لا.ط؛ سوريا: دار الفكر: 1399هـ/ 1979م).

85-ابن منظور، لسان العرب (ط:1؛ بيروت: دار صادر، د.ت).

86-إسماعيل بن عباد بن العباس، المحيط في اللغة، (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

87-جبران مسعود، الرائد. (ط:7؛ بيروت-لبنان: دار العلم للملايين، مارس1992م).

88-زين الدين أبو عبد الله الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقق: يوسف الشيخ محمد. (ط:5؛ بيروت وصيدا: المكتبة العصرية والدار النموذجية،1420هـ/ 1999م).

89-الفراهيدي الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي (لا.ط؛ بيروت-لبنان: دار ومكتبة الهلال، د.ت).

90 -الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة (ط:8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،1426هـ/2005م).

91-محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: دكتور دحروج. (ط:1؛ لبنان: مكتبة لبنان ناشرون،1996م).

سابعاً: الكتب العامة.

92-أبراهام مالمات وحييم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة: رشاد عبد الله الشامي.(ط:1؛القاهرة:المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001م).

93-إبراهيم أحمد الكر ومحمد زياد السحار، مكانة السنَّة عند الإمام الشافعي وجهوده في حفظها. (لا.ط؛ فلسطين: جامعة الأقصى-مؤتمر الإمام الشافعي-،2012م).

94-إبراهيم سليم أبو حليوة، طه جابر العلواني:تجليات التجديد في مشروعه الفكري،(ط:1؛ بيروت: مكتبة مؤمن قريش،2011م).

95-إبراهيم علي محمد أحمد، في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية. (ط:1؛ قطر: كتاب الأمة-وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1417هـ/1996م).

96-إسحاق بن عبد الله السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه. (ط:1؛ قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1434هـ/2013م).

97-أحمد عبد الحليم عطية، ما بعد الحداثة والتفكيك. (لا.ط؛ القاهرة: دار الثقافة العربية.2008م).

98-ابن أبي حاتم، الجرح والتَّعديل، -دار إحياء التراث-ابن تيمية، السياسة الشرعية، (ط:1؛ بحيدر آباد الدكن-الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية وبيروت: المكتبة العربية،1425هـ).

99 -ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق محمد رياض الأحمد. (ط:1؛ بيروت: المكتبة العصرية، بيروت،1425هـ).

100-ابن تيمية، مجموع الفتاوى تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (لا.ط؛ المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،1416 هـ/1995م).

101-ابن تيمية، السياسة الشرعية، (ط:1؛ السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة،1418هـ).

102-ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج4، (ط:1؛ المملكة السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ/ 1986م).

103-ابن حبان، المجروحين من المحدثين. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. (ط:1؛ الرياض-المملكة العربية السعودية: دار الصميعي للنشر والتوزيع، 1420هـ /2000 م).

104-ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. (ط:1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ).

105-ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر. (ط:2؛ بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1403هـ/1983م).

106-ابن حزم، رسائل بن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس. (ط:1؛ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1983م).

107-ابن رجب، بيان فضل علم السلف على علم الخلف، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي.(ط:2؛ بيروت-لبنان: شركة دار البشائر الإسلامية،1424هـ/2003م).

108-ابن رشد، فصل المقال، دراسة وتحقيق: محمد عمارة. (ط:3؛ القاهرة: دار المعارف، 1999م).

109-ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. (ط:1؛ المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي،1414 هـ/ 1994م).

110-ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق أحمد عبيد. (لا.ط؛ بيروت – لبنان: عالم الكتب، 1404هـ/1984م).

111-ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تقديم وتعليق وتخريج: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان وشارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد. (ط:1؛ المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1423هـ).

112-ابن قيم الجوزية، الفوائد. (ط:2؛ بيروت: دار الكتب العلمية،1393هـ/1973م).

113-ابن القيم الجورية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد. (ط:1؛ مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1432هـ).

114-ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. (لا.ط؛ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ت).

115-ابن النجار، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، تحقيق: حسين محمد علي شكري. (لا.ط؛ د.م: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت).

116-ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر. (لا.ط؛ بيروت: دار الفكر-سوريا، دار الفكر المعاصر، 1406هـ /1986م).

117-ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاجيب. (ط:6؛ بيروت: دار الفكر،1985م).

118-ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق عبد الرؤوف سعد. (لا.ط؛ بيروت: دار الجيل، 1411هـ).

119-أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي. (ط:1؛ السعودية: دار ابن عفان، 1412 هـ/ 1992م).

120-أحمد جمال أبو يوسف، دراسة تحديثية تحليلية نقدية لكتاب إشكالية التعامل مع السنَّة النبوية للدكتور طه جابر العلواني".(ط:1؛عمان-الأردن:مركز الإمام الألباني،1439هـ/ 2018م).

121-أبو بكر بن العربي، العواصم من القواسم، تحقيق: محب الدين الخطيب. (ط:6؛ القاهر: مكتبة السنة،1412هـ).

122-أبو بكر محمد زكريا، الشرك في القديم والحديث. (ط:1؛ الرياض -المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 1421هـ/2000م).

123-أبو حامد الغزالي ميزان العمل، تحقيق الدكتور سليمان دنيا. (ط:1؛ مصر: دار المعارف،1964م).

124-أبو الحسنات اللكنوي، الأجوبة الفاضلة الأسئلة العشرة الكاملة، تعليق عبد الفتاح أبوغدَّة.(ط:1؛ حلب- سوريا: مكتبة النهضة،1383هـ/1964م).

125-أبو الحسن الندوي، ردَّة ولا أبا بكر لها. (ط:2؛ القاهرة: مكتبة السداوي للنشر والتوزيع-مكة المكرمة: المكتبة المكية، 1413هـ/ 1992م).

126-أبو حنيفة النعمان، الفقه الأكبر. (ط:1؛ الإمارات العربية: مكتبة الفرقان، 1419هـ/1999م).

127-أبو زرعة عبد الرحمن، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني. (لا.ط؛ دمشق: مجمع اللغة العربية، د،ت).

128-أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (ط:لا؛ بيروت-دار إحياء التراث العربي، د. ت).

129 -أبو سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي، العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام. (ط:1؛ القاهرة-مصر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، 1433هـ/ 2012م).

130-أبو سليمان الخطابي، معالم السنن. (ط:1؛ حلب: المطبعة العلمية،1351هـ/ 1932م).

131-أبو الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (لا.ط؛ القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت).

132-إحسان إلهي ظهير الباكستاني، التَّصوُّف .. المنشأ والمصادر. (ط:1؛ لاهور-باكستان: إدارة ترجمان السنَّة،1406هـ/ 1986م).

133-أحمد بن مرسلي،مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال.(ط:2؛الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،2005م).

134-أحمد تقي الدين المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي. (ط:1؛بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ/1999م).

135-أحمد محمود عيساوي، دراسات وأبحاث في تاريخ الدعوة والدعاة. (ط:1؛ القاهرة: دار الكتاب الحديث،1433هـ/2012م).

136-أحمد محمود عيساوي، الدعوة الإسلامية في قرن التكنولوجيات العولمية.(ط:1؛القاهرة: دار الكتاب الحديث1437هـ/2016م).

137-أحمد محمد حسين الدغشي، المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية.(ط:1؛دمشق: دار الفكر، 2002م).

138-أحمد محمد الزرقاء، شرح القواعد الفقهية.(ط:2؛بيروت:دار القلم1409هـ/1989م)

139-أمين الخولي، مالك بن أنس. (لا.ط؛ لا.م: دار الكتب الحديثية، د.ت).

140 -إسحاق بن عبد الله السعدي دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه. (ط:1؛ قطر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1434هـ/2013م).

141-إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة: السيد عمر. (ط:2؛ القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر1435هـ/2014م).

142-الإسنوي جمال الدين عبد الرحيم، نهاية السول شرح منهاج الوصول.(ط:1؛بيروت-لبنان:دار الكتب العلمية، 142هـ/1999م).

143-إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الميتافيزيقا. (ط:1؛ مصر: نهضة مصر للنشر والطباعة،2005م).

144-إسماعيل علي محمد، الغزو الفكري التحدي والمواجهة. (ط:2؛ القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع، 1434هـ/2013م).

145-آمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين الثورتين(1906م-1979م). (لا.ط؛ الكويت: عالم المعرفة، أكتوبر1999م).

146-بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي. (ط:1؛ استنبول: مطبعة سوزلر ،1992م).

147-بسطامي محمد سعيد خير، مفهوم تجديد الدين. (ط:1؛ جدة -المملكة العربية السعودية: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، 1433هـ/2012م).

148-بدون مؤلف، كتيب التعريف بأكاديمية طه العلواني للدراسات القرآنية. (لا.ط؛ القاهرة: أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية، د.ت).

149-تقي الدين بن تيمية، مجموع الفتاوى المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (لا.ط؛ المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،1416 هـ/1995م).

150-تقي الدين ابن تيمية، منهاج السنَّة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم. (ط:1؛ المملكة السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،1406هـ/ 1986م).

151-جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (لا.ط؛ مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م).

152-جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الأشباه والنظائر. (ط:1؛ بيروت: دار الكتب العلمية،1403هـ /1983م).

153-جمال الدين الأفغاني، سلسلة الأعمال المجهولة، تحقيق: علي شلش. (لا.ط؛ لندن: رياض الريس للكتب والنشر،1987م).

154-حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني خلاصة التَّأصيل لعلم الجرح والتَّعديل. (ط:1؛ مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،1421هـ).

155-الحارث المحاسبي، فهم القرآن، تحقيق: حسين القوتلي. (ط:2؛ بيروت، دار الكندي ودار الفكر، 1398هـ).

156 -الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تحقيق: السيد معظم حسين. (ط:2؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1397هـ/1977م).

157-حسن بن محمد حسن الأسمري، النظريات العلمية الحديثة -مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها. (ط:1؛ جدة-المملكة العربية السعودية: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، 1433هـ / 2012م).

158-حسن نافعة وكليفورد بوزروث، تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العميد، مراجعة فؤاد زكرياء (لا.ط؛ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- عالم المعرفة-،د.ت).

159-حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن،1962م)

160-حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام. (ط:1؛ المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، 1424هـ/2004م).

161 -الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السّامع، تحقيق: محمود الطَّحان. (لا.ط؛ الرِّياض: مكتبة المعارف، د.ت).

162-الخطيب البغدادي. تقييد العلم، تحقيق: يوسف العش. (ط:2؛ القاهرة: دار إحياء السنَّة النبوية 1974م).

163-خالد بن محمود بن عبد العزيز الجهني، البداية في مبادئ العلوم الشرعية. (لا.ط؛ لا.م: الألوكة، د.ت).

164-الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. (ط:1؛ لبنان-بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ / 1987م)

165-الذَّهبي شمس الدين، تذكرة الحفاظ. (ط:1؛ بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998 م).

166-الذَّهبي شمس الدين، سير أعلام النُّبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، (ط: 3؛ مؤسسة الرِّسالة،1405 هـ/ 1985م).

167-رائد جميل عكاشة، التكامل المعرفي وأثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية،(ط:1؛بيروت-لبنان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1433هـ/2012م).

168-الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. (لا.ط؛ بيروت: دار مكتبة الحياة،1983م).

169-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي. (ط:1؛ دمشق: دار القلم وبيروت: الدار الشامية، 1412هـ).

170-الزركشي، الإجابة لما استدركت عائشة على الصَّحابة، تحقيق وتخريج: رفعت فوزي عبد المطلب. (ط:1؛ القاهرة-مصر: مكتبة الخانجي، 1421 هـ/2001 م).

171-سالم علي البهنساوي، تهافت العلمانية في الصحافة العربية، (ط:1؛ المنصورة-مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1410هـ / 1990م).

172-سعيد إسماعيل على، أصول التربية الإسلامية. (ط:3؛ مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة).

173-سلطان علي الشهري، علم المعرفة وتطور المعرفة العلمية. (لا.ط؛ لا.م: مركز نماء للبحوث والدراسات، والدراسات،1441هـ/2019م).

174-سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنَّة. (ط:4؛ لا.م: لا.ن، 1417هـ / 1996م).

175-السيد عمر، جامع فقه الأمة (رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني). (ط:1؛ القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي (مركز الدراسات المعرفية) ،1438هـ/2017م).

176-سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. (لا.ط؛ القاهرة: دار الشروق،1988م).

177-سعيد حوى، كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر. (ط:5؛ القاهرة-مصر: دار السلام،1430 هـ/2009م).

178-الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. (ط:1؛ الجيزة-مصر: دار ابن عفان، 1417هـ/1997م).

179-الشاطبي، الموافقات، تحقيق عبد الله دراز،(ط:1؛بيروت:دار المعارف،1425هـ/ 2004م).

180-الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي.ج2(ط:1؛ السعودية، دار ابن عفان، 1412هـ/ 1992م).

181-الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر. (لا.ط؛ لا.م: دار الكتب العلمية، د.ت).

182-الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر. (ط:1؛ مصر: مكتبة الحلبي،1357هـ/ 1938م).

183 -شحاتة محمد صقر شريعة الله لا شريعة البشر. (لا.ط؛ الإسكندرية: دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي، د.ت).

184-شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب.(لا.ط؛مصر:مؤسسة هنداوي للتعليم و التعليم، 2012م).

185-شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام. (ط:2؛ الجزائر/ دمشق-سورية: دار الفكر،1412هـ /1992م).

186-شوقي أبو خليل وهاني المبارك، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب. (ط:1؛ دمشق-سوريا: دار الفكر،1417 هـ/1997م).

187-صالح بن فوزان بن عبد الله بن الفوزان، عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر وتعطيل البدع. (ط:1؛ الرياض: مكتبة دار المنهاج،1434هـ).

188-صالح بن علي العميريني، "الردة بين الحد والحرية: قراءة في كتاب لا إكراه في الدين "لطه جابر فياض العلواني للمؤلف:(ط:1؛ الرياض: دار التدمرية، 1434هـ/2013م).

189-صومويل هنتجنتون، صدام الحضارات،ترجمة:طلت الشايب.(ط:2؛لا.م:لا.ن،1999 م).

190-طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث. (ط:2؛ الدار البيضاء-المغرب:المركز الثقافي العربي، د.ت).

191-طه عبد الرحمان، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري. (ط:1؛ الدار البيضاء-المغرب: المركز الثقافي العربي،2005م).

192-طه عبد الفتاح مقلد، الإعلام والدعوة إلى الله. (لا.ط؛ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية،1395هـ/ 1975م).

193-طه أحمد الزيدي وآخرون، الخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية. (ط:1؛ بغدد-العراق: دار الفجر وعمان-الأردن: دار النفائس،1431هـ/2010م).

194-عادل بن محمد أبو العلاء، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور. (ط: العدد129؛ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 1425هـ).

195-عاطف السيد، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها. (لا.ط؛لا.م:لا.ن، د.ت).

196-عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي. (ط:3؛ الكويت: وكالة المطبوعات،1977م).

197-عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة الميداني كواشف زيوف. (ط:2؛ دمشق: دار القلم،1412هـ/1991م).

198-عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون. تحقيق: عبد الله محمد الدرويش. (ط:1؛ دمشق: دار البلخي -مكتبة الهداية،1425هـ/2004م).

199-عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي. (ط:7؛ القاهرة: مكتبة نهضة مصر،2014م).

200-عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (لا.ط؛ مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م).

201-عبد الرحمن الكواكبي، أم القرى. (لا.ط؛ مصر: المطبعة المصرية بالأزهر،1350هـ/ 1931م).

202-عبد الرحمن المعلمي، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (ط:2؛ المكتب الإسلامي1406 هـ /1986م).

203 -عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا وسيرة. (ط:1؛ القاهرة: مكتبة وهبة، 1414 هـ/1993م).

204-عبد الغني محمد إسماعيل العمراني، دليل الباحث إلى إعداد البحث العلمي. (ط:2؛ صنعاء-اليمن: دار الكتاب الجامعي،1433هـ/2012م).

205-عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي. (لا.ط؛ دمشق: دار القلم، د.ت).

206-عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية.(ط:1؛بيروت: مؤسسة الرسالة،1413هـ/1993م).

207-عبد اللطيف بن علي القنطري الجزائري، المزدكية هي أصل الاشتراكية. (ط:1؛ الدار البيضاء: دار الكتاب، 1394 هـ /1974م).

208-عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله كمال الدين الإسلامي. (ط:1؛ المملكة السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1418هـ).

209-عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده. (ط:3؛ الرياض: دار التدمرية، 1424هـ/2004م).

210-عبد المتعال محمد الجبري، الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي. (ط:2؛ مصر: مكتبة وهبة،1407هـ /1987م).

211-عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي. (ط:2؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1427هـ/2006م).

212-عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، (ط:2؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1427هـ/ 2006م).

213-عبد المجيد النجار، مشاريع الإشهاد الحضاري، (ط:2؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي،1427هـ/ 2006 م).

214-عبد المجيد النجار، فقه التَّدين فهماً وتنزيلاً. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

215-عبد الوهاب المسيري، العلمانية والجزئية والعلمانية الشاملة (ط:1؛ القاهرة: دار الشروق،1423هـ/ 2002م).

216-عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. (ط:1؛ القاهرة: دار الشروق،1999م).

217-عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر.(لا.ط؛ بيروت: دار الفكر- سوريا ودار الفكر المعاصر، 1406هـ /1986م).

218-عثمان جمعة ضميرية، عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي مراجعة: ناصر بن حمد الراشد. (ط:1؛ جدَّة: مكتبة السوادي للتوزيع، 1408هـ/1988م).

219-علي بن محمد البزدوي، أصول البزدوي أو كنز الوصول إلى معرفة الأصول.(لا.ط؛ كراتشي: مطبعة جاويد بريس، د.ت).

220-علي بن نايف الشحود، المفصَّل في الرَّد على شبهات أعداء الإسلام.(لا.ط؛ لا.م: د.ن، د.ت).

221-علي بن نايف الشحود، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة.(لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

222-علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، جمع وترتيب وتعليق: علي بن نايف الشحود. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

223-علي حسنى الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة.(لا.ط؛ القاهرة: مطابع شركة الإعلانات الشرقية، 1389هـ/1969م).

224-علي حيدر، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تحقيق تعريب: المحامي فهمي الحسيني. (لا.ط؛ بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

225-علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي الإسلام. (ط:7؛ القاهرة: دار المعارف، د.ت).

226-علي الصلابي، السيرة النبوية-عرض وقائع وتحليل أحداث. (ط:2؛ مصر: دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع،1424 هـ/2001م).

227-علي محي الدين القرداغي، الفتوى بين النص والواقع والثابت والمتغير.(لا.ط؛ لا.م، لا.ن، د.ت).

228-علي الوردي، تحليل سوسيولوجي لنظرية ابن خلدون في علم اجتماع المعرفة، ترجمة: لاهاي عبد المحسن. (ط:1؛ بغداد-العراق: دار المدى،2018).

229-عماد الدين خليل، مدخل إلى أسلمة المعرفة. (ط:لا؛ دمشق-بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع.1427هـ/2006م).

230-عمر عودة الخطيب لمحات في الثقافة الإسلامية. (ط:15؛ لا.م:مؤسسة الرسالة،1425هـ/2004م).

231-عمرو كامل عمر، حصان طروادة الغارة الفكرية على الديار السُّنية، تقديم: محمد موسى الشريف. (ط:2؛ لا.م: دار القمري، 1435هـ/ 2014م).

232-عقيل بن محمد المقطري، أدب الاختلاف.(ط:1؛بيروت:دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،1414هـ/1993م)

233-عباس السيسي، الدعوة إلى الله حب. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

234-عياض بن نامي بن عوض السلمي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله. (ط:1؛ الرياض-المملكة العربية السعودية: دار التدمرية، 1426 هـ / 2005 م).

235-غالب الحاج، تاريخ النظم. (ط:1؛ لا.م: موسوعة جنة القانون-المكتبة القانونية-، د.ت).

236-غسان شربل، العراق من حرب إلى حرب (صدام مرَّ من هنا)، (لا.ط؛ لا.م: نسخة مجمعة من جريدة الحياة،2010م).

237-فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب.(ط:3؛بيروت، دار إحياء التراث العربي،1420هـ).

238-فتحي حسن الملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية. (ط:2؛ الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1441هـ/2020م).

239-فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة: فؤاد شاهين، جميل قاسم، رضا الشابي. . (لا.ط؛ بيروت: مركز الإنماء القومي،1993م).

240-فهد بن صالح العجلان، معركة النص. (ط:1؛ لا.م: مركز البيان للبحوث والدراسات، 1434هـ).

241-القرافي، الفروق، تحقيق: خليل المنصور. (لا.ط؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ /1998م).

242-كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، ترجمة: عبد الحميد صبره. (ط:3؛ لندن: لا.ن،1957م).

243 -كامل إسماعيل الشريف، حقوق الإنسان والقضايا الكبرى. (لا.ط؛ لا.م: لا.ن، د.ت).

244-لطف الله قاري، العرب قبل كولمبس. (ط:1؛ دمشق وبيروت: دار القلم والدار الشامية،1420هـ /1999م).

245-ليلى مازن وعنايات إبراهيم، العلوم السلوكية، مراجعة: عائشة المناوي. (لا.ط؛ مصر: كلية التجارة-جامعة عين شمس، د.ت).

246-مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي. (لا.ط؛ دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،1406هـ/1986م).

247-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تحقيق: إشراف ندوة مالك بن نبي. (ط:4؛ دمشق-سورية: دار الفكر، 1984م).

248-مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين. (ط:2؛ بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة،1397هـ/1977م).

249-مجير الدين الحنبلي العليمي الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة. (لا.ط؛ عمان: مكتبة دنديس،1420هـ/1999م).

250 -محمد أبو زهرة، ابن حنبل حياته عصره وآراؤه الفقهية.(لا.ط؛ القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت).

251-محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القرآن المعرفية. (ط:1؛ بيروت: دار الهدى،1424هـ/2003م).

252-محمد أحمد الصالح، حقوق الإنسان في عصر النبوة. (لا.ط؛ السعودية: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،2001م).

253-محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف عدس. (لا.ط؛ القاهرة: دار الكتاب المصري وبيروت: دار الكتاب،2011م).

254 -محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، الطريق إلى الإسلام. (ط:2؛ لا.م: دار بن خزيمة، د.ت).

255-محمد بن إبراهيم التويجري موسوعة فقه القلوب. (لا.ط؛ لا.م: بيت الأفكاالدولية، د.ت).

256-محمد بن أحمد بن صالح الصالح، أثر الفتوى في المجتمع ومساوئ الشذوذ في الفتوى (لا.ط: مكة: رابطة العالم الإسلامي، د.ت).

257-محمد بن أحمد السرخسي، المبسوط. (لا.ط؛ بيروت: دار المعرفة،1414هـ/1993م).

258-محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، (ط:1؛ مصر، مكتبة الحلبي،1357هـ /1938م).

259-محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي، لوامع الدرر في هتك أستار المختصر، تصحيح وتحقيق: دار الرضوان. (ط:1؛ نواكشوط-موريتانيا: دار الرضوان، 1436 هـ/2015م).

260-محمد أبو زهرة، ابن حنبل حياته وعصره وآراؤه الفقهية. (لا.ط؛ القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت).

261-محمد البهي الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. (ط:10؛ مصر: مكتبة وهبة، د.ت).

262-محمد سرحان علي المحمودي، مناهج البحث العلمي. (ط:3؛ صنعاء-اليمن،1441هـ/2019م).

263-محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتحليل. (ط: إعادة؛ دمشق، دار الفكر،1424هـ / 2003م).

264-محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في الإسلام. (لا.ط؛ لا.م: دار الفكر، د.ت).

265-محمد سعيد رمضان البوطي، هذه مشكلاتهم، (ط:1؛ دمشق: دار الفكر، 1990م).

266-محمد سعيد رمضان البوطي وطيب تيزيني، الإسلام والعصر، إعداد وتحرير عبد الواحد علواني. (ط:2؛ دمشق: دار الفكر،1998م).

267-محمد سعيد رمضان البوطي، وهذه مشكلاتنا. (ط:1؛ دمشق: دار الفكر،1429هـ/ 2008م).

268-محمد السيد الجليند، الوحي والإنسان-قراءة معرفية. (لا.ط؛ القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).

269-محمد الصالح ابن عثيمين، شرح الأصول من علم الأصول. تعليق: نشأت بن كمال المصري أبو يعقوب. (لا.ط؛ مصر: دار البصيرة، د.ت).

270-محمد علي محمد إمام، كلمات مضيئة في الدعوة إلي الله، (ط:1؛ مصر: مطبعة السلام،2005م).

271-محمد الغزالي، الإسلام والطاقات المعطَّلة. (لا.ط؛ مصر: نهضة مصر للطباعة والنشروالتوزيع،2005م).

272-محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم. (ط:7؛ مصر: شركة نهضة مصر.2005م).

273-محمد الغزالي، نظرات في القرآن الكريم. (ط:7؛ مصر، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م).

274-محمد الغزالي، سرُّ تأخر العرب والمسلمين. (ط:1؛ بيروت-لبنان: دار السراج،1431 هـ/2010م).

275-محمد الطاهر بن عاشور. مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. (لا.ط؛ قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1425 هـ /2004 م).

276-محمد الفاضل بن عاشور، روح الحضارة الإسلامية، (ط:2؛ فرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي والرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي،1413هـ /1992م).

277-محمد الفاضل بن عاشور، ومضات فكر. (لا.ط؛ تونس: مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، 1982م).

278-محمد فؤاد جلال التربية القومية. (لا.ط؛ القاهرة: مكتبة الآداب ،1955م).

279-محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، (ط:1؛ لا.م: المكتب الإسلامي، 1400هـ/1980م).

280 -محمد المبارك، الوحدة الإسلامية. (ط:10؛ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ت).

281-محمد يسري إبراهيم حسين فقه الأولويات في الخطاب السلفي المعاصر بعد الثورة. (ط:2؛ مصر: دار اليسر للنشر والتوزيع،1433 هـ/2012م).

282-محمد حسن نور الدين إسماعيل، المطالب السَّنيَّة في المبادئ العشرة العلوم الشرعية. (لا.ط؛ لا.م: مكتبة الألوكة1437 هـ/ 2016 م).

283-محمود شيت، خطاب بين العقيدة والقيادة. (ط:1؛ دمشق: دار القلم وبيروت: الدار الشامية،1419 هـ/1998م).

284-محي الدين بن عربي، فصوص الحكم، تعليق أبو العلا عفيفي. (لا.ط؛ بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي، د.ت).

285-المزي، تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد. (ط:1؛ بيروت: مؤسسة الرسالة،1400هـ / 1980م).

286-مصطفى السباعي، السنَّة ومكانتها في التَّشريع الإسلامي. (ط:3؛ دمشق-سوريا وبيروت-لبنان: المكتب الإسلامي،1402هـ/1982م).

287 -مصطفى محمد حلمي، منهج علماء الحديث والسنَّة في أصول الدين. (ط:1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1426هـ).

288-منقذ بن محمود السقار الحوار مع أتباع الأديان-مشروعيته وآدابه. (لا.ط؛ لا.م: رابطة العالم الإسلامي، د.ت).

289-مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية. (ط:1؛ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،1412هـ/1992م).

290-مجيد محمدي، اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران، ترجمة: ص. حسين. (ط:1؛ بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي والشبكة العربية للأبحاث والنشر،2010م)

291-موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. (لا.ط؛ الجزائر: دار القصبة للنشر،2013 م).

292-محمد عبد الله الشرقاوي، القرآن والكون. (لا.ط؛ القاهرة: مكتبة الزهراء، د.ت)

293- محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة.(ط:3؛بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة.1415هـ/1995م) .

294 -مجموعة من المؤلفين، محمد سعيد رمضان البوطي، بحوث ومقلات مهداة إليه. (ط:1؛ دمشق: دار الفكر 1423هـ/2002م).

295-مؤلَّف جماعي، الإسلاموفوبيا في أوربا الخطاب والممارسة. (ط:1؛ برلين-ألمانيا: المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية،2019م).

296-مجموعة من الباحثين، الحرب العالمية بعيون عربية، تحرير: رشيدخشانة. (ط:1؛ لا.م الجزيرة للدراسات والدار العربية للعلوم ناشرون،1437هـ/2016م).

297 -نورا الشامخ، التقويم في التعليم. (لا.ط؛ المملكة العربية السعودية: شبكة الألوكة،1439هـ/2018م).

298-هاني بن عبد الله بن محمد الجبير، من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية. (لا.ط؛ الرياض: مجلة البيان،1429هـ).

299-هبة عبد الرؤوف عزت وآخرين. الخطاب الإسلامي إلى أين؟ (ط:1؛ دمشق دار الفكر،1427هـ/2006م).

300-هشام عوض جعفر، الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية رؤية معرفية. (ط:1؛ أمريكا المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د.ت).

301-وليد منير، النص القرآني من الجملة إلى العالم، (ط:2؛ القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1432هـ/2003م).

302-يوسف العاصي إبراهيم الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور-الممارسة-سبل المواجهة). (ط:2؛ مصر: صوت القلم العربي،1431 هـ / 2010م).

303-يوسف القرضاوي، الأقليات الدينية والحل الإسلامي. (ط:1؛ القاهرة: مكتبة وهبة، 1417هـ/1996 م).

304-يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم. (ط:1؛ بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،1421هـ/2001م).

305-مناهج جامعة المدينة العالمية الناشر، الخطابة كتاب المرحلة: بكالوريوس. (لا.ط؛ المدينة المنورة: جامعة المدينة العالمية، د.ت).

ثامناً: الرسائل الجامعية.

306-أحمد بن علي الزاملي عسيري، منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي. (رسالة مقدمة لنيل درجة

الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة -كلية أصول الدين-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1431هـ).

307-صادق محمد أحمد وجيه الدين، دراسة دكتوراه الموسومة بعنوان:" منهج التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر طه جابر العلواني أنموذجا"، جامعة أسيوط كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية تخصص: فكر إسلامي، سنة:1439هـ/2019م.

308-عزة سمير عبد الغفار، عمرو دراسة ماجستير الموسومة بعنوان: "الدكتور طه جابر العلواني 1935م/2016م وآراؤه العقدية دراسة" للباحثة المصرية؛ جامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، لسنَّة: 2018م/1439هـ.

309-محمد خلدون أحمد نورس مالكي، تعدد الخلفاء ووحدة الأمَّة فقهاً وتاريخاً ومستقبلاً، جامعة دمشق، رسالة دكتوراه -قسم الفقه الإسلامي وأصوله، 1431 هـ / 2010م.

310-يوسف بن حمود حوشان الحوشان، مسائل العقيدة في كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري «عرض ودراسة» رسالة: ماجستير في العقيدة، جامعة الملك سعود -كلية التربية -قسم الثقافة الإسلامية، إشراف: أ. د. عبد العزيز سيف النصر عبد العزيز العام الجامعي: 1417 هـ /1418 هـ.

تاسعاً: المجلات والمقالات.

311-أنيسة زغدود، "التكامل المعرفي في فهم الإنسان عند الفيلسوف محمد إقبال". مجلة المعيار، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد27، 11/40/ 2015م.

312-إيان مرخام،" علم اللاهوت؛ جذوره ومضامينه وتطوراته المعرفية". الاستغراب، بيروت: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد7 السنة الثالثة -ربيع 1438 هـ / 2017 م).

313-بدر محمد بدر، "تعريف بكتاب فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية للدكتور محمد عمارة"، مجلة دراسات إسلامية، الجزائر: مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلُّمية، العدد: 2، مارس2007م.

314-حاج هنّي محمد،" التكامل المعرفي وتجلياته في الصناعة المعجمية العربية". مجلة المعيار، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد 27،40/11/2015م.

315-خديجة جعفر، "المراحل الفكرية للدكتور طه العلواني". صحيفة الحياة الرقمية اليومية، لندن: الأمير خالد رئيس تحرير النشر الالكتروني إبراهيم بادي، العدد:19398، 14مايو 2016م الموافق ل7شعبان1437هـ .

316-زكي الميلاد، التكامل المعرفي بين العلوم في رؤية علماء الطبيعيات المسلمين المعاصرين، (مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد6، العدد22، 1431هـ-2010م).

317-سيد محمد موسوي مقدم وليلا ثمني ومريم خادمي،" نظرة حديثة إلى القديم والجديد في المجال الفقهي والمذهب الشافعي"، مجلة آفاق الحضارة، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات والثقافة، لا.م، السنة الثامنة عشر، العدد:1 الربيع والصيف 1436هـ.

318-سليمان محمد الدقور،" البواعث الفكرية والمنهجية: في سلسلة الدراسات القرآنية لطه جابر العلواني"، في مجلة إسلامية المعرفة العدد:72، الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالأردن بتاريخ:2013/04/30م.

319-طه جابر العلواني، "الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش". مجلة قضايا إسلامية معاصرة، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، السنة السابعة، شتاء 2003م/1423هـ، العدد:22.

320-طه جابر العلواني، "التوحيد والتزكية والعمران(1) ". مجلة قضايا إسلامية معاصرة، بيروت: الفلاح للنشر والتوزيع، العدد16، 1422هـ/2001م.

321-طه جابر العلواني، "التوحيد والتزكية والعمران(2) ". مجلة قضايا إسلامية معاصرة، بيروت: الفلاح للنشر والتوزيع، العدد18، 1422هـ/2002م.

322-طه جابر العلواني، في حوار بعنوان (الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش)، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، السنة السابعة، شتاء 2003م/1423هـ، العدد:22.

323-طه جابر العلواني،" لماذا أسلمة المعرفة؟"، مجلة أسلمة المعرفة، أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي العدد1، السنة1.

324-طه جابر العلواني، "من التعليل إلى المقاصد العليا الحاكمة". إسلامية المعرفة، بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي العدد:46-47، السنة:12،خريف1427هـ/2006م وشتاء1428هـ/2007م.

325-الطيب برغوث، "التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سني كوني متوازن". مجلة المعيار، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد 27،40/11/2015م.

326-عارف عز الدين حسونة، "المآخذ الأصولية على كتاب (إشكالية التعامل مع السنة النبوية) للدكتور طه جابر العلواني"، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون المجلد 43 الملحق رقم2، سنة 2016م.

327-عمار صويلة،" تجليات التكامل المعرفي في أعمال طه عبد الرحمن وفكره". مجلة المعيار، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد 27،40/11/2015م.

328-عبيدة صبطي، صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، مجلة دراسات إسلامية، الجزائر، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمة، العدد18، أفريل2013م/ جمادى الأولى1434هـ.

329-محمد أبو رمان، "الخطاب الإسلامي والتحولات الحضارية والاجتماعية"، مجلة دراسات إسلامية، الجزائر، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمة، العدد18، أفريل 2013م/جمادى الأولى 1434هـ.

330-فتحي حسن ملكاوي "الشيخ طه جابر العلواني: عالم ومفكر فقدناه". مجلة إسلامية المعرفة، الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد83، السنة الحادية والعشرون شتاء1437هـ/2016م

331-ليلى فيلالي،" علوم الإعلام والاتصال والدراسات الإسلامية في إطار استراتيجية حضارية لتحقيق التكامل المعرفي". مجلة المعيار، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد 40،2015م.

332-محمد بن عمر، "التَّداخلية بين العلوم في التراث العربي الإسلامي: الدواعي والأسباب والتجليات" مجلة المعيار، قسنطينة-الجزائر: جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر، العدد:40، 11/27/ 2015م.

333-محمد المنتار" علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية". مجلة التفاهم، مسقط-سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون 43السنة الثانية عشر شتاء 2012م/1435هـ.

عاشراً: المواقع الإلكترونية.

334-أبو يعقوب المرزوقي، "مقال بدون عنوان قالوا عنه،"(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

335-أحمد بوعود،" التكليف الشرعي والسلوك المقاصدي "موقع منار الإسلام (https://islamanar.com/purposes-conduct),06/02/2020م.

336-أحمد العلوان،" علمني أبي". موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية.

337-إبراهيم خليل العلاف،" حركة الشواف في الموصل 1959"، فلسطين: موقع دنيا الوطن، المدير العام ورئيس التحرير عبد الله عيسى تاريخ النشر:2009/10/18م

338-إبراهيم الجبين،" الملا مصطفى البارزاني السياسي المحارب.. الأيقونة والإرث واللحظة الكردية"، موقع العرب، (https://alarab.co.uk) الأحد 2013/12/01م.

339-بدون مؤلف،" السيرة الذاتية للعلواني". (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

340-بدون مؤلف،" العلواني. مفكر إسلامي وافته المنية في السماء"(موقع موسوعة الجزيرة الالكتروني صفحة شخصيات) تاريخ النشر 06 /2016/03م.

341-بدون مؤلف،" الحزب الإسلامي العراقي"، موقع الجزيرة نت. تاريخ النشر:02/09/ 2014م.

342-بدون مؤلف،" خليل كنة ... قصة حياة سياسي عراقي من العهد الملكي" الكاردينيا، (https://www.algardenia.com)، تاريخ الاثنين، 16 كانون2/يناير 2017 21:03.

343-بدون مؤلف، "الهوية والتأسيس "موقع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (https://wamy.org)، السبت2020/10/24م.

344-بدون مؤلف، "المعهد العالمي للفكر الإسلامي "موقع معرفة (https://www.marefa.org).

345-بدون مؤلف،" المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة" موقع معرفة (https://www.marefa.org).

346-بدون مؤلف، "من نحن". موقع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (http://www.alecso.org/nsite/ar/news) ، 07 آذار/مارس 2019.

347-بدون مؤلف، "الرؤية والأهداف" موقع مركز دراسات الوحدة العربية، (https://caus.org.lb/ar).

348-بدون مؤلف،" الحزب الإسلامي العراقي"، موقع الجزيرة نت. تاريخ النشر:02/09/ 2014م.

349-بدون مؤلف، " الموسوعة العقدية: المطلب الأول: تعلم العلم النافع "موقع الدرر السنية(https://dorar.net/aqadia/3305)،تاريخ التصفح:2020/11/5م، الساعة:23و45د.

350-جاسر عودة، "بيننا وبينكم يوم الجنائز .. في فضل العلامتين العلواني والترابي" (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

351-جميلة تِلوت،" إشكالية النسخ في قراءة الوحي: دراسة نقدية". مركز خطوة للتوثيق والدراسات، (http://www.khotwacenter.com 10مارس، 2019م.

352-جمال البرزنجي،" بدون عنوان "، (أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

353-خديجة جعفر، "المراحل الفكرية للدكتور طه العلواني"، (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

354-دانيا يوسف، "محمد مصدق...الرجل الذي فتح الطريق أمام استيراد الشعوب لثروتها الوطنية" بحث منشور في مجلة أخبار الدنيا (https://www.aldonyanews.com) أوت/ 22/ 2019م

355-رقية العلواني،" تعلَّمت من والدي" (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

356-زكي الميلاد،" بدون عنوان قالوا عنه"(موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

357-زينب العلواني،" أبي وشيخي" (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

358-صبحي غندور، "عن الدكتور طه جابر العلواني"، (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

359-صباح العجاج،" إشكالية د. طه جابر العلواني"، الراصد، شبكة الراصد الإسلامية العدد: 145 – رجب 1436هـ الأحد 19 أبريل 2015م

360-طه جابر العلواني،" الأزهر علمني الاعتدال"، (موقع اكادمية العلواني للدراسات القرآنية).
361-طه جابر العلواني، "الإسلاميُّون بين الدعوة والدولة"، (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).
362-طه جابر العلواني، منزل والدي آخر أثر أو ذكرى لي في الفلوجة. (موقع اكادمية العلواني للدراسات القرآنية)
.363-طه جابر العلواني،" من أنا"(أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).
364-عادل مداحش،" حوار مع طه"، مأخوذ عن مجلة جمهورية اليمن بتاريخ2/8/ 2014م.(موقع اكادمية العلواني للدراسات القرآنية).
365-عبد الحميد سليمان، "بدون عنوان"، (موقع اكادمية العلواني للدراسات القرآنية).
366-عبد الجبار الرفاعي،" بدون عنوان"، (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).
367-عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيَّه، "تعليق على كتاب: إشكالية: الردة والمرتدين للعلامة طه جابر العلواني"، المنشورة في الموقع الرسمي للشيخ بن بيَّه.
368-عبد الجبار الرفاعي،" الشيخ طه العلواني فقيه ضيَّعه سنة العراق ونساه شيعتها "موقع صحيفة المثقف العدد، مؤسسة المثقف العربي، العدد3470،
. 2016-03-06(http://www.almothaqaf.com/b5/903654)
369-عبد الكريم الخطاب،" أمريكا وإيران.. ماذا يحدث خلف الكواليس؟ "موقع طريق الإسلام(https://ar.islamway.net/article/14757)،تاريخ التصفح:3/2/ 2013م.
370-عبد الوهاب المسيري،" بدون عنوان "، (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).
371-علاء اللامي،"أحداث الموصل "ثورة الشواف" سنة 1959/ مقاربة جديدة (1)" العراق: صحيفة -العالم الجديد صحيفة يومية الكترونية مستقلة، تأسيس فراس سعدون وغيره، الثلاثاء تاريخ النشر: الثلاثاء 2015/9/29-04:24:40.
372-عبد النبي الشعلة، "وري السعيد وخطئية حلف بغداد" صحيفة البلاد الإلكترونية، البحرين: الأحد 17 فبراير 2019.
373-عبد القادر بن عبد الله،" تكامل العقل والإيمان عند ابن رشد "شرة المحرر مدونة مصطفى المتوكل الساحلي المغرب الاثنين 19 أغسطس2013م- 16:44مساءً
374-فاطمة مشعلة،" مفهوم الخدمة "بحث منشور على (موقع موضوع)، 2016/10/10م، 07:24
375-فتحي حسن ملكاوي،" في رحيل المفكر الإسلامي طه جابر العلواني" منتدى العلماء: السبت جمادى الأولى1437هـ/5-3-2016م.

376-قمر شعبان الندوي، "منهجية التكامل المعرفي"، عرض لندوة تكوينية للمدربين من تنظِّم المعهد العالي الإسلامي حيدرآباد بالتنسيق مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي هرندن، فرجينيا بالولايات المتحدة الأميريكية (مجمع البحث العلمي- الهند)،تاريخ النشر:02/03/ 2012م.376-فتحي حسن ملكاوي،" الشيخ طه جابر العلواني في ذمة الله". استشارية المعهد العالمي للفكر الإسلامي -بالمغرب يوم الإثنين 14 آذار /مارس2016 على الساعة 15:01.

377-فتحي حسن ملكاوي،" بدون عنوان "، (أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).379-مازن هاشم،" بدون عنوان "، (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).379-محمد رشيد رضا،" نتعاون فيما اتفقنا عليه" بحث منشور في موقع الشيخ القرضاوي، تاريخ النشر:2003/02/22م.

378-ومنصورة، "التَّداخلية بين العلوم في التراث العربي الإسلامي" منتديات منصورة والجميع يوم 2016/6/2 الساعة13:56.

379-محمد نجاح، "خصائص النظام المعرفي عند الفاروقي "موقع الجريدة الالكترونية العمق المغربي(2017 /02/ 03 https://al3omk.com/60346.html) – توقيت: 01:52.

382-محمد أسامة،" المعهد العالمي للفكر الإسلامي.. المشروع والفكرة" موقع إضاءات https://www.ida2at.com/international-institute-of-islamic-) 16/05/2015(thought-project

383-محمد بن قاسم الرماح،" عبد الغني الراوي "موقع معرفة (https://www.marefa.org) 27، يونيو 2013، 13:01.

384-محمد سمير العبد،" مسارات السياسة الأمريكية تجاه الإخوان المسلمين "موقع دراسات الشرق الأوسط، (https://orsam.org.tr/ar/36)، 2019/07/19م.

385-مصطفى عاشور،" علم المراجعات منطلق الاجتهاد الفقهي "، (أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

386-مصطفى عاشور،" علم المراجعات منطلق الاجتهاد الفقهي"، (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

387-منى أبو الفضل،" بدون عنوان"، موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية.

388-مولود عويمر،" هل يموت من ترك وراءه كل هذا التراث؟ يرحل الرجال، وتبقى أعمالهم!"، (موقع اكادمية العلواني للدراسات القرآنية).

389-هشام الطالب،" بدون عنوان"، (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

390-ياسر كمال الغرباوي،" بدون عنوان"، (موقع أكاديمية العلواني للدراسات القرآنية).

391 -موقع موسوعة الجزيرة الالكتروني،" العلواني. مفكر إسلامي وافته المنية في السماء" صفحة شخصيات تاريخ النشر 06 /2016/03م.

392-موقع" المعهد العالمي للفكر الإسلامي"https://iiit.org/ar

393-موسوعة الجزيرة الإلكتروني،" العلواني.. مفكر إسلامي وافته المنية في السماء" صفحة شخصيات تاريخ النشر 06 /2016/03م.

394-هادي حسن عليوي،"عبد الرزاق النايف.. قائد انقلاب 17 تموز 1968"موقع كتابات، (https://kitabat.com)، الثلاثاء 03 آذار/مارس 2020م.

395-هادي حسن عليوي،" إبراهيم الداوود... الرجل الثاني في انقلاب 17 تموز 1968"موقع كتابات، (https://kitabat.com)،الخميس 05 آذار/مارس 2020م.

396-ويكيبيديا.

397-Samer Hamdan، "حكم عن الماضي" موقع موضوع، تاريخ التصفح:2015/09/19م.

فهرس الموضوعات

العنوان	ص
البسملة	
الإهداء	
الشكر والتقدير	
الملخص	
جدول الرموز	
المقدمة	
الفصل الأول: السيرة والمسيرة (جهود وأنشطة لحياة حافلة بالعطاء).	
المبحث الأول: البيئة والمولد والنشأة والتكوين.	23
المطلب الأول: عصر العلواني ومولده.	23
الفرع الأول: عصر العلواني.	23
الفرع الثاني: مولده.	32
المطلب الثاني: مساره العلمي.	34
الفرع الأول: من الفلوجة إلى بغداد.	34
الفرع الثاني: إلى الأزهر الشريف	37
المطلب الثالث: نشأته الدعوية.	39

الفرع الأول: علاقته بجماعة الإخوان المسلمين.	39
الفرع الثاني: عمله في الخطابة.	44
المطلب الرابع: نشأة الحس السياسي عنده.	46
المبحث الثاني: مرحلة نشاطه السياسي في العراق.	49
المطلب الأول: من تجاربه مع الحزب العراقي الإسلامي.	49
الفرع الأول: حماسة الشباب والاعتقال المبكر. (محاولة اغتيال قاسم).	49
الفرع الثاني: انخراطه في الحزب الإسلامي العراقي.	52
الفرع الثالث: تجميد نشاط الحزب الإسلامي وأسبابه.	56
المطلب الثاني: من تجربته في العمل العسكري.	60
الفرع الأول: إلى التَّجنيد الإجباري.	60
الفرع الثاني: رفض العلواني للعنف.	62
المطلب الثالث: من أهم أعماله السياسية في هذه المرحلة.	66
الفرع الأول: انقلاب 8 شباط وبداية علاقته بعبد السلام عارف.	66
الفرع الثاني: تأسيس المنظمة العسكرية الإسلامية.	70
المبحث الثالث: العودة إلى العلم والدعوة واعتزاله النشاط السياسي	74
المطلب الأول: الطريق إلى طهران	74
. الفرع الأول: العلاقة بين العراق وإيران بين السلم والمسالمة.	74
الفرع الثاني: العلاقات الإيرانية في العهدين الملكي والجمهوري.	81
المطلب الثاني: التَّعاون مع طهران ضد حكومة البعث ببغداد.	83
الفرع الأول: التعاون مع إيران لإسقاط حكومة البعث.	83

الفرع الثاني: أخذٌ وردٌّ في إيران وجذور المحاصصة الطائفية.	86
المطلب الثالث: التحول من العمل السياسي إلى العمل الدعوي والتدريس الجامعي.	91
الفرع الأول: إقامته في السعودية وعلاقته بالشيخ ابن باز.	91
الفرع الثاني: مغادرة المملكة السعودية إلى الولايات الأمريكية المتحدة.	96
المطلب الرابع: تجربته في المعهد العالمي للفكر الإسلامي. (البحث عن الذات خارج النطاق الداخلي).	100
الفرع الأول: الوجود الإسلامي في أمريكا والغرب.	100
الفرع الثاني: نشأة المعهد.	103
الفرع الثالث: رجال المعهد.	105
الفرع الرابع: خصائص ومميزات المعهد.	110
سادساً: محاولة الانفتاح على القوى القومية.	117
المبحث الرابع: صفات العلواني وأثرها في واقع الدعوة الإسلامية (العلواني نموذج مدرسة علماء الغرب الإسلامي)	121
المطلب الأول: العلواني العالم الرباني حسن الخلق.	121
الفرع الأول: العلواني العالم الرباني المخلص.	121
الفرع الثاني: العلواني صاحب الخلق العظيم.	124
المطلب الثاني: العلواني بين الفكر والعمل.	131
الفرع الأول: العلواني الخطيب المفوه والمفكر والمجدِّد.	131
المطلب الثالث: العلواني والآخر.	139
الفرع الأول: العلواني ودعوة التعايش السلمي بين الملل والنحل.	139
الفرع الثاني: العلواني بين المفاهيم التراثية والتفتُّق الحداثي	140

الفرع الثالث: العلواني ابن عصره بامتياز.	143
المطلب الرابع: آخر أعماله ووفاته.	146
خلاصة الفصل الأول.	151
الفصل الثاني: جهود طه جابر العلواني في خدمة الدعوة الإسلامية داخلياً (البحث عن الذات).	
المبحث الأول: مركزية القرآن الكريم في خطاب العلواني.	154
المطلب الأول: الجمع بين القراءتين عند العلواني.	154
الفرع الأول: مفهوم الجمع بين القراءتين.	154
الفرع الثاني: أخطاء القراءات المنفردة وسلبياتها.	156
الفرع الثالث: حتميَّة الجمع بين القراءتين.	158
الفرع الرابع: محددات ومعالم منهجية القرآن المعرفية.	160
المطلب الثاني: الوحدة البنائية للقرآن الكريم عند العلواني.	162
الفرع الأول: مفهوم الوحدة البنائية للقرآن الكريم وأهميتها.	162
الفرع الثاني: آثار الوحدة البنائية ونموذج عنها.	167
المطلب الثالث: القرآن الكريم وحلول المشكلات الإنسانية.	173
الفرع الأول: عداوة مستمرَّة للقرآن الكريم.	173
الفرع الثاني: مرتكزات القرآن الكريم لتحقيق الخلاص الإنساني.	178
المطلب الرابع: القيم السياسية في القرآن الكريم وإشكالية الحاكمية.	183
الفرع الأول: الحاكمية المفهوم والتاريخ.	183
الفرع الثاني: المسارات التاريخية لمفهوم الحاكمية الإلهية في الديانات السماوية السابقة.	188
الفرع الثالث: الحاكمية كمفهوم تحريضي.	194
المبحث الثاني: المقاصد العليا القرآنية الحاكمة في فكر العلواني.	201

المطلب الأول: تعريف وأهمية المقاصد القرآنية العليا الحاكمة.	201
الفرع الأول: تعريف المقاصد القرآنية العليا الحاكمة.	201
الفرع الثاني: أهمية منظومة المقاصد القرآنية العليا في ضبط الفكر الإسلامي وفروعه.	203
المطلب الثاني: الخصائص التي ستقوم المنظومة المقاصدية بتشغيلها عند قيامها.	208
المطلب الثالث: المقاصد القرآنية العليا والمحدِّدات المناهجية	213
المبحث الثالث: التعامل مع السنَّة النبوية في فكر العلواني.	230
المطلب الأول: مفاهيم ومصطلحات	230
المطلب الثاني: إشكاليات منهجية في التعاطي مع السنَّة النبوية.	239
الفرع الأول: إشكالات في التراث الأصولي.	239
الفرع الثاني: السياق التاريخي لتدوين السنَّة.	246
المطلب الثالث: خلاصة رأي العلواني في جمع وحجية السنَّة.	252
الفرع الأول: فهم قطعية جمع عمر عبد العزيز للسنَّة في سياقها التاريخي	252
الفرع الثاني: علوم الحديث رواية ودراية.	253
الفرع الثالث: خاتمة قول العلواني في حجية السنَّة.	263
المبحث الرابع: التعامل مع التراث في فكر العلواني	267
المطلب الأول: منطلقات منهجية لمعالم مراجعة التراث.	267
الفرع الأول: مفهوم المراجعة	267
أولاً: القرآن والسنَّة.	267
ثانياً: إجماع المسلمين وخاصة إجماع الصحابة	267

الفرع الثاني: منطلق ومداخل علم المراجعة.	269
المطلب الثاني: المراجعة بين الواقع والمأمول.	273
الفرع الأول: الواقع الإسلامي في وجه المراجعة.	273
الفرع الثاني: المراجعة والمأمول المفقود.	282
المطلب الثالث: أمثلة عن مراجعات العلواني للتراث.	285
الفرع الأول: موضوع النَّسخ في القرآن الكريم.	285
الفرع الثاني: حديث الفرقة الناجية.	292
المطلب الرابع: العلواني ومراجعة التراث.	294
الفرع الأول: موقف الجماعات الإسلامية من التراث.	294
الفرع الثاني: القرآن الكريم يُراجع سيرة الأمم السابقة.	295
خلاصة الفصل الثاني.	298
الفصل الثالث: جهود العلواني في خدمة الدعوة الإسلامية خارجياً (الرؤية النقدية وتحديات العودة إلى الذات).	
المبحث الأول: إشكالية المواءمة بين الحضارة الإسلامية والغربية في فكر العلواني.	302
المطلب الأول: الأصول المنهجية لفقه التعارف والتعاون وثقافة التعايش.	302
الفرع الأول: واقع وحقيقة التعايش داخلياً وخارجياً عبر التاريخ الإسلامي.	302
الفرع الثاني: الأصول المنهجية والمرتكزات القرآنية في بناء ثقافة التعايش.	309
الفرع الثالث: الإطار القرآني للتعايش.	314

الفرع الرابع: عالمية الخطاب القرآني أساس للتعايش الإنساني.	318
الفرع الخامس: أسباب التفاعل بين عالمية الإسلام والغرب عند العلواني.	322
المطلب الثاني: المواطنة وفقه الأقليات وعلاقتهما في بناء التعايش السلمي.	325
الفرع الأول: المواطنة بين أنانية الإنسان وسماحة الإسلام.	325
الفرع الثاني: فقه الأقليات ودوره في المواءمة الحضارية بين الإسلام والغرب.	332
المطلب الثالث: موقع حوار الحضارات في المواءمة الحضارية بين الإسلام والغرب.	354
الفرع الأول: ملاحظات ضرورية حول موقع الأمة المسلمة اليوم من مسألة حوار الحضارات	354
الفرع الثاني: نحو أبعاد معرفية لحوار الحضارات.	357
المبحث الثاني: إسلامية المعرفة في فكر العلواني.	363
المطلب الأول: الجذور التاريخية لأزمة الأمة الإسلامية.	363
الفرع الأول: تشخيص أزمة الأمة الإسلامية.	363
الفرع الثاني: موقف الأمة المسلمة من المشروع الغربي.	366
المطلب الثاني: الفكر ومكانته في المنظومة الإصلاحية للعلواني.	369
الفرع الأول: مكانة الفكر في السياقات الإنسانية.	369
الفرع الثاني: ملامح المنهج الجديد وأهم مقوماته عند العلواني.	371
المطلب الثالث: التعريف بمشروع أسلمة المعرفة.	374
الفرع الأول: مفهوم إسلامية المعرفة.	374
الفرع الثاني: أهداف ومقاصد إسلامية المعرفة.	379
الفرع الثالث: محاور إسلامية المعرفة.	387
الفرع الرابع: مهمة أسلمة المعرفة وموقف الناس منها.	392
المطلب الرابع: علاقة أسلمة المعرفة بالعلوم.	398

الفرع الأول: إسلامية المعرفة وعلاقتها بالعلوم المختلفة.	398
الفرع الثاني: العلاقة بين الوحي والتَّدين.	399
الفرع الثالث: علاقة إسلامية المعرفة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية.	400
الفرع الرابع: إسلامية المنهجية والعلوم السلوكية.	402
الفرع الخامس: إسلامية المعرفة والعلوم الشرعية.	405
المبحث الثالث: التكامل المعرفي في فكر طه جابر العلواني.	408
المطلب الأول: مفهوم التكامل المعرفي وتاريخه في الفكر الإسلامي.	408
الفرع الأول: تعريف التكامل المعرفي.	408
الفرع الثاني: التكامل المعرفي في الفكر الإسلامي.	409
المطلب الثاني: الملمح العام للتكامل المعرفي عند العلواني وعلاقته بالمقاصد العليا للقرآن.	417
الفرع الأول: ملمح عام للتكامل المعرفي.	417
الفرع الثاني: التكامل المعرفي وعلاقته بالمقاصد العليا للقرآن الكريم.	419
الفرع الثالث: التكامل المعرفي الإسلامي ملاذ أزمة المعرفة الإنسانية اليوم.	427
المطلب الثالث: من خصائص التكامل المعرفي.	430
الفرع الأول: إبراز خصوصية الرؤية القرآنية.	430
الفرع الثاني: التكامل المعرفي يجمع بين القراءتين.	436
الفرع الثالث: التكامل المعرفي فكرة جماعية.	439
خلاصة الفصل الثالث	442
الخاتمة	444

فهرس الآيات	452
فهرس الأحاديث والآثار	458
قائمة المصادر والمراجع	461
فهرس الموضوعات	494